عِلمُ النّفْسِ العَسْكَرِيّ

تأليف

الدكتور عبد اللّطيف حسين فرج و الدكتور عز الدّين جميل عطيّة

عميد كليّة التّربية
جامعة الملك سعود - أبها

أستاذ مُساعد بكليّة التّربية
جامعة الملك سعود - أبها



عِلْمُ النَّفْسِ العَسْكَرِي

تأليف

الدّكتور عبد اللّطيف حسين فرج و الدّكتور عز الدّين جميل عطيّة

عميد كليّة التّربية
جامعة الملك سعود - أبها

أستاذ مساعد بكليّة التّربية
جامعة الملك سعود - أبها



دار الشروق جدة
للنشر والتوزيع والطباعة



الطبعة الأولى
١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م



للنشر والتوزيع والطباعة
الادارة - كيلو ثلاثة - طريق مكة - هاتف ٦٨٧٣٠٧٧
ص.ب. ٤١٤٦ جدة - الرمز البريدي ٢١٤٩١
برقيا - مشكاتنا - تلكس SHORCO, SJ ٦٠١٢٠٩
المكتبة - شارع البغدادية- هاتف ٦٤٤٣٥١٨ - ٦٤٢٦٦١٠
المكتبة - كيلو ثلاثة - طريق مكة - هاتف ٦٨٧٢٨٠٠

المؤلِّفُ في سُطور

الدكتور عبد اللطيف حسين فرج

- ولد بمكة المكرمة عام ١٣٧٣هـ.
- تلقى تعليمه الابتدائي والثانوي بمكة وحصل على بكالوريوس التربية وعلم النفس عام ١٣٩٢هـ من جامعة الملك عبد العزيز - شطر مكة (أم القرى حالياً).
- عمل مدرساً بمعهد إعداد المعلمين الثانوي حتى عام ١٣٩٥هـ.
- عمل معيداً بكلية التربية وحصل على ماجستير العلوم في التربية الدولية المقارنة عام ١٣٩٨هـ وحصل على دكتوراه الفلسفة عام ١٤٠١هـ في المناهج والعلوم السياسية من جامعة انديانا - الولايات المتحدة الأمريكية.
- عمل أستاذا مساعداً في كلية التربية - جامعة الملك سعود حتى عام ١٤٠٣هـ.
- يعمل الآن عميداً لكلية التربية - جامعة الملك سعود فرع أبها.
- شارك في مؤتمرات خارج المملكة وداخلها وقدم بحوثاً ودراسات في تلك المؤتمرات.
- من مؤلفاته المنشورة:

١ - مفاهيم أساسية لطلاب الجامعة - مكتبة السروات - الرياض ١٤٠٣هـ.

٢ - مفاهيم أساسية لتربية الأطفال - دار المريخ الرياض ١٤٠٣هـ.

٣ - تربية وتعليم للشباب السعودي - دار الرياض ١٤٠٤هـ.

٤ - التغيرات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية في المملكة العربية السعودية ومشكلة التعليم الثانوي في البلاد. جامعة أم القرى ١٤٠٤هـ.

٥ - حكومة الولايات المتحدة الأمريكية «كيف ولماذا تعمل» (مترجم) دار الرياض ١٤٠٤هـ.

٦ - مرجع إداري المدرسة في توجيه المعلم وتقويمه - الدار السعودية للنشر جدة ١٤٠٥هـ (مترجم).

٧ - محطات أمل للشباب - نادي أبها الأدبي، ١٤٠٦هـ.

المؤلِّفُ في سُطور

الدّكتور عزّالدّين جميل عطيّة

أستاذ مساعد بقسم علم النفس بكلية التربية جامعة الملك سعود:

التحق بالمدرسة الثانوية العسكرية عند بدء إنشائها عام ١٩٤٨م بالقاهرة، ثم بالكلية الحربية عام ١٩٥١م وتخرج منها ضابطا عاملا بالقوات المسلحة المصرية. وخدم في وحداتها الإدارية والمقاتلة والتعليمية، وإشترك في عمليات ١٩٥٦م، ١٩٧٦م، وحرب الإستنزاف، حرب ١٩٧٣م. وتمرس خلال خدمته في الأعمال الإدارية والقيادية كما درس مادة علم النفس العسكري في المنشآت التعليمية التي خدم بها.

ومُنح نوط الواجب العسكري من الدرجة الأولى ونوط الخدمة الطويلة الحسنة وتدرج في الرتب العسكرية حتى رتبة اللواء ثم أحيل إلى التقاعد في عام ١٩٨٢م.

وقد حصل أثناء خدمته بالقوات المسلحة على ليسانس الآداب من جامعة القاهرة عام ١٩٦٨م دبلومي التربية وعلم النفس العام والخاص والماجستير والدكتوراه في التربية وعلم النفس (تخصص صحة نفسية) من جامعة الأزهر. وقد أوصت اللجنة التي ناقشت رسالته في الدكتوراه بإعادة طبعها على نفقة الجامعة وتداولها مع الجامعات العربية. ثم عمل مدرسا منتدباً في كلية التربية بجامعة الأزهر خلال عام ١٩٨٤م، ١٩٨٥م.





الفصل الأول

طَبيعَة عِلْم النّفْس العَسْكَري

الفصل الأول

طَبيعَة عِلْم النّفْس العَسْكَري

١ - مقدمة:

من الأجدى قبل تعريف علم النفس أن نوضح باختصار ما هو المقصود بكلمة «علم». هل هو المعرفة وجمع المعلومات. لقد دأب الفلاح قديماً أن يزرع أرضه ويحصدها بطريقة معينة وكان يلم بكثير من المعلومات عن كيفية حرثها وريها وأنواع الثمار المختلفة واستمر على هذا آلاف السنين دون أن يحرز تقدماً يذكر في تطوير أساليب الري والزراعة، وهكذا كان الحال بالنسبة لسائر أوجه نشاط الإنسان الأخرى، إذ ظل زمنا ليس بقليل ينتقل مكان الى آخر على ظهر الدواب أو على عربات تجرها الخيل. وهو يعلم كثيراً من خصائص الدواب وطبائعها وكيف يحافظ عليها وكيف يتفنن في صنع العربات الخشبية وغير هذا من معلومات.

وكانت العلوم قديما تنحصر في الفلسفة وما قد يتفرع عنها من علوم أخرى فرعية كعلم المنطق والطب، وكلها تعتمد أساليب فكرية إبتدعها القدماء لتحصيل المعارف لعل أبرزها هو منطق أرسطو الصوري الذي يعتبره اليوم العلماء المعاصرين مسئول بدرجة كبيرة عن تأخر الحضارة

الانسانية[1]. فبالرغم من أن هذا المنطق الأرسطي كان يحظى بقدر كبير من الاحترام بين رجال العلم المعاصرين لأرسطو وأهل القرون التي أعقبت زمنه الا انه كان عقيماً لا يكشف عن جديد، لأن النتائج في قياس أرسطو كانت متضمنة من مقدمات فهو ليس أكثر من مجرد أفكار تدور حول نفسها، وهذه الأفكار تبدو متسقة مع بعضها إتساقاً ليس به أي خطأ، ولكنها لا شأن بها بالواقع والتجربة للتحقق من صحة المقدمات نفسها التي استنبطنا منها النتائج[2].

وهذا لا يعني أن هذا القياس لا يصح إستخدامه في العلوم، وإنما لا يصح اعتباره الوسيلة الوحيدة لتحصيل المعارف العلمية، فمن الصواب أن يكون الفكر متسقاً مع نفسه ومنظماً، ولكن يجب أن يسبق هذا الاتساق مرحلة نختبر فيها صحة المقدمات بالتجربة والاستقراء. وهذا هو ما تحمس له علماء النهضة أمثال بيكون وجاليليو وغيرهم، فعندما تم التوصل إلى القانون العلمي الذي يفيد أن المعادن تتمدد بالحرارة، أُجريت التجارب المتعددة على قطع من معادن تتضمن الحديد والنحاس والالمونيوم وغيرها، ويُعتبر حصر نتائج كل هذه الأمثلة المتعددة من التجارب استقراءً.

ويعرف العلم بأنه «مجموعة من المعارف نعتمد في تحصيلها على منهج»، ولما كان علم النفس جزءا من الفلسفة قبل أن يصبح علماً مستقلا فقد ورث عنها مشكلات أقعدته عن التقدم ومسايرة ركب التطور الذي نالته العلوم الطبيعية. ولعل أبرزها ما يتصل بكيفية التوصل الى

(١) زكي نجيب محمود: المنطق الوضعي. الجزء الثاني: في فلسفة العلوم، القاهرة:الانجلو.
(٢) مثال عن قياس أرسطو: الحيوانات تسير على أربع ، البقرة تسير على أربع، البقرة حيوان.

المعلومات عن النفس الانسانية عن طريق التجربة والاستقراء. ويحاول اليوم علماء النفس جاهدين أن يتبعوا أساليب التفكير العلمي الذي تسير على نهجه العلوم الطبيعية ويمكن أن نوجز بعض هذه الأساليب فيما يلي:

(١) الامبريقية:

أي الاعتماد على الوقائع الخارجية القابلة للملاحظة الحسية المباشرة أو غير المباشرة سواء كانت هذه الوقائع على شكل مثيرات خارجية مثل المكافأة أو العقاب، الاحباط أو استجابات ملموسة يقوم بها الكائن الحي رداً على هذه المثيرات مثل سلوك الهرب أو العدوان[١].

(٢) الدقة:

لا يوجد مكان للصدفة في البحث العلمي، فكل شيء يُعد سلفا بتخطيط دقيق، عند تحديد الظاهرة السلوكية موضوع الدراسة وحصر نطاقها ومجالها، وبداية من مشكلة البحث وتحديد متغيراتها - ويقصد بها تلك الأشياء القابلة للتغير - حتى التوصل الى فروض البحث ونتائجه.

(٣) الحتمية:

ويقصد بها أن الطبيعة ليست كومة مشوهة من الحقائق المنعزلة بل هي نظام مرتب فلكل حدث أسبابه، وليس هناك مجال للعشوائية والتخبط أو أن كل شيء بقدر، ووحده الطبيعة بما تحويه من ظواهر هي المقدمة الكبرى لكل تفكير علمي، وعندما يعجز العالم عن تحديد

---

(١) يرى بعض العلماء العرب المعاصرين أن الإسلام يحبذ الالتزام بالدقة وتجنب الأهواء الذاتية عند طلب العلم والتوصل الى الحقائق كقوله تعالى ﴿إن الظن لا يغنى من الحق شيئاً﴾ وقوله تعالى ﴿ولا تقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسئولا﴾.

الأسباب فإنه يلجأ الى مصطلح العشوائية، وبذلك يكون المعنى الدقيق للعشوائية هو الجهل العلمي بالاسباب والمسببات.

(٤) الاتجاه الجدلي:

ويقصد به أنه ليست هناك حقائق ثابتة بشكل مطلق أو نظريات مسلم بها نهائياً، إذ أن النظريات والبحوث العلمية الجديدة تحاول استكمال أوجه النقص التي ظهرت في النظريات والبحوث العلمية السابقة، فبالرغم من أهمية نظرية أينشتين التي كانت أساس تفتيت الذرة ونظرية نيوتن عن الجاذبية، إلا أنه ظهرت الآن بدائل لهما تتمتعان بقدر أكبر من الحبكة وحسن الصياغة العلمية[١].

(٥) الموضوعية:

وتتطلب أن يكون الباحث محايداً تماماً لا يتأثر بآراء أو معتقدات أو بحوث سابقة. والعلم يبحث دائما فيما هو موضوعي وعام لا يختلف عليه الناس وليس له شأن بما هو ذاتي خاص. فإذا رغب فنان في أن يرسم لوحة فنية لزهرة أو حصان فعليه أن يحاول أن يبرز انطباعاته الذاتية عن الزهرة أو الحصان فقد يهتم مثلا بتوزيع الألوان ودرجة الإضاءة وبعض جوانب جمالية قد لا يدركها غيره من الناس، أما العالم فيبحث فيما هو عام في الزهر كله أو الخيل مثل عدد الأوراق والخصائص التشريحية ومراحل النمو وغير ذلك من عوامل يمكن أن يراها ويدركها كل من رغب التحقق منها، مثلها في هذا مثل القضايا الرياضية التي يُعبر عنها بالأرقام ولا يختلف عليها الناس كاختلافهم في الأحكام الجمالية والخلقية. التي قد تعبر عن انطباعات ذاتية تخص

---

(١) أحمد فائق، محمود عبد القادر: مدخل الى علم النفس العام. القاهرة: الانجلو ١٩٧٢ م.

صاحبها فقط، وليس معنى هذا الحط من قيمة هذه الأحكام الأخيرة إذ أن لها مجالات أخرى قد تكون أكثر أهمية من العلم.

ويمكن تعريف علم النفس بأنه علم دراسة السلوك الانساني والحيواني. ويتضمن هذا التعريف عوامل ثلاثة أساسية هي: العلم - السلوك - الانسان والحيوان. إذا هو مجموعة منظمة من المعارف جمعت بإستخدام الملاحظة والقياس وباجراء التجارب المعملية المضبوطة. ويهدف العلم إلى تصنيف الظواهر موضوع الدراسة واكتشاف العلاقات القائمة بينها ثم وضع القوانين التي تفسرها، والتي تساعدنا على التنبؤ بهذه الظواهر بدرجة مناسبة من الدقة، ثم التحكم فيها وتوجيهها. فمثلا في سيكولوجية التعلم قام ثورنديك بتجربة على قطة جائعة بأن وضعها في قفص به رافعة يمكن الضغط عليها فيفتح الباب لتخرج القطة وتحصل على الطعام الموجود خارج القفص. اكتشفت القطة هذه الرافعة بالمصادفة في المحاولة الأولى وبعد أن استغرقت زمناً طويلا. إلا أنه مع تكرار المحاولات نقص الزمن المستغرق لخروج القطة من القفص وصاحب ذلك نقص في الأخطاء والحركات غير الهادفة. أي أنه حدث تعلم أو تغير في سلوك القطة[1].

من هذه التجربة يتضح كيف أن ثورنديك قام بملاحظة سلوك القطة، وقياس تعلمها كما يظهر في الزمن المستغرق أثناء محاولاتها للخروج من القفص. وقد أدى به هذا إلى وضع مجموعة من القوانين التي تفسر عملية التعلم. تلك القوانين إنتظمت في نظرية تعرف بنظرية المحاولة والخطأ. وهذه النظرية بدورها تساعدنا على فهم سلوك الانسان

---

(١) حسين عبد العزيز الدريني: المدخل الى علم النفس. القاهرة: دار الفكر العربي، ١٩٨٣م.

عندما تواجهه مواقف لا بد أن يخطىء فيها كثيراً حتى يتعلم أشياء معينة. ومثال هذا تعلم الفرد السباحة أو ركوب الدراجة أو التعامل مع بعض الالات المعقدة والتي تتطلب مهارات حركية من نوع معين. كما تساعدنا على التنبؤ بسلوك الانسان اذا ما وُجد في مثل هذه المواقف دون تدريب مسبق. كما قد تساعدنا أيضاً على التحكم في سلوكه بطريقة تمكننا من أن نجعله يتعلم المهارة المطلوبة بدقة وفي أقل وقت ممكن.

ويدرس علم النفس السلوك، فموضوعه هو السلوك لا العقل أو الأفكار والمشاعر في ذاتها، ذلك لأن السلوك فقط هو الذي يمكن ملاحظته وتسجيله ودراسته. والسلوك هو عبارة عن النشاط الذي يصدر عن الكائن الحي كنتيجة لتفاعله مع ظروف بيئية معينة لمحاولة تعديلها وتغييرها. وما النشاط الذي يصدر عن الكائن إلا مجموعة الإستجابات التي يقوم بها للرد على مثيرات ومنبهات معينة.

أي أن علم النفس يدرس كل المظاهر الموضوعية للأفكار والمشاعر سواء اتخذت هذه المظاهر صورة كلمات، أو أفعال أو مظاهر إنفعالية مثل نزول الدمع عند الحزن، أو تغيرات فسيولوجية مثل تصبب العرق عند الغضب. وسواء كان في صورة أفعال بسيطة سحب اليد عند شكها بدبوس أو أفعال مركبة كلعب الكرة. وسواء أكان سلوكا إراديا كالكتابة أو غير إرادي كاتساع حدقة العين نتيجة للضوء. وعلم النفس يدرس السلوك دراسة علمية تعتمد على الملاحظة والقياس وإجراء التجارب، وذلك من حيث الاختيار أي عمل شيء دون آخر، وكمية السلوك أو مقداره أي اتخاذ اتجاه معين بدرجة من الشدة أو الاستمرار أو الإصرار، ودقة السلوك أي الزمن المستغرق في أداء السلوك المطلوب أو عدد الأخطاء التي تصدر عن الفرد قبل صدور الاستجابة الصحيحة. وعلم النفس يدرس السلوك كنشاط كلي مركب يتضمن جانباً وجدانياً

إنفعالياً يتمثل في الميل إلى موضوع دون آخر أو الشعور بالارتياح أو عدمه، وجانباً معرفياً يتمثل في ادراك المعاني المتضمنة في الموقف، وجانباً حركيا يتمثل في حركات البدن سواء أكانت حركة داخلية (كحركة الامعاء وسرعة الدم عند الغضب) أو خارجية (كحركة اليد)[1].

ولقد سبق التفسير العلمي للسلوك تفسيرات خرافية بدائية تبدو واضحة في كثير من الحكم والأمثال المتداولة التي تعبر عن العلاقة بين السلوك ومتغير واحد فقط في حين أن السلوك محصلة لعوامل متعددة ومتشابكة. فالمثل القائل «علم في المتعلم يصبح ناسي» وضح وجود علاقة بين «المتعلم» «والنسيان»، وذلك في حين أن النسيان يرجع إلى عوامل متعددة مثل عدم الاهتمام أثناء التعلم أو عدم التركيز أو الحالة الصحية للكائن أو لمحو آثار التعلم أو غير ذلك من عوامل. ومن التفسيرات الخرافية أيضاً أنه إذا ما إقترنت حادثة أو ظاهرة بمظهر سلوكي معين أعتبرت الحادثة سبباً لهذا المظهر السلوكي كاقتران نعيق البوم بالتشاؤم أو إقتران تاريخ الميلاد وحظ الشخص. مثل هذه التفسيرات لا يمكن إثبات صدقها أو كذبها كما أن للصدفة دورها في تلك الاقترانات اذ ليس بالضرورة أنه كلما نعقت البوم ساء الحظ في أي وقت وفي أي مكان.

ولا يقتصر علم النفس في دراسته على سلوك الانسان بل يدرس أيضاً سلوك الحيوان، ذلك لوجود أوجه شبه متعددة بين سلوك الانسان والحيوان (كالتشابه بين سلوك القرد وسلوك الانسان). وبالتالي فإن دراسة سلوك الحيوان تساعد على فهم سلوك الانسان. وفضلا عن هذا

---

(١) المرجع السابق.

فإن إمكانية التجريب على الحيوان أسهل من التجريب على الانسان إذ يمكن ضبط كثير من العوامل المؤثرة على الحيوان أكثر من الانسان، بل ويمكن إجراء تجارب خطيرة على الحيوان لا يمكن إجراؤها على الانسان (كاستئصال جزء من المخ لدراسة أثر ذلك على السلوك).

٢ - مدارس علم النفس المعاصرة:

على الرغم من وجود عدة وجهات نظر مختلفة في علم النفس المعاصر إلا أنه يمكن إدراجها تحت ثلاث مدارس رئيسية مختلفة:

أ - المدرسة السلوكية:

المدرسة السلوكية أو مدرسة المثير والاستجابة (م - س). ولهذه المدرسة نفوذ قوي في علم النفس الحديث وخاصة في الولايات المتحدة وقد ظهرت في بداية هذا القرن في أمريكا، ويعتبر جون واطسن عالم النفس الأمريكي مؤسسها الحقيقي. كانت الطريقة المستعملة حتى ذلك الحين في الدراسات النفسية هي طريقة الإستهواء وذلك بأن يصف الشخص أحاسيسه ومشاعره نحو ظاهرة معينة، وقد ثار واطسن على هذه الطريقة ونادى بأن يكون موضوع علم النفس هو دراسة موضوعية وعملية لأن دراسة الشعور تعود إلى التصور أكثر منها إلى الحقيقة. وقد غالى واطسن في هذا فاعتقد أنه يمكن دراسة سلوك الإنسان بالطريقة التي تُدرس بها حركة الآلات، كما عرف السلوك بأنه ليس أكثر من الحركات العضلية والعصبية التي تحدث كاستجابة لمثير خارجي.

وقد فند نظرية الغرائز السائدة في ذلك الحين وأكد بأن السلوك أمر مكتسب عن طريق الانعكاسات الشرطية والاستجابات المكتسبة عن طريق ما يعرف الآن باسم النظرية الإرتباطية. وقد نفى واطسن وجود قدرات عقلية أو صفات شخصية أو فروق في القدرات أو في

الشخصية عند الولادة، وأرجع كل الفروق في السلوك بين الأفراد إلى التعلم وإلى البيئة.

ولقد لقيت نظرية واطسن السلوكية تأييداً كبيراً من علماء النفس الامريكيين وبخاصة في العقود الأولى من هذا القرن وذهب بعض أتباعه إلى المبالغة في إنكار أثر الوراثة والاستعدادات وأرجعوا كل شيء إلى البيئة وإلى التجربة. بيد أن التحمس لهذه النظرية بدأ يخف في الآونة الأخيرة وأدخلت عليها الكثير من التعديلات المهمة. وقد انبثق عن النظرية السلوكية ما يسمى الآن بنظرية المثير والاستجابة (م - س). وتؤكد هذه النظرية بأن كل الظواهر السلوكية تبدأ بمثير وتنتهي باستجابة.

فمثلا إذا سلط ضوء على عينيك فإن حدقة العين تضيق أو تنكمش، فهنا يمكن إعتبار الضوء كالمثير وإنكماش حدقة العين كاستجابة. فالسلوك دائما هو ليس إلا إستجابة لمثير سواء كان هذا السلوك ظاهري مثل الجري أو الكلام أو غير ظاهري كالتفكير والأحلام.

ويعتبر اتجاه السلوكية اليوم أكثر اتساعا ومرونة بالقياس لعهد واطسون، وما زال السلوكيون المعاصرون يدرسون المثيرات، والاستجابات الملاحظة، والتعلم كما أنهم يهتمون بصورة متزايدة بدراسة الظاهرات المعقدة التي لا يمكن ملاحظتها مباشرة مثل الحب، والإجهاد والمشاركة الوجدانية، والثقة، والشخصية. وهي تعتبر من وجهة نظرهم متغيرات وسطية. ويمكن الاستدلال عليها بما يترتب عنها فقط من نتائج وآثار تبدو على شكل سلوك ظاهر. ويطلق على هذا الطراز الجديد من السلوكية في بعض الأحيان مصطلح السلوكية الجديدة وذلك لتميزها عن إتجاه واطسن التقليدي.

ب - مدرسة الجشطالت:

في نفس الوقت الذي كان واطسن يعلن فيه عن مدرسة السلوكية في أمريكا ظهرت مدرسة نفسية أخرى في المانيا تعرف باسم مدرسة الجشطالت. وكلمة جشطالت هي كلمة المانية تعنى الكلية أو الشكل. وتُعنى هذه المدرسة بالعمليات العقلية المعقدة. ومن أقطاب هذه المدرسة قرتايمر وكوفكا وكوهلر وكلهم المان هاجروا فيما بعد إلى الولايات المتحدة الأميركية.

يرفض أعلام مدرسة الجشطالت التفسير السلوكي الذي يرد السلوك إلى مثير واستجابة (م - س) ويرون بأن السلوك الذي يعنى الدراسة النفسية هو السلوك الكلي الهادف الذي يرمي إلى تحقيق أغراض محددة والذي من خلاله يتفاعل الفرد مع بيئته الخارجية[1]. وتحليل السلوك إلى وحدات جزئية يضيع قيمته الكلية لأن الكل يختلف عن مجموع أجزائه. لذا وجب دراسة السلوك من وجهة نظر الجشطالت كوحدة متكاملة تصدر عن ذات معينة تهدف إلى غرض خاص وتحدث داخل بيئة معينة.

جـ - نظرية التحليل النفسي:

مؤسس هذه النظرية هو سيجموند فرويد (١٨٥٦ - ١٩٣٩م) وقد عنيت نظرية فرويد بدوافع السلوك أكثر من إهتمامها بالسلوك ذاته. ويرى فرويد أن دوافع السلوك تتمثل في غرائز موروثة مثل غرائز الجوع والعطش والجنس. وتمثل الغريزة الجنسية أهم هذه الغرائز وتوجد الرغبات الجنسية في اللاشعور (الأدنى) نتيجة لكبتها بواسطة الشعور. ولكن هذه الرغبات المكبوتة تؤثر في السلوك وتحاول أن تعبر عن نفسها

(١) رمزية الغريب: التعلم دراسة نفسية تفسيرية توجيهية. القاهرة: الأنجلو، ١٩٧٧م.

أحيانا بطرق مقبولة اجتماعيا كالأدب والفن وأحياناً بطرق مرضية كالتعويض والنكوص إلخ.

د - وجهة النظر المعرفية:

وإلى جانب المدارس الثلاث السابقة يجدر الإشارة إلى العلماء الذين يهتمون بالجانب المعرفي للإنسان. ففي الفترة من ١٩٣٠ وحتى ١٩٦٠ كان علماء النفس الأمريكيون يتحدثون قليلا وبحذر (أولا يتحدثون مطلقا) عن العقل، والتخيل، والتفكير، والإختيار، وحل المشكلات، والعمليات المعرفية أو الأنشطة العقلية المتشابهة وذلك لأن سلوكية واطسون حرمت التفكير في تلك الموضوعات. فقد عالج السلوكيون الأوائل الناس وكأنهم صناديق مغلقة يمكن فهمها ببساطة بواسطة قياس المثيرات الداخلة فيها والاستجابات الخارجة منها. وفي أوائل الستينات. بدأ علماء النفس المعرفيون في التمرد على النموذج السلوكي القديم، مؤكدين على أن علماء النفس يجب أن يصلوا إلى فهم ما يجري داخل الصندوق المغلق وبصفة خاصة، العمليات العقلية[١].

ويهتم علماء النفس المعرفيون بدراسة هذه العمليات مثل التفكير والادراك والذاكرة والانتباه وحل المشكلة واللغة.

٣ - فروع علم النفس:

الهدف من أي علم كما أسلفنا هو كشف النظريات أو القوانين التي تتحكم في الظواهر بغرض تسخيرها والاستفادة منها للإنسان. ومن هنا فإن لعلم النفس جانب نظري هو اكتشاف القوانين المتعلقة بالظواهر النفسية وجانب عملي أو تطبيقي يهدف الاستفادة من هذه القوانين. وقد نمى علم النفس في الآونة الأخيرة وتفرع فروعا كثيرة مثل سائر

---

(١) دافيدروف (ترجمة سيد الطواب وآخرون): مدخل علم النفس. القاهرة: دار ماكجروهيل للنشر، ١٩٨١م.

المعارف الانسانية الأخرى. وأصبح يضم عدة علوم يختص كل منها ببعض جوانب النشاط الانساني ويمكن تقسيم هذه العلوم الى مجموعتين. مجموعة العلوم الاساسية ومجموعة العلوم التطبيقية[١] ونستعرض بعضاً من هذه العلوم فيما يلي:

أ - **مجموعة العلوم الأساسية:**

(١) علم النفس الفسيولوجي:

وهو يختص بدراسة علاقة السلوك بالجهاز العصبي والغدي والتأثير المتبادل بين الجسم والنفس. فهو يهتم بالجوانب الفسيولوجية في ظواهر نفسية كالانفعالات والادراك الحسي والانتباه. الى جانب بعض الظواهر النفسية التي يترتب عنها تغيرات جسمية (مرضية أو سوية) وبالعكس تأثير الجسم على سلوك الانسان ونشاطه العقلي.

(٢) علم النفس العام:

وهو يختص بالدراسات المتعلقة بالسلوك في ضوء الوظائف النفسية المختلفة ودراسة المبادىء الاساسية للسلوك بصفة عامة ويعتبر مدخلاً للدراسة المتخصصة فيما بعد.

(٣) علم النفس الاجتماعي:

ويبدو فيه الاهتمام بدراسة السلوك الصادر عن الفرد تحت تأثير التنبيهات الاجتماعية المختلفة، فيتتبع كيفية تأثر الفرد وتتشكل شخصيته من خلال التأثيرات الاجتماعية، وكيفية استجابته لها وتأثيره عليها. وعلى هذا يدرس ظواهر كالقيادة، والمسايرة، وتغيير الاتجاهات.

---

(١) محمد فرغلي فراج: مدخل الى علم النفس. القاهرة: دار الثقافة للنشروالتوزيع، ١٩٨٤م.

(٤) علم النفس الارتقائي:

ويدرس نمو الوظائف النفسية حيث يتتبع التغيرات التي تطرأ على المظاهر السلوكية والقدرات المعرفية والسمات المزاجية والانفعالية في كل سن أو مرحلة عمرية.

ب - مجموعة العلوم التطبيقية:

(١) علم النفس الاكلينيكي:

ويستهدف الاستفادة من مكتشفات فروع علم النفس النظرية في مجال الاضطرابات والأمراض النفسية. فهو يدرس السلوك غير السوي للأفراد بغرض فهم المشاكل التي يعاني منها الفرد (التشخيص) ومعاونته على استعادة توافقه.

(٢) علم النفس الصناعي:

ويدرس انتقاء الافراد وتوزيعهم على المهن الصناعية المختلفة وحل المشكلات النفسية الناتجة عن العمل.

(٣) علم النفس التربوي:

وهو يهتم بالاستفادة من المعلومات النظرية التي يتم التوصل إليها في علم النفس في مجال التعلم والتذكر والانتباه وغيرها من العمليات المعرفية في مجال تربية النشىء.

٤ - موضوع علم النفس العسكري:

يعتبر أحد الفروع التطبيقية لعلم النفس، وهو يعني بتطبيق مباديء علم النفس في مجال الجيش بغرض رفع مستوى كفاءة أفراده وذلك بعدة وسائل مثل إنتقاء وتوزيع الأفراد على التخصصات والمهن العسكرية المختلفة مستخدماً في هذا أساليب القياس النفسي. ويهتم هذا العلم أيضاً بتطبيق مبادىء التعلم على برامج التدريب العسكري لضمان

نجاح هذه البرامج وتحقيق أهدافها. وهو يبحث كذلك في سيكولوجية الحواس كالبصر والسمع حتى يتمكن الفرد من استغلال حواسه على أكمل وجه. كما يدرس أيضاً هذا العلم التأثير المتبادل بين الفرد ومجتمعه العسكري وما يرتبط بهذا من ظواهر اجتماعية كالقيادة والروح المعنوية والدعاية والحرب النفسية. ويهتم هذا العلم كذلك بتشخيص وعلاج المصابين بصدمات نفسية ناشئة عن أهوال القتال وبارشاد وتوجيه العائدين من القتال وبخاصة المشوهين منهم وتأهيلهم للحياة المدنية.

٥ - ظهور علم النفس العسكري:

ظهر علم النفس العسكري كفرع مستقل من فروع علم النفس في الحرب العالمية الأولى ففي خلال الحرب تكونت في أسر الجيش الأمريكي عدة لجان من كبار علماء النفس لبحث وسائل تطبيق مبادىء علم النفس وأساليبه على الجيش وقد قامت هذه اللجان ببحث كثير من الموضوعات الهامة مثل وضع إختبارات للذكاء والقدرات لاختيار المجندين ومعرفة صلاحيتهم للخدمة العسكرية وتوزيعهم على الخدمات المختلفة وكذلك انتقاء الضباط ومن يتولون مراكز القيادة والطيارين والملاحين. كذلك شملت هذه الابحاث الجوانب الفسيولوجية كاستخدام السمع والبصر كما شملت أيضاً برامج التعليم والتدريب ورفع الروح المعنوية واستخدام الدعاية والحرب النفسية. وبعد الحرب العالمية الأولى بدأت الدول الأخرى تهتم بعلم النفس الحربي وبخاصة المانيا. فعندما خرج الالمان من الحرب العالمية الأولى منهزمين فكروا في بحث أسباب الهزيمة وتعبئة الشعب الألماني تعبئة نفسية للقتال والأخذ بالثأر مرة أخرى، وبذلك اتجهت أبحاث علماء النفس الألمان إلى دراسة

التعبئـة النفسيـة والقيـادة والروح المعنويـة وسيكولوجيـة القتـال والدعاية[1].

وكان علم النفس العسكري قد خطا خطوات طيبة في الجيش الأمريكي كما أوضحنا . إلا أنه لم يكن قد ثبت أقدامه بعد كما أنه لم يدخل مجال العمل في القوات البحرية. ثم توقف البحث النفسي بإنتهاء الحرب وعاد السيكولوجيون إلى جامعاتهم. وكأنما أحس أحدهم بما سيحدث نتيجة لذلك التوقف فكتب يقول:

« إن الخطر الحربي في سنوات السلام القليلة القادمة يكمن في تناقص عدد الضباط القادرين على القيام بأعباء الأبحاث النفسية من بعد مرور الأزمة الحالية. وأخشى أن تبدأ أمة أخرى في الأبحاث النفسية من حيث توقفنا بعدما انفضت الأزمة، وقد تستطيع هذه الأمة إقامة علم نفس حربي سليم يكون أشد فتكاً من أضخم المدافع. ذلك لأن مجهوداتنا مهما كانت قيمتها وإمتيازها إنما هي البدايات الأولى الفجة لهذا العلم ».

٦ - أهمية علم النفس العسكري:

وقد اتخذ الألمان الوسائل العلمية النفسية لا لاقامة جيش قوي فقط ولكن لتعبئة الأمة الألمانية كلها للحرب العالمية الثانية. كانت النازية تعد المانيا إعداداً شاملاً للحرب. فنشأ الإهتمام بعلم النفس العسكري كجزء من خطة عامة أقامها النازيون لتعبئة الدولة كلها تعبئة نفسية للقتال. وبذلك اتجهت أبحاث الألمان إلى دراسة عميقة لكثير من الظواهر النفسية الاجتماعية وخاصة ما تعلق منها بفن القيادة (السياسية

(1) Basring E:Psychology for The Armed services, Washington, the Infantry Journal, 1945.

والعسكرية) والروح المعنوية (المدنية والعسكرية أيضاً) وسيكلوجية القتال والدعاية (جهاز الدعاية الألماني المشهور تحت إشراف جوبلز).

وبينما قل الاهتمام في بريطانيا والولايات المتحدة بالأبحاث النفسية العسكرية استطاعت ألمانيا أن تستفيد من نشاط علم النفس المهني على أوسع نطاق في بناء قواتها المسلحة فكان لكل فرع من هذه القوات قسم للخدمة النفسية وكان البحث النفسي يتناول موضوعات شتى. وعملت هذه الأقسام تحت إشراف هيئة عامة للشئون السيكلوجية تتبع وزارة الدعاية، ووضعت هذه الهيئة سياسة عامة للبحث شملت المسائل الأساسية الآتية:

أ - الاختبارات النفسية للانتقاء.

ب - الروح المعنوية الدفاعية. وتعلق برفع الروح المعنوية للألمان جنوداً ومدنيين.

جـ - الروح المعنوية الهجومية وتتعلق بالتأثير على الروح المعنوية للعدو بقصد إضعافها.

وشمل البحث في هذه الموضوعات دراسات كثيرة قامت بها أقسام الخدمة النفسية في مضمار القوات المسلحة. فبحثت في شئون التعبئة. ومفاهيم القيادة وتحليل أعمال الجيش وخدماته. وانتقاء الشخصيات وسيكولوجية الحياة العسكرية (العلاقات بين الضباط والجنود - الحنين إلى منزل الأسرة - الانتحار - الجنس - معاملة الشواذ - الجبن - الديانة والعقائد) كذلك بحثت في سيكولوجية القتال وما يتعلق به. من ظواهر نفسية (العدوان - الروح المعنوية - الخوف - انتشار الاشاعات الكاذبة - المفاجأة - إنتظار الهجوم - الرعب - التسليم). هذه الأبحاث المتنوعة خضعت في مجموعها إلى السياسة العامة للدولة أو بمعنى أدق خضعت لفلسفة بناء الدولة الألمانية. وكان الألمان

قد انتهوا من بحث أسباب هزيمتهم في الحرب العالمية الأولى إلى أن بناء دولة قوية يقتضي إقامة بناء إجتماعي من شخصيات غير مهتزة تهب ذاتها لخدمة الدولة. فاتجهت سياستهم - وخاصة في إنشاء الجيش النازي - إلى تنشئة جيل يعتمد عليه من حيث سماته الشخصية وما يتمتع به من تكامل وإخلاص. وكان من نتيجة ذلك أن انصب الإهتمام في إختباراتهم النفسية للإنتقاء على الصفات الشخصية العسكرية كالصرامة والاخلاص للدولة والمثابرة والتوافق. ولم تفز القدرات الفنية المتخصصة إلا بدرجة تالية من الإهتمام. وحتى الإختبارات التي تناولت هذه القدرات كاختبارات الملاحين وقادة الدبابات وعمال الراديو وعمال الأجهزة الصوتية الباحثة إصطبغت هي الأخرى بالصبغة الشخصية وبلغ التفاضل في الإهتمام أقصاه في إنتقاء الضباط.

وعندما نشبت الحرب العالمية الثانية كان علم النفس العسكري قد تقدم تقدماً كبيراً في الجيش الألماني إلا أن الأمريكيين عندما دخلوا الحرب أدركوا أهمية إستخدام هذا العلم فجندت أمريكا ما يقرب من ١٢٦٢ عالماً من علماء النفس. وقد باشر هؤلاء العلماء أعمالهم على أساس البحوث السابقة الى جانب قيامهم أيضاً بكثير من البحوث الجديدة استخدموا فيها وسائل علمية لم تكن ميسرة من قبل وقد شملت بحوثهم المجالات التالية:

أ - تنظيم وسائل الاختيار والتصنيف في جميع فروع الجيش والبحرية والطيران.

ب - تحليل جميع وظائف الجيش تحليلاً دقيقاً.

جـ - التوسع في وضع اختبارات الذكاء والقدرات والاستعدادات لجميع فروع الجيش.

د - تحسين برامج التعلم والتدريب.

هـ - الأبحاث السيكولوجية المتعلقة بالوظائف الحسية: الإبصار الليلي، السمع في الصخب، سمع الكلام خلال التليفون.

و - تحسين صناعة الأسلحة والمعدات الحربية بحيث تتناسب مع الطبيعة الإنسانية.

ز - معرفة ميول الجنود ورغباتهم واتجاهاتهم والاستفادة من ذلك في توجيههم.

ح - معرفة آراء الجمهور بواسطة الاستفتاءات العامة.

ط - تقوية الروح المعنوية للجنود والشعب.

ي - علاج المصابين بالصدمات النفسية.

ك - الدعاية والحرب النفسية.

ل - توجيه الجنود في حياتهم المدنية بعد الحرب.

كما إنتشر استخدام علم النفس بعد الحرب العالمية الثانية في أغلب الجيوش الحديثة وقد تركز البحث في الدول الكبرى على موضوعين رئيسيين هما: حرب الدعاية و الأعصاب وما يسمى بالهندسة البشرية. فبعد إختراع الأسلحة التدميرية الهائلة زاد الاعتماد على الحرب النفسية وحرب الأعصاب ونشأ ما يسمى بالحرب الباردة.

كما أن الأسلحة المعقدة التي تم إختراعها تحتاج إلى تدريب وتعليم دقيق للرجال الذين سيوكل إليهم أمر استخدامها. فالإنسان والآلة يكونان وحدة فعّالة فيجب أن تهيأ الآلة وتعد إعداداً يتناسب مع الرجل الذي يقوم بإستخدامها. وكذلك يجب أن يدرب الرجل ويُعد إعداداً كافياً لاستخدام الآلة.

٧ - إتصال الدراسات النفسية بأعمال أفراد الجيش:

تتصل دراسة علم النفس العسكري بجوانب كثيرة من عمل الضابط في الجيش سواء كان ذلك في وقت السلم أو الحرب. ولنأخذ مثالاً لهذا بقائد وحدة صغرى تعادل حجم كتيبة مشاة في هجوم مدبر على مواقع حصينة للعدو. فلكي تنجح هذه المهمة - إذا كان هناك تقارب إلى حد ما بين القوتين المتضادتين في الحجم والتسليح الذي ينبغي أن تكون عليه كل منهما في موقفي الهجوم والدفاع[١] - لا بد من توافر أمور حيوية تتطلبها أصول الحرب مثل الاستطلاع الجيد لمواقع العدو والقيادة المحنكة والتدريب والانضباط العسكري والقدرة على تحمل ضغوط المعركة وكفاءة المعدات. وكل هذه العوامل - وإن كانت ذات طابع فني أو عسكري - إلا أن لها اتصالاً أيضاً بموضوعات علم النفس العسكري.

فكلما كانت هناك دقة في استطلاع مواقع القوة المعادية كلما أمكن معرفة أماكن القوة والضعف فيها وأمكن أيضاً أن توزع الاسلحة الهجومية تبعا لتوزيع اسلحة العدو وقواته والطريقة المألوفة في مواجهة الهجوم. وهي معلومات لها ضرورة حربية تتمثل في وضع خطة ملائمة، كما أن هنا جانب نفسي يتعلق بالروح المعنوية لدى الافراد والتي تؤثر بدورها على كفاءة ادائهم أثناء الاصطدام الفعلي بالعدو. إذ أن المجهول دائماً يبعث على الحيرة والتردد وكلما ألم أكبر عدد من أفراد القوة المهاجمة بأكبر قدر من المعلومات عن أنواع المقاومة التي يمكن أن يلقونها وقوتها وأماكنها ونوعها ووصف الهجوم المضاد المحتمل من العدو، كلما

---

(١) المعروف أن القوة المهاجمة يكون حجمها دائما اكبر من القوة المعادية المدافعة حتى يكون هناك فرصة إحراز التفوق عليها.

جنبنا الافراد أسباب الانفعالات النفسية للخوف أو الذعر التي يمكن أن تنشأ اذا ما ووجهوا بأعمال غير متوقعة من العدو.

وعادة ما تستخدم الجيوش أساليب وحيل لإخفاء الافراد والمعدات عن نظر القوات المعادية تعتمد خصائص المثيرات الضوئية والصوتية. مثل طلاء المعدات بلون الأرض التي تعمل فيها واستخدام أقمشة مطرزة بطريقة معينة «شباك التمويه» والاستفادة من ظاهرة حجب الصوت وغير ذلك. ومن واجب الأفراد الذين يعملون في الاستطلاع معرفة أساليب الإخفاء والتمويه حتى يمكنهم إكتشاف مواقع أسلحة العدو إلى جانب إمكانية تحاشي لفت انتباهه أيضاً أثناء ادائهم لأعمالهم، إذ عادة ما تفرض عليهم طبيعة أعمالهم الإقتراب كثيراً من العدو ليلاً أو نهاراً. ويمكن أن تفشل مهمتهم ويتعرضون للهلاك إذا ما اكتشف أمرهم. وبالرغم من أن هذا الموقف يتطلب دراية عسكرية بأساليب الإخفاء والتمويه التي تستخدمها الجيوش. إلا أن الجانب النفسي الذي يتعلق بعمليات الإحساس والادراك الحسي وخصائص المثيرات الضوئية والصوتية يُعمق من فهمهم واقتناعهم بهذه الأساليب[1].

وتتعدد وتتنوع وظائف أفراد الوحدة العسكرية وذلك وفقاً للنظرية الحديثة عن ما يُعرف بـ «معركة الأسلحة المشتركة الحديثة». وعلى هذا تتضمن هذه الوحدة أفراداً يختلفون في طبيعة أعمالهم العسكرية ولكنهم يعملون معاً كفريق واحد. وهم يوزعون عند بداية التحاقهم بالجيش على مهن عسكرية كثيرة تختلف تبعاً لقدراتهم العقلية وخصائصهم الجسمية والمزاجية والانفعالية. فهناك أفراداً يتمتعون بصحة جسمية ممتازة وقوة عضلية تؤهلهم للاعمال العنيفة الشاقة والتحمل مثل العمل في وحدات

---

(١) انظر الفصل الخامس من مراحل الإحساس وأنواعه.

المدفعية والدبابات. وهناك من يتفوقون في اللياقة البدنية ويتصفون بالشجاعة وسرعة التصرف والميل الى المغامرة حيث يصلحون لقوات الاقتحام الرأسي المظليون أو وحدات الإستطلاع. ومن الافراد من تمكنهم قدراتهم المعرفية والعلمية على العمل على الأجهزة المعقدة المتطورة، وهناك الإداريون والمهندسون وغير ذلك من مهن. ولكي يتم هذا التوزيع على أفضل وجه ممكن وبصورة علمية دقيقة لا بد أن يجري باستخدام المقاييس النفسية المناسبة مع توافر ثقافة نفسية ومعلومات تتصل بالفروق المتصلة بجوانب الشخصية المختلفة.

وبالرغم من هذا التوزيع السابق على المهن العسكرية فإن هناك توزيع آخر عادة ما يجريه قائد الوحدة قبيل العملية العسكرية المكلف بها حيث يقوم بتخصيص مهام محددة لكل من مرؤسيه ويشكل مجموعات فرعية سرايا أو فصائل أو جماعات لكل منها واجب قد يختلف عن الأخرى. فهناك جماعات لفتح ثغرات في حقول الغام العدو ومجموعات تكلف بحماية أجناب القوة المهاجمة ومجموعات أخرى تكلف بتوفير نيران الاسناد، ولا يكفي لكي يتم هذا التوزيع بأفضل صورة ممكنة أن يكون القائد على قدر كاف من المعلومات والخبرة العسكرية اللازمة فقط اذ لا بد له أيضاً كي يحسن تخصيص مهمة كل من مرؤسيه أن يعي جيداً الخصائص النفسية لهم لا سيما فيما يتعلق بقدراتهم المتفاوتة على المثابرة والتحمل والثقة بالنفس والقدرة على التصرف تحت ظروف ضغوط الاجهاد، وغير ذلك من معلومات عن شخصياتهم يزداد فهما لها إذا ما كان على دراية كافية ببعض المفاهيم الأساسية في علم النفس.

وللإنضباط العسكري أهمية كبيرة لأية وحدة عسكرية أثناء ادائها لمهمتها الحربية، ويُجمع العسكريون أن بدونه تفقد الوحدة العسكرية أهم مقوماتها الأساسية. وهذه المهمة السابقة تتشعب عنها مهام أقل تؤديها وحدات فرعية، تتفرع بدورها إلى واجبات أصغر تكلف بها

وحدات أصغر. وهكذا يتوقف عمل كل فرد على أداء الآخرين. ويجب أن تؤدي جميع الأعمال من جميع الأفراد في أماكن وأزمنة محددة وبدقة بالغة. ويمكن أن يلاحظ هذا بوضوح في البيانات العملية العسكرية والتي يشاهدها الافراد كنموذج للاداء للاقتداء به قبل إجراء تدريب مجمع له لعملية عسكرية معينة. وهذا الانضباط العسكري يساعد الأفراد على السيطرة على أنفسهم وعلى الآخرين كي تنتظم الأعمال خلال المعركة. وهو لا يتولد عند الأفراد في اثنائها فقط وإنما هو عادة سلوكية مثل سائر العادات الأخرى تخضع في تكوينها لعمليات الاشتراط التقليدي والتعزيز والمحاكاة وعلى القائد أن يدرك كيف يمكن أن تستغل هذه العمليات في تكوين العادات السلوكية المرغوبة لمرؤسيه.

وقد يترائى للبعض أن القيادة الناجحة تتحقق عندما يداوم القائد على إستخدام أساليب القمع لمرؤسيه وأن يكون مرهوب الجانب بينهم إلا أن هذا الرأي له خطورته. لأن المغالاة في قمع وإرهاب المرؤسين قد يكون هو نفسه عاملاً أساسياً لانهيار الانضباط العسكري. فقد يفقد أحد الأفراد السيطرة على انفعالاته في مواجهة هذا القمع عندما تزداد الضغوط أثناء الحرب ويثور على هذا القائد مشجعاً بسلوكه هذا غيره من الأفراد على إنماء الاتجاه العدواني نحو القائد. وربما تُجدي الشدة والقسوة مع بعض الأفراد ولكنها قد لا تجدي مع البعض الآخر. وهناك كثير من القادة تساعدهم خبراتهم العملية على تنمية الميل إلى التفاني في العمل عند مرؤسيهم مستغلين في هذا الدوافع الاجتماعية للسلوك. كالحاجة الى الشعور بالأهمية وإلى التقدير والمكانة الاجتماعية والحاجة للانتماء والانجاز. وهكذا يمكن أن تكون المعلومات الضرورية عن سيكولوجية التوافق النفسي والاجتماعي ودوافع السلوك أمر لا غنى عنه للضابط.

وللقائد في المجال العسكري من السلطات ما يكفل له القدرة على تشغيل أفراده كيفما أراد. ولكن كلما أقدم المرؤسون على أداء العمل وهم مقتنعون به كلما ساعد هذا على نجاحه. وتدخل حالياً علوم الادارة ضمن برامج دورات التأهيل لطلاب الكليات العسكرية في بعض الجيوش. ويدرس هؤلاء الطلاب أيضاً موضوعات في علم النفس تتضمن علاوة على ما سبق ما يتعلق بفن إدارة الافراد وديناميات الجماعة والعوامل المؤثرة عليها. اذ تختلف وسائل إقناع الافراد والتأثير عليهم عندما ينتظمون في مجموعات عنها في حالة وجودهم فرادي. وقد تبين من خبرات الحروب السابقة، أنه كلما كانت القيادة حكيمة تهتم بالعلاقات النفسية والإنسانية كلما ساعد هذا على ارتفاع الروح المعنوية لدى المرؤسين وهذه المعنويات العالية تدفع الأفراد نحو حب المخاطرة وبذل الجهد والاستماتة في أثناء الحرب.

وهكذا نجد أساساً نفسياً للكثير من الأعمال بالوحدات العسكرية. بل إن اختيار القادة انفسهم وتدريبهم يجب أن يتم وفق معايير نفسية دقيقة. لأن وظائفهم عادة ما تكون أكثر أهمية من غيرهم. وهي تتطلب خصائص شخصية من نوع معين.

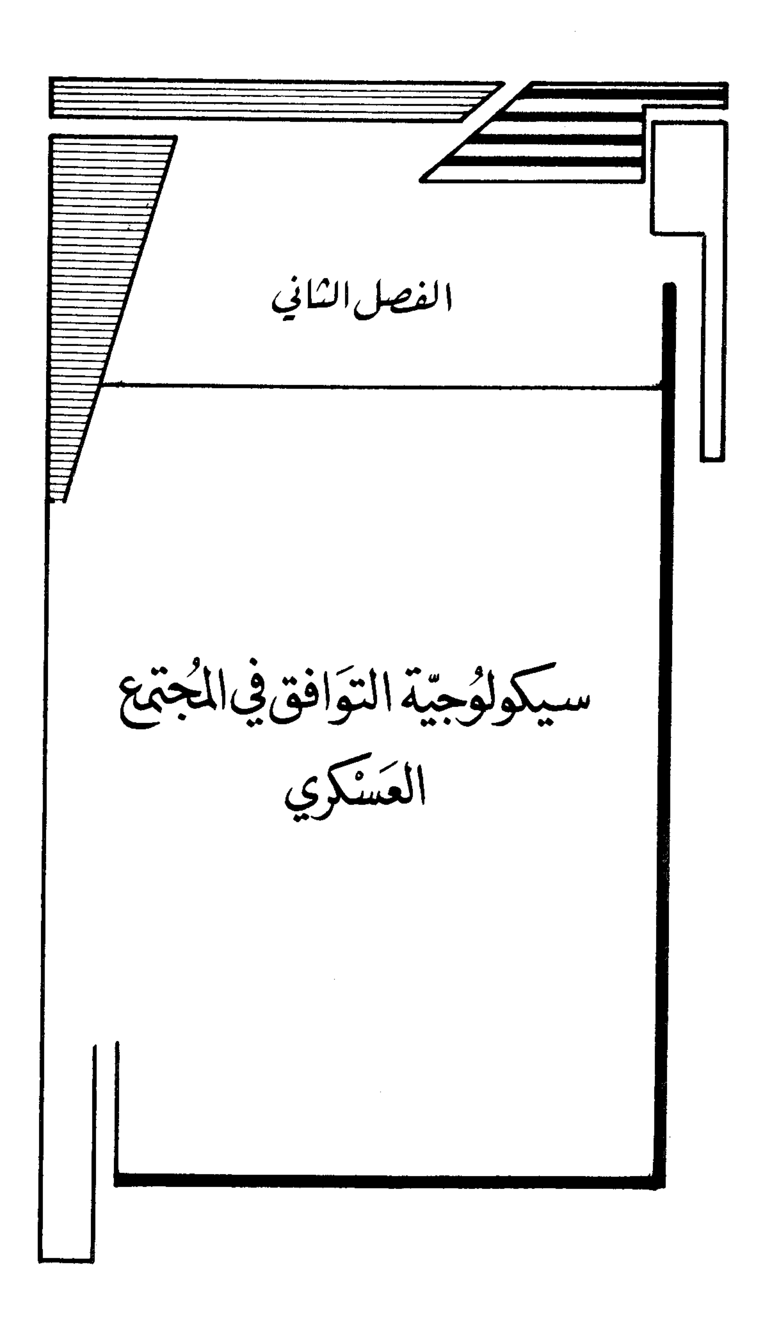
ولكي تنجح الوحدة العسكرية في آداء مهمتها لا بد لها من تدريب جيد ابتداء من تعلم فردي (أي تعلم الفرد كيف يحمل سلاحه ويستخدمه وغير ذلك من مهارات فردية) وينتهي بالتمارين الميدانية المجمعة التي تؤديها الوحدة كلها مع الوحدات الاخرى لتعمل ضمن تشكيلات أكبر تتضمن تنوعات كبيرة من الأسلحة والتخصصات والمهام. وهذا التدريب يتضمن آلاف الموضوعات كما يعتمد على أدوات ووسائل تدريبية ويتطلب مستويات معينة من القدرات العقلية. ويتلقى الضابط موضوعات عن أساليب التدريب ووسائله. ويمكن أن تدعم مثل هذه

المعلومات بالأساليب المستحدثة التي يكتشفها علماء النفس عن التعلم. ذلك حتى يُلم بأصول القوانين العلمية التي تتحكم في آدائه هو وجنوده مثل الأسباب التي تدعوه مثلا في مواقف معينة أن يعطي الفرصة لجنوده أو مرؤسيه الى التوصل للمعلومات من تلقاء أنفسهم وهو ما يعرف بالتعلم بالاكتشاف، وما هي الحكمة من تكرار تدريب معين مجمع لوحدته. وكيف يمكن الاستفادة منه في المعركة الحقيقية أو في مواقف أخرى وهو ما يعرف «بانتقال اثر التدريب» ويُحسن ايضاح هذا المفهوم لما له من أهمية في موضوعنا. فمن المتفق عليه مثلا بين علماء النفس أن هناك شروطا معينة كي يتم. منها على سبيل المثال ما يقرره ثورنديك من وجوب وجود تشابه بين الموقفين في المهارات الحركية. حيث يرى مثلا إمكانية انتقال هذا الأثر في عملية التعلم على الآلة الكاتبة والعزف على البيانو وذلك بالدرجة التي يشتملان بها على مهارات متماثلة مثل التوافق بين حركات الاصبع والعين. بينما يفسر أصحاب مدرسة الجشطالت عمليات انتقال أثر التدريب على أساس وجود تشابه بين نمطي المهارتين أو صيغتها الكلية. فالالعاب الرياضية التنافسية مثلا تسهم في رأيهم في نجاح الجنود في آدائهم في المعركة. لأن لدى لاعب الكرة المتنافس نمطا سلوكياً يماثل ما يقوم به الجندي، فكلا الموقفين مثلا يتطلبان هجوماً عدوانياً ضد خصم، وكلاهما يقتضي القدرة على تنفيذ التعليمات أو الأوامر. ويحدث انتقال أثر التدريب وفقا لنظرية العلاقات أو الانماط، لأن كلا النشاطين يتضمن عملا جماعيا توافقيا يقوم فيه الافراد بآداء عمليات متصلة. ويفسر النجاح في هذين الموقفين الاستراتيجية المتضمنة في محاولة بذ الخصم والتفوق عليه في التفكير وفي التصرف[1].

---

(١) جابر عبد الحميد: علم النفس التربوي القاهرة: النهضة العربية ، ١٩٨١م.

ويضيف « جب » Jubb وباجلي Bagley آراء أخرى عن انتقال أثر التدريب. ويمكن أن نستخلص من المثالين السابقين الفائدة التي تتحقق عندما يدرب الجنود في المناورات الميدانية في جو مشابه لجو المعركة الحقيقية وتطلق من فوق رؤسهم قذائف المدفعية والدبابات وتتوالى أصوات الانفجارات القريبة منهم وسحب الدخان. والتقدم المثمر عندما يتم هذا التدريب في مجموعتين تتنافس مع بعضها بحيث تحاول كل منها أن تحقق اهدافاً ومكاسب أكثر من الأخرى. وهو ما يعرف بالمشروعات التكتيكية ذات الجانبين.



الفصل الثاني

سيكولوجيّة التوَافق في المُجتمع العَسْكري

الفصل الثاني

سيكولوجيّة التوافق في المجتمع العسكري

خصائص المجتمع العسكري

يتكون المجتمع العسكري من وحدات تتفاوت في حجمها ودرجة انفصالها عن غيرها واكتفائها الذاتي أو اعتمادها على غيرها. وتتميز الوحدة العسكرية كجزء من المجتمع العسكري بسمات خاصة تميزها عن الجماعات المدنية: من أسرة أو حي أو قبيلة. فهي مجتمع محدود النوع لأن الوحدة العسكرية وتكون كلها من الذكور وهم أفراد تم إنتقاؤهم على أساس تمتعهم بدرجة لا بأس بها من اللياقة البدنية والعقلية. وهي مجتمع مفروض على الأغلب، إذ أن أفرادها يتجمعون على اختلافهم دون إرادة أو اختيار. وهذا المجتمع أيضاً يتميز بعدة خصائص منها أنه يربطه نظام عام يحدد طبيعة صلاة الأفراد ببعضهم وكذا صلاتهم جميعا بالنظام العام في الجيش، هذا النظام هو قواعد الانضباط العسكري وهو كذلك مجتمع منظم يحدد لكل من فيه من الواجبات والمسئوليات ما يلزمه - بمقتضى قواعد الانضباط العسكري - بالوفاء بها.

ويلتزم الأفراد العسكريون بالولاء غير المحدود للدولة متمثلة في رئيسها وفي نظامها العام وكذا في سلسلة القيادات النابعة من الرئاسة الأعلى حتى تصل إلى القائد المباشر للفرد أيا كانت رتبته. كما يلتزمون

تبعا لهذا بالطاعة لكل أمر أو تعليمات تصدر في القوات المسلحة. ومن الضروري أيضاً إلى جانب الطاعة توافر حسن الآداء ليتسنى تنفيذ الأوامر على أفضل صورة ممكنة. وبدون الطاعة والانضباط لا يكون للوحدة فاعلية ما بل تصبح مجرد مجموع مهلهلة من الأفراد.

معنى التوافق

حينما يشعر الكائن الحي بدافع معين فإنه يقوم عادة بنشاط يؤدي إلى إشباع هذا الدافع. وهذا النشاط الذي يقوم به الكائن الحي ويؤدي إلى إشباع الدافع هو ما نسميه عادة بالتوافق[1]. وتتضمن الحياة القيام بعملية التوافق بصفة مستمرة. فالكائن الحي يشعر بالجوع ويدفعه ذلك إلى البحث عن الطعام ليشبع دافع الجوع وليعيد إلى انسجته طاقتها المستهلكة. وهو يشعر بالعطش، ويدفعه ذلك إلى شرب الماء ليشبع دافع العطش ويقي أنسجته من التلف. وقد يشعر احيانا بالبرد القارس فيسعى إلى التماس الدفء. ويشعر احيانا بالحرارة الشديدة فيسعى إلى التماس الجو المعتدل المريح... وهكذا تتضمن حياة الكائن الحي توافقاً مستمراً.

وقد تكون عملية التوافق في بعض الأحيان أمرا سهلا يقوم به الكائن الحي دون مشقة. فقد يشعر بالجوع ويجد الطعام في متناول يده دون بذل أي مجهود. وقد تكون عملية التوافق في كثير من الأحيان الأخرى أمراً شاقا. فقد لا يجد الكائن الحي الطعام متيسراً في الأماكن المألوفة له، فيحتاج إلى كثير من السعي والبحث في أماكن جديدة لم يألفها من قبل حتى ينتهي به الأمر إلى العثور على الطعام بعد جهد ومشقة.

---

(١) محمد عثمان نجاتي: علم النفس في حياتنا اليومية. القاهرة: النهضة المصرية، ١٩٥٧م.

وظروف الحياة في تقلب وتغير دائمين. ولذلك يضطر الكائن الحي إلى أن يعدل استجابته أو يغير نشاطه كلما تغيرت ظروف البيئة التي يعيش فيها، وقد يضطر أحياناً إلى إحداث تغيير في البيئة. فإذا وجد الإنسان مثلا أن مهنته لا تدر عليه ما يكفيه من الرزق فإنه قد يلجأ إلى تعلم مهنة أخرى أكثر رواجا حتى يستطيع أن يزيد دخله. وقد يلجأ إلى الهجرة إلى بلد آخر يكثر فيه الرزق وتتوفر فيه وسائل المعيشة.

والتوافق هو إصطلاح نقله السيكولوجيون عن البيولوجيا وأصبح يتطبق على الحياة النفسية أكثر من الحياة الفيزيقية. ويمكن النظر إلى التوافق او التكيف على أنه عملية أو تحصيل، فأما التوافق كعملية فيقصد به كيف يتم توافق الفرد؟ وما هي طرق توافقه مع المطالب المختلفة؟ وهو بهذا المعنى مرهون بمستوى نمو الوظائف النفسية كالإدراك والتجريد والثقة بالنفس بحيث يصبح الفرد قادراً على السيطرة على دوافعه وعلى توجيهها بما يتلاءم مع بيئته الخارجية[١].

أما التوافق كتحصيل فيقصد به النتائج المترتبة على التعامل مع ما يعترضه من مشكلات. أي ما هي صور التوافق؟ وهل تم بطريقة سليمة أم مرضية؟

وعملية التوافق التي يقوم بها الحيوان تكون في الأغلب متعلقة بإشباع حاجاته ودوافعه البيولوجية الفطرية. أما الإنسان فهو يختلف عن الحيوان في هذا الصدد اختلافاً كبيراً. فهو لا يحتاج فقط إلى التوافق بإشباع دوافعه البيولوجية، بل إنه يحتاج أيضاً إلى التوافق بإشباع كثير من الدوافع الاجتماعية التي تنشأ عن الحضارة والمجتمع والتفاعل الإنساني.

---

(١) حسين عبد العزيز الدريني: المدخل إلى علم النفس. القاهرة: دار الفكر العربي، ١٩٨٣م.

تحليل عملية التوافق

تبدأ عملية التوافق بوجود دافع أو رغبة معينة تدفع الإنسان وتوجه سلوكه نحو غاية معينة أو هدف خاص لإشباع هذا الدافع وقد يظهر عائق ما يعترض سبيل الكائن الحي يمنعه من الوصول إلى الهدف. عندئذ يقوم بكثير من الأعمال والأساليب المختلفة لمحاولة التغلب على هذا العائق والوصول إلى هدفه وإذا ما تيسر له إشباع الدافع حقق التوافق. إلا أن بعض الناس يعجزون عن حل مشكلاتهم والتغلب على العوائق التي تعترض سبيلهم وهنا لا يتحقق التوافق السوي.

وعلى هذا تتضمن مواقف التوافق عناصر يمكن إيجازها فيما يلي:

١ - الدوافع:

يستخدم علماء النفس كلمات «الدافع» «الحاجة» «الحافز» «الغريزة» بطرق معينة. وكل هذه المصطلحات تعد تكوينات وعمليات داخلية مفترضة يبدو أنها تفسر السلوك، ولكن لا يمكن ملاحظتها أو قياسها بصورة مباشرة. ويشير الدافع إلى حالة داخلية تستثير سلوك الإنسان وتوجهه نحو هدف معين. وهناك دوافع فزيولوجية تتعلق بالحاجات العضوية للجسم. فالكائن الحي يعمل دائماً على أن يكون في حالة توازن داخلي، فعندما ينخفض تركيز مواد معينة في الدم أو عندما تتغير درجة الحرارة أو يقل مخزون الماء في الجسم نجد أن الكائن الحي يستخدم ميكانيزمات آلية في الجسم لإعادة التوازن من جديد. مثال ذلك عندما ترتفع درجة حرارة الجسم يفرز الجسم العرق، الذي يعتبر بمثابة عملية تبريد للجسم. وعندما تكون هذه الميكانيزمات الآلية غير قادرة على إبقائه في حالة متزنة كما هو في حالة الجوع أو العطش مثلا

فإن الكائن الحي يستثار ويزداد نشاطه العام ويُهيؤه هذا للبحث عن الطعام أو الماء[1].

بيد أن كثيراً من السلوك الإنساني يكون عادة موجه نحو إشباع دوافع اجتماعية، تلك التي يعتمد إشباعها على الاتصال بالآخرين والتفاعل معهم ولنبدأ على سبيل المثال بدافع الإنجاز، وهو الذي يدفع الفرد إلى بذل الجهد من أجل الوصول إلى اهداف هامة بالنسبة له والسعي وراء التفوق والنجاح في المهام الصعبة.

وقد ساعدت مئات الدراسات التي أجراها ماكليلاند وأتكينسون وغيرهم على تجديد بعض التأثيرات الهامة على الدافعية والسلوك في مواقف الانجاز. ومن هذه التأثيرات أهمية الهدف الذي يسعى له الفرد. حيث يحاول أن يتبين الفرد ما يستحقه هذا الهدف من بذل للجهد وعن النتائج المرجوة سواء كانت قصيرة أو بعيدة المدى. كما اتضح أيضاً من نتائج هذه الدراسات أن الأفراد ذوي الدافعية العالية للإنجاز يعزون أسباب النجاح والفشل في مواقف الإنجاز إلى بذل الجهد بعكس الأشخاص ذوي الدافعية المنخفضة للإنجاز فهم يرجعون النجاح والفشل إلى القدرة. ويؤكد وينر Weiner وزملاؤه أن الجهد هو عامل غير ثابت يمكن تعديله بعكس القدرة. ومن هنا فإن الأشخاص ذوي الدافعية العالية للإنجاز يستمرون في إصرارهم على العمل بالرغم من فشلهم المتكرر. لأنهم يعتقدون أنهم سوف ينجحون إذا ما ضاعفوا جهودهم، بعكس الأفراد ذوي الدافعية المنخفضة للإنجاز والذين يرجعون الفشل إلى القدرة وهي عنصر ثابت نسبياً وعلى هذا فهم لا

---

(١) محمد فرغلي فراج: مدخل إلى علم النفس. القاهرة: دار الثقافة للنشر والتوزيع، ١٩٨٤م.

يحاولون بذل جهدهم طالما هو عامل لا يترتب عنه نجاح في نظرهم[1].

وقد أوضحت الدراسات كذلك أن الدافع للإنجاز يرتبط بمتغيرات شخصية وعوامل مرغوبة اجتماعيا كالمثابرة والثقة بالنفس والبحث عن التقدير والرغبة في الآداء على نحو أفضل[2]. وان الأنشطة العملية تتيح الفرصة لإذكاء هذا الدافع وتنميته. فقد يؤدي الآداء الجيد مثلا لأفراد وحدة عسكرية لتدريب عملي في صورة مناورة عسكرية إلى شعور قائدها بتقدير لذاته كما ينمي فيه أيضا الشعور بإستحسان رؤسائه وزملائه له لما قام به من عمل.

كما أن التدريب الواقعي والمستمر للأفراد والوحدات على الأعمال التي تتطلب انفصالا عن التشكيلات الأكبر منها مثل الدوريات بعيدة المدى والعمل خلف خطوط العدو لقطع خطوط مواصلاته وامداداته تنمي في الأفراد روح المغامرة والاعتماد على النفس والرغبة في إعادة التفكير في تخطي العقبات وكلها عوامل يعتبرها السيكولوجيون من مكونات الدافع للإنجاز.

ومن الدوافع الاجتماعية ايضاً الدافع إلى السيطرة وهو موجود لدى كل من الإنسان والحيوان. ففي جماعات الحيوانات نجد أن بعضها يميلون إلى فرض سيطرتهم على الآخرين. ويتضح هذا في جماعات القردة وقطعان الفيلة. أو الأبقار وجماعات الدجاج وغيرها حيث درست مثل هذه الظواهر دراسة علمية تجريبية. ونلاحظ لدى الجماعات الإنسانية أن

---

(1) Weiner, B. & Kukla, A. «An attributional analysis of acheivement motivation». Journal of Personality and Social Psychology, 1970, 15. 1-8.

(2) Mcelelland. D., Atkinson, J.W., Clark, R.A.,& Lowell, E.L. The acheivement motive. New York, Appleton-Century-Croffs, 1953.

بعض الأفراد يميلون إلى السيطرة على غيرهم وهم يكونون عادة أكثر عدوانية وأكثر ثقة بأنفسهم وأكثر قدرة على إقناع الآخرين[1]. واختيار ضباط الصف أو القادة من الأفراد الذين يميلون إلى السيطرة أفضل من إختيارهم من هؤلاء الذين يميلون إلى الخضوع وذلك إذا ما تساوت العوامل الأخرى التي يمكن أن تؤهلهم لمثل هذا الاختيار.

ومن الدوافع الاجتماعية كذلك دافع الاستحسان الاجتماعي وهو دافع لا غنى عنه لاستثارة الفرد العسكري نحو العمل المثمر حتى يكون موضع تقدير الغير وإعجابهم وأن تكون له شهرة بارزة في محيطه العسكري الذي يعمل فيه. فالجندي - كإنسان - لا يقبل على عمله في كل الأوقات حتى يكون بمنأى عن العقاب. لأن مثل هذا المعيار يُعد مرحلة بدائية جداً في النمو الخلقي يتصف بها الأطفال ممن هم دون السادسة من العمر. ويعد حسن السلوك والانضباط العسكري من الخصال التي تحقق مثل هذا الاستحسان الاجتماعي في الوسط العسكري.

ويترتب على هذا الدافع ايضاً دافع آخر هو الاتفاق مع الجماعة وهذا الاتفاق يحقق له نوعان من الأمن والطمأنينة، ويزداد هذا الدافع أهمية في زمن الحرب حيث يترك الأفراد ثكناتهم العسكرية ويعيشون معا في العراء في أماكن قد تكون نائية ويتعرضون معا لأخطار وضغوط واحدة.

٢ - الاحباط:

يحدث الاحباط حينما يواجه الإنسان عائق ما يحول دون إشباع دافع لديه وهو أيضاً الحالة الانفعالية والدافعية التي يشعر بها الفرد إذا ما واجهه ما يحول بينه وبين إشباع دوافعه.

---

(١) محمد فرغلي فراج. مدخل إلى علم النفس. القاهرة: دار الثقافة للنشر والتوزيع، ١٩٨٤م (ص ٣١).

والعوائق التي يمكن أن تسبب الاحباط للفرد كثيرة ومتنوعة بعضها يرجع إلى عوامل ترتبط بالفرد ذاته أكثر من ارتباطها بما يحيط به من ظروف بيئية. وبعضها يرتبط بالبيئة التي يعيش فيها الفرد أكثر من ارتباطها بالفرد نفسه. ويعتبر النوع الأول من العوائق داخلي المصدر أما الثاني فهو خارجي المصدر[1].

أ - العوائق داخلية المصدر:

من أمثلة النوع الأول من العوائق العيوب والنقائص البدنية أو العقلية أو النفسية. ومن أمثلة العيوب أو النقائص النفسية قبح المنظر والعاهات البدنية. فالشخص قبيح المنظر مثلا قد ينفر منه الناس وربما يصبح القبح عائقاً يمنعه من الحصول على الزوجة التي يرغبها. وقد يكون ضعف البنية أو القلب عائقاً يمنع بعض الشبان عن مشاركة زملائهم في الألعاب الرياضية. ويعتبر مثل هذا العائق ليس ذا أهمية بالنسبة للأفراد في القوات المسلحة لأنهم يتعرضون لكشف طبي دقيق قبل التحاقهم للعمل بها. وهو لا يوجد إلا في حالات نادرة مثل تلك التي يسمح فيها لمصابي العمليات الحربية بالاستمرار في الخدمة العسكرية حيث يوكل إليهم آداء أعمال سهلة تتناسب مع قدراتهم البدنية.

ومن أمثلة العيوب العقلية قلة الذكاء أو ضعف بعض القدرات العقلية الخاصة. فقد يتكرر خطأ الضابط أو ضابط الصف في اتخاذ القرارات المناسبة حيال المشكلات الحربية أو الإدارية التي تواجه وحدته الصغرى في زمن السلم أو الحرب نتيجة لانخفاض مستوى ذكائه. وربما يترتب عن هذا فشله في آدائه لعمله كقائد. ومن هنا تبرز أهمية

---

(١) عبد السلام عبد الغفار: مقدمة في الصحة النفسية. القاهرة دار النهضة العربية، ١٩٧٧ م.

التأكيد على دقة إجراء وتطبيق مقاييس الذكاء المختلفة على الأفراد عند قبولهم وتوزيعهم في القوات المسلحة.

أما العيوب الشخصية فهي تبرز في المجتمع العسكري بصورة أكثر وضوحاً عنها في مجال الأعمال المدنية. لأن الأفراد يزداد تفاعلهم مع بعضهم في العمل الذي عادة ما تتزايد ضغوطه ومتطلباته إذا ما قورن بالأعمال المدنية. كما أن الأفراد يقضون معظم أوقاتهم مع بعضهم إما في عمل لا ينقطع أو أوقات للراحة. ومن الصعوبة الكشف عن مثل هذه العيوب قبل الالتحاق بالخدمة لأن وسائل القياس النفسي وبخاصة تلك التي تتبع أسلوب التقرير الذاتي - لم تبلغ حدا من التطور بحيث تتمكن من تحديدها بشكل حاسم. فالإستخبارات الشخصية التي تقوم على ادلاء الشخص بمعلومات عن نفسه يصعب فيها التغلب على ما يُعرف بتزييف الاستجابة. ويقصد بها إعطاء المفحوص فكرة مقبولة اجتماعيا عن نفسه حتى يمكنه اجتياز الإختبار الشخصي بنجاح[١].

وهذه العيوب الشخصية وإن كانت لا تبلغ حد العصاب أو الذهان في خطورتها المرضية إلا أنها قد تعد وبالا على صاحبها وتسبب له مشكلات ربما لا تنتهي إلا بانتهاء خدمته العسكرية. ومن أمثلة العيوب الشخصية التي تعوق الفرد عن عمله الجبن والتردد والأنانية وعدم الثبات الانفعالي والسيكوباتية والعدوانية والشك والميل للشعور بالعظمة أو الاضطهاد وسرعة التأثر بآراء الغير[٢]. وكل هذه السمات وغيرها قد تتواجد بقدر معقول عند كثير من الناس، وربما لا يتسبب عن هذا ضررا ما لصاحبها أو غيره من الناس. ولكنها إذا تجاوزت حدودها

---

(١) صفوت فرج: القياس النفسي. القاهرة: دار الفكر العربي، ١٩٨٠م (ص ٢٠٨ - ٢١١).

(2) Bray c.w. Psychology and militray profiiciency, New Jersey: 1948.

المعقولة أصبحت مصدراً هاما للإعاقة. فالفرد الذي ينتابه الذعر كلما ظهرت طائرات العدو أو تواجد في مناطق تتعرض لقصف نيران أسلحته لا يمكنه في الواقع آداء أي عمل ذا قيمة أثناء المعركة.

وهكذا فيما يتعلق بسائر العيوب الشخصية، فالعدوانية مثلا - والتي يرى كثير من علماء النفس أن كل إنسان يتصف بقدر معين منها، وأن الفرد يمكنه أن يعبر عنها بطريقة بناءه - إذا تجاوزت حدا معينا تصبح عائقاً يعترض سبيل الفرد في القوات المسلحة. فهناك بعض شخصيات عدوانية كما يصفها ميلون Millon ١٩٦٩م بأنها جافة محبة للجدال وقد تكون بذيئة أحياناً وهم عادة ما يكونون مستبدين برأيهم ويصرون على أنهم يسلكون دائماً الطريق الصواب[1]. ويلاحظ أن الأفراد الذين يتصفون بمثل هذه الخصائص بشكل ظاهر يصبحون مصدراً لتعطيل الأعمال وعبئاً ثقيلا على كاهل الوحدات إذ يتسببون في شغل أوقات رؤسائهم أو زملائهم في العمل في فض منازعاتهم، واستنفاذ طاقات الوحدات في أعمال ثانوية أو فرعية بدلا من توجيهها نحو أعمال بناءة أو منتجة مثل تلك التي تتعلق برفع الكفاءة القتالية للوحدات. ومصدر الإعاقة لمثل هؤلاء الأشخاص يتمثل في كراهية رؤسائهم أو مرؤسيهم لهم الأمر الذي يترتب عنه عقوبات متكررة توقع عليهم مثل الحبس أو الحرمان من الاجازات أو إبعادهم إلى وحدات أخرى. وقد تتكرر عملية نقلهم أو إبعادهم ولا يستقر بهم المقام في وحدة واحدة. كما أن يلقون في الأغلب قسوة في المعاملة أينما وجدوا لأن العدوانية في الحياة العسكرية - بعكس الحياة المدنية - عادة ما تواجه بشدة وصرامة.

---

(1) Mayer, K.E. The psychology of hostility Chicago: Markham, 1971.

ويراعي كذلك أن سمات كالشك أو القابلية للتأثر بآراء الغير والتردد ربما تعوق الضباط عن إتخاذ قرارات سليمة بشأن المعركة أو سير التدريب أو التقييم الجيد للمرؤسين وتوزيع المهام التي تناسب كفاءاتهم.

ب - العوائق خارجية المصدر:

ومن أمثلة هذا النوع العوائق المادية والاقتصادية وهي تختلف وفق الإمكانيات المتاحة من جيش لآخر، وهذه العوائق يمكن أن تكون كثيرة ومتنوعة ومنها على سبيل المثال تعطل السيارات المخصصة لنقل جنود وحدة ما إلى ميدان التدريب على الرماية أو عدم توفر وسائل التدريب اللازمة لدى قائد وحدة ما لإجراء بيان عملي لجنوده وضباطه بالرغم من أهميته. انقطاع الامداد عن جيش ما أثناء قيامه بمعارك طاحنة مع العدو وما يترتب عنه من حرمان الجنود من الذخيرة والطعام والماء تدمير مركز رئاسة وحدة ما وعدم وجود من يصلح لقيادتها وإدارة المعركة.

وهناك أيضاً عقبات من نوع آخر يتمثل في القيود والنواهي العسكرية مثل الحرمان من الإجازات وما يستتبع هذا من مشكلات للجنود والضباط وأسرهم، أو عدم توافر أوقات للترويح أو الراحة. احترام الأفراد ذوي الرتب الأعلى وعدم القدرة نتيجة لهذا على توجيه لوم أو عدوان لهم إذا كانوا مصدر احباط للفرد. ويمكن كذلك أن يصبح الضابط أو ضابط الصف حجر عثرة أمام كل مطالب جنوده مهما كانت بسيطة معتقداً أن ذلك يحقق شخصيته العسكرية الحازمة.

هذه أمثلة عن أنواع العوائق التي يمكن أن تسبب الإحباط للأفراد وهي إما داخلية المنشأ أو خارجية. وإلى جانب هذه الأنواع أيضاً يمكن أن يتسبب الصراع بين الدوافع المختلفة في وجود احباط عند الفرد.

ويتضمن صراع الدوافع تعارض بين إشباع رغبات الفرد. فهي تنشأ عند الفرد حين يتنافس هدفان أو حاجتان أو نوعان من أنواع العمل ولهما نفس قوة التأثير تقريباً. أي حينما تتساوى القوى التي تدفع الفرد في اتجاهين متضادين بحيث يجد نفسه عاجزاً عن اختيار أحدهما. وبما أن اختيار أحد الاتجاهين في موقف الصراع يحجب اختيار البديل الآخر أو على الأقل وقتيا، فإن الصراعات تعتبر أحياناً احباطات. ومن أمثلة أنواع الصراعات هي:

(١) صراع الاقدام - الاحجام:

وفي هذا الصراع نجد أن هناك دافعين متعارضين احدهما يدفعنا لأن نعمل شيء معين، بينما يدفعنا الآخر إلى تجنب عمله. ويمكن تبين مثل هذا النوع من الصراع في تفكير القادة خلال العمليات الحربية. فقد يفكر قائد تشكيل ما إرسال وحدة صغيرة (كتيبة أو سرية مشاة ميكانيكية) من قواته لتعمل خلف خطوط العدو لقطع مواصلاته وطرق إمداده وإزعاج مناطقه الإدارية ولا شك أن نجاح مثل هذه القوة في أداء مهمتها قد يمكن هذا القائد من أن يحقق نتائج باهرة في انهيار أو إضعاف قوات العدو إلا أن مثل هذا القرار قد يعرض هذه القوة لخطر الإبادة أو الهلاك لأنها ستضطر إلى قطع مسافات طويلة داخل اراضي يسيطر عليها العدو بقواته.

(٢) صراع الإقدام - الإقدام:

يكون لدى الفرد أحياناً هدفان كلاهما مرغوب فيه بدرجة واحدة، بحيث أن بلوغ أحد هذين الهدفين يعني التضحية بالآخر.

(٣) صراع الاحجام - الاحجام:

وفي هذا النوع من الصراع يكون امام الفرد أن يختار احد أمرين

كلاهما مر وأمثلة هذا النوع من الصراع كثيرة جدا في المواقف العسكرية ولعل أبسطها الجندي الذي يحارب في موقعة ضارية والذي يكون أمامه الاختيار بين أن يواجه المخاطر أو أن يكون جبانا[1].

جـ - نتائج الاحباط:

إذا تم إرضاء الدوافع لا تكون هناك أية مشكلات أمام الفرد، اما إذا ظهرت الإعاقة فإنه قد يقيم الموقف بطريقة عقلانية ويحاول تفهم أبعاده ثم يحدد الإجراءات المناسبة ويساير الضغوط باستراتيجية الحل المتعمد للمشكلة.

فإذا طلب مثلا من قائد وحدة صغرى في ظروف طارئة اعدادها خلال وقت قصير جدا لخوض معركة. وكانت في هذه الأثناء في حالة راحة كاملة إثر انتهائها من معارك سابقة، وهناك جزء من سياراتها ومعداتها يجري له إصلاح، وبعض أفرادها مكلفين بمهام بعيدة نسبياً عن الوحدة، وهناك من الأفراد من يقضون إجازات قصيرة مع أسرهم إلى جانب وجود نقص في بعض المهات أو الإمدادات الضرورية من أجل استعادة كفاءة الوحدة كاملة. فإن هذا القائد يلجأ على الفور بالتفكير في أنسب الحلول الممكنة ويحدد اسبقيات للأعمال المطلوبة ويمكن وضع جدول زمني لهذه الأعمال كما يمكن أن يجري كثيراً منها في توقيت زمني واحد. حيث يتم مثلا استكمال الإمدادات الضرورية وفي نفس الوقت الذي يتم فيه استدعاء الأفراد القائمين بأجازات (وفق نظام دقيق معروف) هذا إلى جانب استكمال بعض الإمدادات التي تقتضي طبيعة

---

(١) محمد فرغلي فراج. مدخل إلى علم النفس. القاهرة: دار الثقافة للنشر والتوزيع، ١٩٨٤م (ص ٣٣).

المعركة المقبلة توفرها وغير ذلك من أعمال أخرى متعددة لا يمكن حصرها.

ولكي يتغلب هذا القائد على المشكلات التي تواجهه عليه أن يفكر ويتوصل إلى قرارات سريعة وفعالة، ثم يراقب تنفيذها وهذه المراقبة عادة ما تتطلب منه جهدا وعناءً. وهكذا يتصرف معظم الأفراد العسكريين عندما تعترض سبيلهم العوائق، وهو سلوك طبيعي سوي ومعتاد.

د - الحيل العقلية:

عندما تفشل الطرق المباشرة السوية في التعامل مع الاحباط - وهي زيادة المجهود، التقييم الصحيح لإبعاد المشكلة والتوصل إلى قرار سليم لتخطي العقبات مع اتباع طرق وأساليب متنوعة لذلك - يلجأ الإنسان إلى طرق أخرى غير مباشرة تسمى بالميكانيزمات أو الحيل العقلية.

والحيل العقلية شائعة ومألوفة عند جميع الناس غير أن الإسراف في الإلتجاء إليها يدل على حالة مستمرة من عدم التوافق.

وقد قدم «دولارد» ومعاونوه ١٩٣٩م فرضا يشير إلى أن العدوان يترتب دائماً عن الاحباط وأن السلوك العدواني يسبقه دائماً وجود إحباط عند الفرد، ويمثل هذا الفرض محاولة لصياغة أفكار فرويد التي وجدت في مؤلفاته الأولى إلى صورة تجريبية[1].

ويشير دولارد استنادا إلى الملاحظات اليومية إلى أنه حيثما حدث احباط فهناك سلوك عدائي في صورة ما ودرجة ما، وأنه إذا ما احبط

(1) Dollard et al: Frustration and aggression. New York: Holt, Rinehart and Winston, 1962.

الفرد ربما لا يوجه عدوانه نحو مصدر الاحباط مباشرة وبخاصة إذا كان شخصاً ذا مركز مرموق، إذ يحدث في هذه الحالة ما يعرف بكف العدوان. ويمكن أن يجد العدوان منفذا آخر. فالجندي الذي يلقى جزاء من ضابطه أو حرمانا من إجازة ربما يوجه عدوانه نحو أحد زملائه. وقد تحقق دوب وسيرز ١٩٥٤ م من بعض حالات كف العدوان تجريبيا في دراسة أجريت على مجموعتين من المفحوصين إحداهما تعرضت لإحباط تسبب عنه أفراد ذوي مقام منخفض وكانوا أشخاصا يرتدون ملابس جنود والأخرى تعرضت لمواقف إحباط مشابهة (تضمن بعضها إهانات) من أفراد ذوي مقام مرتفع (وكانوا في الواقع شركاء للباحثين يرتدون ملابس ضباط) وتبين من نتائج هذه الدراسة أن أفراد المجموعة الأولى وجهوا عدوانهم نحو مصدر الإحباط بعكس المجموعة الثانية التي كان يغلب عليها كف عدوانها[١].

وقد أجريت دراسات لا حصر لها عن الإحباط - العدوان منذ ظهور هذا الفرض في محاولات لتحديد شروطه والمتغيرات التي يمكن أن تتصل به مثل تلك التي أجريت عن إبدال العدوان وكفه وأنواع الإحباطات التي يمكن أن تثيره واستخدمت فيها عينات من الحيوان والإنسان.

ومن النتائج التي أظهرها دولارد وزملاؤه أن كمية العدوان التي يمكن أن تترتب عن الإحباط تعتبر دالة لعدة متغيرات منها مكان النقطة الموجودة في سياق السلوك التي يحدث عندها الإحباط فكلما كانت قريبة من بلوغ الهدف كلما اشتد العدوان ومنها كذلك مدى

---

(1) Megargee, E.L.& Hokanson, J.E. The dynamics of aggression. New York: Harper & Row, 1970.

أهمية الحاجة أو الرغبة المحبطة عند الفرد ومدى الإعاقة التي يواجهها الفرد والتي تؤدي إلى إحباطه ثم عدد المرات التي يتوالى فيها الإحباط.

ومع هذا فقد إقترح كثير من الباحثين في الآونة الأخيرة أن الإحباط لا يترتب عنه في كل الحالات عدوان وأن ظهور العدوان كرد فعل للإحباط يعتمد على عوامل متعددة يتعلق بعضها بموقف الإحباط والبعض الآخر يتوقف على متغيرات شخصية عند الفرد المحبط.

كما يرى آخرون أن كلا من الإحباط والعدوان هما مفهومان عامان يتضمنان معان ومتغيرات متعددة. فقد ظهرت مثلا مفاهيم مستحدثة عن الإحباط منها ذلك الذي استخدمه «أمزيل» ١٩٦١م وغيره وهو ما يُعرف «بالإحباط التوقعي» أو الناتج عن عدم الإثابة. Frustrative non - reward وذلك لتوضيح بعض المشكلات الراسخة في مجال التعلم والتي يتصل معظمها بالدافعية واثر التعزيز الجزئي على مقاومة الانطفاء. كما استخدم باحثون منهم «باس وداركي» ١٩٥٥م في دراساتهم تصنيفات متعددة للعدوان. فهناك مثلا عدوان لفظي واعتداء وخلفة وميل للسيطرة وعدوان غير مباشر وغير هذا من صور مختلفة للعدوان.

وخلاصة القول أن فرض الإحباط - العدوان أصبح اليوم مجرد وثيقة تاريخية أكثر من كونه تقريرا نهائياً عن العدوان، ومع هذا فإن الفكر النظري المعاصر حول هذا الموضوع لا يزال يستمد أصوله من هذا الفرض الكلاسيكي(١).

---

(1) Lawson, R. Irustration: The development of a scientific concept. New York: the Macmillan CO., 1965.

ويمكن تلخيص بعض ردود الفعل الأخرى للاحباط في الآتي:

(١) النكوص:

يرى أنصار مدرسة التحليل النفسي أنه إذا ما عجز الفرد عن التعامل مع بيئته بما فيها من احباطات فإنه يتراجع إلى مستوى سابق من النمو حيث يجنب ذاته الشعور بالعجز والفشل، كما يجنبها المخاوف التي قد تنشأ من مواجهة بيئته وتحمل مسئولياته فيها.

وقد أكد كل من باركر وديمبو وليفين ١٩٤١م في دراسة تجريبية أن النكوص هو استجابة شائعة للإحباط، وتبين في هذه الدراسة أنه يعوق الآداء الفعال المنتج[١].

ولما كان النكوص يقصد به إرتداد للسلوك من حيث خصائصه إلى مرحلة عمرية سابقة فإن الاطفال الذين لم يعتادوا مص الأصابع أو التبول في أسرتهم لمدة سنوات يكون فعلهم الشائع بالنسبة للأزمات هو الرجوع إلى مثل هذه الاستجابات. وهي استجابات تميز مراحل عمرية كانوا يشعرون فيها بالراحة والأمان.

وأحياناً يواجه الراشدون الضغوط إلى أساليب السلوك التي تميز صغار الأطفال. فالفرد حين يجد الخبرات الحالية تثير القلق أو حين يجد السلوك لم يعد يؤدي إلى تحقيق الأهداف المطلوبة، يعود إلى الالتجاء إلى العادات السابقة. صحيح أن هذه العادات السابقة كانت فيما مضى تنجح في إشباع الحاجات، ولكنها فقدت فاعليتها منذ ذلك الحين، وسلوك النكوص او الارتداد قد يتضمن بعض الاستجابات غير

---

(١) اقتراح ايضاً هؤلاء الباحثون فرضاً على غرار فرض دولارد وزملاؤه هو الإحباط - النكوص. وأصبح ايضاً هدفا لعديد من الدراسات اللاحقة.

الناجحة مثل صمت الاستياء، التصرفات التي قد يؤديها بعض معتادي السرقة أو غيرها من الجنايات العسكرية الجسيمة عندما توقع عليهم عقوبات عسكرية صارمة مثل الصراخ والعويل ولطم الخدود وغيرها من حركات تؤدي إلى جذب الانتباه.

ويلاحظ كذلك أمثلة من هذه التصرفات الصبيانية عندما يركل سائق الشاحنة أو السيارة العسكرية سيارته عندما يتكرر عطلها أو يفشل في إدارتها (تشغيلها) بعد عدة محاولات.

ويمكن تفسير بعض عمليات التمارض أو ادعاء المرض التي يلجأ إليها الجندي مظهرا من مظاهر النكوص بسبب سوء التوافق. فإذا كان قد تعود على التظاهر بالمرض وهو صغير ليجذب التفات أمه، فإنه يدعي المرض وهو كبير ليلفت انظار من حوله إليه وإلى مشكلته.

ويضم بعض الباحثين الانفعالات الشديدة والثورة والغضب عند الفشل إلى قائمة النكوص عندما تظهر بشكل صبياني ليس فيه تحكم في النفس. وهو نكوص في مجال التعبير الانفعالي فحسب يحدث لفترة وجيزة[1].

(٢) التثبيت:

يحدث التثبيت في مواجهة المواقف العنيفة التي لا يملك الإنسان لها حلا. إذ أن مشكلتها تفقده القدرة على التصرف السليم الهادف نحو إيجاد سبيل للتخلص من التوتر الناشيء منها. ويرى أصحاب نظرية التحليل النفسي أنه تمسك بنوع معين من السلوك وعدم تغييره رغم أنه لم يعد ملائماً للموقف الراهن أو انه يحدث عندما لا يستطيع الفرد

---

(١) فاخر عاقل: اصول علم النفس وتطبيقاته. بيروت: دار العلم للملايين ١٩٧٥م. (ص ١٥٥).

مواجهة مطالب المواقف الجديدة فيظل متمسكا بالسلوك السابق الذي إعتاده.

وقد تبين من نتائج الدراسات التجريبية بعض الصحة في هذا الرأي. إذ خرج ماير Mayer ١٩٥٠م من دراساته على الحيوانات (فئران) - في مواقف تجريبية واجهها منها مشكلات «غير قابلة للحل» على حد تعبيره - برأي يشير إلى أن السمة الرئيسية التي تميز السلوك في أي موقف إحباطي انه يصبح مثبتا. فلا بد أن يتكون لدى الكائن الحي سلوك نمطي في مواقف الاحباط وهو سلوك يتميز بالعقم والتبلد ويختلف عن السلوك الطبيعي لحل المشكلات[١].

وتلاحظ مثل هذه الردود الفعلية كثيرا في بعض الجنود أو طلاب المعاهد العسكرية الجدد وذلك في مراحل التعليم الأولى أو الأساسي، حيث يتخذون مثلا أسلوباً معيناً لا يتغير في أثناء التدريب. فقد يميل بعض الأفراد مثلا في طوابير التدريب على السير بالخطوة المعتادة إلى رفع أحد الكتفين أكثر من الآخر اثناء حمل البندقية أو توتر الذراعين والقدمين اكثر من اللازم. وقد يعوق مثل هذا السلوك النمطي الجندي عن الآداء الصحيح على بعض المعدات الحربية لما يصحبه عادة من جمود في التفكير.

ويمكن أن تزول مثل هذه الأعراض بمرور الوقت مع عدم لجوء المعلم كثيرا إلى توبيخ الجندي نظير هذا بل يُفضل استخدام اساليب التشجيع على الآداء الصحيح، إذ أن مثل هذا التثبيت يعتبر أمراً طبيعيا في أول عهد الجنود بالحياة العسكرية ومشاقها وما تتضمنه من توتر وأعمال غير مألوفة لديهم.

---

(1) Lawson, R. Frustration: The development of a scientific concept. New York: The Macmillan CO., 1965.

(٣) التبرير:

يرى علماء التحليل النفسي أن بعض تصرفات الإنسان تصدر عن دوافع لا شعورية غامضة. وفي بعض الأحيان تكون هذه الدوافع اللاشعورية غير مقبولة من الفرد نفسه أو غير مقبولة من المجتمع، كما يحدث أحياناً حينما يصدر عن الإنسان بعض التصرفات الصادرة عن دوافع غير خلقية أو عن الأنانية أو الغيرة أو الكراهية. ويحاول الإنسان في مثل هذه الحالات أن يفسر سلوكه تفسيراً معقولا، وأن يبدي له أسباب تكون مقبولة من المجتمع. وتعرف هذه العملية العقلية بالتبرير. وهي حيلة عقلية دفاعية تقي الإنسان من الاعتراف بالأسباب الحقيقية غير المقبولة لسلوكه، كما تحميه من ضرورة الاعتراف بالخطأ والفشل والنقص.

ومن أمثلة التبرير أن بعض الأفراد قد لا تمكنهم قدراتهم من بلوغ هدف ما فيعيبون على الهدف، فإذا قصر فرد ما في دورة تدريبية فقد يشير إلى أنها لا تفيده على أي حال أو ينوه بأن الأفراد الذين يجتازونها ليسوا على مستوى عال من الكفاءة والخبرة العملية. وخير مثال على هذا قصة الثعلب الذي لم يستطع الوصول إلى العنب لعلوه وبعده عنه فأخذ يقول أن العنب حامض أو حصرم لا تأكله إلا السوقة. وقد لا يتمكن الضابط من التوصل إلى وظيفة قيادية فيعيب عليها ويحاول إقناع زملائه أن وظيفته الحالية أفضل.

وهناك من يلوم بعض الأسباب على ما وقع فيه من خطأ أو إهمال. فكثيرا ما يرجع الجنود الذين اعتادوا بعض المخالفات العسكرية مثل الغياب من المعسكر دون اذن او الاهمال في صيانة معداتهم إلى اضطهاد ضابط الصف المسئول عنهم لهم.

وفي بعض الحالات يبدي الأفراد أسباباً مقبولة اجتماعياً لسلوك غير

منطقي أو خاطىء تصدر منهم. فقد يقدم قائد وحدة صغرى مثلا على تصرفات غير عادلة مثل محاباة بعض الأفراد أو إعطاء امتيازات لهم من ترقيات أو مكافآت وهم لا يستحقونها - لما يحققونه له من مصالح شخصية، هذا إلى جانب اضطهاد آخرين يعملون بجهد وكفاءة في الوحدة - ثم يبرر هذا بأنه لا يهدف إلا إلى الصالح العام وما يتطلبه من مكافأة الممتازين وعقاب المقصرين، ويكون في واقع الأمر أفراد الفئة الثانية الممتازون ولكن لا يؤدون له مصالح شخصية، أو سبق أن أغضبوه لسبب ما.

ومن أمثلة التبرير أيضاً ما قام به مجرموا الحرب العالمية الثانية الألمان وغيرهم من إبادة أفراد مدنيين بأعداد هائلة ثم أعلنوا أنهم إنما يقصدون القضاء على المشاغبين ومثيري القلاقل حتى يستتب الأمن ويسود السلام في البلاد المحتلة[1].

(٤) الانسحاب:

يعتبر الانسحاب استجابة شائعة للتهديد وحينما يختار الناس الانسحاب فهم يختارون ألا يفعلوا شيئاً وغالباً ما يصحب هذا الشعور الاكتئاب وعدم الاهتمام.

ويرى بعض الباحثين أنه عندما يكون الدافع المحبط قوياً جداً والعائق شديداً لا يمكن التغلب عليه بأي حال ومع استمرار الإعاقة لفترة طويلة في هذه الحالة يحدث الشعور بالانسحاب واللامبالاة. ويكثر هذا الميكانيزم لدى أسرى الحرب الذين يقضون سنوات في سجونهم حيث يفقدون اهتمامهم بالحياة ويعتريهم شعور بالاكتئاب ونقص الرغبة في مكافحة المرض.

---

(١) مصطفى العوجي: دروس في العلم الجنائي: الجريمة والمجرم (الجزء الأول): بيروت، مؤسسة نوفل ١٩٨٠م (ص ٢٦٨ - ٢٦٩).

(٥) النقل:

ويعرف أحياناً بالإزاحة وهو في رأي نظرية التحليل النفسي عبارة عن إبدال أهداف مقبولة مكان أهداف لا نرضى عن توجيه مشاعرنا إليها وإن كانت موجودة في اللاشعور. فقد ينتقل الخوف من قتل شخص معين إلى خوف من السكاكين والآلات الحادة.

ويقوم النقل كذلك بتحويل الدوافع والرغبات والانفعالات من مسالكها الأصلية إلى مسالك أخرى بديلة، أو من أشياء أو أشخاص معينين إلى أشياء أو أشخاص آخرين. فإنفعال الغضب الذي يُمنع من التفريغ في صورة حركية عضلية قد يتحول إلى التفريغ في صورة لفظية كألفاظ السباب والتشهير والسخرية. وهو ما يعرف عند دولارد وزملائه بالنقل من إستجابة عدوانية لأخرى مع ثبات المثير. وهناك أيضاً النقل من مثير لآخر مع ثبات الإستجابة العدوانية. وقد تحقق ميلر ١٩٤٨م تجريبيا من هذا النوع من النقل بتجاربه المعروفة على الفئران حيث أظهر أن الفئران التي تعلمت أن تعتدي على الفئران الأخرى يمكنها أن تعمم تلك الاستجابة إلى مثير آخر (لعبة أطفال) وذلك في حالة عدم وجود المثير الأصلي للعدوان أي الفأر الآخر[١].

وكانت الفئران التي يخضعها للتجارب تعتدي عن طريق تعلم بالتعزيز السلبي إذ كان يُحدث صدمات كهربائية عند وجود فأرين معا في قفص تجريبي وأثناء قفز الفئران حول بعضها نتيجة لذلك يقوم أحدهما بضرب الآخر بطريقة عراك. ثم يبطل إحداث الصدمات الكهربائية أثر هذا. وكما هو متوقع تعلمت الفئران أن تتعارك.

---

(1) Dollard et al: Frustration and aggression, New York; Holt, Rinehart and Winston, 1962.

فإذا استخدم قائد الكتيبة أسلوب التوبيخ أو التعنيف مع قادة السرايا بسبب موقف ما مثل عدم آداء مشروع تدريبي للكتيبة كما ينبغي فإنهم - أي قادة السرايا - لا يمكنهم معاملته بالمثل وإنما تحدث عملية نقل لمثل هذا التوبيخ إلى المستوى الأقل وهو قادة الفصائل. إذ يقوم قائد كل سرية بتعنيف قادة فصائله وهم بدورهم يوبخون قادة الجماعات وهكذا حتى يصل التوبيخ في نهاية الأمر إلى الجندي.

(٦) تكوين رد الفعل:

تكوين رد الفعل هو الحيلة التي يُظهر بها الإنسان عكس ما يضمر دون أن يدرك هو نفسه أنه يفعل ذلك، وهذا خلاف ما قد يشعر به من دافع غير مساغ فيرغب عامدا في اخفائه وإظهار عكسه، فهذا هو التصنع وليس تكوين رد الفعل الذي هو سلوك لا شعوري ينتج عن دافع محظور مكبوت.

ولذلك كثيرا ما نشك في حقيقة ما نشاهده أو نسمعه من أفكار وآراء وعواطف قد يبالغ أصحابها في التعبير عنها. ومثل هذا ما نشاهده من العطف البالغ الذي يبديه الطفل ذو الأربع اعوام على أخيه الرضيع فيغرقه بالقبلات وفجأة تظهر حقيقة مشاعره فلا نسمع إلا صياح الرضيع ونتبين بعد لحظات أنه قرضه أو عضه رغم ما كان يحاول أن يبديه من عطف وحنان.

ويحدث تكوين رد الفعل بكثرة في حياتنا اليومية كوسيلة دفاعية ضد الدوافع والميول غير المقبولة ولوقاية النفس من الشعور بالنقص أو الشعور بالذنب. فالأدب الزائد في معاملة الناس قد يكون وسيلة للتغلب على بعض الدوافع العدوانية. وربما تُخفى مظاهر الشجاعة والحماس البالغ قُبيل الحرب للقاء العدو خوفاً شديداً من أخطار المعركة يتضح بمجرد بدء حدوث قتال فعلي مع العدو. وقد يظهر مثل هذا

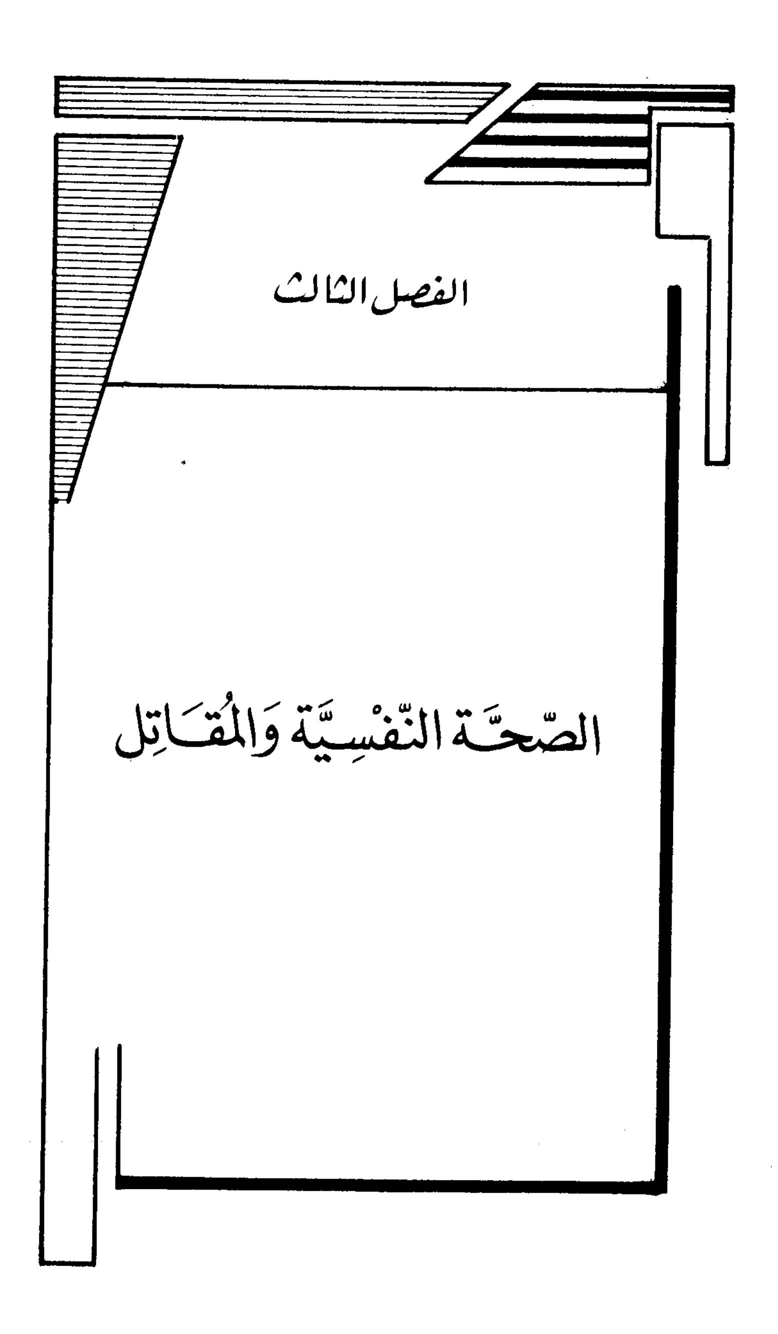
الخوف بأسلوب نكوص كالتشنج والصراخ والبعد عن موطن الخطر أو بأسلوبَ إنكار للواقع وما يصحبه من إدعاء للمرض. أو حيلة الهروب عن طريق حالات العجز الجسدي كالشلل والبكم وغير هذا. فقد يجتمع لدى الشخص حيلتان عقليتان أو أكثر في وقت واحد.

وبالرغم من أن تكوين رد الفعل من الحيل العقلية الشائعة إلا أنه من الواجب أن نكون على حذر في تفسير سلوك الناس على أساس تكوين رد الفعل. فليس إبداء الشجاعة وسيلة لمقاومة الجبن، كما أن الحب لا يعتبر دائماً وسيلة لمقاومة الكره والبغض، وليس الأدب والمجاملة كذلك في كل الأحوال أسلوب لمقاومة الاتجاهات العدوانية. فقد تكون هذه كلها ميول حقيقية ولا تعكس أي اتجاهات مضادة. كما يتوقف كشف الميول الحقيقية عن غيرها من الاتجاهات الزائفة على كثير من المتغيرات منها مدى ملاءمة السلوك لظروف الفرد الخارجية وخصائص شخصيته. هذا ونلقي بعض الضوء على مثل هذه العوامل في الجزء الخاص بالإعزاءات السببية وسيكولوجية التفاعل بين الناس.

(٧) الإسقاط:

هو إدراك الفرد لوجود دوافعه عيوبه وأخطائه في الغير بقصد وقاية الفرد من القلق الذي ينشأ من إدراكها في نفسه. وهو وسيلة دفاعية تقي الفرد من ألم الاعتراف بعيوبه وأخطائه ودوافعه غير المقبولة. فإدراك الفرد لوجود دوافعه وعيوبه في الغير إنما هو وسيلة لإنكار وجودها في نفسه. فقد يتهم شخص ما الآخرين بسمات مرذولة يتصف هو بها كالجبن مثلا أو الغرور أو السرقة. ويلاحظ أحيانا على قلة من الضباط الأصاغر الذين قد يعوزهم الانضباط العسكري في بداية عهدهم بالخدمة العسكرية أنهم يحاسبون الجنود على تأخرهم عن العمل أو عدم ضبطهم لمواعيدهم أو التكاسل في الآداء أو تنفيذ الأوامر وذلك بشدة

مبالغ فيها وهم - أي هؤلاء الضباط الأصاغر - أكثر الناس إتصافاً بهذه الخصائص. وعلى القادة الحذر إزاء تصديق مثل هذه الاتهامات المبالغ فيها.



الفصل الثالث

الصّحّة النّفْسِيَّة وَالمُقَاتِل

الفصل الثالث

الصّحّة النّفسيّة والمُقاتل

إن الاعتقاد الغالب عند أكثر الناس أن سبب المرض النفسي هو الصدمة الأخيرة التي يتعرض لها المريض، مثل وفاة قريب أو ضياع فرصة أو الطلاق أو الإصابة بأحد الأمراض المُعدية او الإرهاق في العمل إلى آخر هذه الأحداث المتكررة المألوفة، والحقيقية غير هذا، إذ أننا نرى كثيرا من الناس يتعرضون لمثل هذه الصدمات دون أن يصابوا بأي أذى. والواقع أن هناك صفات تميز المريض عن غيره من الاسوياء هي المسئولة عن ظهور المرض النفسي لديه دون سواه.

ويرى غالبية المشتغلين بالعلوم النفسية أن المرض العقلي والنفسي إنما هو نتيجة عوامل خاصة لكل فرد على حدة. باعتبار أن الفرد إنما هو كائن متكامل ينبغي دراسة تاريخ حياته تفصيلا بما في ذلك تاريخ أسرته المرضي، فضلا عن دراسة قدراته العقلية والجسمية، وبيئته الخاصة والعامة، وذلك حتى نفهم سلوكه ومشاكله ومعالم شخصيته وتكوينه النفسي، مهتدين في ذلك دائما بدراسة العوامل الوراثية، وخصائصه العقلية، وبيئته الاجتماعية والمؤثرات الثقافية والتربوية. كل تلك العوامل التي تصبه في قالب خاص وفريد.

فالأمراض النفسية عامة هي نتيجة تفاعل هذه القوى جميعا التي توجد إما في البيئة وإما في الإنسان، أي انها محصلة قوى تعمل سوياً في نفس الوقت، فالسبب المهيء (الحادثة الأخيرة السابقة للمرض مباشرة) يلزم أن يحدث لإنسان عنده استعداد للأمراض النفسية حتى تكون نتيجته مرضاً نفسياً.. أي أن السبب المهيء لا يعدو ان يكون (القشة التي قسمت ظهر البعير). لذلك فنحن نطلق على الحادثة الأخيرة التي أظهرت المرض النفسي (سببا مهيئاً). كما نعتبر الاستعداد الخاص للمرض النفسي (السبب المرسب). وعلى هذا يمكننا تقسيم أسباب الأمراض النفسية إلى أسباب مرسبة وأخرى مهيئة. وتكون الأسباب المرسبة في الأغلب متعددة ومختلفة في الشخص الواحد، وربما استمر تأثيرها عليه عدة سنوات دون أن يحدث المرض، أما السبب المهيء فيكون في الأغلب سبباً واحدا يتجاوب معه المريض بطريقة غير مألوفة. وتكون مظاهر هذا التجاوب هي اعراض المرض.

ومن الملاحظ أن وجود اسباب مرسبة قوية، أي وجود استعداد كبير للمرض النفسي في المريض يحتاج إلى سبب صغير حتى يحدث المرض، في حين أنه إذا كانت الأسباب المرسبة (الاستعداد للمرض قليلة وضعيفة، فإنه من اللازم لحدوث المرض ان يكون السبب المهيء سبباً قوياً وخطيراً.

والحياة العسكرية التي يعيشها المقاتل تختلف عن الحياة المدنية في جوانب سنتناولها في هذا الفصل بإيجاز. ونكتفي بالقول هنا بأن هذه الحياة العسكرية تتسم بشدة ضغوطها النفسية على الفرد. وهي ضغوط لم يألفها الفرد قبل انخراطه في سلك العسكرية. وعلى هذا تزداد أهمية الأسباب المهيئة - أي ما يتعلق بهذه الضغوط - في دراسة الصحة النفسية لدى الفرد المقاتل.

وقد تخطر ببالنا أيضاً فكرة الصحة النفسية عندما يقف الواحد منا أمام مشكلة بارزة من مشكلات السلوك. فقد يسترعي انتباه أفراد الوحدة مثلا جندي اعتاد أن ينطق بكلام غير مفهوم وتنتابه تشنجات وفقدان للوعي. أو آخر تبدو عليه إمارات الذهول والاكتئاب والاضطراب الشديد إثر اشتراكه في عملية حربية مع العدو أو تعرضه لغارة جوية عنيفة. أو ثالث يشكو دائماً من أن أفرادا يريدون قتله أو يدبرون المؤامرات للإضرار به أو سرقة سلاحه وأنه شخص له أهميته البالغة أو يتمتع بمواهب وقدرات خارقة قلما توجد في الآخرين.

ويتناول علم النفس الاكلينيكي بالدراسة والتحليل السلوك غير السوي للأفراد بهدف مساعدتهم على تجاوز متاعبهم وعلاج اضطراباتهم وتحقيق أفضل توافق ممكن لهم.

ويقترح كثير من علماء النفس والطب النفسي أن الفرق بين المريض النفسي والسوي فرقاً في الدرجة وليس فرقاً في النوع. فالاختلاف بين المريض النفسي وبين السوي هو أن السلوك المرضي يتوفر بدرجة أكبر بكثير لدى المريض بالمقارنة بالسوي. فالنظرة التقليدية التي تقسم الناس إلى مرضى تماماً أو أسوياء تماما لا تتفق مع الحقائق العلمية.

ويتكون الاضطراب النفسي - مثله مثل المرض العضوي - من مجموعة محددة نسبياً من الأعراض غير السوية والتي تختلف نوعيا عن السلوك السوي ولكل نوع من المشكلات العقلية سبب أو مجموعة من الأسباب، على المتخصص أن يتعرف على هذه الأسباب ويعالجها.

وللسلوك غير السوي مظاهر متعددة منها على سبيل المثال أن الضيق وما يصحبه من مشاعر للأسى وعدم الارتياح كالقلق والغضب والحزن انفعالات سوية وحتمية ولكن التعبير عنها بطريقة غير سوية قد يؤدي إلى المعاناة بطريقة حادة وغير مألوفة. كما أن قصور النشاط المعرفي يُعد

ايضاً نوع من السلوك غير السوي ويظهر في شكل إعاقات للقدرات العقلية كالاستدلال والإدراك والانتباه والحكم والتذكر والاتصال وقد تكون هذه الإعاقات من النوع البسيط أو الحاد وقد تكون ملازمة للفرد زمنا طويلا أو قد تظهر فجأة. ومثل هذا يقال أيضاً عن مظاهر السلوك غير السوي الأخرى مثل قصور التحكم الذاتي حيث يكون هناك انعدام تام أو جزئي للتحكم الذاتي على السلوك.

ومثل هذا السلوك غير السوي مهما كانت بساطته يمكن أن يؤثر على آداء الأفراد في الجيش ولنتصور قائد الطائرة النفاثة ذات السرعة الهائلة والأجهزة الدقيقة، في معركة حربية وقد نال منه الاضطراب مناله فطاشت حركاته وتعثرت تصرفاته، فلم تستطع يداه أن تقوما بإطلاق النار وقيادة الطائرة في نفس الوقت. أو لم تستطع عيناه تبين مدى هدفه تحت تأثير اضطرابه فيعجز عن متابعته. أو الانقضاض عليه أو الارتفاع بطائرته للانقضاض عليه. فاضطربت طائرته الدقيقة باضطرابه هو وأحاط بها خطر جسيم.

ولنتصور كذلك ضفدعا من الضفادع البشرية وهو غاطس يسبح تحت الماء وفي يده عبوة مفرقعة يريد أن يثبتها في قاع سفينة العدو لتنفجر فيها بعد زمن معين وتحرقها. ثم اعتراه الخوف أو التوتر فعجز عن ضبط توقيت الانفجار فانفجرت العبوة فيه وقضت عليه أو انفجرت في السفينة قبل موعدها المحدد أي قبل ابتعاده عن منطقة الخطر فأصابه انفجارها أو نتج عن هذا اكتشافه بواسطة العدو[1]. ومن المعروف أن جندي المظلات إذا اعتراه اضطراب وترتب عنه ارتباك وتخبط فربما يؤخره هذا عن التصرف الدقيق السريع والعمل في اللحظة

(1) Bray. C.W.: Psychology and military proficiency, New Jersey. 1948.

التي تلمس قدماه فيها الأرض فإنه يتعثر في حبال مظلته ونسيجها وقد تجذبه من ورائها على الأرض مسافة كبيرة وحينئذ يقضي وقتا طويلا في تخليص بدنه قبل أن يستعد للقتال مما يجعله هدفا سهلا للعدو الذي يترقب نزوله.

أولا: تعريف الصحة النفسية

هناك من يعرف الصحة النفسية باستبعاد كل ما لا يتفق معها. فالصحة النفسية على هذا الأساس «خلو المرء من الأعراض النفسية المرضية» وبالرغم من ضيق هذا التعريف إلا انه ليس بتعريف خاطىء. فنحن نستطيع مثلا أن نعرف المربع بأنه شكل يختلف عن المثلث والمستطيل والدائرة. أو نعرف الشخص الأصم بأنه إنسان لا يمكنه سماع الأصوات.

كما تظهر ايضا مجموعات من التعاريف للصحة النفسية تحددها في ضوء توافر المظاهر المميزة لها. تماما كما نعرف المربع بأنه الشكل الهندسي ذو الأربعة أضلاع بينها أربع زوايا قائمة.

وهي تعاريف صيغت على شكل عبارات عامة. حيث يذكر «بويهم» ١٩٥٥م مثلا أن الصحة النفسية لدى الفرد تتضح من قدرته على التعامل الفعال الناجح مع الجماعة التي يعايشها، مع ما يؤدي إليه هذا التعامل من إشباع لحاجاته دون إثارة سخطها فقدرة المرء على أن يشبع حاجاته كالغذاء والحصول على المسكن وإشباع الدافع الجنسي بطرق تقرها بيئته الاجتماعية، يُعد من علامات الصحة النفسية.

---

(1) boehm, L. «The developmment of conscience: A comparison of American children of different mental and Socioeconomic levels. «Child Development» 1955, 33.

وهكذا ايضاً بالنسبة لإشباع الدوافع النفسية أو المكتسبة مثل السيطرة والتملك والإنجاز. فإذا كان هناك مثلا ضابط يقود وحدة صغرى ولديه دافع شديد نحو السيطرة يريد إشباعه. فقد يتمكن من إشباعه أو لا يتمكن تبعا لقدراته الشخصية. فمثل هذا الدافع كما يرى علماء النفس يتطلب قدرة على إقناع الآخرين وقدراً لا بأس به من الذكاء والثقة بالنفس والعدوانية. وحتى إذا تميز هذا الضابط بهذه السمات فقد يشبع دافع السيطرة بطريقة يمكن أن تثير سخط مجتمعه العسكري أو لا تثيره، وذلك تبعا لما طبع عليه خلق ونوايا. فإذا حاول مثلا التعرف على مشكلات جنوده سواء ما اتصل منها بالعمل أو حتى في خارج نطاق العمل وحاول تذليلها بإخلاص وبطريقة تمكنه من اكتساب ثقتهم، مع بقائه وسط جنوده أثناء طوابير التدريب بأنواعها وخلال الأعمال الإدارية - يوجههم ويعلمهم - يشبع دافع السيطرة عند هذا الضابط بطريقة مقبولة من رؤسائه ومرؤوسيه. ومن الخطأ أن يُسخر جنوده في أداء أعمال تستهدف جوانب مظهرية يعتقد أنها تعزز مركزه كقائد وحدة مثل تشغيلهم في تجهيز مركز قيادته وتحسينه وتزيينه في أوقات كان من الأجدى أن يوجه فيها نشاط الجنود نحو التدريب أو إعداد وتحسين محلات مبيتهم أو أماكن تناولهم للطعام أو صيانة معداتهم. وهناك أيضاً العديد من الأمثلة الأخرى التي يشبع فيها هذا الدافع على نحو يسبب سخط المجتمع العسكري على الضابط مثل التدخل السافر في شئون الزملاء أو المرؤسين وسوء استخدام السلطة.

وهكذا بالنسبة للدوافع المكتسبة الأخرى كالدافع إلى الإنجاز، فقد يشبع هذا الدافع بتعاون الأفراد مع بعضهم البعض في سبيل تحقيق هدف واحد مشترك، وقد يشبع بطريقة تنافسية بغيضة حيث يحاول الفرد أن يبرز أهميته وقدراته في تخطي الصعاب. وقد يدفعه هذا إلى

الحط من قيمة الآخرين أو استخدام أساليب النقد الهدام. ويمكن ملاحظة هذا في بعض الأفراد من رتب مختلفة الذين يميلون دائما إلى أن ينسبوا لأنفسهم كل تقدم أو إنجاز تحرزه الوحدة أو التشكيل. ولما كان الأفراد العسكريون كثيرا ما يتعرضون معا لمخاطر القتال، وهي محن قاسية تتطلب منهم تضحيات، فمن الأصوب أن يسود بينهم روح الغيرية وإنكار الذات. أما الأنانية والغرور فكثيراً ما يكون صاحبها موضع سخرية وسخط من الأفراد.

وقد تعددت الدراسات والآراء الحديثة التي تحاول الربط بين الأخلاق والصحة النفسية. وهي تدور حول بحوث ومؤلفات لعلماء مثل بياچيه وكولبيرج ورست وغيرهم. ويؤكد أيضاً ماسلو وأصحاب النزعة الإنسانية في علم النفس على الجوانب الخلقية والروحية كمحددات للصحة النفسية. ويقترح هؤلاء العلماء أن «الذين يتمتعون بصحة نفسية سليمة هم أولئك الذين يعملون ما يرونه صوابا، والصواب في نظرهم هو انه لا ينبغي على الفرد أن يكذب أو يغش أو يسرق أو يغتاب أو يقتل. وبصفة عامة فالصواب هو ما لا يهدد سير الحياة ونموها» ويرى هؤلاء العلماء «أننا اليوم لا نستطيع أن نقدم تحديداً سليماً لمعنى الصحة النفسية بمعزل عن الخلق»[1].

ونجد في الدين الإسلامي ايضاً ما يبين أهمية الخلق القويم كعامل هام من أجل طمأنينة النفس. فذكر الله عز وجل وتلاوة القرآن وتدبر معانيه والصلاة وغيرها من الفرائض - عندما يحسن المرء الخشوع فيها ويبتغي منها رضوان الله - كلها عوامل تبعث في النفس السكينة

---

(١) عبد السلام عبد الغفار: مقدمة في الصحة النفسية، القاهرة: دار النهضة العربية، ١٩٧٧م.

والطمأنينة شريطة أن يقرن العمل الصالح بالقول الصالح وأن ترتبط تقوى الله ومخافة مقته وغضبه بالذكر والتلاوة والصلاة. وقد ساعد الإيمان القوي المسلمون الأوائل على توحيد صفوفهم، ومكنهم من تحمل المشاق، وهو أيضاً من أبرز مظاهر الصحة النفسية لإرتباطه عادة بالخلق القويم.

وهناك تعاريف تتناول مظاهر سلوكية معينة مثل تقبل الفرد الواقعي لحدود وإمكانياته ويقصد بهذا فهم النفس وتقييم الفرد الواقعي الموضوعي لقدراته وإمكانياته وطاقاته، فعليه مثلا أن يعرف نواحي قصوره ويدركها جيدا، وان يتقبل مبدأ الفروق الفردية بين الناس، وعلى هذا عليه ألا يضع لنفسه أهدافا من الصعب تحقيقها إقتداء بالآخرين الذين هم أكثر منه قدرة وكفاءة بل ان تكون مستويات طموحه مناسبة لقدراته الفعلية.

ومن هذه المظاهر التي تعتبر من مؤشرات الصحة النفسية إستمتاع الفرد بعلاقات اجتماعية مع الآخرين، أي حب الفرد للمجموعة التي يعيش ويعمل معها على اختلاف رتبهم والثقة فيهم واحترامهم وتقبلهم والاعتقاد في ثقتهم المتبادلة ووجود روح الانتماء للوحدة والقدرة على التضحية وخدمة الآخرين.

ولكي يتمتع المقاتل بصحة نفسية جيدة يجب أن يكون ناجحا في عمله وراض عنه. فمن علاماتها المميزة الانتاج. لأن الشخص المعتل نفسيا عادة ما تستنفذ معظم طاقاته في مواجهة الصراعات والمشكلات النفسية التي يعاني منها، وعلى هذا فهو يعوزه الحماس ويتعرض بسرعة للإرهاق. وعادة ما يكون أقل نفعا لوحدته من زملائه الذين يستمتعون بصحة نفسية وبالتالي يكون لديهم مستوى عالٍ من الحيوية والقدرة على آداء الأعمال الشاقة. ومن هنا تبرز أيضاً أهمية ملائمة العمل لقدرات

الفرد وميوله وتعليمه وخبراته السابقة قبل التحاقه بالجيش، وسنعرض عنها بالتفصيل في فصل انتقاء وتوزيع الأفراد على المهن المختلفة.

ويُولد عدم نجاح الفرد في عمله حالة عدم رضاء عنه، أي عن العمل، وهي حالة يرى بعض علماء النفس انها ترتبط بالرضا الكلي عن الحياة وتسبب عند الفرد نوعا من عدم التوافق ونقصا في الثقة بالنفس كما تساعد كذلك على ظهور الأنانية والسلبية، وكلها أعراض يمكن أن تتفاقم آثارها عند الفرد وبخاصة عندما يترتب عن انخفاض مستوى آدائه من نبذ لقادته له وعدم تكليفهم له بمهام رئيسية وربما استخدام وسائل عقابية معه لأنه غير منتج ومثالا سيئاً لغيره من الأفراد.

ويعتبر علماء النفس أن تصدي الفرد لمسئولية أفعاله وقراراته مظهر هام من مظاهر الصحة النفسية. وتكثر في القوات المسلحة المواقف التي تتطلب من الضابط سرعة اصدار قرارات مختلفة أو اختيار تصرف معين. وعادة ما يراعي الضابط في هذا متغيرات متعددة منها على سبيل المثال قواعد الانضباط العسكري وما قد يتعارض معها من عوامل تتعلق بالروح المعنوية للأفراد أو جوانب تتعلق بأمن الوحدة أو راحة الأفراد المرؤوسين. وقد تكون بعض قرارات الضابط موضع حساب من رؤسائه. وعادة ما تعكس قدرة المقاتل على تحمل مسئولية قراراته وتصرفاته ما يتمتع به من تكامل وتماسك في شخصيته. فالأفراد عادة ما يختلفون في مدى تحملهم لمسئولية قراراتهم أو تصرفاتهم. فهناك من يتحملون كل ما يترتب عنها مهما تضمنته من أخطاء وهناك من يحاولون دائما أن ينسبون اخطاءهم وقصورهم إلى الآخرين وبخاصة مرؤسيهم من الجنود والضباط. وهم يلجأون في هذا لاستخدام حيل عقلية كالتبرير والإسقاط، تشير إلى عدم التوافق النفسي وتجعلهم موضع كراهية وعدم ثقة من مرؤوسيهم، هذا بعكس القادة الذين يواجهون جوانب قصورهم بشجاعة أدبية والذين يكسبون دائما ثقة مرؤوسيهم.

ومن التعاريف التي لها أهميتها تلك التي تحاول المقارنة بين عوامل الصحة النفسية والصحة الجسمية، حيث يرى القوصي أن الصحة النفسية هي «التكامل بين الوظائف النفسية المختلفة والقدرة على مواجهة الأزمات النفسية العادية مع الإحساس الإيجابي بالسعادة والكفاية» ويتحدث عن هذا التكامل فيقول انه «توافق بين الوظائف النفسية المختلفة وخلو المرء من النزاع الداخلي» فخلو المرء من النزاع الداخلي وما يؤدي إليه هذا النزاع من توتر نفسي وتردد والقدرة على حسم هذا النزاع حال وقوعه هو شرط هام للصحة النفسية.

ويؤكد القوصي أن هذا التوافق لا يمكن تحقيقه في العادة إلا إذا تشبع الفرد بالإيمان والخلق القويم حيث يقترح أن الشخص السعيد حقا هو الإنسان القوي الذي يحاول أن يوجه افعاله نحو الخير والذي لا تتعارض حاجاته ورغباته مع مصالح الإنسانية. إذ أن عدم وجود مثل هذا التعارض يقلل من الصراعات الداخلية لديه[١].

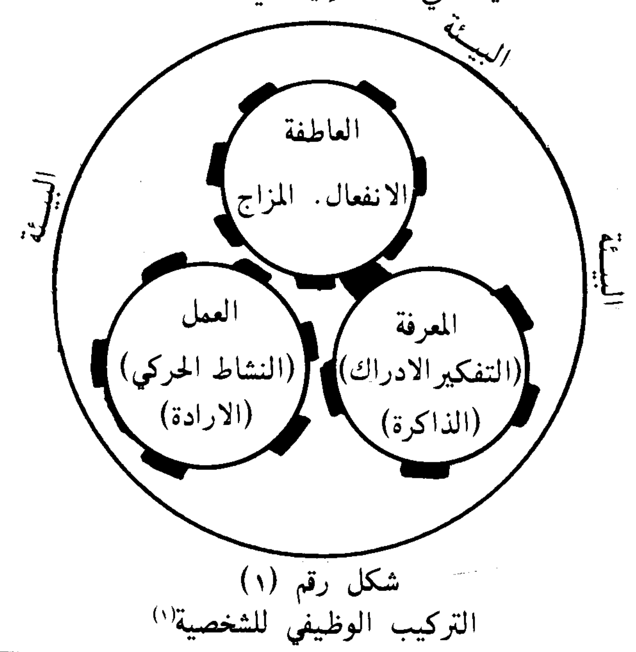
ومن المفيد كي يتضح هذا التعريف اجراء موازنة بين منهج كل من الصحة النفسية والصحة الجسمية. فالأخيرة يمكن الوصول إليها بمناهج ثلاثة: منهج علاجي وهو يساعد الفرد العادي على التخلص من مرض او انحراف ومنهج وقائي لتجنب الإصابة بمرض ما ومنهج إنشائي أو إيجابي وهو ما يتبعه الفرد العادي كي يزيد من نشاطه ويتمتع بالشعور بالقوة. وهذه المناهج الثلاثة ليست منفصلة تماما عن بعضها ولكنها متداخلة تداخلا كبيراً. كذلك الصحة النفسية فهناك المنهج العلاجي وهو ما يتبع لعلاج الفرد من مرض حتى يعود إلى حالة التوازن النفسي. وهناك ايضا المنهج الوقائي وهو الطريق الذي يسلكه

---

(١) عبد العزيز القوصي: أسس صحة النفسية. القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ١٩٦٢م.

الفرد مع نفسه ومع غيره حتى يقي نفسه أو غيره من الوقوع في حالة اضطراب نفسي. وهناك المنهج الانشائي وهو ما يحتذيه المرء ليزيد من شعوره بالسعادة وليزيد من كفاءته إلى أقصى حد مستطاع ومن أمثلته المحاولات التي تجري لتقوية الذاكرة، أو الشخصية أو الإرادة. وسواء كانت هذه المحاولات صحيحة أم غير صحيحة من حيث الأساس العلمي الذي تستند عليه إلا أنها موجودة للغرض الإنشائي ويقابلها في الناحية الجسمية محاولات زيادة القوة عن طريق التغذية والرياضة البدنية وغير ذلك.

وتختلف نظرة علماء النفس إلى مكونات الشخصية باختلاف المدارس التي ينتمون إليها ولكن هناك شبه اتفاق بين المدارس الحديثة حول تكوين الوظائف النفسية التي يشار إليها في تعريف الصحة النفسية. فهم



شكل رقم (١)
التركيب الوظيفي للشخصية[1]

---

(1) Arieti. S. (ed): American handbook of psychiatry. 2nd ed, Basic Books, .New York, 1974

يرون أن التركيب الوظيفي للشخصية يتكون من عناصر هي المعرفة Cognition (وتشمل التفكير والإدراك والذاكرة) والوجدان (كالانفعال والعاطفة والشعور والمزاج) ثم العمل (ويتضمن النشاط الحركي والإرادة). كما هو موضح بالشكل. ونجد أن هذه الوظائف تسير - في الحالات العادية - جنبا إلى جنب في توافق وانتظام، وكأن الشخصية ساعة ذات ثلاث تروس تسير مرتبطة ببعضها بنسب محددة (مثل النسب التي بين تروس الساعات والدقائق والثواني مثلا) ويكون وجه الساعة هو المظهر العام للإنسان ولنضرب مثالا لكيفية سير هذه الوظائف في اتفاق وتتابع. فلنفرض أن هناك جندي يعمل ضمن أفراد دورية استطلاع ليلية داخل أراضي العدو ثم فوجىء اثناء سيره بضوء قوي انبعث نتيجة اطلاق أحد أفراد العدو المكلفين بالحراسة لطلقات إشارة. فعملية تمييز الجندي لمصدر الضوء هي عملية معرفية نعتبرها إدراكا حسيا. ثم يعقب هذا الحدث الفجائي انفعالاً من الجندي لأن إطلاق مثل هذه الطلقات من العدو يشير إلى أن أفراده المكلفين بالحراسة قد ارتابوا في وجود أشخاص يتحركون وربما يعقب هذا إطلاق العدو نيرانه نحوهم وهذا الانفعال سواء كان باعثا على القتال أو الخوف أو مثيراً للنشاط واليقظة الزائدة فإنه يدخل ضمن تنظيم العاطفة ويلي الانفعال مرحلة الآداء وفيها ينزع الجندي نحو تصرف ملائم لهذا الموقف إما بالثبات دون آداء أي حركة وهي من المهارات التي تساعد على عدم اكتشافه بمعرفة العدو أثناء الليل وأما يضطر الجندي إلى القتال أو التملص من العدو تبعا للموقف. وهذا هو العمل والذي ترتب عن المعرفة والانفعال.

ويرى كثير من المشتغلين بالعلاج النفسي أن معظم الأمراض النفسية تنحصر في اضطرابات وظيفية في مجال أو أكثر من هذه المجالات، ثم يتبع هذا الاضطراب اختلال في وظائف المجالات الأخرى أو أن

الاضطراب يكون أساساً في العلاقة بين هذه الوظائف بعضها ببعض. فضلا عن اضطراب كل وظيفة على حدة. وهكذا نود الإشارة إلى أنه عندما نتعرض لوصف بعض الأمراض النفسية فإن هذا الوصف لا يخرج عن كونه دراسة تأثير كل مرض على كل وظيفة على حدة ثم على الوظائف مجتمعة أي على الشخصية ككل.

ولزيادة ايضاح دور هذه المكونات على الصحة النفسية نعود مرة أخرى إلى الصحة الجسمية حيث نجد أن من تعريفها: توافق تام بين وظائف الجسم المختلفة مع القدرة على مواجهة الصعوبات العادية المحيطة بالإنسان مع الإحساس الإيجابي بالنشاط والقوة والحيوية.

ويقصد بالتوافق هنا أن تكون الوظائف الجسمية متعاونة تعاونا تاما لصالح الجسم كله. فلا يجوز في الحالة الصحية أن يقوم عضو من الجسم بنشاط أكبر أو أقل مما يتطلبه الجسم كله وإلا نشأت حالة مرضية مثل زيادة أو نقصان نشاط غدة ما من الغدد عما يتطلبه الجسم كله. فازدياد نشاط الغدة الدرقية أكثر من اللازم يؤدي إلى مرض التواتر الجحوظي كما أن خمولها يؤدي إلى مرض القصاع أو القزامة. كذلك تقل الصحة الجسمية أو قد تنعدم إذا ما استقلت مجموعة من خلايا الجسم - لسبب ما - عن بقية الأنسجة المحيطة بها - ونمت نموا سريعا حيث تتحول إلى خلايا خبيثة لا تقوم بوظيفة ما في الجسم سوى الدمار للخلايا الطبيعية. وتسحب عندئذ كثيراً من نشاط الجسم وغذائه لحسابها الخاص. وينعدم في هذه الحالة التوافق حيث لا تعمل اجزاء الجسم لصالح المجموع[1].

---

(١) عبد العزيز القوصي: أسس صحة النفسية. القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ١٩٦٢م.

ويلاحظ مثل هذه الاضطرابات بين وظائف الشخصية وسوء التوافق في كثير من الأمراض النفسية. ففي مرض الفصام مثلا يظهر تفكك بين الوظائف النفسية. فإذا تذكرنا أن وظائف الشخصية هي «التفكير والعاطفة والعمل» فإن التفكك هنا يعني أن كلا منها يسير في واد، فالتفكير في واد، والعاطفة في واد والعمل الفعلي قد يوافق أحدهما ويخالف الآخر أو لا يوافقهما إطلاقا، أو بمعنى آخر لو شبهنا الشخصية بساعة لها ثلاث تروس لأمكن أن نتخيل أن كل منها يسير كيفما اتفق دون اعتبار للآخر ومعنى هذا أن الساعة تصبح فاسدة، وعاجزة عن تأدية وظيفتها. وهذا هو ما يفعله الفصام في الشخصية تماما حينما يستتب أمره. هذا إلى جانب وجود تفكك داخل الوظائف نفسها بمعنى أن التفكير ذاته - مثلا - بعد أن يكون متسلسلا ذا فكرة رائدة وهدف واضح يتفكك ويفقد هذه الفكرة المركزية Central idea وتصبح الأفكار غير مترابطة ومتداخلة وهكذا ايضا تتفكك العاطفة والوجدان[1].

ويتصل الجزء الثاني من التعريف بالجزء الأول وهو القدرة على مواجهة الصعوبات العادية، حيث يتعين أن يقاوم الجسم مثلا أي تغيرات في درجة الحرارة مثلا أو التغيرات المألوفة في التغذية (نوع الغذاء أو مواعيده) بحيث تقع هذه التغيرات في حدود معينة. ومن أمثلة أساليب التكيف سرعة النبض، تغير درجة حرارة الجسم أو هجوم كرات الدم البيضاء على مناطق إصابة الجسم بالميكروبات الضارة.

---

(1) Arieti, S. (ed.): American handbook of psychiatry. 2nd ed, Basicbooks, New York, 1974.

والتوافق والقدرة على مواجهة الصعوبات ليسا في الواقع منفصلين وإنما هما جزء واحد، فالتوافق بين وظائف الجسم هو التعاون بين أعضائه لتساعد هذه الأعضاء الجسم على الحياة في البيئة الطبيعية إلى جانب مواجهة الصعوبات التي قد تنشأ في هذه البيئة. وتستعمل أحياناً الكلمة الانجليزية Integration لتعني التكامل: وهي مشتقة من كلمة Integer ومعناها عدد صحيح أو كمية كاملة، وكلمة صحة مصدر الصفة المشتقة من كلمة صحيح أي غير مقسم.

فالصحة النفسية بهذا التعريف السابق ليست مجرد خلو من الأعراض المرضية ولكنها قدرة على مواجهة الصعاب والضغوط النفسية. وكما أوضحنا فالحياة العسكرية تتسم بطابع يختلف إلى حد كبير عن طابع الحياة المدنية. إذ أن مقتضيات الحرب أو الاستعداد لها يستوجب على المجتمع العسكري أن يفرض على أعضائه طاعة شبه مطلقة. كما أن وجود تمايز رسمي شديد بين مختلف الرتب يضع لكل رتبة حدوداً لسلوكها العسكري لا يجوز للفرد تجاوزه بأي حال. وهذه العوامل وغيرها تجعل الحياة العسكرية حياة ضاغطة كفيلة بأن تعرض تماسك الشخصية وكيانها لاضطراب بالغ إن لم يكن لديها (الشخصية) قدراً من التكامل والتوافق يتيح لها تخطي مثل هذه الصعاب.

أضف إلى ذلك أن عوامل الضغط هذه تبلغ أشدها في المواقف العسكرية وبخاصة قبيل المعركة أو أثنائها. فحينما يتعرض كيان الشخصية وسلامتها للخطر تثور صراعات نفسية شديدة لدى بعض الجنود بين الرغبة في الفرار طلبا للأمن والبقاء تأدية للواجب أو خوفاً من العقاب أو العار. وعلى هذا يهتز بناء الشخصية ويصير عرضة للتفكك والانهيار. وإذا كان المرء قائدا أصبحت مشكلته اعظم إذ تتضخم أعباء مسئولياته فهو مسئول عن تأمين جنوده وكل ما يتعلق

بإعاشتهم وإعدادهم وتوجيههم هم ومعداتهم خلال مراحل القتال، وعليه أن يتوصل إلى أفضل القرارات حيال كل شيء يتعلق بالموقف التكتيكي أو الإداري لوحدته. هذا رغم ما قد يعانيه من إجهاد جسماني وعقلي. وعليه أن يكون ايضاً مثالا في عدم التردد والشجاعة حتى يقتدي به جنوده. ويلاحظ أنه في بعض الأحيان أثناء القتال قد لا تكون هناك حدودا للمسئولية التي يمكن أن يضطلع بها قائد الوحدة. فقد تكون الوحدة التي يقودها صغيرة نسبياً كسرية أو كتيبة إلا أنها تكلف بمهمة تأمين أحد أجناب لواء أو فرقة بأسرها كما هو الحال في وحدات الاستطلاع مثلا.

وتبدو أيضاً أهمية المفهوم التكاملي للوظائف النفسية عند الكلام على كثير من الظواهر الاجتماعية في المحيط العسكري. ونحن نسمع كلاما كثيرا عن القيادة العسكرية الناجحة والروح المعنوية العالية وعلاج اضطرابات السلوك وهو كلام لا طائل تحته طالما يتجاهل حقيقة بسيطة هامة وهي اننا بصدد كائنات انسانية لها شخصياتها التي تتأثر بالانفعالات والدوافع والمثيرات والعادات المكتسبة وغير هذا من مفاهيم نفسية يجدر الإلمام بها ودراستها.

هذا وسنعود إلى دراسة بعض مظاهر الاضطرابات النفسية بين المحاربين بعد عرض لأهم الانفعالات التي يتأثر بها المقاتل.

ثانيا: الانفعالات

الانفعال هو حالة شعورية مركبة يصحبها نشاط جسمي وفسيولوجي مميز. وتشبه الانفعالات الدوافع من حيث كونها حالات داخلية لا يمكن ملاحظتها أو قياسها بطريقة مباشرة. وقد تنشأ فجأة أثناء تفاعل الأفراد مع الخبرات التي يتعرضون لها. وربما تبلغ حدا لا يمكن للفرد معه التحكم فيها بسهولة أو كفها. وعلى الرغم من أن الانفعالات قد

تتسبب في شعور الإنسان المؤقت بعدم القدرة على السيطرة على سلوكه والتحكم فيه، فإنها في بعض الأحيان لا تجبره على سلوك معين بل انها قد تزيد من الاستثارة والتهيج، حيث يلاحظ أن السلوك يتأثر بعوامل أخرى مثل التعلم والمحتوى الاجتماعي الذي يحدث فيه. ومع هذا فقد يستجيب الأفراد للمشاعر الانفعالية بأفكار أو كلمات أو أفعال تبدو غير مناسبة للموقف الذي يواجهونه.

وقد أشار عالم النفس الامريكي «ولتركافون» منذ أكثر من خمسين عاما إلى أن الاستجابات الفسيولوجية المرتبطة بالانفعالات تزود الحيوانات بالطاقة اللازمة لمواجهة الطوارىء. وقد خلص من دراساته إلى أن المواقف التي تثير الألم، الغضب الشديد، أو الخوف تؤدي إلى تغيرات جسمية معينة تعد الكائنات للتعامل بنشاط وقوة مع التحديات التي تواجهها. فمثلا لو تطلب الأمر من حيوان ما اجراء فعل سريع مفاجىء - وليكن انتزاع الطعام واغتصابه من حيوان آخر أو تجنبه، أو قتاله - فإن الاستثارة الانفعالية هذه تزيد من احتمال البقاء على قيد الحياة[1].

وتتولد ردود افعال فسيولوجية اثناء الانفعالات من كل من الجهاز العصبي المركزي والجهاز العصبي المستقل والغدد الصماء ويمكن إيجازها في الآتي:

(١) الجهاز العصبي المركزي: تقوم الدوائر الموجودة داخل الجهاز العصبي المركزي باستثارة وتنظيم وتكامل الاستجابات التي تصدر أثناء الانفعال. وتشترك القشرة المخية (اللحاء) Central contex أو القشرة Contex، في تحديد البيانات الحسية والسلوك التالي لها، وتقويمها واتخاذ

---

(١) دافيدروف (ترجمة سيد الطواب وآخرون): مدخل علم النفس (الطبعة الثانية). القاهرة: دار ماكجروهيل للنشر، ١٩٨٠م.

القرارات بشأنها. وتلعب كل من الأفكار، والتوقعات والمدركات الناشئة هنا ادوارا هامة في المحافظة على السلوك والمشاعر المصاحبة له، أو العمل على القضاء عليها وتلاشيها.

أما التكوين الشبكي Reticular Formation وهو شبكة من الخلايا العصبية موجودة في جذع المخ فيقوم بانذار وتنبيه القشرة إلى المعلومات الحسية الهامة[1]. ومن خلال الجهاز العصبي المركزي يتم ترشيح وتمييز أهمية المعلومات المتعلقة بالأحداث المثيرة للانفعال المحتمل. وعندئذ، يقوم التكوين الشبكي بحث القشرة التي تقوم بدورها بإعطاء هذا الأمر انتباهها التام. وذلك لأننا يجب أن نكون منتبهين وعلى حذر عند مواجهة طارىء ما حتى تصدر الاستجابة الملائمة له. ويعتبر المهيد (السرير التحتاني أو الهيبوثيلاموس) - وهو الجزء الذي يتوسط النصفين الكرويين - مسئولا عن تنشيط الجهاز العصبي السمبتاوي اثناء حدوث الطوارىء. كما يلعب دورا في مشاعر الخوف والغضب الشديدين.

(٢) الجهاز العصبي المستقل: ويعمل القسمان المكونان للجهاز العصبي المستقل وهما: الجهاز العصبي السمبتاوي والجهاز العصبي الباراسمبتاوي على استمرار وجود حالة توازن داخلي. وينزع الجهاز العصبي الباراسمبتاوي إلى أن يكون أكثر نشاطاً عندما تكون الكائنات الحية هادئة نسبياً، مثلا عند هضم الطعام والنوم، والنقاهة من المرض. بينما يتولى الجهاز السمبتاوي الأمر في حالة الطوارىء أو في الوقت الذي يحتمل حدوث انفعال قوي خلاله، وهو يعبىء ويحشد مصادر الجسم

---

(١) أحمد عكاشة: علم النفس الفسيولوجي. القاهرة: دار المعارف، ١٩٨٢م.

لتعمل وتتصرف. ويشرف الجهاز السمبتاوي على عدد من الأنشطة تتضمن:

(أ) إعادة ضخ الدم إلى القلب، الجهاز العصبي المركزي والعضلات بحيث تعطي الفرصة للكائنات للتفكير بوضوح والتصرف بسرعة.

(ب) اطلاق السكر من مخازنه في الكبد لتزويد العضلات بالطاقة.

(جـ) اعداد الدم ليتجلط بسرعة حتى تندمل الجروح.

(د) تعميق التنفس بحيث يستقبل تيار الدم اكسجيناً إضافيا لتزويد الجسم بالطاقة. وفي أثناء الأزمات يقوم الجهاز السمبتاوي أيضاً باستثارة الغدد الكظرية (فوق الكلوية).

(٣) الغدد الكظرية: تقع الغدد الكظرية أعلى الكليتين وعندما تحدث الخبرات المثيرة للانفعال، تفرز الغدد الكظرية هرمونات الادرينالين والنورادينالين، وهي تقوم بتنشيط نفس المراكز التي قام الجهاز العصبي السمبتاوي بتنشيطها بالفعل. بما فيها مراكز الدورة الدموية والتنفس. ويستمر إفراز تلك الهرمونات ما دام الجسم لا يزال يقظاً ونشيطاً بدرجة مرتفعة إلى أن تمر الأزمة، او يتوقف الإنهاك والتعب الشديدين.

وللانفعالات فوائد ومضار، فالمعتدل منها والمنشط له بعض فوائد منها:

(١) أن الشحنة الوجدانية المصاحبة الانفعال تزيد من تحمل الشخص وتزوده بدوافع ورغبات تدفعه إلى مواصلة العمل لتحقيق الأهداف المرجوة. وهناك من-القادة من تتوافر لديهم قدرات ظاهرة على إثارة حماس وانفعالات مرؤسيهم وتوليد دافعية قوية لديهم نحو العمل بأساليب مختلفة مثل التشجيع بكلمات الثناء والشكر والتقدير أو إيضاح بعض أبعاد الموقف العسكري بغرض إبراز أهمية المهام المطلوبة

من الضابط أو الجندي - وهذا يؤدي إلى تفاني لا حدود له في الآداء.

ويؤكد بعض الباحثين أن لا مفر من الاعتراف بوجود قدر من الانفعال والوجدان في علاقة الشخص بواقعه وإدراكه له. فكل علاقة تنشأ بين الإنسان وبيئته لا بد وأن تتلون بدرجة ما بوجدان معين بل نستطيع القول أن مجرد وجود صلة بين الشخص وموضوع في العالم الخارجي يعني وجود رباط وجداني بينهما يكون خافياً وغير ظاهر. كما أن عدم اهتمام الشخص بموضوع خاص في عالمه يعني انه - رغم فهمه وقدرته على التفكير فيه - لا يرتبط وجدانيا بهذا الموضوع. فالشخص الذي لا يهتم بقراءة صفحة الرياضة في الجريدة يدل بهذا على عدم وجود وجدان خاص تجاه هذه الموضوعات.

(٢) للانفعال قيمة اجتماعية. إذ تكون التغييرات السلوكية المصاحبة له ذات قيمة تعبيرية تربط بين الأشخاص وتزيد في فهمهم لبعضهم البعض من الناحية الشعورية.

(٣) الانفعالات مصادر للسرور: فكل إنسان يحتاج إلى درجة معينة منه إذا زادت أثرت على سلوكه وتفكيره وإذا قلت أصابته بالملل.

(٤) يهيء الانفعال الفرد لمواجهة المواقف الطارئة كما ذكرنا بواسطة التغيرات الفسيولوجية المصاحبة له.

ومع هذا فللإنفعال مضار يمكن إيجاز بعضها كالآتي:

(١) يؤثر الانفعال على التفكير فيمنعه من الاستمرار أو يجعله غير واضح كما هو الحال في الغضب أو الخوف، أو يجعله بطيئاً وصعباً كما هو الحال في الحزن والاكتئاب. ويمكن أن تعوق الضابط أو الجندي عن التوصل إلى حلول أو قرارات صائبة خلال المعركة أو التدريب. وقد يترتب عن الانفعالات توتر يؤثر على كفاءة الأفراد في الأعمال التي

تتطلب أداءً دقيقاً كالرماية بأنواعها أو العمل على الآلات والأجهزة المعقدة.

(٢) يقلل الانفعال من قدرة الشخص على النقد أو اكتشاف الأخطاء وكذلك يعرقل من دقة الملاحظة، وعلى هذا فربما يؤدي الانفعال إلى إعاقة الأفراد المكلفين بأعمال الاستطلاع عن المراقبة الصحيحة لأوضاع وتحركات قوات العدو أو إعاقة ضباط المراقبة في وحدات المدفعية عن التوجيه الدقيق لنيران المدفعية. وكثيرا ما تؤدي الانفعالات إلى اغفال أشياء كثيرة في اعمال ومهام القائد أو الضابط بل إن تصرفات الشخص في الحالات الشديدة قد ينعدم فيها التروي ولا تخضع كلية لرقابة إرادته مما يجعلها - أي التصرفات - تبدو عشوائية مشوهة.

(٣) يؤثر الانفعال على الذاكرة فيما يختص بالأحداث التي تتم أثناء فترة الانفعال.

(٤) يساعد الانفعال على تفكك المعلومات الدقيقة والمكتسبة حديثاً، فتغلب المعلومات الغريزية الآلية على التفكير والسلوك، مما قد يؤدي إلى سلوك اجتماعي غير مهذب لا يتناسب مع مقتضيات المروءة والتضامن الاجتماعي كما قد يحدث أحياناً في بعض المواقف في الحروب، وبخاصة في حالات التقهقر أو الهزيمة.

(٥) إذا توالت الانفعالات بشكل مستمر دون أن تنتهي المواقف المسببة لها نهاية سوية استمرت التغيرات الفسيولوجية المصاحبة للانفعالات، مما يؤدي في النهاية إلى تغيرات عضوية في الأنسجة، وبهذا تنشأ الأمراض المسماة بالأمراض النفسية الجسمية أو السيكسوماتية[١].

---

(١) أحمد عكاشة: علم النفس الفسيولوجي. القاهرة: دار المعارف، ١٩٨٢م.

ومن الظواهر المصاحبة لبعض الانفعالات والتي يجوز أن ننوه عنها في المجتمع العسكري هي:

١ - العدوان والغضب:

يمكن تعريف الغضب بأنه انفعال يتميز بدرجة عالية من النشاط في الجهاز العصبي السمبتاوي وبشعور قوي من عدم الرضا سببه خطأ وهمي أو حقيقي. أما العدوان فيعرف بأنه أي عمل يهدف إلى الإضرار بالناس أو الممتلكات.

وهناك ثلاثة نظريات رئيسية لتفسير العدوان أولها النظرية البيولوجية وترى أنه مكون أساسي في طبيعة الإنسان وان أي محاولة لاستبعاده ستنتهي بالفشل لأن كثيراً من العلاقات الإنسانية يحركها من الداخل هذا الشعور بالعدوان وأنه من الأفضل أن يتمكن الأفراد من التعبير عنه بطرق بناءة، وانه أي العدوان - يكمن وراء القدرات الابتكارية والخلاقة الموجودة لدى الأفراد.

وقد أجرى أصحاب هذه النظرية معظم دراساتهم على الحيوانات وخرجوا منها بأنه له صور متعددة فهناك عدوان نابع من الخوف ويقدم عليه الحيوان عندما يواجه مأزقاً يهدد أمنه أو حياته وهناك عدوان تهجمي ينتج عن تعرض الحيوان لصدمة وأيضاً هناك عدوان الأمومة والذي تلجأ إليه الحيوانات عندما تتعرض صغارها للتهديد أو الخطر وهناك العدوان الجارح والناتج عن الغضب. وقد تبين أن تنبيه بعض المراكز العصبية في المخ وبخاصة في المهاد التحتاني يؤدي إلى أنواع مختلفة من العدوان[١].

---

(١) دافيدروف (ترجمة سيد الطواب وآخرون): مدخل علم النفس. القاهرة: دار ماكجروهيل للنشر، ١٩٨٠م.

وهناك أيضاً نظرية التعلم الاجتماعي التي تؤكد على أعمال التعزيز والإثابة التي تتبعها مجتمعات معينة للتشجيع على العدوان كما يحدث في حوادث الأخذ بالثأر. هذا إلى جانب دور عمليات التقليد والمحاكاة. حيث يشب الأطفال مثلا على تقليد السلوك العدواني عند الكبار. وقد ثبت أن رؤية الطفل لموقف بطولي عنيف في التليفزيون لمدة دقائق يمكن أن يؤثر على سلوكه العدواني لعدة شهور.

ويتضح هنا أيضاً دور الجماعة والمجتمع في نشأة أعمال العنف حيث نرى أمثلة كثيرة تبين كيف يتحول الفرد الهادىء الى ما يشبه الوحش المفترس تحت تأثير سيكولوجية الجماعة في الاضطرابات والحروب، وأقرب أمثلة لدينا ما يحدث في مباريات كرة القدم من عنف غريب عن طبيعة الشخص نظرا لتواجده في مجموعة متحمسة من الأفراد، فتحت تأثير الجماعة يقل التفكير المنطقي، وتبتعد القوى الاجتماعية التي تكف العدوان ومن ثم تظهر جميع الاندفاعات العدوانية المكبوتة باتجاهاتها المختلفة ناحية التحمس والعنف.

ونحن نرى قمة تأثير الايحاء في حشد وزمرة الناس، وعامل العدوى هنا له أهميته، فأي عمل فردي عنيف ينتشر بين الجماعة، والعنف يولد العنف.

أما النظرية الثالثة فتقوم على أساس فرض الاحباط - العدوان الذي وضعه دولارد وزملاؤه والذي أوضحناه في حديثنا عن توافق الفرد في المجتمع العسكري. ويمكن أن نضم - تبعاً للدراسات التي أجريت حول هذا الفرض - الى قائمة الاحباط المسبب للعدوان - الألم الجسدي والتعب والملل والتقريع والاهانة والتهديد وغير ذلك من عوامل الاستفزاز النفسي والجسدي والضيق. وكثيرا ما يكون الغضب مصحوباً برغبة في الثأر عن طريق العدوان. وبالرغم من أن بعض

الدراسات العملية قد أوضحت أنه ليس من الضروري أن يتلازم الغضب والعدوان حيث قد يؤدي الغضب في بعض الحالات الى سلوك صامت أو انسحاب أو انهيار أو سلوك بناء وغير هذا من تصرفات إلا أن الدراسات التي أجريت عن كف وابدال وهدف السلوك العدواني لورشيل Worchel ١٩٥٧م وهوكانسون Hokanson ١٩٦١م وغيرهم تشير الى امكانية ارجاء حدوث الاستجابات العدوانية الناتجة عن الاحباط أو ظهورها في صور أخرى متعددة[١].

أما عن التعرض للألم الجسدي، فقد وُجد أن الثعابين السامة والسلاحف والفئران والثعالب والقطط وبعض أنواع الدببة وحيوانات أخرى كثيرة، تلجأ الى مهاجمة أي شيء سواء كان حيواناً آخر أو دمية أو كرة تنس أو أنبوبة على نحو أشبه بالفعل المنعكس. فالحرارة الشديدة، والضربات البدنية وأي مصدر من مصادر الألم قد يدفع الحيوان الى القتال، والاستجابة تكون في هذه الحالة لها قيمة المحافظة على الحياة ووسيلة لرد المثير المؤلم. ومع أن الناس لا يردون على الالم أو أي خبرات أخرى بعدوان انعكاسي إلا أنهم يميلون الى الشعور بالغضب وإيذاء الآخرين خاصة بعد عقاب بدني.

وقد استغلت هذه الظاهرة لاعداد الجنود للمعركة. حيث يتم التدريب الجسماني الشاق والضغوط النفسية المختلفة حيث يتم السير لمسافات طويلةبسرعة وقسوة والتعرض لجو شديد قاس مثل الحرارة الشديدة أو البرودة ووضع اسلاك الاعثار بكثرة في طريق سير الأفراد واستمرار التدريب ليل نهار دون وجود فترات كافية للراحة والسير على الأراضي الوعرة أو الصعبة مع وجود روائح كريهة عفنة واشياء قذرة

---

(1) Megargee, E.L. & Hokanson J. E., The Dynamics of Agression, New York Harber & Row, 1970.

الملمس بهذه الأراضي (جثث حيوانات)، وفرض اعطال في الاسلحة والمعدات ونقص في المهات مع الاكثار من طلبات الرئاسات أو القيادات في فرض المواقف المختلفة هذا الى جانب التعرض المستمر للانفجارات والضجيج وغير هذا من عوامل. (وقد وصف أحد البحارة السابقين فترة التدريب للقتال في فيتنام بأنها مزيج من التعذيب والارهاب والاذلال[1]). ومن الطبيعي أن يعقب هذا التدريب الشاق فترات راحة كافية قبل دخول المعركة.

ويلاحظ كذلك أن عمليات قتل الجنود الأمريكيين للمدنيين الفيتناميين تعتبر عمليات عدوان ناجم عن باعث **Instremental Aggression** أو عدوان وسيلي. وهو عدوان ليس بدافع من إنفعال الغضب وإنما لتحقيق هدف معين هو تنفيذ للأوامر ولو على الأقل جزئياً، ربما لاختفاء المحاربين الفيتناميين وسط الأهالي المسالمين وعدم وجود سبيل غير هذا للقضاء عليهم. هذا من جهة أما العدوان الذي وُوجه به الأمريكيين من الفيتناميين فكان عدواناً مبعثة الغضب أو الكراهية **Anger Instigated Aggression** بسبب سخطهم على قتل وإصابة أطفالهم وذويهم على يد القوات الأمريكية. وقد استخدم في كثير من الجيوش أسلوب إثارة السخط لدى الجنود لتنمية الروح القتالية عندهم. وذلك عن طريق ايضاح ما يسببه العدو من ظلم وطغيان ودمار لوطنهم وأهلهم. وتتعدد أيضاً العوامل التي يمكن أن تحفز الجندي نحو القتال ويمكن إيجاز بعضها فيما يلي:

(أ) وجود مبدأ يحارب من أجله ويعتقد أنه صواب. وقديماً قال نابليون بونابارت إن الخوف من العار أقوى من الخوف من الاصابة

---

(١) دافيدروف (ترجمة سيد الطواب وآخرون): مدخل علم النفس (الطبعة الثانية) القاهرة: دار ماكجرو هيل للنشر، ١٩٨٠ (ص ٥٠٨).

والموت ونلاحظ أن المسلمون الأوائل استبسلوا في القتال في سبيل رفع راية الاسلام. وعندما يتضح الهدف في ذهن الجندي فإنه يكون مستعدا لأن يقدم نفسه لخدمة الجيش دون اعتبار لمصالحه الشخصية. ويتأثر هذا الهدف بما يسمعه الجندي من قائده أو ما يتأثر به من افكار سائدة في مجتمعه والتي ينادي بها المسئولون من السياسيين والقادة.

(ب) قد يدفعه الى القتال ميول عدوانية طبيعية، أو محاولات لا شعورية لتخفيف ما يعانيه من ألم أو إحباط (ابدال العدوان) عن طريق العنف والذي يعتبر في الحرب له صفة قانونية شرعية في نظر المجتمع. وقد تبين حديثاً لدى بعض العلماء الأمريكيين[1] في جامعة سانفورد أن زيادة الضغوط الحسية والعقلية تؤدي الى عالم لا انساني لا يعرف فيه الناس بعضهم البعض حتى ولو تواجدوا في بقعة جغرافية محدودة. بل إن الفرد يشعر وكأنه مفقود الهوية، وعندما يشعر البشر أنهم مجهولوا الهوية تحت هذه الضغوط فإنهم يتصرفون بعدوانية دون أن يأخذوا في اعتبارهم آداب السلوك الاجتماعي أو آدمية ضحاياهم. وهكذا يجد بعض الرجال سعادة في خوض الحرب من أجل الحرب ذاتها. ويزداد هذا الدافع وضوحاً لهؤلاء الذين كانت لهم طموحات وآمال كبيرة ولم يحرزوا نجاحاً في تحقيقها فيعتبرون خوض الحرب فرصة لاظهار شجاعتهم والتوصل الى الشهرة.

(جـ) تنفيذ الأوامر العسكرية. فالجندي يقاتل باعتبار أن القتال هو مهنة أو عمل يحرص على آدائه بكل ما تعلمه من فنون ومهارات. فهو يعد نفسه أو قواته المسئول عنها لتحقيق هدف ما كالاستيلاء على موقع أو الدفاع عنه، ويعتبر هذا من قبيل العدوان الوسيلي.

---

(١) دافيدروف (ترجمة سيد الطواب وآخرون) مدخل علم النفس (الطبعة الثانية). القاهرة: دار ماكجرو هيل للنشر ١٩٨٠.

(د) وفي مواقف معينة كالقتال المتلاحم قد يقاتل بعنف بعض الجنود الـذين لا يتمتعون بشجاعة كافية وذلك بدافع من الخوف، وهو العدوان الناتج عن الخوف Fear Instigated Aggression لأنهم إذا لم يبادروا بقتل العدو بمجرد ظهوره فسوف يقتلهم. وقد لا يقتصر الدافع الى القتال على عامل واحد فقط من هذه العوامل السابقة بل قد يشترك عامل أو أكثر منها على تحفيز المقاتل على المعركة.

٢ - الهرب والخوف:

الخوف انفعال على صلة وثيقة بالعقل - وبخاصة الادراك - والجسد فينشأ عن الخوف إضطراب يمتد الى التفكير والادراك والحكم والوظائف التنفسية والهضمية والدموية وغيرها من وظائف نفسية أو عضوية، وهو أمر طبيعي طالما لم يتجاوز حدودا معينة.

إن أول معركة في التجربة الأولى للقاء العدو تكون في الاغلب موضع لهفة تختلط بالخوف من جانب الافراد الجدد، فهم يتطلعون الى هذه المواجهة والى تطبيق ما أحرزوه من علم وتدريب من أجل الانتصار عليه. وقد يؤدي ذلك الى جعل الجندي قلقا حول تصرفه الذي سوف يواجه به العدو، وربما يزداد اضطرابه قبيل المعركة كما أنه قد يقوم ببعض الافعال الحمقاء مثل النظر الى سائر بدنه كل لحظة أو فحص سلاحه عديدا من المرات للتأكد من أنه محشو بالذخيرة، أو أن المعدة التي يعمل عليها جاهزة للضرب. وقد يشعر الجندي الذي يدخل المعركة للمرة الأولى ان هذه المشاعر تنتابه هو فقط من بين جميع زملائه. ولكن في الواقع هذه هي مشاعر كل جندي مستجد أو محنك وهي أيضاً نفس المشاعر التي تجتاح جنود العدو[1].

---

(1) Boring, E . Psychology For The Armed Services, Washington, The Infantry Journal, 1945.

ويلاحظ أن أسوأ اللحظات لا تأتي أثناء المعركة الفعلية ولكنها تكون متمثلة في لحظات الانتظار التي تسبق المعركة. فبمجرد أن يبدأ الجندي الخائف من التحرك وعمل شيء ضد العدو فإنه سينسى بعد ذلك كل ما يتعلق بخوفه، لأن المعركة كافية لأن تجعله يفكر فيها حيث سيتجاهل كل شيء ويركز اهتمامه فيا يدور حوله. وإذا شعر أنه على وشك ايقاع الهزيمة بالعدو فإن ذلك يكسبه ثقة في نفسه وإحساساً بالقوة.

أما إذا ما تملك الخوف الجندي فأنه يؤدي الى اضطرابه بصورة لا تمكنه أحياناً من المشاركة بصورة فعالة في المعركة إلا إذا تمكن من إزالته ولو جزئيا. وقد يتزايد الخوف بدرجة شديدة اذا ما تعقد الموقف في المعركة وأصبح الأفراد غير قادرين على مواجهته. وهذا الانفعال المتزايد للخوف يعطل القدرة على التفكير السليم ويجعل الافراد أكثر ميلا لتقليد الآخرين بطريقة شبه عمياء.

فإذا ما رأى فرد من الافراد مجموعة من رفاقه يفرون فإنه في الغالب يفر معهم دون محاولته استيضاح اسباب الفرار. ويمكن أيضاً تبعا لهذا أن يتزايد عدد الأفراد الذين يفرون ولا يكون لهم هدف محدد سوى الهرب، ثم تليهم موجات أخرى من الفارين متتبعين أولئك الذين فروا في بادىء الأمر.

ويحفل التاريخ العسكري بأمثلة من المعارك التي فرت فيها قوات كبيرة أمام أخرى معادية لها أقل منها عدداً وعتاداً بسبب عواملَ متعددة منها المفاجأة والتدريب. فالقوات التي ينقصها التدريب الجيد وتتعرض للمفاجأة نتيجة للتطويق أو الاقتحام الرأسي (بواسطة قوات المظلات) أو بسبب عدم العناية الكافية بالاستطلاع والحصول على المعلومات اللازمة - تواجه التفكك والأنهيار ويلجأ افرادها الى

الفرار، وقد تمكن الجنود الألمان المدربون من الصمود في مواقع كثيرة في أواخر الحرب العالمية بالرغم من تعرضهم لعمليات التطويق. وكانت ظاهرة الفرار بينهم قليلة إذا ما قورنوا بحلفائهم الايطاليين الذين كانوا يعــانون من انخفــاض ظــاهر في مستوى التــدريــب والانضبــاط العسكري[1]. كما كانت أهم أسباب الذعر خلال الحرب الكورية ترجع الى عدم توفر المعلومات للازمة عن العدو للوحدات المقاتلة.

ومن الطبيعي للكائن الحي - سواء في ذلك الانسان أو الحيوان - أن يخاف في بعض المواقف التي تهدده بالخطر. وهو ليس عاطفة مشينة أو غير عادية كما ذكرنا ويشعر بها أيضا جنود العدو في المعركة وأفضل طريقة هو تجنب إظهاره للآخرين.

ومن الأصوب اتباع العوامل التالية لتجنب احتمال انتشار الذعر في الوحدات:

أ - القيادة[٢]: يعتبر القادة على أي مستوى قدوة لمرؤسيهم وتتسع مهام مسئولية القائد عن الوحدة أو التشكيل الذي يقوده حيث تتضمن جميع الأعمال الادارية والتكتيكية والمعنوية والشخصية والاعداد للمعركة بما في هذا الاعداد من تدريب واستطلاع. ومن هنا تظهر أهمية اختيار القادة. ومن مهام القائد أيضاً أثناء المعركة، المناورة (تحريك) بالاشخاص وبمعداتهم في المواقف القتالية المختلفة. وهناك مواقف قتالية خطيرة - قد تظهر في المعركة - لا يتمكن الأفراد ذوي

---

(1) Field Marshal Montgomery of Alamien. «El Alamein to the River Sangro» Hutchinson & Co. London 1950.

(٢) أنظر خصائص القيادة في فصل القيادة والروح المعنوية.

الشجاعة المنخفضة من مواجهتها وعلى هذا فمن واجباته أن يخصص المهام المناسبة لمرؤسيه. فمن المفروض مثلا أن يكون الأفراد الذين يعملون كعناصر استطلاع على مستوى عالي جدا من الكفاءة والتدريب لأنهم عادة أول من يدخل في صدام مع العدو.

ب - التدريب: يمكن التدريب الجيد من التغلب على عوامل الذعر وعلى هذا يجب أن يوجه الاهتام نحو الآتي:.

(١) تنمية المهارات الأساسية على استخدام السلاح الذي يعمل عليه الفرد (بندقية، رشاش خفيف، دبابة، قاذف صاروخي)، اذ أن اتقان هذه المهارات يكسبه ثقة في سلاحه ويجعله لا يتركه بل يلجأ إليه دائما وقت الشدة.

(٢) أن يهدف التدريب الى زيادة وعي الأفراد بخواص أسلحة العدو وأساليبه في القتال.

(٣) تنمية المهارات التكتيكية على مختلف المستويات، ويقصد بها الأنواع المختلفة لعمليات التقدم والهجوم والدفاع ابتدأ من الجماعة أو الفصيلة حتى مستوى اللواء أو الفرقة. حتى يؤدي الأفراد مهامهم وقت المعركة كسلوك عادي دون تخبط. وهذه المهارات غالبا ما تشكل الموضوعات الرئيسية لتدريب أي قوات مسلحة، وتقسم الى موضوعات فرعية لا حصر لها تتم على مراحل تبدأ برحلة الفرد ثم الفصيلة فالسرية وهكذا حتى اللواء فالفرقة. وتنتهي كل مرحلة منها عادة بمشروعات أو مناورات. ويهدف هذا التدريب في النهاية الى أن تعمل التشكيلات المحاربة خلال المعركة مع العدو كفريق واحد متماسك مستغلا كل إمكانيات الاسلحة المتيسرة لديه أفضل إستغلال على أسس علمية دقيقة.

ولكن إذا ما أصاب التفكك أحد التشكيلات المحاربة لسبب ما -

مثل عدم فهم الضباط لواجباتهم حيال المواقف الطارئة وما ينتج عن هذا من تخبط أو تضارب في الأوامر، أو تدمير عدد كبير من المعدات، أو فقدان الاتصال اللاسلكي بين الوحدات بسبب تدخل العدو أو السيادة الجوية لطيران العدو - هذا التفكك يؤدي الى بعثرة الجهود وانعدام الفاعلية حتى يصبح التشكيل المحارب في النهاية مجموعة متفرقة من الأفراد تواجه عدوا متماسكا. حينئذ ينتشر الذعر[1].

(٤) أن يتم التدريب في جو مشابه لجو المعركة وهو ما يعرف «بالتطعيم للمعركة» حيث تطلق مثلا نيران الأسلحة الصغيرة قريبة من الجنود اثناء المناورة - مع مراعاة احتياطات الامن اللازمة - وتطلق أيضاً من فوق رؤسهم قذائف المدفعية والهاون، بينما تقوم الطائرات بالهجوم على بعض المواقع القريبة هذا الى جانب استخدام الالغام المضادة للافراد والدبابات ومحدثات الصوت وغير هذا من وسائل.

(٥) تدريب الأفراد على مواقف الارهاق والضغوط النفسية مثل التعرض للحصار، عمليات الهجوم المتتالية..

جـ - الكفاءة الإدارية للوحدات: إذا لم تتوافر للقوات المقاتلة الأسلحة والذخائر والوقود اللازم لسير المعدات والطعام الضروري للأفراد والملابس وغير هذا من وسائل أساسية لإعاشتها واستمرارها في المعركة، فإنها بهذا تُحّملُ أعباء إضافية أخرى علاوة على عبىء قتال العدو مما يؤثر على الروح المعنوية للافراد، ويساعد هذا على الضجر وتفشي الإشاعات الانهزامية. وهي عوامل قد تسهل من حدوث الذعر إذا ما ظهرت بوادر بتفوق العدو خلال المعركة.

د - الاستطلاع الجيد والمستمر بمختلف الوسائل لاماكن العدو

---

(١) ليدل هارت: نظرة جديدة الى الحرب ترجمة أكرم ديري. القاهرة: الدار القومية للطباعة والنشر، ١٩٦٥.

وتحركاته واسلحته وسرعة تحليل المعلومات التي يتم الحصول عليها بطريقة منطقية حتى يمكن التعرف على أعمال العدو المقبلة ونواياه ومحاولة توصيل هذا لأدنى المستويات، حتى يمكن تلافي المفاجأة.

هـ - الاهتمام برفع الروح المعنوية لدى الجنود، وسنناقش هذا ببعض التفصيل في حديثنا عن الروح المعنوية.

ز - يخفف العمل عادة من إنفعال الخوف كما هو الحال في معظم الانفعالات الأخرى، وعلى هذا فيجب شغل الافراد وبخاصة في أوقات الانتظار للمعركة في أعمال مثل الإعداد والتجهيز للهجوم أو تحسين المواقع الدفاعية مراجعة المهام والتخطيط للعملية المقبلة.

٣ - الاداء والقلق:

يمكن تعريف القلق بأنه انفعال يتميز بالشعور بخطر مسبق وتوتر وحزن مصحوب بنشاط في الجهاز العصبي السمبتاوي. ولقد وصفت مسببات كثيرة للقلق وعدد منها فرويد سببين: الأول يكمن في شعور الفرد بالاخطار الموجودة في الحياة الواقعية أما الثاني فهو توقع العقاب نتيجة التعبير عن رغبات ممنوعة. أما السلوكيون فهم يعتبرونه بمثابة استجابة خوف تستثار بمثيرات ليس من شأنها أن تستثير هذه الاستجابة، غير أنها اكتسبت القدرة على اثارة هذه الاستجابة نتيجة لعملية تعلم سابقة وهم عموما يركزون على الاشتراط Conditioning حيث يرتبط مثير من نوع ما ارتباطا عارضا بخبرة إنفعالية غير سارة كالخوف أو التهديد. هذا ويُرجع أصحاب المذهب الانساني أسبابه الى الخوف من المستقبل وما قد يحمله من أحداث قد تهدد وجود الانسان أو تهدد إنسانية الفرد[١].

(١) عبد السلام عبد الغفار: مقدمة في الصحة النفسية. القاهرة: دار النهضة العربية ١٩٧٧.

وتتفق معظم وجهات النظر المعاصرة حول أمور منها أن الاستجابة الانفعالية الجسمية للتهديد الواحد قد تختلف بين الأشخاص إختلافاً بينا.

وتبين الأبحاث التي أجريت على التوائم لدراسة ردود فعل البشر ازاء الضغوط النفسية أن كثيراً منها يترك آثاره على الانسان. فالجنود الذين كانوا قد تعرضوا للخطر المستمر في المعارك أثناء الحرب العالمية الثانية مثلا وصلوا الى نقطة اللاعودة فقد بالغوا في ردود افعالهم للضغوط حتى بعد انتهاء الحرب. إذ عندما عاد هؤلاء إلى الحياة المدنية كانت ردود افعالهم بالنسبة للضغوط البسيطة (كالضجة العالية والضوء المبهر أو الجهد) استجابات حادة فجائية كما لو كانوا يواجهون حالة طوارىء. وكانت لا تعود أجسامهم الى حالتها الطبيعية إلا ببطىء. وقد فسر الباحثون هذا بتداعي الميكانيزمات التي تعيد الى الجسم توازنه[1].

ومع أن درجة القلق تختلف عند البشر، إلا أن ردود الأفعال بالنسبة لأي حدث معين تعتمد الى حد ما على الافكار والمدركات. وهناك أدلة تشير الى أن كلا من الانسان والحيوان يشعران بدرجة أقل من التوتر عندما يمكنها التنبؤ بالضغوط. حيث وُجد أن الفئران مثلاً عندما تتلقى صدمة بعد انذار تصبح أقل احتمالا للإصابة بقرحة المعدة - التي هي رد فعل فسيولوجي خطير للقلق - من تلك التي تعرضت لهذه الصدمة دون إنذار سابق.

---

(١) دافيدروف (ترجمة سيد الطواب وآخرون) مدخل علم النفس. القاهرة: دار ماكجرو هيل للنشر، ١٩٨١ (ص ٤٩٧).

كما تم التوصل الى نتائج مشابهة فيما يتعلق بالردود الفعلية للضغوط وقدرة الأفراد على التحكم في أنفسهم. حيث تختلف ردود الفعل للضغوط باختلاف الكائنات الحية في قدرتها على التحكم. وتساعد هذه القدرة الناس على الآداء الصحيح. وتشير نتائج دراسات «جلاس وسنجر» ١٩٧٢م وجير وزملاؤه ١٩٧٧م إلى أن الضجة غير المتوقعة تؤدي الى تدهور في الآداء لدى الأفراد الذين يعانون من إنخفاض في مستوى تحمل الاحباط. وان مساعدة الآخرين على الشعور بأن في استطاعتهم التحكم في مخاوفهم غالباً ما يؤدي الى الاقلال من درجة القلق في مواقف كثيرة. فمثلا اذا أعد المرضى للجراحة قبل إجرائها فإنهم يتأقلمون بسهولة لتوترات ما بعد الجراحة أكثر من أولئك الذين يفاجأون بها، وقد وجد أن المرضى من الفئة الأولى أقل في شكواهم وفي احتياجاتهم للمهدئات وهم أسرع في الشفاء.

وقد تبين أن القلق قد يسهل الآداء في المهام البسيطة ولكنه يعوق الآداء في الأعمال المركبة وبخاصة تلك التي تتطلب جهدا عقليا. والقلق الزائد لدى بعض الأفراد قد يجعلهم يجدون صعوبات في استقبال المعلومات وهذه الصعوبات تتدخل أولا في كيفية إدخال المعلومات الى الذاكرة حيث اكتشف جون مويللر ١٩٦٢ ان الأشخاص المشتركين في الأبحاث حين يكونون في حالة قلق بالغ يستقبلون اجزاء أقل من المعلومات عن أولئك الأقل قلقا. ويستعملون خططا أقل فاعلية لتنظيم المادة عندما يتعاملون مع المعلومات كما أنهم أقل مرونة عن الأفراد الذين تقل درجة القلق عندهم عندما يحاولون تغيير خططهم بأخرى(١).

---

(١) المرجع السابق.

ثالثا: الأمراض النفسية

كثيراً ما يصادف قادة الوحدات الصغرى كالكتيبة مثلاً - في زمن السلم أو الحرب - أفراداً من وحداتهم يتصفون بسلوك غريب، ثم يحارون في أمرهم، أهم مرضى حقيقيون أم أنهم يدعون المرض. ونسمع أحيانا من بعض الضباط الذين شغلوا مناصب قادة وحدات عن مقابلة أحداث من هذا النوع وأنهم عاملوا هؤلاء الأفراد بمنتهى الحزم والقسوة البالغة مما حدا بهم إلى العودة إلى صوابهم والتزام السلوك السوي.

ولما كانت مثل هذه الحالات موضع لبس فهنالك من الأفراد من يتغير سلوكهم وتصرفاتهم لأنهم يعانون بالفعل من مرض نفسي. ولكن يلاحظ في نفس الوقت أن مبادرة القادة أو الضباط بمعاملة الافراد الذين يصدر عنهم سلوك غريب على أنهم مرضى والعطف عليهم وإعفائهم من مسئولياتهم، قد يعد أمراً له خطورة بالغة على الانضباط العسكري بالوحدة. لأنه ربما يكون هناك في هذه الحالات أفراداً أصحاء يدعون المرض بقصد التخلص من مسئوليات هامة وشاقة، كما أن مدعي المرض اذا ما عومل بشفقة وأعفي من مهامه الخطرة ربما يصبح مثالا يحتذى به الآخرون للتهرب من أعمالهم، وهكذا يصبح عدم قدرة القادة التصرف حيال مثل هذه الأمور عاملا مخلا بعض الشيء بالانضباط العسكري. وربما يختلط الأمر على القادة اذا كانت الوحدات تعمل في أراض صعبة وعندما لا يوجد طبيب نفسي متخصص (على مستوى الوحدات الصغرى).

ولهذا أثرنا أن نعرض بشيء من التفصيل للأعراض العامة للأمراض النفسية وذلك بعد استعراض جزء من المفاهيم الأساسية عنها وعرض بعض هذه الأمراض بإختصار الى جانب ايضاح الأمراض النفسية التي يعتبر المحاربون أكثر تعرضاً للاصابة بها.

١ - العصاب والذهان:

إن ميكانيزمات التكيف التي سبق أن ذكرناها في الفصل السابق الخاص بسيكولوجية التوافق قد يلجأ اليها الأشخاص الأسوياء بمقادير ودرجات كبيرة أو صغيرة إستجابة لاحباطات الحياة المختلفة. وكلما كان الاحباط اكثر شدة زاد لجوء الفرد لنوع أو أكثر من هذه الحيل يخفف بواسطتها من توتره النفسي.

والأشخاص العصابيون أو الذهانيون يلجأون الى نفس الحيل التي يلجأ اليها الأشخاص الأسوياء ولكنهم يتجاوزون الحدود التي يصل إليها هؤلاء الأسوياء. ان الشخص العصابي مثلا قد ينسحب انسحابا كاملا من أجل أن يتجنب مواقف الصراع، في حين أن انسحاب الفرد السوي يكون جزئيا وموقتا. والانسان الذهاني عندما يزيد من أهميته يعتقد مثلا أنه نابليون أو الاسكندر الأكبر في حين أن الانسان السوي عندما تعتريه وساوس العظمة فإنه يعتقد احياناً أنه «أعظم مما يحسب الناس الآخرون»[١].

وتعرف الأمراض النفسية بأنها اضطرابات نفسية ترجع إلى المحاولات غير الناجحة للفرد للتعامل مع الصراعات النفسية ومواقف الضغط في الحياة إنها تكييفية من حيث انها تهدف الى تخفيف التوتر النفسي وحل الصراع بطريقة غير سوية. وكما كان يحدث في فترات مبكرة من العمر أيام الطفولة. وهذا ما يراه أصحاب نظرية التحليل النفسي. فهم يفسرون تكوين الأمراض النفسية بما يسمى نكوص اللبيدو الى مراحل مبكرة من النمو بسبب عدم قدرته على مواجهة مواقف

---

(١) فاخر عاقل: اصول النفس وتطبيقاته. بيروت: دار العلم للملايين، ١٩٧٥م، (ص ١٥٦، ١٥٧).

الضغط والصراع[1] ولتوضيح هذا نعرض بإختصار تقسيم فرويد للنفس البشرية.

يرى فرويد أن الطاقة الجنسية (اللبيدو) هي التي تحرك سلوك الانسان وقد وضع تقسيمات افتراضية للنفس البشرية هي:

(أ) الهو: اتخذ فرويد هذا الإسم ليدل به على جانب من مكونات الشخصية هو الجانب اللاشعوري الفطري الضروري للحياة. فهو يوجد في رأي فرويد مع الانسان ويظل معه طوال حياته. ويعتبره بمثابة مخزن للغرائز والحفزات البدائية والصراعات المؤلمة وأيضا مشاعر الذنب وجميع ما يهدد احترام الفرد لذاته. واللبيدو هو جزء من تركيب الهو.

(ب) الأنا: اذا ترك الهو ليفعل ما يحلو له فانه قد يدمر الانسان لأن الانسان سيحاول اشباع غرائزه دون مراعاة لآداب المجتمع وقواعد السلوك الاجتماعي. ولذلك كان من الضروري وجود قوة ضابطة توجه الهو نحو الاشباع المناسب. هذه القوة هي الأنا. والأنا هي جزء يتمايز عن الهو بتأثير احتكاكه اليومي بالواقع والعالم الخارجي مع النمو. وتقوم الأنا بجميع الانشطة الضرورية للتعامل مع الواقع مثل النشاط المعرفي بما في ذلك عمليات الادراك الحسي والعمليات العقلية، لكنها مسئولة أيضا عن بعض الأنشطة القبشعورية واللاشعورية مثل بعض الحيل الدفاعية.

وهي تستخدم ايضا ما لديها من امكانيات عقلية على نحو يؤدي الى تحقيق اهداف الهو. فقد تضطر الأنا الى كبح جماح الهو وارجاء اشباع الدوافع الفطرية حتى يحين الوقت المناسب.

(جـ) الأنا الأعلى: وبنمو الطفل واستمرار إحتكاك «الأنا» بالواقع وادائه لوظائفه يتكون «الأنا الأعلى» الذي يمثل أوامر ونواهي

---

(١) محمد سامي هنا: تفكير المرض النفسيني القاهرة، دار النهضة العربية، ١٩٧١ م.

الوالدين والقيم التقليدية للمجتمع. وتلعب أساليب الوالدين من ثواب وعقاب دورا هاما في تكوينه، إذ تتحول سلطة الوالدين الخارجية تدريجيا الى سلطة داخلية تراقب الطفل وتصدر إليه الأوامر. حيث يحاسب نفسه ذاتيا تماما كما كان يفعل الوالدان أو من يقوم مقامهما.

أمـــا عن مراحـــل النمو النفس - جنسي Psycho— Sexual Development فمحوره هو اللبيدو (الطاقة الجنسية)، ولا يقصد بالجنس المعنى الضيق للجنس بل هو كل ما يمثل اللذة والبعد عن الألم (طعام، راحة بعد عناء، لذة جنسية). ووفقا لمبدأ بقاء الطاقة وتحولها من صورة لأخرى، فإن الطاقة الفسيولوجية يمكن أن تتحول الى طاقة نفسية وبالعكس.

ويسمى اللبيدو في المرحلة الأولى من عمر الطفل اللبيدو النرجسي، (نسبة الى عشق ترسيس لذاته في الاسطورة اليونانية) حيث يكون وعي الطفل بالعالم غامضا وحيث يكون الفم هو مركز تفاعله مع البيئة الخارجية. وعن طريق الرضاعة تجنبه أمه الشعور بآلام الجوع. وهي المرحلة الفمية الأولى (النصف الاول من السنة الاولى). ثم يلي هذا المرحلة الفمية المتأخرة والتي تقع في النصف الثاني من السنة الأولى وتأتي مع تطور شعور الطفل بذاته ووعيه بأمه.

وخلال السنة الثانية من عمر الطفل يواجه بموقف الفطام. وتكمن أهمية عملية الفطام فيما تحمله من تهديد علاقة الطفل بأمه وحبه لها. كما تبرز أيضا مشكلة أخرى تسحب اهتمام الطفل - هي عملية ضبط المخارج، والتي تصرف اهتمامه عن المنطقة الفمية. وهي المرحلة الاستية.

ويتميز النشاط الشرجي بأنه يتضمن شكلين اطلاق البراز أو البول وإمساكه. فالام تطلب من الطفل أن يقوم بالنشاطين معا وتحديد مكان الاطلاق وزمانه. ويجد الطفل أنه ليس من السهل ارضاء الأم. وأن

الالتزام بهذا الارضاء هو أمر مركب. فعندما يطلق أو يمسك افرازاته قد يغضب ذلك أمه أو يفرحها تبعا للوقت والزمان. وهكذا تصبح المواد البرازية موضوعا للحب والكراهية.

ويلي هذا مراحل أخرى هي المرحلة القضيبية فمرحلة الكمون فالمرحلة التناسلية النهائية.

ويوضح فرويد - وهو على درجة كبيرة من اليقين أن الأمراض العصابية تكتسب فقط أثناء الطفولة المبكرة حتى سن السادسة، بالرغم من أن اعراضها قد لا تظهر الا فيما بعد ذلك بفترة طويلة، وقد تظهر الامراض العصابية أثناء الطفولة لمدة قصيرة وربما تمر دون أن يفطن إليها أحد، وتعتبر هذه المقدمات التي تظهر أثناء الطفولة نقطة البدء لكل مرض عصابي يظهر بعد ذلك.

«والأنا» في هذه المراحل المبكرة ضعيف فلا غرابة اذا في أن يفشل في التكيف وهو يحمي نفسه من الضغوط والمشاكل والاحباطات بمحاولة الهرب (الكبت) والتي تبدو فيما بعد غير مفيدة والتي تعوق نموه اعاقة مستديمة. وهكذا يكون الضرر الذي يلحق بالانا في خبراته الأولى من حياة الشخص عظيما.

فإذا ازداد التوتر والقلق بسبب الاحباط والفقد والتهديد والخطر بطريقة غير محتملة لدى الشخص بعد ذلك، فإن هذا يؤدي الى حدوث صراع شديد بين اجهزة الشخصية (الهو، الانا، الانا الأعلى) حيث يفشل الأنا في التوفيق عادة بين الهو والأنا الأعلى، ثم يضطر الى النكوص الجزئي إلى مستويات سابقة من النمو، حيث يحاول التكيف مع هذا المستوى. الا أن هذا التكيف غالبا ما يفشل اذ يثير صراعات الكبت القديم وهي الصراعات الطفلية أي مشكلات التكيف التي واجهها الشخص في الطفولة.

وبالرغم مما أثارته آراء فرويد من دراسات في مجال الأمراض النفسية إلا أنها كانت موضع نقد شديد من أصحاب المدرسة السلوكية. وعلى أي حال فإن هذا العرض المختصر لوجهة نظر مدرسة التحليل النفسي عن منشأ الأمراض النفسية يتفق مع ما عرضناه في مقدمة هذا الفصل عن الأسباب المهيأة والمرسبة لهذه الأمراض من حيث أهمية أعمال التنشئة الأسرية في مرحلة الطفولة كعامل أساسي في إمكانية الاصابة بالمرض النفسي.

ويعتبر العصاب النفسي من أكثر الاضطرابات النفسية حدوثا وهو اكثر ما يصادف الطبيب النفسي إطلاقا في عمله خارج مستشفى الأمراض العقلية كما انه يمثل نسبة كبيرة من مجموع المرضى الذين يترددون على سائر الأطباء ولا سيما الممارس العام، وتختلف نظرة هؤلاء الأطباء الى اولئك المرضى، فأحيانا يخبرونهم «أن ليس بهم شيء» وأحيانا يلجأون الى تشخيصات عامة غير محددة لا تستند الى دليل مادي أكيد. ومن أمثلة هذه التشخيصات «فقر الدم (الانيميا)، نقص الفيتامينات، الروماتيزم العام، التهاب القولون، الكبد والمرارة.. الخ». ولا نُجانب الحقيقة إذا قلنا أن حوالي سدس المرضى المترددين على المستشفيات العامة وثلث المرضى المترددين على العيادات الخاصة أو يزيد مصابون بالعصاب ليس إلا، وان ما يصفه العامة من أن فلانا «عصبي المزاج» أو أن اعصابه تلفانة أو عصبي أو أعصابه مهزوزة أو خلقي الى آخر هذه التعبيرات، لا يعني في العادة إلا هذا النوع من المرض النفسي وهو العصاب.

وتقل مثل هذه الاستجابات المرضية المعبرة عن العصاب نسبيا في الحياة العسكرية عنها في الحياة المدنية. لأسباب عدة منها أن معظم العسكريين يكونون عادة في سن الشباب الى جانب مزاولتهم للنشاط الرياضي أو البدني عموما. كما أن الاطباء العسكريون عادة ما يواجهون

الفرد بموقفه بصراحة. فإذا كان يخلو من المرض وجهت إليه تهمة التمارض حيث توقع عليه العقوبة المناسبة تبعا لحاله وطبيعة الاعمال والمسئوليات بالوحدة.

ومع هذا يلاحظ ايضا تزايد نسب الشكوى من العلل البدنية كلما صادف الفرد ضغوطا نفسية بالوحدة. ولا تنتج هذه الضغوط في الأغلب نتيجة لكثرة الأعمال - لأن الانهماك في العمل كثيراً ما يشغل الانسان عن مشكلاته النفسية وبخاصة إذا كان يصحبه تشجيع من الرؤساء. وإنما تنتج عن الشعور بالاحباط والضيق، لأن العصاب ما هو إلا استجابة خاطئة لمصاعب الحياة، ويعتبر التوتر الناتج عن إضطراب العلاقة مع الآخرين من أهم أسابه. هذا الاضطراب يعطي الفرصة لتلك الشوائب التي كانت قد ترسبت في الماضي (لا سيما في زمن الطفولة) وتحصنت داخل النفس. ويلاحظ أن العصاب الذي يتكون من زمن الطفولة نتيجة لاضطراب نفسي يستمر مدة طويلة حتى يصبح بالتعود عادة من عادات السلوك وجزءاً من الشخصية تصبغ تصرفات صاحبها وتكون سببا في اضطراب تكوينة الشخصي.

والشخص العصابي لا يختلف عن السوي في ادراك أحداث البيئة الاجتماعية من حوله وتقييمها بكل دقة. ولكن عندما يصبح ضغط الصراع بين الذات والبيئة غير محتمل تنهار وظائف الشخصية في الادراك والتقييم، وهنا يُحرف الشخص مفهومه عن البيئة في صورة أكثر رضى بالنسبة له وينظمها في وضع أقل اضطرابا من أجل أن يحمي نفسه حيث يفقد الاتصال بالحقيقة ويصبح ذهانيا. ويظهر هذا التحريف في صور مختلفة منها على سبيل المثال اضطرابات الادراك ومنها الهلاوس حيث يدرك موجودات غير واقعية أو إضطرابات التفكير وتظهر في صورة هذيانات واعتقادات خاطئة وغير ذلك مما

سنوضحه في الجزء الخاص بأعراض الامراض النفسية.

ويتصف كل من العصاب والذهان بسلوك غير سوي وبمشكلات تنم عن عدم توافق صحيح مع البيئة الاجتماعية الا أنهما يختلفان في عدة جوانب لعل أبرزها أن ما يتعلق بالصلة بالواقع. فهذه الصلة في حالة العصاب تظل سليمة من الناحية الشكلية بينما تضطرب اضطرابا بالغا في حالة الذهان سواء في ادراك الواقع أو في العلاقة به أم المسئولية فيه. فكثيراً ما يدرك العصابي المشكلات التي يعاني منها أما الذهاني فهو ينكر انكاراً تاماً وجود أي مرض أو مشكلات لديه بل أنه عادة ما يدعي أنه في أتم صحة عقلية. هذا الى عوامل أخرى تميز بين كل منهما، منها على سبيل المثال المظهر العام حيث يحافظ العصابي على مظهره بينما يتدهور مظهر الذهاني عادة ويشذ عن زملائه في ملبسه ويهمل نظافة بدنه[1]. كما يظل سلوك العصابي طبيعيا أو قد تظهر فيه بعض الغرابة المعقولة أما الذهاني فقد تظهر لديه تصرفات بدائية كالتبول والتبرز على ملابسه أو خلعها نتيجة لعملية النكوص الشديدة وبخاصة في الحالات المتأخرة. وكلام العصابي لا يتغير تغيرا ملحوظا أما الذهاني فقد يتشتت كلامه أو ينعدم او يبتدع المريض لغة جديدة خاصة به.

٢ - أمثلة لبعض الامراض النفسية:

إن الفرد الذي تبدو منه تصرفات غير مالوفة ربما يكون إنسانا يستحق العطف والرعاية، إذ أنه في نهاية الأمر يعتبر مريضاً حتى لو كانت تصرفاته تثير الضحك والسخرية. لذلك فإن قائده المباشر مسئول عن تقدير موقفه ولا يتم ذلك الا بعد الالمام بمظاهر الأمراض النفسية بصفة عامة.

---

(١) حامد زهران: الصحة النفسية والعلاج النفسي. القاهرة: عالم الكتب، ١٩٧٨ (ص ٤٤٦ - ٤٤٩).

على أن مشكلة تقسيم الأمراض النفسية في الواقع هي مشكلة معقدة فقد تختلط أعراض عصابية وذهانية لدى مريض واحد. وقد اختلفت في هذه المشكلة النظريات. وقد حاولت الجمعية المصرية للطب النفسي أن تضع تقسيما مناسبا للأمراض النفسية والعقلية مستمداً من التقسيم الذي وضعته جمعيات علم النفس في بريطانيا وأمريكا وفرنسا وذلك منذ سنة ١٩٧٢ م وقد نجحت في إخراج أول تقسيم مصري صدر منذ أوائل عام ١٩٧٥ م وقد أقره مؤتمر الصحة النفسية العربي الثاني المنعقد في القاهرة من نفس العام على أن يكون أساسا للتقسيم العربي[١] وسنحاول الالتزام به في عرضنا المختصر لبعض الامراض النفسية.

أ - عصاب القلق:

إذا زاد القلق عن الحد العادي وعوق التكيف الاجتماعي وعطل انتاج الفرد وفاعليته وعكر هناءه وطمأنينته قد يعتبر بلغ حد المرض ويسمى «بعصاب القلق».

ويمكن أن تظهر أعراضه لدى الأفراد في صورة الشكوى من أعراض جسمية من وجود مرض في القلب مثلا (دون وجود علة ما سوى سرعة خفقان به نتيجة للتوتر النفسي) الامساك أو الاسهال أحيانا كثرة التبول أو آلام في المعدة والأمعاء وغير هذا من علل عضوية مختلفة.

كما تظهر أعراضه النفسية في شكل توتر عام لدى الفرد فإذا كان جنديا بدا عليه الاضطراب المستمر والخوف الدائم من تعرضه للأضرار مثل العقوبات أو سخط الضابط أو ضابط الصف عليه أو الخوف من تكليفه بمأموريات خطرة كما يتصف أداءه بعدم الدقة وتفكيره بقلة

---

(١) محمد سامي هنا: علم النفس الاكلينيكي. القاهرة: دار النهضة العربية، ١٩٦٨ م.

التركيز وكثيراً ما يلاحظ هذا في الأفراد المستجدين عند أول عهدهم بالعمل في القوات المسلحة.

وربما تظهر الأعراض عند الضباط أو ضباط الصف الذين ينتابهم القلق على شكل كثرة اصدار الأوامر المتضاربة لمرؤسيهم وحثهم في الإسراع على تنفيذها والاسراف في الخوف من الرؤساء وإرهاف الحس وعدم الاستقرار.

وعادة ما تكون الاسباب المرسبة لهذا المرض اضطرابات في الجـو الأسري أثناء الطفولة مثل مشاجرات الوالدين والتردد في التربية، أما الاسباب المهيئة فعادة ما ترجع الى توقع خيبة الأمل أو صعوبات العمل كما يمكن أن يكون السبب عضويا مثل الحمى أو الاصابة.

وهناك أنواع للقلق فمنها ما هو عام لا يرتبط بشيء محدد كالذي أوضحناه، وهناك قلق يرتبط بموضوع محدد كالخوف من الاصابة في الميدان أو المرض أو الوقوع في الأسر أو الاصطدام بدوريات العدو أو التعرض للمحاكمة العسكرية وهناك قلق ثانوي وهو الذي يصاحب الامراض النفسية والعقلية الاخرى.

ب - الهستيريا:

مرض نفسي تظهر فيه الأعراض والعلامات، وكان المريض يقصدها ليحقق بها هدفاً ما، ولكنه في الحقيقة لا يدرك كيف تظهر هذه الاعراض على تلك الصورة، إذ أن ذلك يحدث دون وعي منه ودون أن يدري كيف حدث ذلك، ولماذا. والغرض الأساسي من ظهور أعراض الهستيريا هو الهرب من القلق الشديد غير المحتمل. فالهستيريا لها علاقة وثيقة بالقلق إذ أنها عادة ما تحل محله فيصبح المريض غير قلق، والعكس صحيح، فقد يظهر القلق متى اختفت أعراض الهستيريا، ونود أن نشير الى أن كلمة (هستيريا) قد أسيء استخدامها لدى العامة

فاصبحت مرادفة لكلمة الجنون في حين أنها كما ذكرنا مرض نفسي محدد المعالم فهي نوع من العصاب النفسي وليست نوعا من الذهان.

وقد لوحظ أن مرض الهستيريا يغلب على الاشخاص ضعيفي الذكاء قليلي الحيلة وتتصف شخصية المريض قبل المرض بميل الى حب الظهور واستدرار العطف وحب الذات وحب التملك. كما يتصف المريض عادة بالمبالغة والتهويل في كل الأمور وقد يطلق على هذه الشخصية اسم «الشخصية الهستيرية» ومن الأسباب المرسبة لهذا المرض كون أحد الوالدين شخصية هستيرية فيأخذ الطفل عنه (إكتسابا) سمات الشخصية الهستيرية ومن الاسباب المهيئة فشل في زواج أو صدمة عنيفة أو التعرض لحادث أو إصابات أثناء العمليات الحربية أو اثناء العمل أو ضياع عهد أو مواجهة موقف لا يتحمله الجندي.

ومن الخصائص المميزة لهذا المرض انه يحمل طابع مرض عضوي دون وجود هذا المرض حقيقة وقد يأتي على نوبات عقلية مثل فقدان الذاكرة أو نوبات من الاغماء أو التجوال كما أنه يصحب أعراضه هدوء نفسي. ذلك لأن العرض الهستيري يزيل القلق الناتج عن الصراع بطريقة جزئية - ولو أنها مرضية - كما يحقق للمريض بعض الاهتمام والعطف اللذين يفتقر اليهما في العادة. والعرض الهستيري يحاول به المريض جذب الانتباه نحوه بطريقة لاشعورية[1].

ويمكن حصر المظاهر المرضية للهستيريا في الآتي:

(١) مظاهر حركية: كالرعشة والتشنجات والتقلصات والمشي بطريقة شاذة وهي كلها مظاهر ايجابية، وهناك مظاهر سلبية كالشلل والبكم وفيها تقل الحركة أو تنعدم.

---

(١) محمد سامي هنا: علم النفس الاكلينيكي القاهرة دار النهضة العربية، ١٩٦٨م.

وتظهر بعض هذه الأعراض في الأغلب على الجنود الجدد وبخاصة عندما يوزعون على الانخراط في أعمال لا يرغبون الاستمرار فيها مثل قيادة الدبابات أو السيارات المدرعة وربما السيارات عموما أو أعمال اخرى تتطلب تيقظ وجهدا بدنيا عنيفا كبعض أفرع المدفعية: وكثيراً ما يعرض مثل هؤلاء الجنود على الأطباء دون التوصل الى علل عضوية. ويلاحظ أن المريض بالتشنجات الهستيرية لا يقع أو تأتيه نوبة أبدا في ظروف خطيرة. كما أنه لا يعض لسانه أبدا أثناء النوبة كما هو الحال عند مريض الصرع. فعلى الرغم من أن الانسان قد يتوقع أن يكون المريض في خطر بسبب مرضه ،إلا اننا نجد أن مريض الاستجابة التحولية قلما يتعرض للأذى. ومن الأفضل في كل الحالات عرض الأفراد الذين يتعرضون لهذه الاغماءات او التشنجات لفحص طبي دقيق قبل البت في أمرهم حيث ربما تنتج عن أسباب أخرى متعددة عضوية غير الهستيريا مما قد يعرضهم للخطر الفعلي. وهي مسئولية انسانية خلقية قبل كل شيء تقع على عاتق قادتهم.

(٢) مظاهر حسية: مثل زيادة الاحساس أو قلته أو فقده، وذلك كالعمى والصمم أو ضعف البصر أو زيادة حدتها وغيرها أو حشوية مثل فقد الشهية والشره والافراط في الشرب والقيء ونوبات الفواق وهناك مظاهر أخرى كالتهاب الجلد الزائف (وهو مرض يتصف بأن المريض يحدث في جلده خدوشا دون وعي منه ويحدث ذلك عادة أثناء النوم).

وكل هذه المظاهر يمكن أن نميزها عن شبيهاتها من الاضطرابات العضوية في أنها لا تتفق مع الوصف الدقيق العلمي الأصلي للمرض العضوي المشابه كما أن شدتها تختلف قوة وضعفاً في فترة وجيزة. فنجد مثلا ان فقد الاحساس يكون شديداً في لحظة ما وبعد دقائق نجد أنه قد أصبح طفيفاً الى درجة كبيرة بالمقارنة بالحالة الأولى. كما أن الأعراض والعلامات يمكن تغييرها بالايحاء، فيمكن مثلا زيادة المساحة الجلدية لفقد

الاحساس أو نقلها قليلا من مكانها الأول وذلك بالايحاء أثناء الفحص. كما أن شخصية المريض وظروف بيئية تفسر كثيرا من الأعراض[1].

(٤) مظاهر عقلية: مثل فقدان الذاكرة أو التجوال (وفيه يترك الفرد بيته (أثناء الاجازة)أو عمله ويخرج على غير هدى في تجوال أو رحلة ثم يعود ولا يذكر عن هذه الرحلة شيئا، ولو أن هذا العرض يحدث في كثير من الأمراض الأخرى مثل الاكتئاب والصرع والفصام المبكر، وهناك أيضا مظاهر عقلية أخرى كالمشي أثناء النوم، او الاجابات التقريبية كان تسأله ما هو مجموع ٢+٢ فيقول ٥، وهناك أيضا عرض الطفلية الهستيرية حيث يتصرف المريض أو يتكلم مثل الاطفال، والعته الكاذب حيث يتصرف المريض وكأنه معتوه ذهب عقله فلا يتذكر الا قليلا ولا يعلم التاريخ أو يتذكر الاماكن بسهولة، ولكن يختلف هذا العته عن العته الحقيقي الذي عادة ما يكون مستمرا اما الهستيري فهو موقت.

وفي كثير من الحالات تكون أعراض الهستيريا مؤقتة وتزول نهائيا وتلقائيا، ولكنها قد تستمر وتعاود الظهور لا سيما في الشخصية الهستيرية ومن الهام أن ندرك أن الهستيريا قد تكون عرضا ثانوياً في حالات عقلية أخرى كالفصام واكتئاب اليأس أو في حالات عقلية عضوية كاورام المخ وتصلب شرايين المخ وهنا ينبغي العناية بالمرض الأصلي أكثر مما نعتني بالأعراض الهستيرية.

---

(١) عزيز فريد. الأمراض النفسية العصابية. علميا عمليا، تشخيصياً، علاجيا. القاهرة الشركة العربية للطباعة والنشر، ١٩٦٤ م.

جـ - عصاب الحرب:

عرف عصاب الحرب بأسماء مختلفة منها: اعياء المعركة Combat Exhaustion، تعب المعركة، تعب العمليات، صدمة القنبلة Shell Shock وهو يشكل مجموعة أعراض عصابية وذهانية قد يتعرض لها المقاتلون في زمن الحرب. وبطبيعة الحال فالأفراد يختلفون في استعدادهم للوقوع في مثل تلك الاضطرابات باختلاف إستعداداتهم النفسية والجسمية والعقلية كذلك بسبب اختلاف متغيرات التنشئة الاجتماعية والوراثة(1).

وكما أسلفنا فقد ابرز علماء النفس أهمية التكوين الشخصي في نشأة الاستعدادات المرضية المختلفة وأبرزوا أهمية الخمس أو الست سنوات الأولى من حياة الفرد في نشأة الامراض النفسية والاسباب المرسبة للمرض النفسي.

وتتوقف فاعلية الأسباب المهيئة على مدى الضغوط النفسية التي يلقاها الفرد فيما بعد. ومن الطبيعي أنه لا يوجد موقف أشد خطراً على الانسان ولا أطول زمنا بالنسبة له من موقف الحرب بالنسبة للمقاتل. ولقد كانت الحربين العالميتين الأولى والثانية مجالا لاختبار القوة النفسية السيكولوجية لاعداد هائلة من الافراد. فقد كان الواحد منهم يدخل ميدان القتال بروح معنوية عالية وصحة بدنية ممتازة وثقة في سلاحه ورفاقه ليجد نفسه مواجها بضغوط فوق طاقة البشر. ذلك أن دنيا القتال هي عالم من التهديد الدائم لأمن الفرد والتوتر الذي لا يحتمل والانهاك المتصل.

---

(1) Arieti, S.: American Hand book of Psychiatry. 2nd ed, Basic Book, New York, 1974.

فقد يقضي المقاتل أسابيع وشهور معرض لأخطار الموت وأهوال المعارك، وهو يفقد في كل وقت زملاءه وأصدقاءه بطريقة قاسية وهو في نفس الوقت يقوم بقتل العدو وتحطيم موارده ومنشآته، فالموت والتحطيم يحيطان بعمله وهو في آدائه لواجبه موزع بين دافعين يشكلان صراعا مستمرا: الأول هو القتال والتضحية والثاني هو أن الفرار قد يشكل اهمالا في واجبه ويترتب عنه عقوبة قد تصل في بعض الجيوش الى الاعدام الفوري، هذا الى جانب خوفه من العار، وعادة ما تكون الغلبة للدافع الأول.

ولكن إذا اشتد كل من الدافعين ووصل الصراع القائم بينهما مرحلة استحال فيها التوفيق بينهما حينئذ ينشأ المرض كوسيلة أخيرة لحل الصراع. وكثيرا ما يصحب هذا الصراع أيضا صدمات أخرى كموت مجموعة من الأفراد ينجو منهم المريض، أو انفجار قنبلة قريبا منه وينجو منها. وتثير مثل هذه الصراعات والاحداث الاسباب المرسبة.

وتتطور مراحل هذا العصاب في رأي بعض علماء النفس على نحو يشبه تطور الاستجابة البيولوجية للضغوط. فتعرض الجسم للضغوط من التلوث أو العدوى أو السور الانفعالية أو نحو ذلك من العوامل الأخرى، يؤدي الى استجابات جسمية معينة تؤدي الى حالة تسمى بالاعراض العامة للتكيف. حيث يقوم فيها الجسم بتعبئة كل موارده في طور يسمى «باستجابة الاستنفار» وفيها تستنفر الدفاعات الفزيولوجية وتستدعي للعمل. ويلي هذا طور آخر اذا استمرت الضغوط هو «طور المقاومة» الذي يتميز بنشأة مقاومة معينة للضغط المعين الذي يواجهه الفرد مع اختفاء الاستجابات للمثيرات الأخرى، وأخيرا يأتي طور الانهاك وينتج عن استنفاد الكائن العضوي لموارد التكيف عنده أثناء التعامل مع الضغوط الأصلية. عندئذ يصبح الكائن الحي غير قادر على المقاومة بعد أن انهارت دفاعاته، ثم يصبح معرضا للمرض.

أي أن جوهر الأمر أن التعرض المستمر لحياة الضغوط الشديدة قد يكون مسئولا عن الضرر الباثولوجي الخفي الذي يلحق بالجسم وآدائه لوظائفه بشكل سوي. على أن الطور الأسبق لعصاب الصدمة شبيه الى حد ما باستجابة الاستنفار. فلعلنا نذكر أن الجندي يكون متوترا ومتيقظا على أهبة الاستجابة للخطر. أما العجز عن الاسترخاء أو النوم فتعكس الحذر اليقظ من الخطر المحدق. كما تعكس حساسيته للاصوات وغيرها من المثيرات القوية الأخرى تيقظا وحذرا مستمرا. كما يشبه الطور المزمن في عصاب الحرب أو الصدمة طور الانهاك الى حد كبير.

بل إن ظاهرة الاجهاد أو الانهاك البدني تشبه في الواقع هذا العصاب ذلك لأننا نجد في الاجهاد قابلية زائدة للتهيج، وانخفاض الكفاءة العقلية، وفقدان الإهتمام والانفجارات الإنفعالية. ومن الطبيعي أنه ينبغي لنا أن نتذكر أن أعراض عصاب الصدمة لا يرجع فقط للإجهاد والانهاك الجسمي. فإن العنصر الأكثر أهمية هو العنصر النفسي. إذ يجد نفسه، في هذه الدنيا الجديدة الزاخرة بالكوارث، عاجز غير كفء، ومغلوبا على أمره. وإذا بالظروف والملابسات التي يحيا فيها الفرد قد تحولت بعد أن كانت مطمئنة مريحة فصارت مهددة، باعثة على التوتر، مؤدية الى السورة والاضطراب[1].

وأقرب الاستجابات للظهور هي الهرب، ولكن الهرب أمر يصبح من المستحيل تحقيقه. أما في ظروف الحرب والقتال، فإن الفرد يواجه مطلبا إضافيا هو الإحتفاظ بتوقيره لنفسه بأن يكون «مقاتلا جيدا» وبألا يخيب رجاء رفاقه فيه. وظروف القتال قد تكشف وتفضح ماكان لدى الفرد

---

(١) سوين، ريتشارد (ترجمة أحمد عبد العزيز سلامة): علم الأمراض النفسية والعقلية. القاهرة: دار النهضة العربية، ١٩٧٩.

من أوجه الضعف التي كان الفرد ينكر أنها جزء من مفهومه لذاته. ولعل أكثر المتغيرات السيكولوجية خطورة هو عجز الفرد عن الاعتماد على أساليب التوافق السابقة. فالصدمة تكون خبرة فريدة في شدتها، وإلحاحها، أو شكلها إلى حد أن الفرد يجد نفسه غير قادر على أن يستخدم حلا جاهزا لديه. وإذا بكل قنوات التصرف الفعالة التي يعرفها قد ثبت أنه لم يعد قادراً على الالتجاء إليها أو قد ثبت أنها غير مناسبة. في أمثال هذه الظروف يصبح الشخص مكشوفا من الناحية النفسية وعرضة لأعراض عصاب الصدمة.

وفيما يلي أهم أعراض عصاب الحرب:

أ - حالة القلق، والخوف من العدو، مع زيادة التوتر، وفقد السيطرة على الانفعالات والتهيجية، وسرعة الاستثارة والحساسية والاستجابة المفرطة للأصوات والقفز بشدة لأي حركة فجائية والغضب الشديد والعنف ورد الفعل الزائد للإصابة بين الرفاق، وفرط العرق، وصعوبة التركيز والتذكر والأرق والكابوس والأحلام المزعجة وخاصة بالمعارك والفزع والارتجاف وأحيانا الصمت والذهول وعدم القدرة على الحركة وأحيانا التخشب.

ب - إضطرابات نفسية جسمية: تضطرب وظائف الجهاز العصبي الذاتي وخاصة في الجهاز الهضمي مثل فقد الشهية والغثيان والاسهال وتظهر الأعراض أيضا في الجهاز الدوري مثل سرعة النبض وسرعة دقات القلب واضطراب التنفس.

جـ - الهستيريا، وأهم أعراضها فقد الإحساس والشلل.

د - الاكتئاب، ويحدث غالبا عقب مقتل رفيق، وأهم أعراضه الوجه المقنع وقلة الحركة وأفكار اتهام الذات[1].

(١) المرجع السابق.

هـ - الاتجاه نحو الذهان وخاصة عند الأشخاص المستعدين له قبل حدوث أزمة المعركة... وأشيع حالاته الاضطراب شبه الفصامي والاضطراب شبه الهذائي (حيث يشك في رفاقه ويعتقد أنهم جواسيس مثلا فيقاتلهم)..

أما علاج هذا العصاب فينحصر في الآتي:

أ - يجب الاسعاف المباشر وبدء العلاج فورا فينقل المقاتل المريض من الميدان إلى مكان يكون أقرب ما يكون الى جبهة القتال ويستريح وينام ويهدأ نفسياً ويعطى الغذاء المناسب الكافي ويعطى مهدئات « مثل اميتال وكلور برومازين » ويمكن أن يعود إلى الميدان بعد أن يستعيد الثقة في نفسه في ظرف ٤٨ - ٧٢ ساعة.

ب - وإذا لم تتحسن الحالة ينقل المريض إلى عيادة من عيادات القاعدة البعيدة[١] نسبيا عن جبهة القتال للعلاج ويعطى المهدئات والمنومات والتغذية الحسنة، ويمكن أن يعود إلى الخدمة بعد بضعة أسابيع.

جـ - وإذا استمرت حالة الاضطراب فيستمر معها العلاج النفسي وخاصة العلاج الجماعي والمحاضرات والمناقشات والافلام عن أسباب الخوف والأعراض النفسية الجسمية وكل جوانب عصاب الحرب، ويستخدم كذلك العلاج بالعمل وقد يستخدم علاج النوم المستمر.

د - وإذا أزمن الاضطراب يصبح المقاتل غير صالح للخدمة العسكرية ويستمر العلاج النفسي الفردي مع العلاج بالصدمات الكهربائية وعلاج الأنسولين المعدل والمهدئات مع الاهتمام بالنشاط

---

(١) حامد زهران: الصحة النفسية والعلاج النفسي. القاهرة عالم الكتب، ١٩٧٨ (ص ٤٣٨ - ٤٤٠).

الجماعي مع إستخدام أي أسلوب علاجي آخر جسمي أو نفسي حسب حالة المريض. وأحيانا يستخدم العلاج بالنوم المستمر.

وفيما يلي أهم إجراءات الوقاية من عصاب الحرب:

أ - يجب أن يقوم الاخصائي النفسي في القوات المسلحة، بالتعرف على المقاتلين المعرضين للإضطراب النفسي تحت ظروف المعركة المضطربي الشخصية وغير الناضجين وغير المتوافقين والمعرضين للأمراض النفسية الجسمية أو العصاب أو الذهان وضعاف العقول لأن هؤلاء لا يكون لهم فائدة في الحرب بل يكونون عبئا ويضعفون الروح المعنوية لزملائهم المقاتلين العاديين[١] ويقللون من الكفاءة القتالية للوحدة.

ب - يجب رفع الروح المعنوية في القوات المسلحة ويساعد على ذلك النظام الجيد والعلاقات الشخصية والاجتماعية الطيبة بين الضباط والجنود وحسن التغذية والملابس والمعاملة والعناية الطبية والرعاية النفسية الخ.

جـ - تعليم المقاتلين كيف يضبطون انفعال الخوف.

د - عصاب السجن (متلازمة جانسر):

ويسمى متلازمة «الإجابات التقريبية» ويحدث غالباً عند المسجونين والمتهمين أثناء المحاكمة أو في السجن لكي يتهرب المتهم أو المسجون من التحقيقات الكثيرة أو لكي يتجنب نظام السجن، وحيث يكون في وضع يمكن أن تخف عقوبته إذا ثبت عدم مسئوليته.

وأهم أسبابه الإتهام والسجن رهن التحقيق والمحاكمة والإعتقال والسجن بعد الحكم.

---

(١) المرجع السابق.

أعراض عصاب السجن:

فيما يلي أهم أعراض عصاب السجن.

١ - الإجابات التقريبية التي لا تتطابق مع الأسئلة الموجهة إليه.
٢ - اضطراب الذاكرة وعدم القدرة على التعرف على الأقارب.
٣ - عدم القدرة على استخدام قدرته العقلية المعرفية.
٤ - السلوك الشاذ الغريب الساذج.
٥ - التهيج أو الذهول، والظهور بمظهر غير المسئول عن أعماله.
٦ - النوم المفرط أحيانا.
٧ - على العموم يكون السلوك نوعا من الخبل الهستيري الكاذب.

لعلاج عصاب السجن يجب الاهتمام بالعلاج النفسي المناسب إشرح ديناميات الحالة. وعلاج الإضطرابات الرئيسية المصاحبة.

هـ - الإستحواز (العصاب القهري): -

وتتميز الحالات الاستحوازية بأنها تسيطر على الفرد وتستحوذ عليه في شكل فكرة أو خاطرة يعجز الفرد عن التخلص منه. كذلك الذي تساوره رغبة في قتل شخص ما فيحاول التخلص من هذه الرغبة إلا أنها تجد سبيلها دائماً إلى فكرة، وهي تسمى بالأفكار الإستحوازية. وقد يسيطر على الفرد عمل من الأعمال لا يرى مفرا من القيام به رغم إدراكه لعدم جدواه وسفاهته، كالشخص الذي يجد نفسه مرغما على أن يغسل يديه كل خمس دقائق، ولا يطمئن له بال حتى يقوم بهذا العمل. ويتميز الأفراد الذين يعانون من الاستحوازية سواء أكانت أفكاراً أم أفعالا بأنهم قد نشأوا في بيئة متزمتة، متعسفة في القيود التي أحاطت بها نشأة الفرد، قاسية في تدريبه على النظافة، وضبط العمليات الإخراجية.

و - النيوراستانيا:

أما « النيوراستانيا » فكانت تطلق قديما على كل الحالات العصابية النفسية التي تصاحبها أعراض جسمانية، ولكنها تطلق الآن على الحالات التي تبدو فيها على الفرد أعراض تشبه الإجهاد العقلي والجسماني. فيبدو المريض شاحب الوجه مجهداً، عاجزاً عن القيام بأي مجهود جسماني أو عقلي، وإذا أرغم على ذلك تصبب عرقاً وتخاذلت قواه. وقد يظن البعض أن مثل هذه الحالة نتيجة العمل المستمر والإجهاد المتواصل، فيقترحون الراحة للمريض والإنصراف عن القيام بأي عمل، إلا أن هذا لا يؤدي إلى تحسين الحالة. ومن المتعارف عليه حاليا أن حالات النيوراستانيا يمكن إرجاع أسبابها إلى تاريخ طويل من الصراع وعدم التكيف في حياة الفرد. وما الأعراض الجسمانية إلا أعراض ثانوية مصاحبة. وقد ثبت أن الانفعالات العنيفة واحتكارها لإهتمام الفرد في كل وقت تسبب من الاجهاد والإعياء ما لا يسببه الإجهاد الجسمي.

ز - الفصام:

يوجد هذا المرض في كل الأجناس البشرية وفي كل الدول. والفصاميون يكونون أكبر نسبة من المرضى في مستشفيات الأمراض العقلية.

يصيب هذا المرض عادة المراهقين والشباب. إلا أنه قد يصيب الفرد في أي مرحلة من مراحل حياته. وتظهر أعراضه في فصائل تميز أنواعه المختلفة وهذه الفصائل هي:

١ - الهيبفرينية.
٢ - الكتاتونية.
٣ - البسيطة.
٤ - الإضطهادية.

٥ - وشبه العصابية.

ويتميز سلوك المريض في الهيبفرينية بالطفلية والنكوص إلى مرحلة بدائية أو مرحلة من مراحل الطفولة الأولى التي لا يراعى فيها عرفاً أو تقليداً. كما يتميز ببلادة العاطفة إذ قد يسمع عن وفاة أقرب المقربين إليه دون أن تهتز مشاعره وكأن الأمر لا يعنيه أو يمت إليه بصلة. هذا بالإضافة إلى التفكير الذي لا منطق فيه.

وتفترق الكتاتونية عن الهيبفرينية في تيبس صاحبها جسمانيا ونفسيا. فقد يجلس المريض الساعات الطويلة جامدا في مكانه مطأطىء الرأس دون أيما حركة. وإذا اقترب منه إنسان لم يحس بوجوده. وإذا ما وضع في أي وضع ثبت فيه دون مقاومة. فإذا كانت هناك محاولة لرفع ذراعه إلى جانبه تركه مرفوعا دون إنزاله وكأنه ليس جزءاً من جسمه. كما يتميز بالسلبية إذ يصعب التحدث إليه أو إشراكه في أي وجه من أوجه النشاط، فيعزف عن الطعام ولا يكترث بتنظيف نفسه. كما قد يتفجر في موجات إعتدائية من وقت لآخر.

ويندر ظهور الأعراض الحادة في حالات البسيطة إلا أن التدهور يعتريها ببطء مستمر، ويبدو المصاب بها وكأنه واحد من ضعفاء العقول نظراً لعدم قدرته على التمييز أو التطلع إلى المستقبل ومظاهر عدم المبالاة التي تعتريه. ويظهر المرضى به وكأنهم فقدوا كل طعم للحياة، وتدهورهم المستمر نادراً ما يؤدي إلى إستردادهم الشعور بالحياة والواقع.

ويشعر المريض بإضطهاد يتسم بالأوهام في المعتقدات والأفكار والأفعال.

وتشترك كل حالات مرض الفصام في تبلبل الأفكار وعدم انتظامها، وعدم المبالاة، وعدم القدرة على الحكم على الأشياء.

ويميل المريض قبل إستفحال المرض إلى العزلة، ويشعر بأن هناك من يرقبه أو يتحدث عنه، ويعبر عن الخوف من العقاب، والشكوى من أمراض جسمانية، ويكون سلوكه عاما غريبا(١).

ر - الجنون الدوري «النواب»:

ويحتل هذا المرض المرتبة الثانية في الأهلية بعد المرض السابق، إلا أنه يفترق عنه في أن نسبة كبيرة ممن يصابون - تبلغ الثلثين - تشفى عادة منه. ونادرا ما يصيب هذا المرض فرداً تقل سنه عن ١٨ سنة. وتدل الإحصائيات على أن بداية المرض تعقب عادة مرضاً جسمانيا او فقدان الثروة أو الفشل في الحب أو الوظيفة أو ما شابه ذلك.

ويتميز هذا المرض إما بموجة من التجلي المصحوبة بنشاط أو إضطراب وهياج، أو بموجة من الإنقباض والحزن العميق والبكاء. وفي حالة الحزن يفقد المريض قدرته في السيطرة على نفسه إذ يصعب عليه كبح موجتها. وتعتريه فترات يفقد فيها ذاكرته ويصعب عليه إدراك ما حوله، فتعتريه البلادة الذهنية. ويعجز عن القيام بأي وجه من أوجه النشاط العادية، وقد يستدعي الأمر إطعام المريض بالقوة. ومن الأعراض المألوفة شكوى المريض من جفاف الفم والحلق، ومن كثير من الأمراض الجسمانية التي لا وجود لها. وتكون هذه الشكوى جزءاً من أوهامه وتتركز عادة حول وظائف المعدة والأمعاء وقد يصر بعض المرضى على عدم وجود معدة أو أمعاء لهم. ويخشى على كثير من هؤلاء المرضى من محاولة الانتحار.

---

(1) Klein, D.N., «Activity-with drawal in the differential diagnosis of Schizophrenia and mania» Journal of Abnormal psychology, 1982, vol. 91, No 3,15-164.

س - جنون الإضطهاد:

تتضمن أعراض هذا المرض الغيرة الشديدة. والشك في الآخرين وأهدافهم، وتفسير ما يفعله الغير من وجهة نظر شخصية بحتة دون محاولة التحقق من صدق النتائج التي يهديه إليها التفكير. والمريض به لا يحتمل نقاشا أو جدلاً، وتنتظم أفكاره في سلسلة منطقية يخدع بها نفسه وغيره. كما يمتاز بالميل الشديد للانتقام، وبذكاء فوق المستوى العادي، كما يمتاز إجتماعياً وعلمياً واقتصادياً في كثير من الأحيان ويميل عادة إلى المباهاة والمفاخرة، والحساسية الزائدة، والجمود والتزمت.

ويختلف المريض بهذا المرض عن المريض بالاضطهادية الفصامية[1] في أن تفكيره منطقي منظم. وتتصل أعراض مرضه بأوهامه الفكرية التي تدور حول شعوره بالاضطهاد، ورغبته في الانتقام، وحب العظمة. وقد تعتري المريض موجات من الهياج والإضطراب والغضب والنشوة وما إليها مما يشبه أعراض التجلي في الجنون الدوري. كما قد تعتريه حالات من الضيق والكرب والحزن إلا أن هذه الانفعالات تعتبر ثانوية بالنسبة للأعراض الأولية - أعراض الأوهام الفكرية.

وليس عجيباً ألا ترى نسبة كبيرة من المرضى بهذا المرض في المستشفيات العقلية، لأن ذكاءهم يساعدهم على التهرب. والمجنون بجنون الأضطهاد قادر على إيقاع غيره في مشاكل مختلفة انتقاما منه لأسباب ينسجها خياله، وهو حريص على أن لا يتورط هو نفسه في هذه المشاكل. لذ كانت مشكلة هؤلاء المرضى كبيرة، لأنهم ينغصون حياة كل من يتعامل معهم أو يحتك بهم، لتأويلهم وتفسيرهم أي بادرة بأنها اضطهاد لهم. فمنهم ذلك النوع الذي يقدم في جاره أو زميله في العمل الشكوى

---

(١) المرجع السابق.

تلو الشكوى للجهات المسئولة أو البوليس متهما إياه بشتى التهم التي لا أساس لها، وأن تزوج فهو دائم الشك في زوجته والغيرة عليها. وكثير منهم يحتل مناصب عامة كبيرة فيصبون نقمتهم على من يعمل معهم دون نظر للصالح العام أو المسئولية التي في أعناقهم.

والخلاصة يعتبر الشعود بالاضطهاد، والغيرة الشديدة، والشعور بالعظمة والجنسية المثلثية الكامنة من أهم أعراض هذا المرض.

ص - الصرع:

هناك من الأمراض العقلية ما يعزي إلى تغيرات في تكوين المخ ووظيفته، وتسمى هذه الأمراض بالأمراض العقلية العضوية. فقد يحدث أن لا ينمو المخ نمواً طبيعياً، أو تصيبه عدوى مرضية كعدوى الزهري، أو يلحق به ضرر، أو تنمو تورمات فيه، فتؤدي هذه الحالات إلى اضطرابات عقلية.

والصرع حالة من الاضطراب في النشاط الكيميائي الكهربائي للمخ، تؤدي إلى ظهور أعراض منها الغيبوبة والتشنج العصبي، ويصاحبه كثير من المشاكل النفسية. وبالرغم من أن من يصابون به يكونون عادة في مستوى ذكاء متوسط أو فوق المتوسط إلا أن المرض يحول بينهم وبين كثير من الوظائف والقيام بكثير من الأعمال.

ويمكن حصر أنواعه كالآتي:

١ - أشد حالات هذا المرض هي التي يصاب فيها المريض بالنوبة فجأة بالرغم من وجوده في حالة عادية قبل ذلك بدقائق، فيخر مغشياً عليه في عرض الطريق أو في المنزل أو في أي مكان، ويغيض لونه وترتسم على عينيه نظرة كنظرات المشدوه، فتتخشب أطرافه، ويخرج الزبد من فمه. وتعتري الجسم حركات تشنجية ما بين تقلص وارتخاء في حركات متتابعة، ويكز على أسنانه وقد يعض لسانه فيقطعه، وقد يجد

صعوبة في التنفس عند بدء الصدمة، وقد يتبول المصاب أو يتبرز لا إرادياً. فإذا ما مضى عليه ما بين دقيقتين وخمس دقائق يذهب في سبات عميق، ويبقى على تلك الحالة أحياناً مدة قد تستمر إلى ما يقرب من الساعة. ويخشى على المصاب عند وقوعه تعرضه لإصابات جسمانية. من أثر إصطدامه بالأرض أو وجوده في عرض الطريق أثناء مرور سيارة فتدهمه، وما إلى ذلك.

ويمكن تلخيص أعراضه في الغيبوبة التامة الفجائية، والتشنجات الجسمانية، والسبات بعد الصدمة، والتنبه التدريجي. وقد تصيب الفرد نهاراً أو ليلا أثناء نومه.

ومما يلاحظ أن ما يزيد عن ٥٠٪ من المصابين بهذا النوع الحاد يسبق حالات التشنج عندهم بعدة ثوان ما يشبه الإنذار بإقتراب النوبة.

ويختلف نوع الانذار من فرد لآخر. فقد تكون مجرد شعور بإحساسات معينة في المعدة، أو الدوار، أو تنمل في الأقدام أو في الأيدي، وقد تكون هناك إحساسات غريبة في العين أو الرأس أو العضلات وما إلى ذلك.

٢ - ومن حالات هذا المرض حالة أخف من الأولى، تبدو أعراضها في شكل نوبات قصيرة من الدوار وفقدان الشعور، وإضطراب في تعابير الوجه، وتوقف عن العمل، وقد تمر سريعاً جداً دون أن يلاحظها أحد حول المصاب الذي يعود بعدها إلى حالته الطبيعية. وقد تكون النوبات أقسى من ذلك مع بعض الأفراد. فقد يتدلى الرأس. وتحدث بعض التشنجات العضلية. وقد تتطور هذه الحالة إلى حالة عنيفة من حالات النوع الأول. وتكون حالات النوع الثاني أكثر تكرارا

من حالات النوع الأول، فقد يعاني نوباتها الفرد من واحدة إلى مائة في اليوم[1].

٣ - النوبات الجاكسونية: وتتميز هذه النوبات بتشنج عضو من أعضاء الجسم كالذراع أو الرجل، ولا يفقد معها المصاب شعوره إلا أنه يفقد إرادته في التحكم في حركة العضو الذي يبدو فيه المرض. وقد تنتشر النوبة وتتحول إلى نوبة كبيرة من النوع الأول.

٤ - والنوع الرابع تختلف أعراض النوبات فيه من فرد إلى فرد. إذ تضطرب الحالة الشعورية للفرد الذي يتصرف ويتكلم وكأنه في حالة لا شعورية فيمشي ويكز على نواجذه، ويرتدي ملابسه، وقد يتكلم كلاما غير متسق، ويجيب إجابات مضطربة على ما يوجه إليه من أسئلة. وقد تستمر مثل هذه النوبات معه لعدة دقائق وقد تطول فتستمر ساعات أو أيام. ويبدو بعض المصابين وكأنهم مخمورين ويعتدون على كل من يتدخل في تصرفاتهم. وقد يرتكب البعض عنهم جرائم أثناء النوبة لا يتذكرها بعد إنقضائها.

٢ - إضطرابات الشخصية

أولا عام:

يلاحظ أن الجندي المستجد يدخل الجيش ويحمل معه تاريخه الماضي في حياته المدنية بما فيه من عادات وتقاليد وقيم وثقافة ومستوى إقتصادي وإجتماعي معين. وهو لا ينفصل عن مشكلاته الإجتماعية إذ أنه مرتبط بها ويعود إليها أثناء إجازته وقد يعيش بفكره مع مجتمعه

---

(1) Arieti, S. American handbook of psychiatry, 2nd ed, Basic Books, New York, 1974.

وهو في وحدته. كما أن اختلاف دوافع الجنود واهتمامهم ورغباتهم إختلافا بينا يؤكد إختلاف أنماط الشخصية[١].

ويلاحظ أن نوع الإضطراب النفسي والعقلي يظهر في شكل تصرفات فردية، وينعكس في علاقات المريض برؤسائه وزملائه. والقائد الناجح هو الذي يستطيع فهم سلوك الأفراد تحت قيادته ومعاملتهم بالأسلوب المناسب. وفهم الشخصية وأنواعها ونماذجها يساعد القائد على معرفة نوع الإضطراب ومدى خطورته وبالتالي يستطيع اكتشاف الأنماط السلوكية المرضية منذ البدء وقبل تدهور المرض. والوقاية عن طريق وضع الجندي المضطرب أو الذي لديه ميول للإضطراب في المكان المناسب بعيداً عن المؤثرات المثيرة للمرض. هذا ويجب الإبلاغ عن الحالات التي تقتضي علاج طبي أو نفسي أو اجتماعي بدلاً من إهمال الحالة مما يؤدي إلى تفرع المشكلات وتفاقمها.

ويطلق هذا الإسم «اضطرابات الشخصية» على مجموعة من الشخصيات التي تتصف بصفات شديدة التطرف عن صفات الشخصيات العادية، وعلى ذلك فنحن هنا إذا قلنا أن الشخصية وسواسية مثلا، لا نعني ذلك الميل المعتدل إلى النظام والدقة... أو هذا التحفظ الخاص بشأن النظافة أو المواعيد مما قد يصف شخصا عاديا دون أن يندرج تحت لفظ «اضطراب». ولهذا ينبغي - ومنذ البداية - أن نميز بين «نوع الشخصية» وهو الذي نجده في الحياة العادية وبين الأفراد والأسوياء، وبين «إضطرابات الشخصية» وهو الذي نشير إليه هنا[٢].

---

(1) Bray. C.W. Psychology and military proficiency, New Jersey 1948.

(2) Lion. J.R. Personality disorders, diagnosis and management. The Williams & Wilkins CO. Baltimore, 1974.

وعلى ذلك ينبغي التنبيه أننا لا نصف شخصاً بأن عنده هذا النوع من اضطراب الشخصية لمجرد أن عنده هذه الصفات أو تلك، ولكنا نصفه بذلك إذا أصبح سلوكه مصدر معاناة له أو لمن حوله من أفراد الوحدة أو مصدر تصادم مع الانضباط العسكري.

ثانيا: يمكن تصنيف إضطرابات الشخصية كالآتي:

١ - الشخصية الشيزويدية: «شبه الفصامية»: وتتصف هذه الشخصية بأن حياتها الإنفعالية خالية من الاستجابات الوجدانية السلسلة وكذلك من الرنين الوجداني الداخلي، وتبدو تفاعلاتها الانفعالية على طرفي نقيض من شدة الحساسية والاستثارة على ناحية اللامبالاة والبرود على الناحية الأخرى، وبغض النظر عن التصرفات الظاهرية للشخص الشيزويدي فإنه يشعر شعوراً عميقاً بالوحدة وأن أحداً لا يفهمه وأنه غير راض باستمرار، كما أنه متحوصل حول ذاته، دائم الاستبصار والتفكير في ذاته، شديد التحيز الشخصي في تفكيره حتى لا يكاد يتعرف على الواقع خارجه، وقد يتصف بالخجل والعناد والغموض وأحياناً المثالية والميل إلى الشك والإنطواء.. مما قد يعوق إنطلاقة الخلاق حتى ليقوم بواجبه بشكل متواتر رتيب.

ويمكن تقسيم هذه الشخصية لأنواع فرعية أهمها:-

أ - الشيزويدي الحساس المستثار: وهو الذي ينفعل لأقل لمسة، ويثور لأقل هفوة، وينسحب تحت أقل ضغط.

ب - الشيزويدي الرقيق الخجول: وهو الذي يبدو مهذباً يعمل حساباً للآخرين ولا يجرح شعور أحد بدرجة مفرطة «وهو في الواقع يحافظ على ألا يجرح أحد شعوره بالتالي» وهو يتبع آداب السلوك بشدة ويبالغ في الود الظاهري رغم شعوره الدفين بالوحدة والتفرد.

جـ - الشيزويدي الخيالي: وهو الشخص دائم التهويم في أحلام اليقظة، ورسم خطط مستقبلية لا يمكن تحقيقها، وفي نفس الوقت لا يتنازل عنها ليقينه أن هذا هو المثال الواجب.

و - الشيزويد المتلون [شخصية «كأن»][1]. وهذا هو النوع من هذه الشخصية يتميز بأنه من فرط خواء ذاته وشعوره بعدم التقبل وخوفه من الترك والهجر يتلون بلون المجتمع أو الشلة أو الموقف الذي هو فيه...، وهو يختلف عن الأمّعة أو التابع حيث أن هذا الأخير قد يندرج تحت الشخصية السلبية الاعتمادية أما المتلون فإنه يتلون تلقائياً وبدون وعي منه، فهو مع المهرجين مهرج، وهو مع المفكرين مفكر،، وهو مع المتدينين متدين، وهو ليس تابعا بقدر ما يبدو مقتنعا «في الظاهر» بما يفعل، حتى لقد يبز أفراد المجموعة في مضمارها أحياناً.. إلا أنه يفتقد إلى الأصالة ويتصف بثقل الدم والخواء حيث لا معالم خاصة له...

٢ - الشخصية البارنوية: يتصف هذا النمط من السلوك بالحساسية المفرطة، والتصلب في الرأي، والمبالغة في الشك، والميل إلى الغيرة، ومشاعر الحسد والحقد الغالبة، والمبالغة في تقدير الذات مع ميل إلى لوم الآخرين واتهام العالم من حوله بالشر والعدوان، وقد تتدخل هذه الصفات في علاقاته الشخصية فتعجزه عن عمل علاقات ناجحة خاصة.

٣ - الشخصية النوابية: وتتميز هذه الشخصية بفترات متناوبة من الاكتئاب والمرح، ولكن أيها لا يصل إلى درجة المرض المحدد وظهور الأعراض المميزة (وإن كان صاحب هذه الشخصية يتميز بأنه عرضة

---

(١) وصفتها المحللة النفسية «هيلين روبنسن» وأسمتها «**as if personality**».

لهذه الأمراض الدورية). وتتصف فترة المرح بالطموح الزائد والدفء العاطفي والحماس والتفاؤل والطاقة الزائدة، كما تتصف فترة الاكتئاب بالتشاؤم وهبوط الطاقة والاحساس باللاجدوى.

٤ - الشخصية الوسواسية القهرية: وتتصف هذه الشخصية بالمبالغة في الاهتمام بالنظام والتمسك بقيم ثابتة وضمير حي تماما، وبالتالي فإن صاحب هذه الشخصية قد يبدو صلب الرأس، شديد القيود الداخلية، شديد شعوره بالواجب والأصول وغير قادر على الاسترخاء، كما يتميز بالدقة المتناهية والنظافة والترتيب.

ولا بأس أن نوضح أن مثل هذا الشخص يتصف بهذه الصفات منذ طفولته، فهي لا تطرأ عليه وليس لها بداية محددة وليس لها أعراض جزئية مرهقة حتى درجة المرض العصابي المحدد وظهور الأعراض المميزة كما هو الحال في العصاب الوسواسي القهري.

٥ - الشخصية المضادة للمجتمع (السيكوباتية): وهذه الحالة هي التي كان يطلق عليها قديما «السيكوباتي المتعدي» وهي ترجع إلى سن مبكرة.. لم يمكن من خلال التنشئة الخاصة أن تتأقلم مع المجتمع أو تحترم قيمه، وهي غير قادرة على الاستجابة والتأقلم لفرد أو لمجموعة أو لقانون أو للمجتمع ككل، كما تتميز بأن قدرتها على إحتمال الإحباط ضعيفة للغاية، وأن أنانيتها ظاهرة وشعورها متبلد وتصرفاتها فجة وفجائية، وكثيرا ما يسرع صاحب هذه الشخصية إلى تبرير أفعاله ولوم الآخرين. على أنه ينبغي الإشارة إلى أن مجرد التصادم مع المجتمع أو الحكم على أحد الأفراد بحكم قانوني لا يدرج الشخص تحت هذا النوع من الشخصيات بالضرورة، إذ قد يحدث مع المجتمع فجأة، أو بالصدفة، أو نتيجة ظروف طارئة، أما هذه الشخصية فهي تتصف بهذه الصفات الشمولية بصفة دائمة... سواء وقعت تحت طائلة القانون أم لا.

٦ - الشخصية السلبية الاعتمادية: وهذه الشخصية تتصف بالافتقار إلى الثقة بالنفس، وتغمرها مشاعر بالعجز وعدم القدرة على اتخاذ القرارات، وهو دائم الاعتماد على الآخرين ويحتاج إلى التطمين والتشجيع باستمرار.

٧ - الشخصية الهستيرية: وتتميز هذه الشخصية بأنها غير ناضجة أيضاً، وتظهر علامات عدم النضج في حالة الاستجابة العاطفية وعدم الاستقرار الانفعالي والميل إلى التهويل والمبالغة، والميل إلى جذب الانتباه ولفت الأنظار، وكل هذه النزعات هي من صفات تأخر النضج أكثر منها نمط ثابت أو نزعة خاصة، وبالتالي فإنها قد تقل تدريجياً مع التقدم في العمر.

٣ - أعراض الأمراض النفسية:

تختلف الأعراض التي تظهر على مرضى الأمراض النفسية اختلافاً بيناً، فقد تكون الأعراض شديدة واضحة حتى يدركها العامة لأول وهلة، وقد تختفي لدرجة أن يصعب تمييزها إلا لذوي الخبرة المتمرسين على اكتشافها وإدراكها مما يضطر الطبيب إلى إعطاء بعض العقاقير المثيرة كي تساعد على ظهورها وتمييزها. والأعراض المقنعة لا تقل اهمية عن الأعراض الظاهرة بل قد تزيد، إذ أن إدراكها يكون في المراحل الأولى للمرض، تلك المراحل التي يمكن فيها أن يعالج المريض علاجا ناجحا إذا نحن بذلنا الجهد الكافي للوصول الى «التشخيص المبكر». هذا وقد تكون الأعراض بالغة الشدة بحيث تضطرب معها علاقة الفرد بمجتمعه، الأمر الذي يجعل المريض عبئاً ثقيلا على من يعيشون معه، كما قد تكون خفيفة حتى أن المريض يستطيع أن يمارس عمله ويحافظ على مستوى إنتاجه وعلاقاته الاجتماعية، الأمر الذي قد يجعل ذهابه إلى الطبيب النفسي مدعاة لدهشة مخالطيه، غير أن هذه الأعراض الخفيفة

قد تسبب لصاحبها من الألم و المعاناة مالا يطيق، رغم مظهره السوي... هذا فضلا عن أنها قد تتطور إذا ما أهملت إلى أعراض أشد خطرا وأصعب علاجا.

أولا - المظهر العام:

إذا نظرنا بدقة وعناية إلى المظهر العام للمريض أمكننا أن نعلم عن حالته النفسية والعقلية الشيء الكثير مما يساعدنا في تشخيص المرض ومعرفة درجة خطورته، لذلك فإننا نحاول أن نفحص في المظهر العام ما يلي:

١ - التكوين الخلقي: يختلف التكوين الخلقي من شخص لآخر، فهناك الشخص النحيف والبدين وذو التكوين العضلي وذو التكوين غير المنتظم وقد يتصف الإنسان بأكثر من صفة من الصفات في نفس الوقت، وهناك اعتقاد أن كل مرض نفسي يكثر في تكوين خلقي معين وذلك لأن كل تكوين جسمي يرتبط بتكوين الشخصية بشكل ما، فنرى أن الشخص ذو التكوين البدين أميل إلى المرح وتكون شخصيته إنبساطية بينما الشخص النحيف يكون أميل إلى الانطواء... وهكذا، وقد لوحظ أن جنون الهوس والإكتئاب يكثر في البدين، بينما الهستيريا والصرع يكثران في التكوين العضلي وأما النيوراستانيا فنجدها أكثر ما تكون في التكوين النحيف، ونجد الفصام كذلك في التكوين النحيف وغير المنتظم، لكل ذلك نجد أننا بملاحظة التكوين الخلقي للمريض يمكن تكوين فكرة عامة عن شخصيته ومرضه ولكنها ينبغي أن تكون فكرة مبدئية قابلة للمناقشة والتحوير لأن أي مرض يمكن أن يحدث في أي تكوين.

٢ - تعبيرات الوجه: تدل تعبيرات الوجه على حالة المريض الانفعالية، فمثلا ترى المريض المكتئب يظهر الحزن واضحاً على وجهه بينما نرى المريض في حالة الهوس (لا سيما الهوس الخفيف) يطل السرور

من عينيه... ونجد الوجه بلا تعبير إطلاقا في بعض حالات الفصام. على أننا لا ينبغي أن نخدع في تعبير الوجه فكثيرا ما يبتسم المريض «وقلبه حزين» (على حد تعبيره) وكثيراً ما يكون الابتسام على موقف يدل على السخرية أو الهزء وليس على المرح أو السعادة لذلك فإن الدقة في معرفة ما وراء الابتسام مهمة ولازمة.

٣ - حالة الملابس: طريقة الانسان في إرتداء ملابسه وحالة هذه الملابس ولونها قد تساعد على معرفة شخصية الانسان ومدى انفعالاته، فإرتداء الملابس السوداء قد يدل على الحزن، وإهمال الملابس علامة على عدم الاهتمام والاضطراب وهكذا... وكذلك الحال في المرض النفسي فقد تكون الملابس نظيفة وأنيقة كما في حالات الهستيريا، أو قذرة وممزقة كما في حالات الهياج، أو غير متناسقة وشاذة مما يدل على وجود إضطراب في تفكير المريض، ويغلب هذا في مرض الفصام. كما قد نجد مريض «الهوس الخفيف» وقد ارتدى ملابسا زاهية الألوان جدا، وإن كانت فتاة أو سيدة فقد تلبس ملابس مبهرجة.

٤ - حالة الشعر: إن حالة الشعر كحالة الملابس تساعد على الاستدلال على الحالة النفسية للمريض، فقد يكون الشعر طويلا أو قصيرا بشكل غير عادي، وقد يكون نظيفا ممشطا أو قذرا مشوشاً، وقد يكون للشعر دلالة خاصة: فالمريض الذي يترك خصلة من شعره على جبهته بطريقة معينة «قصة» قد يشير ذلك الى احتمال أنه يعاني من ضلال العظمة وأنه يعتقد أنه «هتلر» وكذلك المريض الذي يحلق رأسه بالموسى قد يكون متقمصاً شخصية أحد ممثلي لسينما الصلع.

٥ - الوضع: قد يكون وضع المريض «الوقفة أو الجلسة» ذا دلالة خاصة تفيد في التشخيص، ومثال ذلك أن المريض الذي يضع يده بصفة دائمة في فتحة قميصه قد يكون معتقداً أنه «نابليون بونابرت»

والمريض الذي يمد يده تجاه الشمس بإستمرار قد يعني هذا أنه يعبدها أو أنه يتشبه بفقراء الهنود[١]... وهكذا.

٦ - الحركة: يختلف النشاط الحركي للإنسان بتغير حالته الانفعالية. فإننا قد نرى الشخص السعيد المرح كثير الحركة والكلام، كما قد نرى الشخص الحزين بطيء الحركة... وهكذا، وفي المرض تختلف الحركة كذلك من حيث الكمية والنوع. فمن حيث الكمية قد تكون الحركة قليلة «في الاكتئاب مثلا» أو كثيرة في الهوس، ومن حيث النوع قد تتصف الحركة بطابع خاص يحتاج إلى توضيح وإفاضة نورده فيما يلي:

أ - إن الحركة قد تتصف بالتكرار كما يبدو في الصور التالية:

(١) الأسلوبية:

وهي حركة أو مجموعة حركات غريبة يعيدها المريض بإستمرار بطريقة متواترة: وذلك مثل عمل حركة تعبيرية معينة بواسطة عضلات الوجه (كرفع الحاجبين مثلا) ثم يكرر هذه الحركة بطريقة مستمرة، أو مثل لف اليدين على بعضها وكأنه يغسلها دون توقف... الخ وقد تظهر الأسلوبية في الكلام فيكرر المريض بعض الكلمات بطريقة مستمرة دون أن يقصد معناها ولا يفوتنا أن نذكر في هذا المقام أن الكلام تفكير ثم تنفيذ حركي بهذا التفكير بإستخدام حركة أعضاء الكلام كالشفتين واللسان.. الخ.

على أن الأسلوبية تتم عادة من وراء وعي المريض بحيث إذا سئل عما يفعل لدهش أو أنكر أو لم يجد تفسيراً، هذا إذا أجاب[٢].

(1,2) Jasper, K.: General Psychopathology. Manchester University Press, 1962.

(٢) الانثنائية الشمعية:

في هـذه الحـالـة يكون التكرار هو تكرار الوضـع أي ثبـاتـه وإستمراره، فيمكن الفاحص أن يضع أحد أطراف المريض أو حتى جذعه أو رقبته في أي وضع ثم يتركه فنجد أن المريض يستمر على هذا الوضع لمدة طويلة تفوق المدة التي يمكن للإنسان العادي أن يتحملها بكثير، وذلك لأن خاصية التعب العضلي الفسيولوجي تضطر الانسان العادي إلى أن يغير من الوضع الثابت المتعب إلى وضع مريح، بينما يضطرب هذا الإدراك في هذا المريض. وتسمى هذه الظاهرة بالانثنائية الشمعية لأن الأطراف تنثني معنا كيف شئنا وكأنها مصنوعة من الشمع إذ يمكن تشكيلها ووضعها في أي صورة.

(٣) اللوازم:

وهي حركة بسيطة متكررة تدل على عادة متأصلة يصعب التخلص منها ومثال ذلك قفل الجفنين وفتحها (البربشة) أو رفع الحاجب أو تحريك الفم بطريقة معينة... الخ، ويحدث هذا أحيانا للأشخاص الأسوياء كما يحدث عند المصابين بالعصاب.

ب - وقد تتصف الحركة بالاستهواء أي قابلية المريض لمحاكاة الغير دون تفكير أو اقتناع ومن صور الاستهواء ما يلي:

(١) الطاعة الأولية:

وهي أن يستجيب المريض آليا لأية أوامر تلقى إليه دون تفكير أو تبصر حتى ولو كانت هذه الأوامر شاذة أو ضارة، فلا يستطيع مثلا أن يمتنع عن إخراج لسانه إذا ما طلب منه ذلك حتى لو هددناه أننا سوف ندخل إبرة في لسانه إذا ما أخرجه[1].

---

(1) Klein, D.N. «Activity- Withdrawal in the differential diagnasis of & Schizophrenia and mania» Journal of Abnormal psychology 1982, vol. 91, No 3, 157 - 164.

(٢) رجع الكلام ورجع الحركة:

هي أن يقلد المريض حركات الشخص الذي يتحرك أمامه حرفياً: فإذا رفع يده رفع المريض يده كذلك إذا أخرج لسانه قلده المريض تقليدا أعمى... وهكذا، أما رجع الكلام فهو أن يعيد المريض الكلمات وكل من المحاركة (رجع الحركة) والمضاداة (رجع الكلام) تتمان بطريقة آلية وهما صورة من صور الطاعة الآلية (ونود أن نشير إلى أن رجع الكلام ما هو إلا نوع خاص لرجع الحركة فليس الكلام إلا نشاط حركي صوتي).

(٣) الخلف:

هو أن يستجيب المريض لأي أمر يلقى إليه استجابة عكسية، فإذا طلبنا منه رفع يده خفضها وإذا طلبنا منه الإلتفات إلى اليمين إلتفت إلى الشمال وهكذا... و «المقاومة» نوع من الخلف وفيها لا يقوم المريض بالفعل الذي يطلب منه ولا يقوم بالفعل العكسي ولكنه يقاوم الأمر ولا يأتيه.. ويتضح أنه يرفض الطاعة لأي أمر، فإذا طلبنا مثلا من المريض الدخول الى الحجرة وهو عند الباب فإنه يظل واقفا عند الباب لا يدخل ولا يخرج. ونلاحظ أن الخلف والمقاومة هما عكس الطاعة الآلية على طول الخط. لذلك تسمى الطاعة الآلية إستهواء ايجابي أي الاستجابة إلى الأمر كما هو. كما يسمى الخلف والمقاومة استهواء سلبي وهو الاستجابة إلى الأمر بفعل عكسه أو عدم فعله إطلاقا ونلاحظ كذلك أن التصلب الشمعي الذي هو تكرار لوضع معين ما هو إلا طاعة آلية حركية إتصفت بصفة التكرار.

(٤) الذهول:

وهنا يبدو المريض وكأنه قد تجمد في موضعه، فلا تبدو منه أية حركة ولا يظهر على ملامح وجهه أي تعبير، وإذا إشتدت الحال أصبح

لا يستجيب للمؤثرات، حتى وان كانت مؤلمة. وقد يتصف بأحد مظاهر الاستهواء مثل «الخلف» فيقاوم المريض أية محاولة لتغيير موضع أطرافه. ويسمى حينئذ «الذهول» «المخالف» أو مثل الطاعة الآلية أو التصلب الشمعي... الخ.

ثانيا: الكلام:

للكلام أهمية مزدوجة من ناحية الشكل ومن ناحية الموضوع، أما من ناحية الشكل فإنه كمظهر حركي يسري عليه كثير مما ذكر في التغيرات التي تطرأ على الحركة كالقلة والبطء والتوقف والمضاداة «وقد سبق الاشارة الى ذلك» وهو من ناحية الموضوع يدل على محتوى الفكر سواء كانت هذه المحتويات مضطربة أو سليمة فالكلام قد يختلف من حيث الكم والسريان ومدى تحقيقه لوظيفته الاجتماعية، واللغة هي الأداة الأولى للتكيف الاجتماعي لأنها وسيلة أساسية للتواصل بين البشر.

١ - **فمن حيث الكم:**

أ - قد يكون الكلام كثيراً بدون داع فيتداعى بانطلاق وحتى بدون توجيه أسئلة وتسمى هذه الظاهرة «الثرثرة».

ب - وقد يقل الكلام الى درجة كبيرة فيظهر في صورة إجابات مقتضبة للاسئلة وفي هذه الحالة عادة لا يتكلم المريض إبتداء وإنما يتحدث ردا على سؤال.

جـ - وقد ينعدم الكلام نهائيا فيعجز المريض عنه أو حتى عن النطق بأي صوت وتسمى هذه الحالة أحياناً «البكم».

٢ - ومن حيث سريان الكلام قد يطرأ عليه مما يلي من تغيرات في السرعة أو في الاتجاه:

أ - قد يكون سريان الكلام بطيئاً كما في حالات الاكتئاب.

ب - قد يكون سريعا متصلا كما في حالات الهوس الخفيف.

جـ - وقد يتوقف سريانه فجأة وبدون أي سبب ويسمى ذلك «العرقلة».

د - وقد يتخذ مجرى الكلام طرقا جانبية فيتطرق الحديث إلى تفاصيل لا داعي لها ولكنه يصل إلى غرضه في النهاية وتسمى هذه الظاهرة «التفصيل». ومثال ذلك ما نراه في الذين نطلق عليهم لفظ «الرغاي» كالذي يحكى حادثة ذهابه إلى السينما قائلاً: «نويت إمبارح أروح السينما. ولبست البدلة الزرقة اللي اشتريتها من محل شركة بيع المصنوعات اللي في آخر الشارع قدام بتاع السجاير وبعدين لبست عليها الكرافتة الحمراء وفيه ناس بيقولوا إن الأحمر على الأزرق ما ينفعش، لكن أنا رأيي إن الأحمر النبيتي يليق على الأزرق، لكن الأحمر الطرابيشي لا، وبعدين... » ويستمر في وصف تفاصيل سيره في الشارع وأي أتوبيس ركب، وأي شخص قابل، وهكذا... ولكنه في النهاية يذكر أنه وصل إلى السينما، وبذلك يفي بالغرض الذي يرمي إليه في أول الكلام.

هـ - وقد يغير المريض مجرى كلامه نهائيا وذلك إستجابة لمؤثر داخلي أو خارجي مثل كلمة عابرة وردت أثناء الكلام، وهو عادة لا يصل الى غايته أبدا ويحدث هذا في ظاهره «طيران الأفكار».

ويحدث هذا عادة في الهوس ومثال ذلك أن الذي أخذ يحكي حادثة ذهابه إلى السينما قد تنحرف حكايته بعد كلمة «الطرابيشي» إلى سبيل آخر فيقول «... وحتى الطرابيش راحت عليها هوة حد عاد بيلبس طربوش اليومين دول..أنا شخصيا ما أعرفشي حد بيلبس طربوش إلا خالي، وهوة قاعد في البلد وإسمه زكي أفندي، مع أنه لا أفندي ولا

حاجة، بس علشان لابس طربوش وجلابية.. والجلاليب أريح من البيجامات في اللبس في الحر.. وحر السنة دي العن حر مر على مصر من ٢٥ سنة يعني أيام ما أبويا باع أرضه، حاكم إحنا كان عندنا قيراطين في بلدنا في.... » ويستمر هكذا ولكنه لا يصل أبدا إلى إكمال حديثه الذي بدأه وهو أنه ذهب أمس إلى السينما... مثلما كان الحال في التفصيل، فالفرق بينهما هو فرق في الدرجة ومقدار التشتت(١).

١ - وقد يتصف الكلام بالتكرار ومن أمثلة ذلك ما ذكرنا من قبل ونحن نتكلم عن الحركة حيث أن الكلام حركة صوتية وأهم تلك الأمثلة:.

أ - الأسلوبية:

وهي تكرار لكلمات معينة لا يظهر القصد منها واضحا، فنرى مريضا يكرر ليل نهار عبارة مثل: الإشارة إما حمراء أو خضراء... الإشارة إما حمراء أو خضراء... وهكذا وقد يرمز هذاإلى معنى خفي يدل على صعوبة إختيار الحلول الوسطي التي تعتبر أقرب إلى الواقع ولكن ذلك المعنى قد لا يبدو للفاحص من أول وهلة.

وقد يجيب المريض على كل الاسئلة بنفس الإجابة فإذا سئل ما إسمك؟ قال: (عال. رضا). ثم سئل: أين أنت؟. قال «عال. رضا... ثم سئل: في أي الأيام نحن؟ » أجاب، عال. رضا » وهكذا.. وقد تشير هذه الظاهرة إلى الجمود أو رفض التواصل بالآخر أو الانغلاق على الداخل أو العناد... الخ.

---

(١) هذه الأمثلة معدلة لتتفق مع البيئة المصرية.

(2) Lion, J R: Personality disorders, diagnosis and management. The Williams & Wilkins Company, Baltimore, 1974.

ب - المضاداة «رجع الكلام»:

وقد ذكرنا أنها تكرار الكلام الذي يسمعه المريض أو تكرار أواخره، ومثال ذلك أنك إذا سألت مريضاً ما: ما إسمك؟ .. قال... ما إسمك؟ واذا سألته أنت فين؟ .. قال.. إنت فين؟ فإذا قلت له: لا تكرر ما يقال...، فإنه قد يرد: يقال... يقال.. وكأنه صدى لما يسمع.

د - وقد لا يؤدي الكلام وظيفته الاجتماعية فلا يفي بالغرض منه هو التفاهم، وقد يكون السبب في هذا عدم القدرة على تكوين الجملة المفيدة، ويكون هذا دليلا على إضطراب في القدرات العقلية أو في التفكير، وقد يصل الأمر الى التعبير بلغة جديدة لا يعرفها إلا المريض حتى أن العامة يطلقون على مثل هذه الظاهرة «بيرطن» «بالسرياني» وتصيب هذه الظاهرة المرضى العقليين وتسمى هذه الظاهرة «اللغة الجديدة».

وهذا وقد يكون إختلال وظيفة الكلام نتيجة لصعوبة في التعبير ذاته أي صعوبة في النطق مثل حالات التهتهة وهي حركة كلامية يصعب ايقافها كأن يقول «إسمي سعـ سعـ سعـ سعـ سعد، ...» أو العقلة وهي وقفة كلامية يصعب تحريكها كان يقول «س س س س س مش قادر أنطق»[1]...

وقد يكون محتوى الكلام مضطربا، وفي هذه الحالة تكون دلالة إضطرابه هي إضطراب التفكير مما سيرد ذكره.

---

(١) المرجع السابق.

ثالثا: الفكر:

قد يضطرب نشاط الفكر في أي من مظاهره وهي: سريانه، ومحتواه. والتعبير عنه، والظاهرة الاخيرة - أي التعبير عن الفكر - تتم إما بالكلام أو لنشاط الحركي الآخر كالاشارات والايماءات.

١ - إضطراب مجرى الفكر:

الأفكار دائمة السريان في حالتي اليقظة والنوم مثلها في ذلك مثل الدم الذي يسري في الشرايين والأوردة بدون انقطاع، والانسان قد يدرك حركة التفكير المستمرة ويوجهها فيفكر بإرادته في مواضيع بذاتها ويكون التفكير هنا شعوريا، وقد يحدث سريان الفكر دون أن يتنبه الانسان لحدوثه وضبط اتجاهه ويكون التفكير إذ ذاك لا شعوريا، وكما أن القلب هو الذي يرفع الدم الى السريان بإستمرار فإن العاطفة والدوافع هي التي تدفع الافكار الى السريان كذلك - وقد يضطرب سريان الفكر بصورة من الصور التالية[1].

أ - بُطىء مجرى الأفكار، فيجد المريض صعوبة في التفكير بإنطلاق ويحدث هذا في الإكتئاب وقد تسمى هذه الظاهرة «بطء التفكير» ويكون هذا البطء مصحوباً بصعوبة تكوين الأفكار وتسمى الظاهرة «صعوبة التفكير».

ب - إنطلاق الأفكار في سرعة وعجلة أكبر من السرعة العادية يصل أحياناً إلى حد الطيران، وتسمى هذه الظاهرة «طيران الأفكار» وقد تحدثنا عنها، والحقيقة أن الأفكار في هذه الحالة تكون تحت تأثير العاطفة الجامعة «في مرض الهوس مثلا» لدرجة تجعلها تحت رحمة جميع

---

(١) حامد زهران: الصحة النفسية والعلاج النفسي. القاهرة عالم الكتب، ١٩٧٨م (١٤٦ - ١٤٩).

المؤثرات الداخلية والخارجية،فبينما يعبر المريض عن فكرة معينة ، يتأثر سمعه أو بصره أو أي حاسة أخرى بمؤثر آخر سرعان ما يسترعي انتباهه ، وقد يكون هذا المؤثر فكرة داخلية أو كلمة من الفكرة الأولى فتتحول أفكاره في الاتجاه الجديد.

جـ - توقف الأفكار لحظة أو لحظات ثم يعود سريانها ولكن في موضوع آخر ، ويسمى هذا «عرقلة التفكير» وفي الحالات المبكرة قد يعاود السريان في نفس الموضوع إلا أن المريض ذاته يشكو من هذا التوقف وهذه العرقلة.

٢ - إضطراب محتوى الفكر:

أ - قد يضطرب محتوى الفكر بشكل عام: فنجد أن المحتوى كثير بدرجة غير عادية ، أو هو يكثر فجأة وكأن الأفكار في حالة ضغط مرتفع (مثل نوبات حالة ضغط الدم المرتفعة إذا ما شبهنا الأفكار بالدم) وتسمى هذه الحالة «ضغط الأفكار » وقد يكون المحتوى ضعيفا وهنا نطلق على هذه الظاهرة « فقر الأفكار » أو قد يحس المريض بخلو ذهنه من الأفكار أو إذاعة الأفكار وكأن هناك من يعلمها دون أن يصرح المريض بها أو قد يشكو من أن الأفكار توضع في رأسه دون إرادته وتسمى هذه الظاهرة « اقحام الأفكار ». وكل من إنتزاع الافكار وإقحام الافكار وإذاعة الأفكار تدل على وضع سلبي للغاية فيبدو المريض كما لو كان لا إرادة له في التحكم في فكرة ويُدرج ذلك أحياناً تحت ظاهرة « السلبية »[١].

وقد يكون إضطراب محتوى الفكر إضطرابا نوعيا خاصا يعني وجود صفة خاصة وتفكير شاذ بذاته ، ومن صور ذلك ما يلي:

(١) المرجع السابق.

(١) الانشغال: وهو يدور التفكير حول موضوع ما... بشكل يطغى على سائر الموضوعات الأخرى رغم أهميتها، كأن ينشغل المريض بذكرى وفاة ولد له أو بالسعي لشغل وظيفة ما.. إلخ ويحدث هذا للأسوياء. ولكنه إذا ما إشتد وعطل كل إهتمام آخر أصبح بذلك مرضيا.

(٢) الوساوس: حيث يجد المريض نفسه مضطرا الى التفكير في موضوع بذاته أو فكرة معينة رغم كون هذه الفكرة شاذة أو تافهة ورغم يقينه بغرابتها. ورغم محاولته التخلص من التفكير فيها، إلا أنه لا ينجح في كل ذلك فلا يستطيع ضبط أفكاره. وأحيانا تتحول هذه الأفكار الى سلوك لا يستطيع المريض منعه. فمثلا إذا تشاءم إنسان من رقم ١٣ بدرجة مرضية أخذ يفكر فيه أو يخاف منه لدرجة أنه لا يمكنه أن يسكن في منزل رقمه ١٣. ولا يستطيع أن يركب سيارة رقم ١٣ أو يمتنع عن الخروج من منزله في أيام ١٣ من كل شهر أو يرفض أن ينفذ قرار النقل إلى وظيفة في «مديرية التحرير» لأن عدد حروفها ١٣ أو يمتنع عن المشي في «شارع ٢٦ يوليو» لأن ٢٦ ضعف العدد ١٣ أو «شارع القصر العيني» لأن عدد حروفه ١٣... وهكذا.

(٣) التحيز: حيث يُوجه التفكير بعقدة خاصة، عادة ما تكون ذات صبغة عاطفية، وينبع من الذات ويعود إليها دون الواقع فيكون أقرب إلى الخيال ومحدد بالرغبات والدوافع ويسمى هذا النوع «التفكير الذاتي».

(٤) وقد يكون التفكير ملوثا بأفكار غريبة وغامضة أو شبه فلسفية مُغرقة في السطحية والسفسطة إلى درجة يتعذر معها التفكير المثمر.

(٥) تناقض الأفكار: قد يحدث أن توجد فكرتين متضاربتين في تفكـير الانسان في نفس الوقت ولا يستطيع المريض التخلص من أيهما على حدة، بل يظلان معا رغم تعارضهما.

ويطلق تعبير الإضطراب التركيبي للفكر على الأعراض التي تدل على خلل في عملية التفكير ذاتها من حيث هي تسلسل مترابط بطريقة منطقية عامة تجيب على تساؤل مشكل أو تحقق فرضا قائما، ولعل إختلال هذا التسلسل والترابط بين الأفكار التي توصل إلى هدف التفكير الأساسي هو أهم ما يميز مرض الفصام ويظهر كأعراض في صورة عدم الترابط، والغموض، والإرتباط السطحي، وعرقلة الأفكار وفقرها، كما يذهب آخرون الى تجميع بعض الأعراض مثل إقحام الأفكار وانتزاع الأفكار، وإذاعة الأفكار تحت عنوان اضطراب ملكية الأفكار Thought Possession.

(٦) الضلال: وهو اعتقاد وهمي خاطىء يتصف بأنه: (أ) لا يتفق مع الواقع (ب) لا يمكن تصحيحه بالحجة الصادقة والمنطق السليم (ح) لا يتناسب مع تعليم المريض وبيئته:

وقد تكون الضلالات أولية أي أنها تظهر دون سابق إنذار، وتحمل معها قوة الإقناع بها دون أي حاجة إلى إثبات أو دليل كأن يعتقد المريض فجأة أنه مضطهد من المجتمع أو من أحد أفراده بالذات - وقد تكون ثانوية بمعنى أن تكون خاطئة ولكنها قائمة على إضطرابات أخرى أساسية مثل «ضلال أولى» أو «هلاوس» أو «اضطرابات حسية أخرى» ومثال ذلك أن يكون ضلال العظمة تفسيراً لضلال الإضطهاد فيقول المريض أن الناس يضطهدونه إذ أنه عظيم من العظماء... أو أن الهلاوس التي يسمعها في أذنيه في صورة رنين إنما هي نتيجة لتسلط بعض الناس عليه. وتأثيرهم فيه.. وهكذا.

وقد تكون الضلالات مرتبة متسقة منطقية رغم بعدها عن الواقع فتكون الافكار رغم غرابتها متسلسلة بطريقة مقنعة فيكفي قبول الفكرة الأولى فيها لقبول بقية الأفكار، فمثلا إذا قال مريض أنه

حصل على شهادة دكتوراه من جامعة لندن وأنه يعمل أستاذا في الجامعة وله مؤلفات كذا وكذا وسوف يلقي محاضرات كيت وكيت... إلخ، فإنه يكفي قبول فكرة حصوله على الدكتوراه لقبول بقية الأفكار المترتبة على ذلك دون أن يبدو فيها إضطراباً أو غرابة ويحدث هذا عادة في حالات الضلال المنتظم.. وتسمى أَحيانا «حالات » البارانويا. ولكن قد تكون الضلالات مشوشة غير منتظمة فلا تسلسل فيها ولا رابط بينها ولا يقنع السامع بموضوعها ويحدث هذا عادة في «الفصام».

وهناك أنواع كثيرة من الضلالات من حيث محتواها وتفاصيلها:

(أ) ضلال الاشارة: وفي هذا النوع يعتقد المريض أن كل ما يحدث حوله يشير إليه، فإذا غمز أو همس إنسان لجاره. أو حتى إذا ابتسم أو سعل أي شخص في وجوده إعتقد أنه يقصده بذلك، وأحيانا تتسع هذه الدائرة فتشمل ما يقرأ في الصحف والمجلات، أو ما يسمعه أو يراه في الاذاعة و التلفزيون فيعتقد المريض أن بعض هذه البرامج أو المقالات موجهة إليه للتحذير أو التهديد أو غير ذلك.

(ب) ضلال الاضطهاد: وهنا يعتقد المريض أن شخصا ما أو هيئة أو جماعة تضطهده. فيقول مثلا أن أخته تكرهه وتنوي أن تضع له السم في الطعام، أو أن رئيسه في العمل هو سبب كل المصائب لأنه يضطهده ولا يعطيه حقه (في حين أنه يكون قد نال كل ترقياته وعلاواته في أوقاتها) أو أن هناك من يدبر له أمراً، أو أن الضباط جميعا يترصدون له لكي يقتتلوه لأنه مشى ماشي ري ما هم عاوزين.. وهكذا.

(جـ) ضلال العظمة: حيث يعتقد المريض أنه شخص مهم بصورة خاصة، فيؤمن أن له قوة جسمية أو عقلية هائلة أو أنه رجل عظيم، أو مخترع فذ، أو مستكشف أو شاعر كبير أو بطل في المصارعة ويلازمه

هذا الاعتقاد دائماً[1].

(د) ضلال الاثم واتهام النفس: وفيه يعتقد المريض أنه مذنب أو أنه قد إرتكب من الخطايا ما يستحق من أجله التعذيب والعقاب وعادة ما يطلب العقاب بوسائل وحشية مثل الرجم بالحجارة أو الحريق في أماكن عامة حتى يكفر عن الذنب الذي يتصور أنه إرتكبه[2].

(هـ) ضلال التأثير: وهنا يعتقد المريض أن هناك من يؤثر عليه فيدفعه إلى التفكير والتصرف دون إرادة منه، أو يعتقد أن هناك كهرباء أو لاسلكي مسلط عليه، يؤثر فيه ويحكم تصرفاته ويوجهه، ويدل هذا الضلال على السلبية والقدرية لذلك يسمى أحياناً «ضلال السلبية».

(و) ضلال تغيير الكون: ونعني بذلك الضلال الذي يتعلق بالكون وما فيه، بما في ذلك المريض نفسه، فأحيانا يعتقد المريض أن كل ما حوله قد تغير كالمنازل والشوارع والناس والجيران والأصدقاء وحتى أفراد أسرته قد أصبحوا جميعاً، أو بعضا منهم غير ما كانوا، وهناك نوع آخر يشبه هذا الضلال «ويسمى ضلال تغير الشخص» وفيه يعتقد المريض أنه هو نفسه قد تغير وأصبح شخصا آخر كلية، ولا بد أن نميز بين هذا الضلال وبين خبرة تغير الكون والذات حيث يكون الاضطراب في الادراك مصحوباً بإنفعال خاص، أما هنا فإننا نعني ثبات الفكرة الضالة على المستوى الذهني أكثر فأكثر.

(ز) الضلال الحشوي الجسمي: وهنا يعتقد المريض بوجود مرض في بعض من أجزاء جسمه، ويكثر المريض من وصف الآلام التي يشعر بها والتي تشبه في عمومياتها ما يصفه المرضى المصابون بأمراض باطنية غير

(١، ٢) سامي هنا: تفكير المرضى النفسيين. القاهرة: دار النهضة العربية، ١٩٧١.

أنها لا تتفق وأعراض أي مرض عضوي معين، ويثبت الفحص الأكلينيكي والابحاث المختلفة خلو الاحشاء والأعضاء من الأمراض العضوية، غير أن المريض لا يقنع بذلك، وحتى إن إقتنع، يكون إقتناعه سطحيا ومؤقتا يزول بعد فترة قصيرة.

(ر) ضلال الانعدام: قد يبدو أن ضلال الانعدام هو درجة قصوى أو المرحلة النهائية لضلال تغير الكون أو تغير الشخص أو الضلال الحشوي الجسمي فهنا يتحدث المريض ويعتقد في إنعدام الأشياء أو عدم وجودها أصلا، فأحيانا يعتقد أن معدته غير موجودة، فهو لا يأكل ولا يشرب، أو أمعاءه غير موجودة فهو لا يتبرز أو أن مخه غير موجود فهو لا يفكر، وقد يعتقد أن الاشياء من حوله قد إنعدمت فينكر وجود والده أو والدته أو ابنه رغم وجودهم جميعاً[1].

رابعاً: الادراك:

الادراك هو العملية التي تعطي للاحساس معنى، أي أنه إحساس أو مجموعة من الاحساسات لها معنى خاص، ولاضطراب الادراك مظهران:

١ - الخداع:

وهو إدراك حسي خاطىء كثير الحدوث في حياتنا اليومية فكثيراً ما نقابل شخصاً غريباً في الطريق فنعتقد لأول وهلة أنه صديق معين لنا أو أنه قد سبق لنا رؤيته والسبب في حدوث هذا الخداع أن الانسان يكون في حالة توتر نفسي وترقب عاطفي بما يهيء الظروف لحدوث هذه الادراكات الخاطئة، ومثال ذلك الجندي الذي يترقب

---

(١) المرجع السابق.

اقتراب دوريات العدو نحو موقعه ليلا قد يطلق الرصاص بمجرد سماع صوت إهتزاز في الاسلاك الشائكة أمام موقعه ثم يتبعه جميع جنود الوحدة، وربما يكون سبب هذا التسرع في إطلاق النيران هو سير قطة عند الاسلاك. ويظهر الخداع كعرض مرضي في كثير من الامراض العقلية.

ففي حالات الهذيان ولا سيما الهذيان الارتعاشي يبدو غطاء السرير للمريض كحيوانات ضارية وثعابين تدخل في قلبه الرعب فينزوي في ركن من أركان السرير في حالة خوف وفزع شديدين.

وفي حالات الفصام: قد يسمع المريض الضوضاء بالمنزل فيعتقد أنها أصوات تتوعده أو قد يرى ظلا على الحائط فيعتقد أنه لص يريد أن يسرق منزله، ويمكن تصحيح الخداع عند الأشخاص الأسوياء بالمنطق السليم إذا هدأت حالتهم العاطفية أما الخداع عند مرضى الأمراض العقلية فلا يمكن تصحيحه مهما كان المنطق سليما، ويظل المريض مقتنعا بوجهة نظره، بل ربما حاول إقناع الآخرين، ولا يزول الخداع إلا بزوال المرض[1].

٢ - الهلوسة:

هي إدراك حسي مع عدم وجود إحساس حقيقي ولا مؤثر يثيره، والفرق بينها وبين الخداع أنه في الخداع يوجد مؤثر ولكن المريض يسيء فهمه وتأويله، ولكن في الهلوسة لا يوجد مؤثر أصلا.

ويحدث كل من الهلوسة والخداع في جميع الحواس وهي البصر والسمع و اللمس والشم والذوق والاحساسات العضلية والتوازنية وغيرها

---

(1) Chapman, L.J,& Chapman, J. P. disorderd thoright in schizophrenia. NewYork Appleton – Century Crofts, 1973.

من الحواس الداخلية والحشوية، على هذا فالمريض قد يعاني من هلوسة بصرية، فيرى أشياء لا وجود لها، أو هلوسة سمعية، فيسمع أصواتا لا وجود لها أو هلوسة شمية، فيشم روائح - عادة كريهة - في حين أنه لا أصل لها في الواقع أو هلوسة مذاقية، فيحس بمرارة أو حلاوة لا وجود لما يفسرها، أو هلوسة حسية، فيحس المريض بأنه يلمس أشياء لا وجود لها أو قد يشكو من أن هناك إحساس بأشياء تمشي على جلده مثل ما يحدث في مدمني الكوكايين إذ يحسون بأن حشرة «كالبق» تتحرك تحت جلودهم، أو هلوسة حشوية، فيحس المريض بإحساس الألم أو الإحتراق أو غيرهما في أحشائه دون وجود مرض يبرر ذلك.

وقد تختلف الهلوسات من حيث صفاتها العديدة:

أ - من حيث الوضوح فقد تكون مجرد إحساسات مبهمة غير محددة كزيغ البصر «الزغللة» في المجال البصري، والطنين «الوش» في المجال السمعي وهكذا؛ ولكنها قد تأخذ صورة واضحة المعالم مثل رؤية أشخاص بكامل هيئاتهم او سماع أصوات أو أحاديث واضحة.

ب - قد تختلف من حيث الحجم فإما أن يرى المريض الهلوسات - الأشخاص مثلا - بالحجم العادي، وإما أن يراهم بحجم مصغر في صورة أقزام وإما أن يراهم أكبر في صورة عمالقة... وقس على ذلك سائر الهلاوس... وهذا النوع قد يحدث عادة في إضطرابات المخ العضوية العرضية.

جـ - قد تختلف الهلاوس من حيث استجابة المريض لها فقد تكون شديدة التأثير فيستجيب لها بالإشارة والايماءة أو يرد على ما يسمع، وقد تكون أقل تأثيرا فيستطيع المريض أن يخفيها وينكرها رغم أنه يعاني منها. هذا وقد يعتقد المريض أن هذه الإحساسات - رغم

إدراكه لها - ليست إحساسات حقيقية وقد تسمى هذه الحالة « شبه هلوسة ».

د - تختلف الهلوسة كذلك من حيث دلالتها في التشخيص والتنبؤ: فإذا صاحبها هياج أو مرض عضوي كانت أقل خطورة مما لو وجدت والمريض في حالة من الوعي التام دون أن يصحبها هياج أو مرض عضوي وهذه هي ما يطلق عليها إسم « الهلوسة الباردة » وهي غالبا ما تكثر في الفصام[1].

خامسا: العاطفة:

العاطفة هي القوة الدافعة للشخصية في الصحة والمرض وإضطرابها يعني الكثير في التشخيص والعلاج. فقد يحدث هذا الاضطراب من حيث النوع كما قد تضطرب من حيث الكم.

١ - ونعني بإضطراب النوع وجود أنواع من الإنفعال غير مألوفة للشخص العادي من حيث تناقضها أو تباينها أو تقلبها الشديد مما يدل على فقد القدرة على التحكم في الإنفعال وكذلك قد يدل على تمزق داخلي في الشخصية.

وصور الإضطراب في النوع هي:

أ - التباين:

وهنا يشعر المريض بعاطفة معينة لا تتفق مع مجريات الأمور ومحتوى الفكر، ولذلك قد تسمى الظاهرة تباين العاطفة والتفكير: ومثال ذلك أن يظهر على الإنسان الفرح حين يسمع نبأ سيئاً مثل وفاة والده أو

---

(١) المرجع السابق.

رسوبه في الامتحان. أو نرى أن المريض يبتسم وهو يتحدث عن تحويله لمستشفى الأمراض العقلية. وهكذا ويحدث هذا عادة في الفصام.

ب - السيولة:

وهنا تكون العاطفة غير ثابتة فتتغير من النقيض إلى النقيض بسرعة وبدون سبب، أو لسبب تافه، ونرى هذا النوع في مرض ذهان الشيخوخة وتصلب شرايين المخ، فنجد أن المريض يظهر عليه المرح والسعادة، وبمجرد أن نسأله عن إسمه مثلا ينطلق في البكاء لفترة تكون عادة قصيرة ثم يعود إلى حالته الأولى وهكذا.

جـ - التناقض الوجداني (أو ثنائية الوجدان)

ونعني به هنا وجود الشعور ونقيضه في نفس الوقت فقد يحس المريض بالكره والحب في نفس اللحظة نحو شخص معين - والده مثلا - ونقابل مثل هذا الحال عند الأطفال ومرضى الفصام[1].

٢ - قد يكون إضطراب العاطفة كميا:

فنرى في المريض نفس العاطفة التي يشعر بها الشخص العادي السليم ولكن بصورة شديدة جدا تعوق تكيفه أوبكمية ضئيلة جدا قد تصل إلى العدم فتحرمه من التمتع بالحياة ومن أمثلة ذلك:

أ - فقدان الشعور:

حيث يفقد المريض القدرة على الإحساس بأي عاطفة، كما يفقد كذلك القدرة على التعبير عن عواطفه. وقد اعتبرنا ذلك تغيرا كميا من حيث أنه قريب من درجة الصفر في إدراك العواطف أو التعبير عنها رغم أنها قد تكون موجودة ولكنها منسحبة إلى الداخل في اللاشعور.

---

(١) المرجع السابق.

ب - اللامبالاة:

وهنا يشعر المريض بالشعور السليم المناسب ولكنه يفقد القدرة على التعبير عنه، فيبدو للفاحص أنه فاقد الشعور ولكن إذا سئل عن شعوره أجاب بما يفيد أنه حزين أو مسرور... إلخ.

جـ - التعبير الأجوف أو السطحي:

وهنا قد يبدو على المريض مظهر الإنفعال العاطفي ولكنه يقرر أنه لا يشعر بحقيقة هذه العواطف أو قد يتبين الفاحص فيما بعد سطحية هذه العواطف وفراغها.

د - الاكتئاب:

وهو الشعور بالحزن لدرجة كبيرة جدا دون سبب مناسب. أو مع وجود سبب لا يستلزم كل هذا الحزن، ويوجد هذا الشعور عادة في مرض الاكتئاب.

هـ - المرح:

وهنا يبدو المريض في حالة شديدة من الفرح والإنشراح دون مبرر مناسب أو لسبب ضعيف واه، ويحدث هذا عادة في مرض الهوس. وقد يصحبه الشعور بالرفعة والاعتزاز ويسمى هذا الشعور «الزهو».

ونحب أن نشير الى أن كلاً من شعوري الإكتئاب والمرح يتصفان بقدرتها على عدوى المحيطين، فعادة ما يشعر الاخصائي بالحزن أثناء فحصه للمريض المكتئب، كما قد يُحس بالسرور مع المريض المرح، تعاطفا مع المريض ومشاركة له دون أن يؤثر ذلك في حكمه وقدرته على مد يد العون له.

و - القلق المرضي:

وهو حالة من الخوف المجهول المصدر، ويصحبه عادة توتر وتهيب

للمواقف صغيرها وكبيرها، وعدم استقرار عام، وهو شعور عادي في مواقف التوقع والقلق - في حدود معقولة - يدفع الإنسان للعمل حتى يوجه طاقته إلى تحقيق الخير وإجتناب التوتر، ولكنه قد يزيد عن حده حتى يصبح عائقا عن الانتاج ومزعجا للفرد في كافة مجالات نشاطه، ويصبح حيئنذ قلقا مرضيا.

سادساً: الذاكرة:

تضطرب الذاكرة في الأمراض النفسية إضطرابا بالغا، ويظهر هذا الإضطراب إما في كمها أو في تغير طبيعتها «نوعها» ومن صور الإضطراب الكمي ما يلي:

١ - حدة الذاكرة:

وهنا تشتد الذاكرة حتى تشمل كل الأحداث بكل التفاصيل... فيحكي المريض تاريخ حياته مثلا بمنتهى الدقة ذاكراً الأيام بل وأحيانا الساعات التي وقعت فيها الأحداث.

٢ - فقدان الذاكرة:

ويظهر فقدان الذاكرة في أحد الصور التالية:

أ - فقدان الذاكرة للأحداث القريبة: ويتصف عادة بأنه يزيد بمرور الأيام ويحدث أكثر ما يحدث في الشيخوخة وتصلب الشرايين.

ب - فقدان الذاكرة للأحداث البعيدة: وهذا هو ما يحدث عادة في النسيان العادي، وهو لا يزيد بمرور الوقت، وقد يصحب النوع الثاني النوع السابق.

جـ - فجوات الذاكرة: وهنا يحدث فقدان الذاكرة لإحداث فترة محددة من الزمن، حيث يستطيع المريض تذكر ما قبلها وما بعدها

بصورة واضحة: وتحدث هذه الفجوات في الهستيريا وبعد الارتجاج في المخ[١].

وقد يكون إضطراب الذاكرة نوعيا ويحدث في أحد الصور التالية:

١ - التزييف: ويكون في صورة إضافة تفاصيل كاذبة على أحداث حدثت فعلا، ويحدث هذا دون قصد واضح أو إدراك كامل بحدوثه. وعادة ما نلقاه في حالات الهستيريا والفصام الضلالي البارنوي[٢].

٢ - التأليف: وهو التحدث عن وقائع لم تحدث إطلاقا على أنها حوادث وقعت للمريض فعلا ويحدث هذا في الهستيريا وبعض أنواع الأمراض النفسية العضوية، وقد يسمي العامة هذه الظاهرة «الفبركة».

٣ - ظاهرة الألفة: وهي الظاهرة التي تتوقف على خداع النظر أو خداع السمع ،كأن نقابل شخصا غريبا في الطريق فنعتقد لأول وهلة أنه صديق قديم وأن وجهه مألوف لدينا، أو نسمع أغنية لأول مرة فنتصور أننا سبق أن سمعناها... وهكذا.

سابعا: الوعي... الانتباه...إدراك البيئة:

الوعي هو حالة من اليقظة يدرك فيها الإنسان نفسه وعلاقته بما حوله من زمان ومكان وأشخاص، كما يمكنه أن يستجيب للمثيرات استجابة صحيحة، وإذا إضطراب الوعي إضطرب معه الانتباه وإدراك البيئة.

إضطراب الوعي: قد يكون إضطراب الوعي كميا أو نوعيا ويتغير الوعي من حيث الكم في أحد الصور التالية:

(١، ٢) حامد زهران: الصحة النفسية والعلاج النفسي. القاهرة: عالم الكتب، ١٩٧٨ م. (ص ١٤٩ - ١٥٣).

١ - النوم:

وهو تغير طبيعي للوعي، غير أن النوم قد يضطرب في حد ذاته وذلك في صورة من الصور الآتية:

أ - قد يشكو المريض من كثرة النوم قد حالة الهستيريا وبعض أنواع الفصام.

ب - قد يشكو المريض من قلة النوم أو إنعدامه في حالات الإكتئاب والهياج.

وهنا نشير إلى أن الأرق أول الليل أكثر تواترا في حالات الاكتئاب التفاعلي، أما الأرق آخر الليل أي الاستيقاظ مبكراً والعجز عن النوم فهو في حالات الاكتئاب الداخلي أساسا.

جـ - قد يشكو من تقطع النوم.. في حالات التوتر والقلق.

د - قد يشكو من إضطراب نظام النوم فينام المريض بالنهار ويصحو بالليل مثلا في حالات الفصام أو الاضطرابات العضوية.

هـ - قد يصاحب النوم مظاهر أخرى كالكلام والمشي أثناء النوم والكابوس وغيرها .

٢ - الذهول:

وهنا يقل الوعي والانتباه لدرجة كبيرة ولا يستجيب المريض إلا للمؤثرات الشديدة كالالم الشديد مثلا.

٣ - الغيبوبة:

وهي أشد درجات الذهول، وفيها لا يستجيب المريض لأي مؤثر مهما كانت شدته.

وقد يتغير الوعي نوعيا في أحد الصور التالية:

١ - الانشقاق: وهنا يتميز كل نشاط بدرجة من الوعي تختلف عن درجتها في النشاط الآخر، ومثال ذلك ما يحدث في المشي أثناء النوم حيث نجد أن النشاط الحركي يكون واعيا في حين أن النشاط الحسي والفكري يكون غير واع وهكذا، وقد يحدث هذا الانشقاق في اليقظة بصورة كاملة أو جزئية في الحالات المرضية كالهستيريا.

٢ - التوهان: وهنا يعجز المريض عن التعرف الصحيح على ما بالبيئة من أشخاص أو زمان أو مكان أحدها أو جميعها، ولكنه يستجيب للمؤثرات الأخرى. ويحدث هذا عادة في الأمراض العقلية العضوية.

٣ - إزدواج إدراك البيئة: وفي هذه الحالة يدرك المريض أنه موجود في مكانين بعيدين عن بعضها في نفس الوقت وقد يتحدث عن ذلك، ومثال ذلك الشخص الذي يجالس أصدقاءه في مسجد الحسين بالقاهرة ويخبرهم أنه يصلي العشاء في ذات اللحظة في مسجد السيد البدوي بطنطا ويسمي العامة ذلك أنه من «أهل الخطوة».

وقد كثر الحديث في الآونة الأخيرة عن درجات الوعي وأنواعه بحيث أصبحت دراسة ذلك لازمه من المهتمين بالتشخيص النفسي - ولن نستطرد هنا إلى هذا التفصيل ولكننا نكتفي بالإشارة الى أن الوعي في الحالات العادية لا يكون في أعلى درجاته، وانه في بعض الأمراض مثل الهستيريا قد يضطرب لدرجة تفسر الأعراض، وفي نفس الوقت قد يكون الفنان المبدع أو المتصوف ممن يعايشون درجة أعلى من درجات الوعي دون أن يكونوا مرضى بأي حال من الأحوال.

إضطراب الإنتباه:

١ - زيادة الانتباه قد يزداد الانتباه زيادة ملحوظة فينتبه

المريض الى كل المؤثرات والى تفاصيلها كذلك ويحدث هذا في مرض الهوس.

٢ - قلة الانتباه: قد يقل الانتباه تماماً أو ينعدم كما ذكرنا في حالة الذهول أو الغيبوبة ولكنه قد يقل بدرجة أقل نسبيا في حالة الإكتئاب أو الإضطراب العقلي و العضوي.

٣ - الانشغال: قد يتجه الإنتباه إلى المؤثرات الداخلية دون الخارجية، فينشغل المريض بشكل زائد بمشكلة ما تحتل فكرة وتؤرقه ويكون هذا على حساب الانتباه إلى مؤثرات البيئة.

٤ - تحول الانتباه: وقد يتصف الانتباه بسرعة تحوله من مؤثر إلى آخر مهما كان المؤثر الجديد غير متعلق بالموضوع الأصلي.

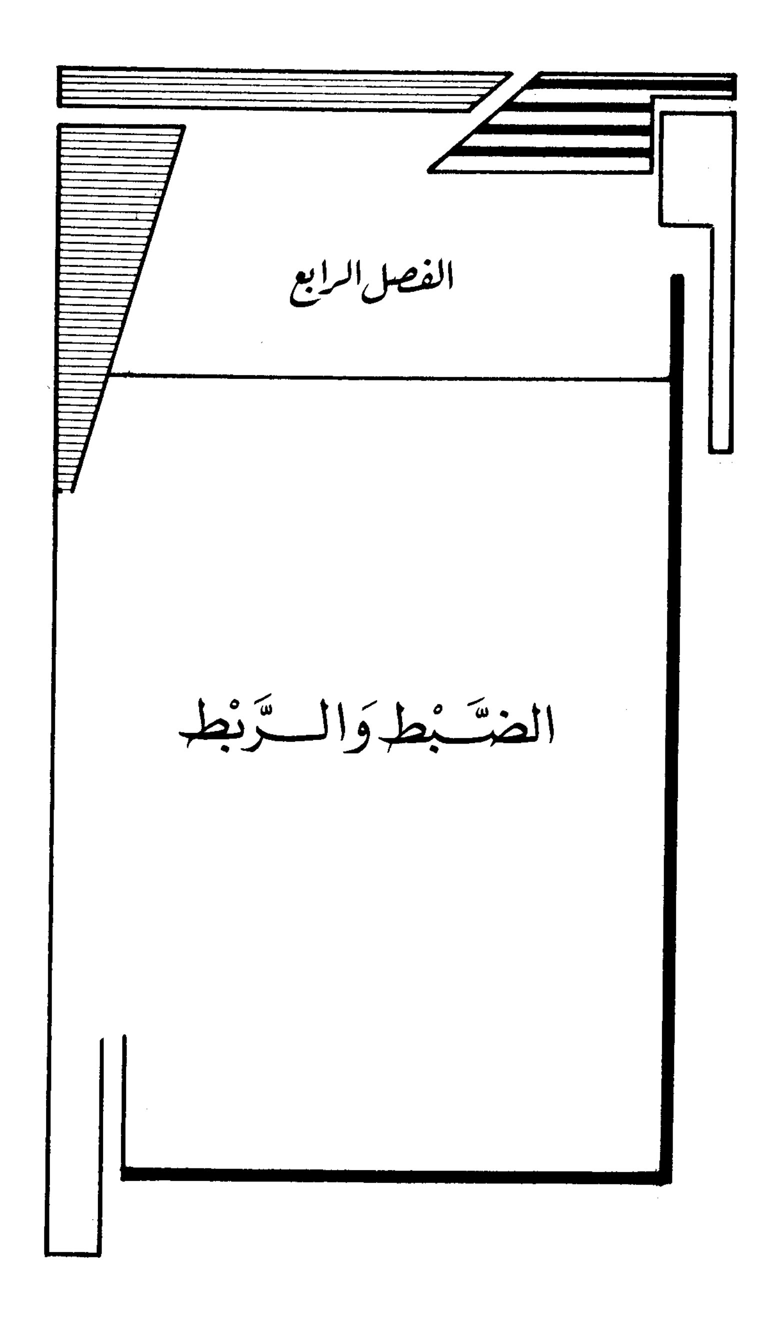
ثامنا: البصيرة:

البصيرة ظاهرة هامة في الأمراض النفسية والعقلية. فهي تكون موجودة في الحالات النفسية وغير موجودة في الأمراض العقلية، ووجودها دليل على تماسك الشخصية وكذا على إحتمال الشفاء، والبصيرة تعتمد على قدرة الانسان على تأمل نفسه داخليا وخاصة فيما يتعلق بشكواه وأعراض المرض الذي يعانيه وان يدرك - جزئيا على الأقل - أن سبب ذلك كله يرجع إلى المرض الذي أصيب به، وتكون البصيرة كاملة إذا ما كان إدراك المريض بطبيعة مرضه سببا يدفعه إلى إستشارة الطبيب المختص باحثا عن علاج، ثم يتقبل العلاج ويستمر فيه حتى الشفاء.

تاسعا: الأعراض الجسمية:

ينبغي أن يُفحص المريض النفسي فحصاً عضوياً شاملاً، ولا يقل فحص الجسم في الأهمية عن فحص النفس في حالة المرض النفسي أو

العقلي إذ كثيراً ما تكون الأعراض النفسية والعقلية نتيجة لتغير عضوي. وبالمثل قد تحدث الأعراض والأمراض تغيراً عضوياً في أجهزة الجسم المختلفة.



الفصل الرابع

الضَّبْط والرَّبْط

الفصل الرابع

الضَّبْط وَالرَّبْط

لهذا الموضوع أهمية بارزة في مجال النشاط العسكري. فطبيعة هذا النشاط سواء ظهر في أثناء القتال وقت الحرب أو التدريب وقت السلم تقتضي إقامة النظام بشكل دقيق وحازم. وهناك الكثير من الأمثلة التي نجدها واضحة في التاريخ العسكري التي تشير إلى أن الضبط والربط لا يقل أهمية عن التدريب الجيد أو توافر السلاح المناسب لإحراز النصر.

فقد مني الجيش الإيطالي مثلا بهزائم متكررة في الحرب العالمية الثانية في شمال إفريقيا بالرغم من كثرة أفراده وعتاده إذا ما قورن بالقوات البريطانية الضئيلة العدد والعتاد والتي كانت تواجهه بسبب سوء الانضباط العسكري عند الإيطاليين. كما تمكنت القوات الألمانية في هذا الميدان أيضاً من الصمود ببسالة تدعو للإعجاب وذلك بالرغم من ضآلتها وخطورة مشكلاتها الإدارية أمام قوات أمريكية وبريطانية تفوق أضعافها عددا وعتاداً وفي صحاري مكشوفة. وقد تحقق هذا بفضل عوامل متعددة لعل أبرزها تمسك الألمان باطاعة الأوامر وروحهم المعنوية العالية وثقتهم في قائدهم روميل[1].

(1) Montgomery of Alamein, K.G. «The memories of Field – Marchal the Viscount». Collins, London 1958.

وطبيعة الحرب الحديثة بما فيها من أسلحة متطورة تتطلب آداء جماعيا على كل المستويات لهذا سُميت بمعركة الأسلحة المشتركة الحديثة. ومن الصعب تحقيق هذا الآداء الجماعي وبخاصة إذا ما كان عدد الأفراد كبيرا جدا ما لم يكن هناك قدرا عاليا من الانضباط حتى يمكن التوصل إلى التعاون المطلوب وبالصورة المرجوة.

وربما يؤثر إهمال أفراد قلائل أو سوء انضباط من وحدة فرعية صغرى على كفاءة تشكيل بأكمله (قوة لواء فأكثر) ويعرضه إلى خطر الهزيمة. فالتكاسل في أداء المهام وبخاصة ما كان شاقا وهاما منها يمكن أن يؤدي إلى خسائر جسيمة لا يقتصر اثرها على الوحدة بل يمتد إلى وحدات أخرى. فالتراخي في إخفاء المعدات الحربية أو الحفر الجيد لها - وعدم ازالة ناتج الحفر. أو تكدُّسها فوق سطح الأرض - يمكن العدو بسهولة من اكتشافها وتدميرها، بل يمكنه أيضاً من اكتشاف سائر المواقع المجاورة أو على الأقل توجيه نيرانه المباشرة بطريقة دقيقة. كما يترتب مثلا عن كثرة الخسائر في وحدة إدارية مسئولة عن نقل الامدادات للقوات المدرعة الموجودة في مواجهة العدو، تردد أو إحجام من سائقي الشاحنات عن توصيل الذخائر - بسبب التمرد المشوب بالخوف من التعرض للأخطار - وهي مظاهر لسوء الانضباط العسكري مما قد يؤدي إلى فشل هذه القوات في آداء ما هو مطلوب منها بل ربما تتعرض للتدمير.

ويرى نابليون بونابارت أنه في كل معركة يشعر فيها أشجع الجنود بعد لحظة توتر شديد بالرغبة في الهروب من المعركة، ومما يسبب ذلك الشعور، هو إحساس الجنود بعدم الثقة في شجاعتهم، وقد يكون بعض الاعداد البسيطة كافيا لإعادة الثقة إليهم. أما إذا ما أصبح الهلع مسيطرا على عدد كبير من الجنود فإن العقاب والحزم والصرامة واجب

مقدس ضد كل من يتسبب في هدم النظام[1].

والواقع أن الانضباط العسكري لا يمكن التوصل إليه اثناء المعركة بمجرد توقيع العقوبات فقط ودون اعداد وتدريب سابقين. فهو كأي عادة أخرى يلزم التدريب عليه وتنميته تدريجياً منذ انضمام الفرد إلى صفوف الجيش. وهذا التدريب يسير في واقع الامر بطريقة غير مقصودة. وفق قواعد نظريات التعلم، فالفرد بمجرد انضمامه إلى هذا الوسط غير المألوف لديه يحاول تقليد الآخرين في حركاتهم وسلوكهم، في طريقة السير في الطوابير مثلا وفي أداء التحية وطريقة التحدث للرتبة الأعلى وغير هذا. وهناك تعلم بالارتباط الشرطي والاشتراط الإجرائي - دون وعي بقواعدها - حيث يؤدي حركات معينة كالجري والوقوف في الصف عند سماع صوت معين للنفير، أو الجري والقفز حول المدفع عندما يصدر له معلمه أمراً في صورة كلمة أو عدة كلمات. ويعتاد على هذا النمط من الحركات التي يؤديها كاستجابة لمثيرات مقتضبة، وهو تعلم وفق المبادي التي اكتشفها سكنر واستطاع من سار على نهجه أن يدربوا بها الحيوانات المفترسة كالفيلة والنمور والسباع أن تؤدي أنوعا معقدة من الحركات في طاعة وهدوء.

والإسراف في الإلتجاء إلى العقوبات بأنواعها أو العنف والقسوة مع المرؤسين قد يهبط بمستوى الانضباط العسكري، كما أن اتباع التسامح بصفة شبه دائمة مع الأخطاء هو أمر غير مرغوب ايضا، فكثيرا ما يدل الإسراف في استخدام العقاب - والذي قد يلاحظ أحياناً على بعض الضباط الأصاغر بمجرد توليهم سلطة ما على الأفراد - على سوء انضباط منهم أنفسهم. وهو قد يكون نوع من الاستهتار، ويشير إلى محاولة

---

(1) Barlett, I.C.: Psychology and the soldier, Cambridge University Press, 1927.

إثبات الذات إلى جانب نزعة عدوانية يحاول صاحبها إشباعها بالإبدال على المرؤسين. ويكون من الأفضل عادة لدواعي أمن الوحدة أن يكون هذا الضابط موضوع محاسبة وتوجيه من قائده وإلا اقتدى به غيره وتولدت روح الكراهية بين الأفراد داخل الوحدة.

وللعقاب حدود يجب الالتزام بها بحيث يقتصر على التقويم والإصلاح عند الضرورة مع الوسائل الأخرى، أما إستخدامه دون حكمة أو تعقل أو إقرار للعدل بين الأفراد يُعد نوعا من الاندفاع والطيش لأنه يبث روح الكراهية والانتقام والتعصب بين أفراد الوحدة مما قد يؤدي إلى أخطار ومساوىء قد تؤثر كثيرا على الانضباط العسكري وهو ما سنناقشه في هذا الجزء.

كما أن الإسراف في التسامح والتهاون في أمور تستوجب الحزم أو العقاب أمر غير مرغوب فيه هو الآخر لأنه يبث في الأفراد شعورا بعدم وجود السلطة أو ضعفها مما يطلق العنان للأفراد - وبخاصة ذوي الخلق السيء - في إرتكاب الجنايات العسكرية والاعتداء على حقوق الآخرين.

والواقع أن الأمر يحتاج إلى نوع من التوعية الخاصة يسير جنباً إلى جنب مع تنمية العادات السلوكية الضرورية للانضباط العسكري. ولهذا يحرص مستقبلوا الجنود الجدد في معظم جيوش العالم على هذه التوعية التي تستخدم بغرض تبصير الأفراد بأمور متعددة يدور معظمها حول أهمية الانضباط العسكري وضرورته من أجل المحافظة على الأرواح وحماية الوطن. وأن تعود التراخي في الأمور البسيطة قد يترتب عنه تهاون في أمور جسيمة يكون فيها هلاك لهم، إلى جانب إيضاح ما لهم من حقوق وما عليهم من واجبات. ومن الأهداف الرئيسية ايضا لهذه التوعية إعطاء الأفراد فكرة عملية وأولية ومبسطة عن الطاعة

والتحمل لأنها عادة ما تتم بصورة جافة حيث يقضون فترات طويلة تبلغ أحياناً عدة ساعات وقوفا. ويصبح هذا الأسلوب للتوجيه في حد ذاته مثالا عن تعود الامتثال للضبط والربط وتعود المشاق[1].

ولعل أهم أسس الحياة العسكرية في الإسلام هو ربط الطاعة والانضباط والتقاليد العسكرية بالدين، واعتبارها من علامات الإيمان، وهذا هو المدخل السليم لإقناع الشباب في سن المراهقة وما بعدها (وهي سن الدخول في الخدمة العسكرية) والذي يقاوم السلطة بطبعه بها، وهو السبيل إلى تفادي الصدام بين طبائعه النفسية ومتطلبات الحياة العسكرية[2].

فالانضباط من وجهة نظر علم النفس العسكري - هو «الحالة العقلية ومقدار التدريب التي تجعل الطاعة والسلوك السليم أمورا غريزية في جميع الظروف». من ذلك نرى أن الانضباط هو شيء يمكن تنميته في العقل ودعمه بالتدريب ويتجلى في الطاعة والتصرف السليم غريزيا.

والانضباط السليم ليس هو الطاعة فقط، فما الطاعة إلا جزء فقط منه لأن الرجل الذي يتحلى بالانضباط حقا هو الذي يفعل ما يعرف أنه صحيح حتى في «غيبة الأوامر أو الرقابة»، أي أنه هو الذي يؤدي واجبه على أكمل وجه بدافع ذاتي وليس بدافع خارجي: وهذا الدافع الذاتي لا يتولد بالإرغام ولكنه يتولد فقط عن طريق الاقتناع.

---

(١) تعرف هذه التوعية «بالدخلية» ويستخدم فيها أحيانا الفاظا استفزازية مع الأفراد الجدد بغرض أن يعتادوا أيضاً ضبط النفس واحترام الرتب الأعلى.

(٢) محمد جمال الدين محفوظ: تربية المراهق في المدرسة الإسلامية. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٤م.

من أجل هذا كانت أسس بناء الانضباط في الإسلام هو الحرية والكرامة الإنسانية وبناء الضمير الديني للمسلم والتدريب العملي على الانضباط ومن أمثلة هذا ما يتجلى في العبادات واعتبار الحياة العسكرية تكليفاً في إطار إعداد «القوة» التي أمر الله بها في قوله: ﴿وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل﴾. وليست الطاعة في الإسلام «خضوعا للسلطة» بل هي «ضرورة اجتماعية» لصالح الجماعة وترتبط ارتباطا وثيقا بالقيادة التي هي الأخرى «ضرورة اجتماعية» لصالح الجماعة فالله سبحانه وتعالى يقول: ﴿يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم﴾[1].

وتتطلب البيئة العسكرية من الفرد وبخاصة في أول عهده بها قدرا كبيرا من السيطرة على الذات الأمر الذي يحتاج بدوره جهدا واعيا لبثه في الأفراد. لأنهم يواجهون في بداية التحاقهم بالخدمة العسكرية بأوجه نشاط شاق يستمر طوال اليوم وعناء بالغا في التدريب وصيانة المعدات وغيرها من أعمال. وهذا العناء يستند على فلسفة تسيطر على عقول العسكريين في جيوش العالم مؤداها أن العرق والجهد في وقت السلم قد يوفران الدماء أثناء الحرب.

والمجالات المختلفة التي يظهر فيها الضبط والربط كدعامة أساسية للحياة العسكرية كثيرة ومتنوعة، وهي لا تقتصر على مجرد الآداء الفني للخدمات والوظائف بل تتعداه إلى السلوك الشخصي الاجتماعي للأفراد، لا في حياتهم العسكرية فقط بل وحياتهم المدنية أيضاً.. فالمنظمة العسكرية تقيم لنفسها سلوكا جمعيا يعتبر في حد ذاته رمزا لها: الخطوة

---

(١) محمد جمال الدين محفوظ: التربية العسكرية في الإسلام. مقالة في صحيفة التربية. العدد الثالث.

العسكرية مثلا، تعظيم الرتبة الأعلى، عدم الاتصال أو الانتساب للجمعيات أو الهيئات السياسية، وغير ذلك من ألوان التصرفات المحددة والمحظورة. والمنظمة العسكرية تطالب أفرادها بهذا السلوك أثناء عملهم الرسمي وخارج حدود العمل وأوقاته ايضا. كذلك يسير الأمر بالنسبة للعلاقات الاجتماعية بين أفراد الرتبة الواحدة وبين أفراد الرتب المختلفة. فالأدوار والمراكز الاجتماعية Social roles and statuses محددة المعالم، والعلاقات المختلفة بين هذه الأدوار والمراكز مرسومة بدقة ووضوح.

وتنشأ عن ذلك صلة وثيقة بين الضبط والربط والتوافق النفسي الاجتماعي للفرد العسكري. فالعضو الجديد في المنظمة العسكرية يحتاج إلى تعلم لا يقتصر على الناحية الفنية فقط وإنما هو أيضاً تعلم اجتماعي لسلوك جمعي تتميز به المنظمة عن سائر المنظمات المدنية. ومثل هذا التعلم كفيل بإحداث تطورات ذات شأن في شخصية العضو الجديد تؤدي إلى اندماجه في المجال العسكري. وبذلك تنشأ صلة أخرى بين الضبط والربط وبين الصحة النفسية فكل تطور يطرأ على الشخصية من شأنه أن يُحدث فيها شيئاً من الاضطراب نتيجة للتخلي عن بعض أنماط السلوك وصفات الشخصية واكتساب انماط وصفات جديدة.

ولذلك كان من الأهمية بمكان أن نُدخل في اعتبارنا أسس عمليات الصياغة (التطبيع) الإجتماعي: وما يتصل بها من أمور الصحة النفسية عند بحثنا للضبط والربط.

ومن ناحية أخرى يتصل الضبط والربط بالروح المعنوية والقيادة العسكرية اتصالا وثيقاً. فإقامة النظام معناه دفع السلطة للفرد بما تفرضه من أوامر وقوانين وتعليمات نحو الإنتظام في عمله والسلوك وفق المعيار الاجتماعي.

وقد أوضحنا في كلامنا السابق في بداية هذا الفصل أن هناك فرقا بين أن يؤدي الفرد واجبه بدافع الخوف من السلطة التي تفرض عليه آداء ذلك الواجب وبين أن يؤديه بدافع من نفسه أي بدافع الإحساس بالواجب والشعور بالمسئولية. وعلى ذلك سنمضي في بحثنا للضبط والربط على ضوء هذين الإعتبارين - الصياغة الاجتماعية العسكرية للفرد من حيث تحويله من شخص مدني إلى شخص عسكري، ثم الروح المعنوية للفرد والجماعة من حيث أننا لا نبغي من الضبط والربط إقامة النظام فقط بل نريد فوق ذلك تحقيق روح معنوية عالية بحيث تنبعث الدوافع إلى السلوك النظامي من داخل الأفراد أنفسهم لا من مجرد خضوعهم لقيادتهم.

يقوم الاعتبار بالنسبة للصياغة الإجتماعية على أنها العملية التي يصبح الفرد بها عضوا في مجتمع ما. بمعنى أنها عملية للتعليم الاجتماعي يتعلم فيها الفرد السلوك الاجتماعي للمجتمع الذي يخرج إليه في وجوده. وهي عملية تقوم في شبكات العلاقات الاجتماعية التي يرتبط الفرد بها في خلال نموه حتى مماته وتتمثل في الجماعات المختلفة التي يمر بها إبتداء من أسرته إلى الهيئات الاجتماعية المختلفة التي يمارس فيها نشاطه كشخص بالغ وعضو في مجتمع.

فالمحيط الاجتماعي الذي يضم وجود الفرد يحدد بدرجة قصوى الكيفية التي يسلك بها ويتصرف بمقتضاها. ولكن الأفراد من ناحية أخرى - وإن كانوا يتعرضون لمحيط إجتماعي واحد يحاول أن يجعل منهم صورا اجتماعية متطابقة - يختلفون من حيث تكوينهم الوراثي

---

(١) حامد زهران: علم النفس الاجتماعي (الطبعة الرابعة). القاهرة: عالم الكتب، ١٩٧٧.

اولا ومن حيث خبراتهم الذاتية ثانيا. فأما من حيث التكوين الوراثي تبين علميا أنه لا يمكن لشخصين أن يتحدا في العوامل الوراثية، حتى التوأم. فإذا حدث وأن كان التوأمان متحدين في الأصول الوراثية كما هو الحال في حالة التوأم المتطابقة Identical Twins فإن الظروف المحيطة بهما في الرحم قد تختلف بالنسبة لكل منهما محدثة بذلك فروقاً مبدئية منذ التكوين الجنيني في رحم الأم[1]. وأما من حيث الخبرة الذاتية فقد تبين ايضاً أنه لا يمكن لشخصين حتى ولو نشآ في أسرة واحدة وتحت ظروف متماثلة أن يتطابقا من حيث إنطباع كل منهما بالأحداث التي تمر بها.

كذلك يختلف الأفراد من حيث الجماعات المحلية التي نشأوا فيها وتأثروا بها. فالرجل من الريف يحمل طابعا إجتماعيا غير طابع رجل المدن. والرجل من صعيد مصر مثلا يحمل طابعا يخالف رجل الوجه البحري، والشخص الذي ينشأ في أسرة محافظة يتصف بصفات تخالف صفات الشخص الذي ينشأ في أسرة متحررة. وهكذا يختلف الأفراد في طبائعهم الاجتماعية المحلية رغم تشابههم في الطابع الاجتماعي الذي يتصف به المجتمع (مجتمع مصري، مجتمع انجليزي، مجتمع ألماني).

ومن حيث هذا الإختلاف والتشابه تتكون شخصية الفرد. فهي تشبه شخصيات الآخرين في المجتمع عموما وهي تشبه شخصيات أعضاء الجماعة المحلية التي تأثر بمؤثراتها وهي تختلف عن جميع شخصيات الآخرين بإنفرادها بصفات متميزة تتعلق بها وحدها. فالرجل المصري مثلا يشبه جميع المصريين من حيث أنه مصري مثلهم يحمل طابع

(١) عبد العزيز القوصي: أسس صحة النفسية. القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ١٩٦٢م (ص ٢٤).

الشخصية المصرية. وهو يشبه أفراد الطبقة الاجتماعية التي نشأ فيها. وهو في هذا يختلف عن أفراد طبقة اجتماعية أخرى. ثم هو يختلف عن جميع المصريين وجميع أفراد طبقته بصفات تتميز بها شخصيته من حيث كونه فلانا من الناس. وهي صفات ترجع إلى ما سبق أن ذكرناه من التكوين الوراثي المتميز والخبرة الذاتية المنفردة، هناك إذن مستويات ثلاثة لعملية الصياغة الاجتماعية... المستوى العام، والمستوى الخاص، والمستوى الشخصي. فمن حيث المستوى العام تتجه الصياغة الاجتماعية إلى طبع الفرد بالطابع الاجتماعي العام. ومن حيث المستوى الخاص تعمل المؤثرات الاجتماعية المحلية على طبعه بطابع الطبقة أو الأسرة أو الجماعة المحلية التي ينشأ فيها. ومن حيث المستوى الشخصي تبرز[1] عوامل الخبرة الذاتية كمكونات متميزة لشخصية الفرد تفرقها عن شخصيات الآخرين.

والمجتمع العسكري جماعة اجتماعية محلية تحمل طابعا خاصا تعمل على طبع أفرادها به وتعليمهم نوعا معيناً من السلوك هو السلوك العسكري ولها في ذلك وسائلها الخاصة للتدريب والتعليم. وهي تطلق على قواعد هذا السلوك وأسسه اصطلاح الضبط والربط نسبة إلى النظام وهو أهم صفة يتميز بها السلوك العسكري.

والمنظمة العسكرية تستقبل كل فترة زمنية مجموعة ضخمة من الأفراد جاءوا من مختلف البيئات والجماعات المحلية. فهم وإن كانوا يتشابهون في الطابع الاجتماعي العام إلا أنهم يختلفون من حيث الفروق الاجتماعية المحلية والفروق الشخصية الفردية وهي تستقبلهم لتخضعهم

(١) محمد فرغلي فراج: مدخل إلى علم النفس. القاهرة: دار الثقافة للنشر والتوزيع، ١٩٨٤م (ص ٨٠ - ٨٤).

لمؤثرات إجتماعية واحدة ترقى إلى صياغتهم صياغة عسكرية تنتهي إلى تطوير شخصياتهم نحو صورة موحدة هي الشخصية العسكرية. فمن الطبيعي إذن أن يختلف هؤلاء الأفراد في موقفهم من هذا التطوير الجديد وما ينبعث فيه من مؤثرات اجتماعية تتناولهم جميعا بآثار واحدة ترقى إلى أهداف واحدة أيضاً. وبقول آخر نحاول أن نضع المشكلة كما يلي:

أمامنا مجموعة كبيرة من الأفراد يختلفون فيما بينهم في قدراتهم العقلية واستعداداتهم الشخصية وإتجاهاتهم النفسية. ونحن نحاول أن نصل بهم إلى مستوى معين من التطور الشخصي هو المستوى العسكري فهل نتوقع منهم إستجابات واحدة؟ الجواب بالنفي كما ترى فهناك من يتميز على غيره في قدرته العقلية ومن ثم فهو أسرع إلى فهم التعليمات التي تلقى عليه وهو أقدر على تنفيذها بدقة. وهناك من يحمل في شخصه استعدادا للخضوع للأوامر فهو لا يجد مشقة في الطاعة والانتظام، بينما يجد الذي يحمل طابع تحدي السلطة وفعاليتها مشقة في ذلك. وهناك من تعود ألا يقبل أمراً إلا بعد أن يناقشه ويقتنع به فهو يختلف عمن تعود أن يقبل ويطيع دون أن يناقش أو يقتنع. ومن الأشخاص من كان في حياته المدنية يشرب الخمر أو السجائر في أي وقت يشاء فإذا به في حياته العسكرية يمضي فترات زمنية طويلة دون أن يُسمح له بذلك. وهكذا يختلف الأفراد في طبائعهم وعاداتهم وقدراتهم وبالتالي يختلفون في موقفهم إزاء النظام العسكري الذي يتناولهم بالصياغة ويتناول شخصياتهم بالتعديل والتغير فمنهم من يرحب به ومنهم من يقبله خضوعا واستكانة ومنهم من يثور عليه. وفي غمار هذا الاختلاف تبرز مشاكل الضبط والربط.

والنظرة الإجتماعية لهذه المشاكل تقوم على أساس واحد هو خرق الفرد العسكري للنظام المفروض عليه وارتكابه للجنايات المنصوص

عليها في قانون الأحكام العسكرية وأوامر القوات المسلحة. فالمحك الاجتماعي هو المقياس في هذا الصدد. الأمر الذي يغفل الصحة النفسية للفرد. ففي أحيان كثيرة يكون الإمتثال للقوانين والأوامر العسكرية مظهرا لا يدل إطلاقا على مخبر مطابق. إذ قد يحمل الفرد في نفسه ميولا عدوانية نحو النظام الذي يخضع له في الظاهر. وفي احيان أخرى قد يخضع الفرد في ظاهره السلوكي وفي باطنه الشعوري، ولكنه في جوانبه النفسية الخفية على الآخرين وعليه نفسه، قد يحمل ميولا معادية تظهر في صور مختلفة من الآلام النفسية مما يؤثر تأثيراً سيئاً على روحه المعنوية ويجعله عرضة للإنحراف أو الانهيار في المواقف البالغة الضغط وخاصة مواقف القتال. وسيصير بحث هذه المسائل في كلامنا عن علاقة الضبط والربط بالصحة النفسية من جهة وبالروح المعنوية من جهة أخرى. وإنما نتناول الآن المشكلة الأولى في هذا الصدد وهي خرق النظام وإرتكاب الجنايات أو ما يسمى بالسلوك المضر بالضبط والربط وحسن الانتظام العسكري.

هناك عموما نوعان من الجنايات العسكرية: نوع مشترك بين النظام المدني والنظام العسكري كالقتل والسرقة والاغتصاب والتهجم والاختلاس وتدخين المخدرات ونوع خاص بالنظام العسكري كالفرار من الميدان أو الخدمة العسكرية والجبن أمام العدو وترك مراكز الحراسة والتأخر عن مواعيد تصاريح الفسحة والغياب بدون إذن، وعدم إطاعة الأوامر أو المناقشة فيها أو غير ذلك. ولسنا هنا بصدد مناقشة الجرائم ولكن المهم أن نتبين موقف القائم بالجريمة. فالأفراد الذين يقومون بالجرائم المدنية في المجال العسكري يختلفون في معظم الأحيان عن أولئك الذين يقومون بالجنايات العسكرية الخاصة، من حيث موقفهم الاجتماعي. فبينما نجد في معظم حالات الأولين سوابق جنائية في حياتهم المدنية أو على الأقل تصرفات من الممكن أن تكون جنائية إذا

اكتشفها القانون وحاسب مرتكبيها عليها، فإننا نجد في معظم حالات الآخرين انهم ارتكبوا جناياتهم في المجال العسكري فقط أي أنهم عجزوا عن ضبط سلوكهم وفق المعيار العسكري بينما هم قادرون على السلوك القويم في حياتهم المدنية[1].

فنحن إذن بصدد نوعين من الأشخاص: شخص مشكل من الأصل كأن يكون سارقاً أو مدمنا للمخدرات أو على الأقل لديه استعدادات لأن يكون كذلك. وشخص آخر أصبح مشكلا بعد أن دخل الحياة العسكرية بمعنى أن استعداداته الأصلية لم تكن تؤهله الحياة الجريمة في المجال المدني بينما تنافت مع النظام العسكري بدرجة أصبحت معها استعدادات تؤدي إلى تصرفات مخالفة للمحك الاجتماعي. وفي كلتا الحالتين نحن في حاجة إلى بحث الشخصية الجانحة لفهم بنائها وتبين موقفها إزاء ما يقع عليها من مؤثرات اجتماعية وكيف تكون هذا الموقف على ضوء نشأتها وتطورها حتى وقت الجنوح. وقد أظهرت الأبحاث النفسية التي قام بها العلماء في مضمار القوات المسلحة الأمريكية نتائج خطيرة في هذا الصدد. فقد وجد أن نسبة كبيرة من حالات الاضرار بالضبط والربط وحسن الانتظام العسكري حالات مشكلة، حتى الحالات التي إقتصرت على الجنايات العسكرية الخاصة وجد أنها هي الاخرى تحمل آثارا كثيرة من الاضطراب السلوكي والاهتزاز النفسي. ونكتفي هنا بذكر أمثلة من هذه الأبحاث:

بحثت عينة من ٥٠ منحرفاً في السجن الحربي وقسمت إلى جماعتين: واحدة تضم الذين ليست لهم سوابق مدنية والثانية تضم الذين لهم سوابق وأعطيت للفئتين الإختبارات النفسية فتبين أن الجميع يعانون من

(١) قانون الأحكام العسكرية. القاهرة: مكتبة الانجلو المصرية، ١٩٦٥م.

إضطرابات نفسية وصلت إلى حد المرض النفسي. وجد أن ٢٦٪ من أولئك الذين ليست لهم سوابق مدنية لهم سوابق عسكرية ظهرت في محاكمات عسكرية زادت على المرتين بالنسبة لكل فرد من هذه النسبة.

أما الذين كانت لهم سوابق مدنية فقد وجد أن ٦٦٪ منهم لهم سوابق عسكرية أيضاً. كما ظهر من بحث نوع الجرائم التي ارتكبها أفراد الفئتين سواء في الحياة المدنية أو العسكرية أن شخصياتهم تميل إلى أن تكون شخصيات سيكوباتية Psychopathic Personality وبخاصة فيما ظهر فيها من تأخر عقلي وانفعالي. وانتهى الباحث الذي قام بالبحث إلى أن أكثر من ثلث المساجين يمكن وصفهم بأنهم شخصيات سيكوباتية[١].

وفي بحث تناول ١١٦ حالة من الفتيان المشكلين قبل دخولهم الخدمة العسكرية وجد أن ٧٤ منهم عولجوا قبل تجنيدهم ووصلوا إلى مستوى التوافق الاجتماعي السليم بينما ظل الباقي وعددهم ٤٢ على ما هم فيه من الانحراف الاجتماعي. وبدخولهم الخدمة العسكرية تبين أن نصف الذين بلغوا مستوى التوافق السليم (٣٧ فرداً) قد نجحوا أيضاً في حياتهم العسكرية ونالوا ترقيات وأوسمة ونياشين. بينما نجح ٩ فقط من الفريق ذي التوافق السيء في الحياة العسكرية[٢].

وفي بحث تناول ١٠٠ حالة من حالات الغياب بدون إذن طبقت اختبارات نفسية تناولت الحالة المدنية للفرد ودرجة توافقه الاجتماعي فيها. ومستوى قدرته العقلية ونواحي الاضطراب النفسي والعقلي. كما بحثت نماذجه العسكرية بقصد الإطلاع على تقارير سيره في الخدمة. وبذلك أمكن جمع النتائج الآتية:

(1,2) Lewis, D.C. & Engle, B.I. Wartime Psychiatry, New York, Oxford University Press, 1954.

وجد أن ٨٣ فردا من المائة قد تغيبوا أكثر من مرة من قبل وأن ٥٨ تغيبوا من ٦ إلى ١٣ مرة ورجـــل واحـــد تغيـــب ٢٥ مرة. وكانت الأسباب المدعى بها للتغيب تنحصر في أغلب الحالات في ظروف تتعلق بعائلة المتغيب كمرض الوالدين أو احتياجها مادياً أو ظروف تتعلق بالأبناء بينما أظهر الاستجواب الدقيق أن المتغيبين لم يرتكبوا فعلتهم في الحقيقة بسبب الظروف التي ادعوها وإنما هم سكروا وهاموا على وجوههم ولم يذهبوا إلى منازلهم ولا عائلاتهم بل تبين أن ٦٤ منهم يدمنون الشراب الكحولي بينما يستعمل ٢٤ آخرون مشروبات مخدرة أخرى. وأظهر اختبار وكسلر للذكاء أن واحدا فقط من المجموعة يمكن اعتباره في أقصى درجات الامتياز في الذكاء وأربعة في مرتبة ثالثة من الامتياز وثلاثة ذكاؤهم فوق المتوسط و٣٢ في مستوى متوسط و١٦ أقل من المتوسط و١٩ أغبياء و٢٥ من ذوي التأخر العقلي في درجاته المختلفة. وأبرزت اختبارات الاضطراب الانفعالي والعقلي أن ٣٧ من المجموعة من ذوي الاضطراب السلوكي، بمعنى أنه يمكن اعتبارهم ذوي توافق اجتماعي سيء وأربعة أظهروا استجابات المرض النفسي و٥٠ شخص اضطرابهم على أنه سيكوباتي، وأربعة من الذين يلجأون إلى الكذب بدوافع مرضية وأربعة آخرين من فئة المرض العقلي المعروف بالبارنويا Paranoia أي جنون الإضطهاد والعظمة. وتبين أخيراً أن سبعة من حالات التأخر العقلي الخمس والعشرين يرجع سبب غيابهم بدون إذن إلى تأخرهم العقلي. وينتهي الباحث الذي قام بالبحث إلى أن السجن الحربي ليس علاجا لمثل هذه الجناية إذ تبين أن ٨٣ من الأفراد المائة الذين كونوا عينة البحث كانوا من ذوي السوابق فيما يتعلق بجناية الغياب بدون إذن. كما ينتهي أيضاً إلى أنه كلما زاد عدد المحاكمات العسكرية بالنسبة للفرد كلما تحول إلى موقف اللامبالاة بنظام الجيش وبما يحدث له نتيجة للخروج على هذا النظام.

وفي بحث تناول ٢٠٠ من الجنود المشكلين الذين سبقت محاكمتهم عدة مرات بمحاكم عسكرية قام اثنان من الأخصائيين النفسيين ببحث حالاتهم ورصد النتائج التي توصلا إليها. وقد وجدا أن آباء ٥١ فردا من هذه المجموعة لم يكونوا على قيد الحياة. وكذلك امهات ٣٧ فردا. وأن عائلات ٣٥ حالة كان يسودها الطلاق والإنفصال بين الوالدين. وببحث مستواهم الدراسي السابق للخدمة العسكرية وجد أنهم كانوا في مستوى متأخر بالمقارنة إلى زملائهم العاديين كما أن التقارير التي تناولت سير حياتهم المدنية أفصحت عن بيانات لها دلالتها. فقد تبين أن ١١٦ منهم كانوا يهربون من المدرسة ومن الأعمال المدنية التي سبق لهم ممارستها، وأن ٧١ قد سبق القبض عليهم بواسطة السلطات المدنية ما يقرب من ٣٨١ مرة، و٥١ سبق لهم دخول السجن المدني مرات مجموعها ٣٣٥ مرة. وتبين كذلك من إستطلاع اتجاهاتهم النفسية نحو الحياة العسكرية أن ٧٥ منهم يكرهون الخدمة العسكرية وأفصح ١٢٨ عن عدم مقدرتهم على حمل تبعات هذه الخدمة ومشاقها. وبسؤال المجموعة كلها عن أسباب خرقها للنظم والقوانين وسلوكها سلوكا مضرا بالضبط والربط، أعطى ١٩٢ منهم أسبابا بلغ مجموعها ٢١٢ سبباً تناول نصفها مشاكل تتعلق بالعائلة ومحيط الأسرة وتناول النصف الآخر مشاكل شخصية وعدم مقدرة على التجاوب مع مطالب الخدمة العسكرية. وتبين من فحص السير الشخصية لهذه الحالات أن شخصيات الأفراد تحمل كثيرا من مظاهر الاضطراب النفسي والسيكوباتية[1].

وتناول بحث آخر ثلاث مجموعات كل منها عدد أفراده ١٠٠ وجميعهم فصل من الخدمة العسكرية لأسباب نفسية عقب إتمام فترة

(١، ٢) المرجع السابق.

تدريب المستجدين أو قبل إتمامها. وقد أمكن تقسيم المجموعات الثلاث إلى قسمين أحدهما يشمل حالات المرض العقلي والشخصية السيكوباتية والأمراض العصبية العضوية والصرع والتبول اللاإرادي والنقص العقلي والآخر يشمل حالات المرض النفسي. وتبين أن ثلاثة أرباع أفراد القسمين لديهم تاريخ عائلي مليء بالإضطراب وأن شخصياتهم كانت تحمل منذ الطفولة علامات واضحة للسلوك العصبي والسلبية والتواكل كما أنهم كانوا فاشلين في أعمالهم ووظائفهم المدنية(٢).

ومن المشاكل التي بحثت باستفاضة مشكلة إدعاء المرض أو التمارض، وهي مشكلة لها أهميتها في مجال الخدمة العسكرية وخاصة إبان القتال. وقد حددت أوجه المشكلة كجناية عسكرية بالشكل الآتي:

١ - إدعاء سبب كاذب للمرض.
٢ - إدعاء أعراض كاذبة للمرض.
٣ - اداء تصرفات معينة متعمدة بقصد زيادة حدة أعراض مرضية موجودة كتناول اطعمة معينة من شأنها أن تزيد ارتفاع درجة الحرارة.
٤ - إكتساب المرض عمدا وخاصة في حالة الأمراض التناسلية.
٥ - إحداث الأذى بالجسم بواسطة الشخص نفسه أو بالتعاون مع آخرين كاستعمال آلة حادة لإحداث جرح.
٦ - إفتعال مرض أو اضطراب بأحد أجهزة الجسم (الجهاز الهضمي - التنفسي).

وقد بينت الأبحاث النفسية التي تناولت عينات كبيرة من المتمارضين أنهم ذوو شخصيات سيكوباتية متميزة في إضطرابها هذا عن الاضطرابات النفسية الاخرى وخاصة الوسوسة المرضية المتعلقة بصحة البدن Psychosomatics أو الاضطرابات الجسمية الناشئة عن اضطرابات

نفسية حيث لا يظهر في العادة سبب عضوي للاضطراب البدني. وكان من الطبيعي أن تتجه هذه الأبحاث نحو تمييز شخصية المتمارض كما تظهر في صور استجاباتها للإختبارات النفسية وخاصة اختبار رورشاخ، إذ أمكن استخلاص بعض التصرفات المعينة التي تبدر من المتمارض أثناء أدائه لهذا الإختبار، وجد أن مجموعة الاستجابات ضئيلة جدا وأن متوسط زمن الرجع Reaction Time أكبر من المتوسط العادي. ثم الفشل في تفسير بعض البطاقات التي يسهل تفسيرها عادة (بطاقتي ١، ٥) والفشل في إعطاء استجابات شائعة Popular Responses واتجاه معين من جانب المتمارض ينم عن الحيرة الماكرة، فهو يختلس النظر إلى المختبر ليرى تأثير الاستجابات التي يعطيها عليه وموقفه منها. كما أن تصرفاته أثناء أداء الإختبار تتسم بالحذر الشديد خشية أن ينكشف أمره. وتتصل بمشكلة ادعاء المرض مشكلة أخرى في غاية من الأهمية وهي ادعاء العجز العضوي عن آداء خدمة عسكرية ما. كأن يدعي أحد الجنود المكلفين بالمراقبة الليلية أنه لا يرى شيئاً في الظلام حتى ولا الأضواء العادية التي يراها الشخص العادي، وقد صمم جهاز الضبط هذا النوع من الادعاء، فاستعمل ضوء أحمر يبلغ من الخفوت الحد الأدنى الذي يستطيع أن يراه به المصاب بنقص في النظر الليلي. ويدخل الشخص في حجرة مظلمة وينتظر برهة حتى تتعود عيناه الظلام ثم يعرض الضوء الأحمر أمامه بحيث يتزايد في قوته تدريجياً ويطلب من الشخص أن يعلن رؤيته للضوء حينما يتم ذلك. فمدعي العجز ينتظر حتى يصير الضوء على درجة عالية من الشدة غير دار أن طبيعة الإبصار حتى في حالة نقص النظر الليلي تتنافى مع عدم رؤيته للضوء الأحمر وقت بزوغه. وقد بين بحث عن شخصيات « مدى العجز » أنها تحمل في معظم الأحيان آثار إضطرابات نفسية تحتم على أصحابها الفرار من بعض الواجبات العسكرية ومن ثم كان ادعاء العجز الآداء،

كالسائق الذي يدعي نقص النظر الليلي لإحساسه بقلق شديد إذا قاد السيارة اثناء الليل.

وتناول بحث معروف للأستاذ دافيد شنيدر مشكلة الشكوى من الأوجاع البدنية خلال فترة تدريب المستجدين والدوافع والصراعات النفسية التي تكمن وراء مثل هذه الشكوى وعلاقتها بالموقف الاجتماعي للشاكي وما يلقيه ذلك من الأضواء على موقفه التوافقي العام ازاء المحيط الاجتماعي العسكري[١].

ويرى الدكتور شنيدر أنه في حالات خاصة تكون الشكوى من الأوجاع البدنية وما قد ينشأ عنها من عجز بدني مظهر من مظاهر الفشل في توافق الشخص المدني للمؤثرات العسكرية الضائعة إبان فترة تدريب المستجدين. ذلك لأن مثل هذا التوافق الذي يؤدي بالشخص إلى أن يصبح جنديا يتضمن مقابلة ثلاث مشاكل رئيسية بنجاح[٢]:

١ - التخلص من الروابط والحاجات الوجدانية التي تميز حياته المدنية.

٢ - مقابلة المطالب الجديدة الشديدة الوطأة والتعامل معها.

٣ - انشاء مجموعة جديدة من العلاقات الإجتماعية الناجحة مع زملائه ورؤسائه.

والفشل في التوافق يمكن إرجاعه إلى فشل في الاستجابة في أحد هذه المجالات الثلاثة أو فيها جميعا. والعلاقة بين التوافق الفاشل - من حيث هو نشاط نفسي اجتماعي - وبين الأوجاع البدنية ذات المصدر النفسي يمكن تبينها على الوجه التالي:

(١، ٢) المرجع السابق.

يؤدي الألم البدني إلى عجز في النشاط يجعل الفرد متأخراً عن غيره في مقابلة مطالب الضبط والربط. ولكن التأخر لا يعرضه للمسئولية ولا للعقاب لوجود سبب مشروع له وهو المرض الجسمي. ولا تقتصر الفائدة على مجرد الإعفاء من اللوم أو العقاب بل يصل الأمر إلى حد إثارة الشفقة على المريض وتقديم المعونة له من جانب زملائه وربما من جانب رؤسائه ايضا. هذا بالإضافة إلى إعفائه من الواجبات المرهقة والخدمات الشاقة. ونريد أن ننبه في هذا الصدد إلى أن الدكتور شنيدر لا يقصد بهذا النوع من الأشخاص أولئك المتمارضين الذين سبق الكلام عنهم ولكن يعني بكلامه أشخاصاً يشعرون فعلاً بأوجاع بدنية ولكنها ذات منشأ نفسي نتيجة للتوافق السيء مع البيئة العسكرية. فالإرادة الشعورية للمرض ليست قائمة لدى هذا النوع من الأشخاص. ولكنها إرادة خفية كامنة تدفع المريض دون أن يشعر إلى الألم البدني ليكون عُذرا مشروعا للتقاعس النفسي عند التوافق السليم. ويستطرد شنيدر مبيناً أن هؤلاء «المتقاعسين» يرضون عن أنفسهم في وضعهم هذا بعد أن وجد السبب المعقول الذي يبرر تخلفهم عن غيرهم وبعد أن مهد لهم هذا السبب اكتساب عطف الجماعة واعترافها لهم بأحقيتهم في التأخر. كما أن الجماعة من جانبها ترضى عنهم وتهيء لهم سبيل النشاط الخفيف وتمنحهم العطف والشفقة.

ولكن الأمور لا تستمر على هذا النحو فسرعان ما تندمج الجماعة في تدريباتها العسكرية ويزداد إندماجا بالتدريج في حياة الجندية باكتسابها وتعلمها للمهارات والأنماط السلوكية الجديدة، وحينئذ تبدأ الثغرة في الاتساع بين أولئك المتخلفين المرضى وبين زملائهم الذين يتقدمون باستمرار في اكتساب الاجتماعية العسكرية والآداء الفني في مجالات النشاط المختلفة. فيشعر المتخلفون بأنهم ينعزلون شيئاً فشيئاً عن الجماعة وتنظر الجماعة إليهم على أنهم رمز للفشل والتقاعس ولا تعود تمنحهم من

العطف والشفقة والرعاية ما سبق لها أن منحتهم بل تتحول هذه المشاعر إلى لون من العدوان والانتقاد والتبرم تستجيب بها الجماعة لسلوك المتأخرين واحتياجاتهم المستمرة إلى المعونة. الأمر الذي يجعل موقفهم حرجا في الجماعة ويثير فيهم النقمة والتشبث بما اكتسبوه من حقوق. وبتبادل مشاعر العدوان بين الفريقين تزداد مشكلة توافق الفريق المتخلف إتساعا وتعقيدا وربما زادت أعراضهم المرضية حدة وزادت العوامل التي تدفعهم إلى السلوك الجانح والإخلال بالضبط والربط.

هذه الأبحاث وغيرها مما قام به العلماء في مجال القوات المسلحة الأميركية لا تعطينا نتائج قاطعة فيما يتعلق بالصياغة الاجتماعية ومشكلات التوافق والإضرار بالضبط والربط ولكنها على أي حال لها دلالاتها الهامة. فهي تؤكد لنا أن موقفنا إزاء حالات الإخلال بالنظام لا ينبغي أن يقوم على العقاب فقط. فبالرغم من كون العقاب أداة سهلة ميسورة للتقويم وربما أدت إلى اختفاء السلوك المشكل إلا أنها لا تعد علاجا بالمعنى المعروف للعلاج. فنحن قبل كل شيء أمام شخصيات مشكلة لها دوافعها وإتجاهاتها نحو إتخاذ موقف مشكل. وهي قد نشأت وتطورت واتخذت صفاتها وعاداتها من قبل أن تدخل الحياة العسكرية. فتقويم هذه الشخصيات ينبغي أن يقوم على فهم الدوافع إلى السلوك المضر بالضبط والربط. وفهم هذه الدوافع لا يتم إلا على ضوء التاريخ الماضي لتطور الشخصية ومراحل نموها حتى انتهت إلى موقفها الراهن. من ناحية أخرى لا ينبغي أن نتوقع لهذا الفهم الذي نطالب به أن يتأدى إلى النجاح في جميع الحالات شأنه في ذلك شأن الفهم الطبي العادي حينما يصادف حالات مستعصية أو ترجع إلى أسباب وراثية، إلا أنه حتى في حالات الاستعصاء يفيد الفهم في تقرير ما يتخذ بصدد الحالة المشكلة. فكما أن الكشف الطبي قد يقرر اعفاء الشخص من الجندية لعدم صلاحيته بدنيا للحياة العسكرية لأسباب لا يستطيع الطب

حيالها علاجا. فكذلك الكشف النفسي يستطيع أن يقرر عدم صلاحية الشخص للخدمة العسكرية من حيث تكوينه الشخصي الفعلي لأسباب لا يستطيع العلاج النفسي مقاومتها.

وكذلك يفيد الكشف النفسي في المحاكمات العسكرية في تحديد المسئولية الجنائية. والتشريع المدني والجنائي يتجه الآن في معظم البلاد إلى الاعتراف بالعوامل النفسية القهرية Compulsive كعامل مخفف للمسئولية الجنائية أو كعامل ينفي هذه المسئولية كما هو الأمر في حالة المرض العقلي. والذي نريد أن نلفت النظر إليه هو أن العقاب قد يفشل في حالات كثيرة كوسيلة للتقويم. بل قد يزيد المشكلة سوءاً حينما يصبح عاملا مساعدا للتوافق الإجتماعي السيء بما يثيره لدى المعاقب من إحساسات بالنقص والذلة والذنب.

والواقع أن الثواب والعقاب مبدآن أساسيان للصياغة الاجتماعية من حيث كونها تعلما اجتماعيا من جانب الفرد. فالفرد الذي يتعلم من المحاولة والخطأ لا بد أن يشعر بالخطأ. أي الخطأ في التصرف وبالآثار الطيبة المترتبة على قيامه بالسلوك الصحيح. وأن العقاب ولو في صورة الانتقاد أو التحذير هو الذي يشعره بخطئه ويوجهه الوجهة المطلوبة كما أن الثواب ولو في صورة الاستحسان أو الموافقة يساعد على تثبيت السلوك الصحيح واكتسابه لفاعلية مستمرة.

وفي مجتمع كالمجتمع العسكري يقوم على النظام ويتمسك بالضبط والربط تمسكاً شديداً يبرز العقاب كوسيلة أساسية للتقويم كما أن الثواب في صوره المختلفة (الترقية - الأوسمة - النياشين) يبرز ايضاً كعامل هام في التشجيع والتوجيه. أضف إلى ذلك أن العقاب في حد ذاته يعني إثارة الخوف من ارتكاب السلوك الخاطىء. والجندي في أثناء القتال يقابل من المخاطر والمشاق ما يجعله أشد صلابة وأكثر تعودا على

مقابلة مثيرات الخوف الأخرى ببساطة واستهانة الأمر الذي يتطلب أن يكون العقاب صارما لكي يكون رادعا.

على أن هناك اعتبارات هامة ينبغي وضعها نصب الأعين فيما يتعلق بالعقاب كوسيلة للتقويم. لقد بينا أنه عامل أساسي في التعليم الاجتماعي. ولكن ما هو هدف هذا التعلم؟.. هدفه هو الصياغة الاجتماعية، أي تكوين الشخصية التي تتصرف وفق المعيار الاجتماعي. ولو اقتصر الأمر على مجرد الخوف من العقاب كدافع وحيد للسلوك الاجتماعي لكان من الممكن أن يتصرف الفرد السليم طالما هو أمام الآخرين حتى إذا خلا لنفسه وأمن أعين الرقباء وسلطة القانون تصرفا وفق ما يحلو له غير عابىء بالمطالب الاجتماعية. الجندي مثلا في مركز حراسته ليلا لن يستمر يقظاً طول مدة نوبته بل سينام بعد مرور الضابط أو ضابط الصف المناوب. فالهدف الحقيقي من التعلم ليس مجرد إثارة دافع الخوف. بل يتعدى ذلك إلى تكوين العادات والصفات التي يطالب المجتمع بها وحينئذ يصدر السلوك القويم صدورا تلقائياً أو شبه تلقائي عن الشخصية القائمة بحيث يتم حدوثه سواء في وجود الرقباء أو في غيبتهم.

اعتبار آخر يقوم في الأثر الذي يحدثه العقاب في النفس وخاصة في الشخصية البالغة. وهو أثر يتوقف على نوع العقاب وظروفه ولكنا نستطيع على أي حال أن نتبين صورتين للعقاب قد تتماثلان في المضمون ولكنهما تختلفان في الصورة التي تم بها العقاب.

الصورة الأولى تتناول السلوك الخاطىء ذاته دون النظر إلى القائم به.

والصورة الثانية تتناول السلوك والقائم به معا، وفي معظم الأحيان تتناول القائم به وحده على اعتبار أنه مصدر السلوك. ففي الحالة الأولى

يكون العقاب لقاء سلوك خاطىء بصرف النظر عن مؤديه، وفي الحالة الثانية يكون العقاب جزءاً يتناول شخصية القائم بالسلوك. ولكي تفهم ذلك نضرب مثلا... لنفرض أن ضابطاً عرض عليه في مكتبه جندي ارتكب ذنباً ما وليكن التأخر عن حد تصريحه مثلا. والضابط في سبيله لتوقيع الجزاء القانوني على هذا الجندي. فحينئذ قد يسلك أحد سبيلين. فهو قد يعرض على الجندي ذنبه والعقاب الذي نص عليه القانون جزاء على هذا الذنب ثم يوقع العقاب وينتهي الأمر. وهو قد يأخذ في سب الجندي وشتمه وتهديده بالمعاملة السيئة وحرمانه بعد ذلك من الفسحة ثم يوقع عليه نفس العقاب ويصرفه فالجزاء واحد في الحالتين ولكن طريقة توقيعه اختلفت. ففي الحالة الأولى توقع العقاب لسلوك يضر بالضبط والربط بقصد تقويمه. أما في الثانية فقد اتخذ العقاب طابعا شخصياً انتقاميا لا يقصد به التقويم فقط بل الاقتصاص من شخصية المخطىء.

ومثل هذه الصورة الأخيرة كفيلة بأن تحدث في الجندي شعورا معادياً للنظام وكراهية لمقتضياته. وحينئذ يبدأ الصراع ينشب في نفسه. فكراهية النظام تدفعه إلى تحديه والخوف من العقاب يدفعه إلى التراجع والخضوع على مضض. والنتيجة الطبيعية لمثل هذا الصراع هو اقتناص الجندي للفرص التي يخرج فيها على النظام تحدياً وتنفيسا عن مشاعره العدوانية بدون التعرض للعقاب. أو قيامه ببعض التصرفات التي تضايق السلطات دون أن تستطيع معاقبته عليها لأنها تصرفات غير منصوص عليها في القانون. هذا إذا لم يؤد مثل هذا الصراع بالجندي إلى إثارة ما قد يكون كامنا في شخصيته من صراعات مرضية أو اتجاهات جانحة فيظهر في صور اضطرابات سلوكية متطرفة من بينها الخروج على السلطة علنا أو مغالبتها صراحة. وربما أدى الأمر إلى محاولة التعدي عليها كما يحدث أن يحاول الجندي أن يقتل ضابطه أو

صف ضابطه. والمستغرب في مثل هذه الحالات أن السبب الذي قام من أجله الجندي بسلوكه العنيف يكون بسيطاً لا يتناسب مع حدة الانفجار السلوكي. فالجزاء الذي توقع عليه من رئيسه ربما كان بسيطاً ومع ذلك قام الجندي بقتل هذا الرئيس. ووجه الغرابة هنا يظل قائما ما دمنا نسينا الطريقة التي توقع بها هذا العقاب البسيط، فربما وقعه الرئيس بطريقة أصابت شخصية الجندي في الصميم وأثارت فيه من الميول العدوانية ما اكتسح أمامه جميع الاعتبارات الاجتماعية والخلقية ومشاعر الخوف من أي عقاب. اعتبار ثالث يقوم في موقف الشخصية من العقاب خاصة إذا كان في صورة مهدده من ناحية وإذا كانت الشخصية ذاتها تحمل اتجاهات مرضية من ناحية أخرى. ففي موقف كموقف الجندي وخاصة أثناء فترة تدريب المستجدين وهي فترة الصياغة الاجتماعية الأساسية يشعر بأنه مركز للأوامر المتلاحقة التي تتناول معظم جوانب حياته اليومية والتي تحمل نغمة التلويح بالعقاب في جميع صورها ومضموناتها. وحينئذ يكون طبيعيا أن يتجه نشاطه في تعلمه الاجتماعي وجهة دفاعية بمعنى أن تصرفاته جميعا تهدف أولا إلى اتقاء شر العقاب والإفلات منه. وبدلا من أن يوجه طاقته نحو استيعاب ما يلقى عليه من أوامر وفهمها والسير وفق مقتضياتها فإنه يركز اهتمامه في الدفاع عن نفسه. والنتيجة قد تكون واحدة في الحالتين وهي قيام الجندي بالسلوك المطلوب.

ولكن هناك فارق كبير بين قيامه بهذا السلوك على سبيل التعلم والإجادة وبين قيامه به على سبيل الحرص والحذر والدفاع عن أمنه النفسي بتلافي شر العقاب. ففي الحالة الأولى تكون المرونة في التصرف والذهن المتفتح للفهم والتمثل والرغبة في الإجادة والاتقان. أما في الحالة الثانية فإننا لا نجد سوى التأدية الآلية للسلوك دون تغيير يذكر في الشخصية لتتعدل وفق مؤثرات الصياغة الإجتماعية الجديدة.

والآثار المختلفة التي تظهر في هذا السلوك الدفاعي كثيرة ونستطيع أن نتسلمها فالكذب والغش والتملق والتمارض والخضوع الأعمى وشهادة الزور والعجز عن التصرف والغباء الذي لا يرجع إلى نقص في المستوى العقلي، كل هذه وغيرها مظاهر سلوكية يقصد بها الافلات من قبضة العقاب. فإذا كان الجندي يحمل في شخصيته اتجاهات مرضية كان الأمر أسوأ فالمرض النفسي ينشأ عادة من الخوف المفرط اثناء التنشئة الإجتماعية وتزداد حدة أعراضه كلما تعرض المريض لموقف مثير للخوف. فحينئذ لا يستجيب المريض استجابة تتناسب مع طبيعة الموقف ولكنه يفرط في الاستجابة بقدر ما يلقى فيها من مشاعر مرضية. فإذا كان المريض شخصاً نشأ تحت سيطرة أب مفرط في القسوة والعقاب فإنه يقف من كل سلطة تتولى أمره نفس موقفه من أبيه وحينئذ يحول إليها نفس مشاعره وتوقعاته من هذا الأب. فهو قد يخاف منها خوفا مفرطاً ويكرهها ويحقد عليها في نفس الوقت وهو قد يلجأ بمناسبة وبدون مناسبة إلى مراوغة هذه السلطة والتحامل عليها.

وهو قد يكون حريصا على انتقادها في الخفاء وتلمس الأخطاء لها. وقد يحدث أن يتمرد عليها ويحاول باستمرار مغالبة تعاليمها والخروج عليها.

وبعض المرضى النفسيين يتميزون بأنهم ينفذون صراعاتهم النفسية الداخلية في سلوكهم الخارجي وهم المسمون بالعصابيين الفعالين - Acting Out Neurotics - وهؤلاء يتسم سلوكهم بما يجري في نفوسهم من صراع بين الخوف والعدوان وخاصة في المواقف المهددة.

فميولهم العدوانية تأخذ طريقها فوراً في تعبير سلوكي يبدو في نزعات للتمرد والخروج على النظام في صوره المختلفة. ومشاعر الخوف والقلق تظهر في صورة سلوك مذنب يستجلب العقاب واللوم. فالعقاب

الخارجي له وظيفته بالنسبة لهذه الفئة من المرضى فهو بما يحمله من صبغة القصاص يخفف ما لديهم من إحساس بالذنب. وبذلك يكون سلوكهم الجانح وسيلة الحل الصراع النفسي المعتمل في نفوسهم. وتكون دوافعهم إلى الجنوح قهرية لا يجدي العقاب في تقويمها. وفي حالات مرضى العقل يبرز هذا الشعور بالتهديد كعامل أساسي في دوافعهم إلى السلوك الخارج. فالمريض العقلي يشعر دائما بأنه مهدد من قبل الآخرين فضلا عن عجزه عن التعامل الإجتماعي فهو بما لديه من تدهور عقلي وانفعالي لا يستطيع التفاهم مع من يتعاملون معه ولا مشاركتهم مشاعرهم. وكثير من هؤلاء المرضى لا تبلغ حالتهم من الحدة ما يقتضي عزلهم فهم يعيشون بين الناس ولكن اضطراباتهم السلوكية توقعهم دائما في المشاكل بما تتميز به من خروج على المألوف وعدم المقدرة على التفاهم والمشاركة. فالمريض البارنوي Paranoid مثلا يحس دائما أن الآخرين يضطهدونه ويتتبعونه بتلميحاتهم وإيذاآتهم. وهو يفسر كل تصرف من جانبهم على هذا النحو. فإذا ابتسم في وجهه أحد فهو يبتسم سخرية منه. وإذا لم يبتسم فهو يحقد عليه ويضمر له السوء. وإذا نبهه إلى خطأ بدر منه فهو يلتمس له الخطأ وإذا شجعه على تصرف معين فهو يحسده وهكذا. والعقاب في مثل هذه الحالة لا يؤدي مفعولا سوى أن يؤكد وجهة نظر المريض من حيث كونه مضطهدا مظلوما.

ومن المهم أن نذكر في هذا الصدد أن نفس هذا الشعور بإنعدام الأمن النفسي يدفع كثيراً من المرضى النفسيين إلى الخضوع المطلق لما يفرض عليهم من مطالب اجتماعية بحيث يصبحون أكثر من الأصحاء حرصاً على سلامة سلوكهم واتفاقه مع التقاليد ومقتضيات النظام الاجتماعي. ذلك لأن أي خروج ولو بسيط على هذا النظام يعني لديهم التعرض للعقاب ولو لم يحدث ذلك في الواقع الخارجي. فالخوف الشديد يجعلهم يتوقعون الشر دائماً ويحاولون دفعه بهذا السلوك المفرط في الذلة.

ومثل هؤلاء لا يتوقع منهم الانحراف إلا إذا تطور مرضهم في اتجاهات تدفعهم إلى ذلك. ولكنهم في موقفهم هذا لا يتعدون حدود السلبية الخالية من كل اتجاه إيجابي. فهم يخضعون مستسلمين ويُنفسون عما يعتمل في نفوسهم من ميول عدوانية في التخيلات واحلام اليقظة وغير ذلك من الأمراض النفسية التي لا تتعدى حدود النفس ولا تخرج إلى حيز التنفيذ السلوكي. وهم بذلك ذوو روح معنوية منخفضة من حيث اشتراكهم في نشاط الجماعة. إذ يقتصرون على تأدية ما يطلب منهم ولا يقدمون من عندهم شيئاً ولا يتحمسون لأمر من الأمور(1). وليس لديهم مقدرة على المشاركة في نشاط الجماعة الايجابي نحو تحقيق أهدافها. ووجود هؤلاء في الجماعة العسكرية المقاتلة أمر له مساوئه وأخطاره. فدعاة الهزيمة واليأس والتراجع يكونون دائماً من هذا الفريق. وتظهر صراعاتهم النفسية بصورة واضحة قد تفصح عن نفسها في النشاط السلوكي حينما يكلفون بمهام تعرضهم للخطر فحينئذ يظهر الخوف كعامل أساسي في هذا النمط من الشخصية وتوقعهم آثارة المتناقضة في موقف لا يحسدون عليه. فبينما دفعهم الخوف إلى الامتثال الاجتماعي فإنه يدفعهم في حالة تكليفهم بمهمة خطرة إلى الخروج على الأوامر.

وتشير معظم الآراء التي ظهرت عن الروح المعنوية العالية أن العامل الرئيسي لقيام هذه الروح في الجماعة هو إندماج الأفراد في جماعتهم وإحساسهم بكيانها في نفوسهم وشعورهم بالارتباط في وحدة واحدة تتحرك نحو أهداف موحدة تهمهم جميعا.

وهناك شرط أساسي لذلك هو شعور كل فرد بأنه يشارك الآخرين في العمل وأن فرديته تذوب مع فردياتهم في اتجاهات مشتركة. والعقاب

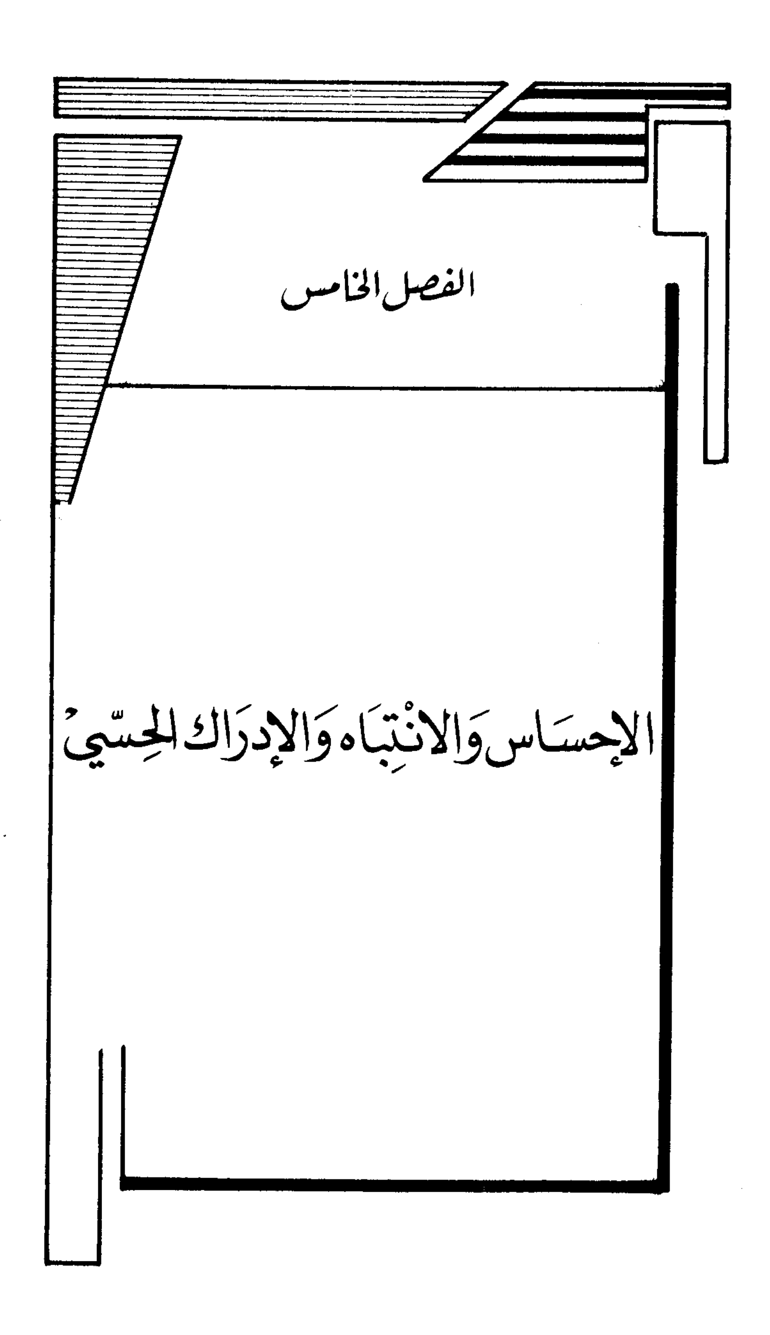
---

(1) Crowcroft, A. The psychotic: Understanding madness Harmondsworth: Penguin, 1967.

في صورته الفجة يعترض قيام مثل هذا الشعور لدى الفرد فهو يشعره بأن الجماعة تناصبه العداء وتضعه في موقف المنعزل وتقطع ما بينها وبينه من روابط. كما أن مرضى النفوس يشعرون حتى بدون عقاب أنهم منعزلون من بقية المجموع بما يحملونه في نفوسهم من الانطوائية والخوف المتطرف والحذر البالغ والمشاعر العدوانية نحو الآخرين. فهم يعزلون أنفسهم عن التيار الجمعي، ويعجزون عن مشاركة المجموع في قيم إيجابية جمعية.

إن مسألة الضبط والربط وحسن الانتظام العسكري كما قلنا من أهم المسائل التي تشغل بال القائمين بأمور القوات المسلحة في مختلف البلاد ،ومشاكلها في الوقت نفسه من أخطر المشاكل التي تقتضي البحث والحل لما لها من أهمية قصوى في التأثير السيء على اعداد الجيش اعدادا سليما، ولسنا هنا في موقف يسمح لنا بإقتراح الحلول فليس في البحث العلمي حلول توضع الا عن طريق الدراسة التجريبية المنهجية.

وكل ما نطمع فيه أن يكون هذا الاستعراض السريع قد ابرز لنا المعالم العامة للمسألة.



الفصل الخامس

الإحساس والانتباه والإدراك الحسّي

الفصل الخامس

الإحساس والانْتِباه والإدراك الحِسّيْ

الاحساس

يولد الإنسان وهو مزود بإستعدادات فطرية معيبة مثل تناول الطعام عندما يشعر بالجوع وشرب الماء عندما يشعر بالعطش واللجوء الى الراحة عندما يشعر بالتعب وهكذا. ومن هذه الاستعدادات الفطرية ما يعرف «بالقابلية للاستثارة» أي التأثر بالمثيرات المختلفة. ويقصد بالمثيرات تلك الأشياء التي يمكن أن تحدث أثراً ما على حواسه - فهناك مثيرات ضوئية كتلك التي تراها العين وهناك مثيرات صوتية كالأصوات التي تسمعها الأذن وهناك مثيرات كيميائية ويقصد بها الأشياء التي يتذوقها اللسان.

وتقوم المراكز العليا من المخ بتنسيق الإشارات الواردة من الحواس والناتجة عن المثيرات المختلفة كي تتآزر فيما بينها بحيث تصدر إلى أعضاء الحركة إشارات متمايزة تؤدي إلى الاستجابات المناسبة للموقف.

فعندما يخرج المرء مثلا إلى الطريق ويرى المارة والعجلات، ويسمع ضجيج الناس وأبواق السيارات، وهو بين كل هذا يريد أن يسير متوجها الى غايته، متجنبا الاحتكاك بالمارة، متحاشيا التصادم بالسيارات، فكيف يتيسر له كل ذلك؟ لا بد من «معرفة»

هذه الأشياء المختلفة المختلطة به، ليشق طريقة ويسلم من الأخطار.

كيف تتم له هذه «المعرفة»؟ وما هي العوامل المختلفة التي تتعاون على العلم بالأشياء الخارجية؟.

المعرفة التامة بالأشياء، المميزة لها، المحددة لمكانها، تسمى «الادراك الحسي» فإذا سمعت بوق السيارة في الطريق، فإنك تميل جانبا، لأنك أدركت أن وراءك سيارة.

تسمع السيارة قادمة من خلفك فتتجنبها، هذا السلوك الذي تم في لحظة قصيرة، يحتاج هنا إلى تحليل طويل. ويحسن أن نبسط أجزاء هذا الموقف، ثم نعود إلى توضيح كل جزء على حدة.

فإننا نبسط الموقف كما يلي:

١) صوت السيارة.

٢) الاذن.

٣) الإحساس بسماع الصوت.

٤) تميز هذا الصوت بأنه صوت سيارة.

٥) تجنب السيارة.

(والجزء الخامس رد على مؤثر خارجي).

وقد تسأل هل يستطيع الأصم أن يسمع الأصوات؟ إنه لو سار في الطريق لدهمته السيارات من الخلف وهو غير سميع.

«فالسمع» ضروري «لمعرفة» الأصوات.

«والبصر» ضروري «لمعرفة» الضوء والألوان والأشكال.

وسنفرد بابا خاصا لهذه المعرفة التي تعقب السمع والبصر... الخ. وهو باب الادراك الحسي.

أما هذا السمع « الضروري » للمعرفة، وهذا البصر « الضروري » للمعرفة... إلخ، فهو الذي نسميه الاحساس.

ويعرف الإحساس بأنه الظاهرة الأولية في الحياة العقلية، التي تنشأ عن أثر الضوء أو الصوت أو الحرارة... إلخ في أعضاء الحس. وأغلب إحساساتنا تنشأ عن تأثير العالم الخارجي في الحواس المختلفة. ولكن هناك إحساسات أخرى أسبابها باطنة. كالإحساس بالمجهود حين نحرك عضلاتنا أو الإحساس بالجوع والعطش.

ويمر الإحساس في مراحل ثلاث:

١)مرحلة فيزيقية:

وهي المؤثرات الفيزيقية، « كالضوء » والصوت « والحرارة » والتيارات الكهربائية... إلخ التي تنبعث عن الأشياء الخارجية، وتصل إلى أعضاء الحس.

٢) مرحلة فسيولوجية:

ويتم في هذه المرحلة تأثر أعضاء الحس، ثم انفعال أعصاب الحس العامة، أو الخاصة ووصول الأثر إلى المراكز العصبية.

وهناك أنواع ثلاثة من الاحساسات:

١)إحساسات باطنة عامة: وهي مجموعة الاحساسات الخاصة بداخل البدن كامتلاء الأمعاء وتغير الحالة الكيميائية للجسم « نقص - الماء - أو الملح ». وتؤدي هذه الاحساسات إلى ظهور بعض المشاعر كالجوع والعطش.

٢) إحساسات باطنة خاصة: وتتصل هذه الاحساسات بالجهاز العضلي للجسم مثل الاحساس بالحركة والاحساس بالاتزان (وضع الجسم).

ويلعب المخيخ دوراً كبيراً في إعطاء هذه الإحساسات.

٣) إحساسات خارجية: وهي الاحساسات المتعلقة بالعالم الخارجي والتي تخضع للجهاز العصبي المركزي وتتضمن الحواس الخمس.

هذا وللإحساس خصائص ثلاثة هي:

١ - شدة الاحساس ودرجته: تختلف درجة إحساسنا بالصوت تبعا لشدة أو سعة الموجة الصوتية. فكلما قصرت الموجة الصوتية كان الصوت ذا رنة عالية وزادت شدة إحساسنا به، كذلك بالنسبة للضوء، فالضوء الذي يصدر عن شمعة واحدة يختلف عن ذلك الذي يصدر عن ٥ شمعات كما يختلف هذا أيضا عن الضوء الذي يصدر عن لمبة قوتها ١٠٠ شمعة،وكلما زادت شدة الضوء زادت سعة موجته، ويمكن أن نجد مثيلا لهذا التفاوت في شدة الاحساس في الاحساسات الأخرى. حيث تتفاوت شدة الألم في إحساسات اللمس وحدة الذوق في إحساسات اللسان ونفاذ الرائحة.

٢ - نوع الاحساس: تتفاوت الأصوات فيما يسمى بالمقام. فبعض الأصوات حاد والآخر غليظ وذلك تبعا لعدد ترديدات الموجة في الدقيقة كما يختلف أيضا إحساسنا البصري تبعا لترديد الموجات الضوئية.

٣)صنف الاحساس: تتفاوت درجة نقاء الموجات الصوتية والضوئية حسب تركيبها. ففي بعض الأحيان تتداخل موجتان صوتيتان لهما طولين مختلفين فيعطيان نبرة خليطاً. ويختلف الضوء من حيث عدد الموجات الداخلة في تركيبه. وقد نشم رائحة مادة يختلط فيها إحساس الحروق بالنتن أو نتذوق طعما حامضا ومرا في نفس الوقت[١].

---

(١) أحمد فائق، محمود عبد القادر: مدخل الى علم النفس العام. القاهرة الانجلو، ١٩٧٢.

العتبة الفارقة Differential Threshold

تبين من الدراسات التي أجريت على الإحساس أن العضو الحاس لا يتأثر بالمثير إلا إذا بلغ درجة معينة من الشدة تعرف بالعتبة الحسية السفلى، ومثال ذلك الموجة الضوئية التي تبلغ ٢٩٠ ملليميكرون لتعطي اللون الأحمر هي الحد الأدنى التي يمكن للخلايا الضوئية في العين التأثر بها وعندما تقل الموجة عن هذا الحد لا تحس العين المجردة بوجود ضوء أو لون، مقابل الموجة الضوئية ٧٦٠ ملليميكرون التي تمثل أقصى ما تشعر به العين الإنسانية بحيث إذا طالت الموجة عن ذلك أصبحت الأشعة فوق بنفسجية أي غير مرئية بالنسبة للعين المجردة[١].

ويمكن أن نعرض لبعض أنواع الإحساس عند الانسان كالآتي:

أولا: حاسة اللمس:

خلافا للأحاسيس الأخرى المتخصصة في الجسم مثل حواس البصر والسمع والتذوق والشم فان أحاسيس الجلد رغم إختصاصاتها الوظيفية، تنتشر في جميع سطوح الجسم الخارجية والداخلية على السواء. والباحث في هذا الميدان يعجب لنوع الوظائف المركبة Complex التي يقوم بها الجلد في الكائن الحي ابتداء من خلية الأميبيا البدائية حتى الانسان الراقي في التطور.

يتكون الجلد من ثلاث طبقات رئيسية هي بالترتيب من الخارج نحو الداخل: البشرة والأدمة ونسيج ما تحت الجلد. أما البشرة فوظيفتها الرئيسية وقاية الجسم والمحافظة على سلامة الأجهزة الحسية التي تليه في ثنايا الجلد إلى الداخل. أما خلايا البشرة فمعظمها مفلطح وهي دائمة

---

(١) المرجع السابق.

التجدد بفعل إحتكاكها المستمر بالمحيط الفيزيائي الذي يعيش فيه الكائن الحي. وتكاد البشرة تخلو من شرايين الدم وهذا هو السبب في أن خدشا بسيطا على سطح الجلد لا يؤدي إلى النزيف. أما عملية التجدد فتتم في الجزء الداخلي للبشرة والملامس للأدمة وتملأ خلايا البشرة مادة الميلانين Melanin التي تعطي الجلد لونه المألوف. وهذه المادة وراثية المنشأ ولكنها تتأثر بعوامل البيئة الأخرى بعد الولادة كالشمس وأحوال الطقس والغذاء.

ثانيا: حاسة الذوق.

التنبيه اللمسي تنبيه ميكانيكي، أما التنبيه الذوقي أو الشمسي فإنه كيميائي، فلا يحدث التنبيه إلا بعد إذابة المذوقات أو المشمومات وتفاعلها بالمواد الموجودة في الحلمات التي تكسو الغشاء اللساني أو الغشاء الأنفي[١].

ويصعب علينا أن نفصل بين الناحية السيكولوجية (النفسية) والناحية التشريحية في موضوع أحاسيسنا الذوقية، فإن هذه الأحاسيس تضم عنصرا عاطفيا عظيم الشأن تكون عندنا نتيجة لخبراتنا المتعددة فصغار الأطفال عندهم ما عند الأشخاص البالغين من براعم الذوق، بل إن نصيبهم منها في الواقع أكبر، إذ أن عدد تلك المستقبلات الحسية يتضاءل مع تقدم السن من بضع مئات إلى السبعين أو الثمانين عند الشيوخ، ومع ذلك فإن الطفل الصغير، نظراً لأنه لم يكون بعد إنطباعاته الخاصة وأنه يصرف معظم إهتمامه إلى إشباع جوعه، وإطفاء ظمئه، لا تصده الطعوم التي قد لا يستسيغها كثير من الكبار، فكم من

---

(١) المرجع السابق.

أم أخذها العجب للبساطة التي يستمرىء بها صغيرها تجرع سائل مر من مخاليط الفيتامينات تثير رائحته النفاذة عندها كثيراً من الاشمئزاز. ولهذا السبب يحض أطباء الأطفال ورجال التربية والوالدين على عدم إظهار شعور بكراهية بعض ألوان الطعام أمام أطفالها، فلا شك أن تقدير الطعوم والنكهات والأمزجة الشخصية المتعلقة بها، مسائل قد تتأثر بالتعلم، كما أنها تعتمد على جميع الظروف والملابسات المرتبطة بتناول الأطعمة.

هذا بالاضافة إلى أن حالة الجسم العامة تتدخل هي أيضا في شعورنا باشتهاء مادة معينة يستدل عليها بطعمها أو بعدم اشتهائها، فبعد أن يتحكم القائمون بالتجارب في طعام الحيوانات حتى تصبح مفتقرة إلى بعض المواد المعينة كعنصر الكالسيوم أو الماغنسيوم تظهر تلك الحيوانات ميلا واضحا الى تفضيل الماء أو الطعام الحاويين للمواد المفتقرة إليها فإذا أتلفت حاسة الذوق فيها لم تعد قادرة على ذلك الاختيار والتفضيل. ولقد أجريت على الأطفال تجارب محدودة من ذلك القبيل فدلت على أنهم هم أيضاً يستجيبون في النهاية إستجابة مماثلة إذا ما تركت لهم حرية المفاضلة بين ألوان كثيرة من الطعام.

ومما يزيد الأمر إختلاطاً الارتباط الوثيق بين الطعم والرائحة أي بين حاستي الذوق والشم، إذ أن كثيراً من الأطعمة التي نعتبرها ذات نكهة مميزة ندركه في الواقع برائحته لا بطعمه، فإننا نعرف جميعاً أن الطعام يصبح عديم المذاق ولا طعم له حين نصاب ببرد يسد أنوفنا. ولهذا السبب ظن العلماء في وقت مضى أن المسارات العصبية والمراكز المخية المتعلقة بحاستي الشم والذوق مرتبطة إرتباطاً وثيقا، ولكنهم أصبحوا الآن يعرفون أن الإحساس بالذوق أكثر إرتباطا من ناحية تحديد طريقة العصبي بغيره من المسارات الحسية الصادرة من اللسان

والزور والمسارات الحركية الواردة إليها. وفي بعض الحالات يمكن تمييز الذوق عن الحواس المجاورة له بسهولة كبيرة فبسد فتحتي الأنف تكاد الحساسية الشمية تستبعد كلية، وهذا ما يحدث في حالة الزكام العادي عندما يفقد الطعام كثيراً من طعمه ويمكن القول بصفة خاصة أن إستبعاد الشم يقضي على بعض الكيفيات الحسية كطعم الفاكهة والمواد العفنة والمحروقة، ويمكن الحد كثيراً من الاحساسات اللمسية والحرارية المصاحبة عادة للذوق وذلك باستخدام المنبه في شكل محلول يسخن إلى درجة حرارة الجسم.

وبعد إستبعاد الشم والحرارة واللمس، فالكيفيات الحسية التي تظل باقية هي الحامض والحلو والمر والمالح.

ثالثا: حاسة الشم:

بالرغم من أن حاسة الشم هي أقل الحواس أهمية بالنسبة للإنسان إلا أنها تضيف إلى معلوماته عن البيئة التي يعيش فيها شيئاً كثيراً. فعند دخول الهواء إلى الأنف تتجه رأساً إلى الخلف خلال المسالك السفلى، ولا يبلغ غرفة الأنف العليا إلا بصفة ثانوية بعد أن يكون قد رشح ونال حظاً من الدفء وفي تلك الغرفة يخالط الهواء النهايات العصبية الخاصة، أي مستقبلات حاسة الشم التي لا توجد إلا في منطقة عند مستوى العينين تقريباً. وتشبه هذه المستقبلات براعم الذوق في اللسان من حيث تركيبها وطريقة قيامها بوظيفتها فالشعر الدقيق الذي على سطحها يلامس الرائحة التي يجب أن تكون ذائبة في إفرازات الأنف حتى تستطيع تلك المستقبلات الإحساس بها. وهذا مثال آخر لجهاز من أجهزة الجسم لا يؤدي وظيفته إلا في وجود الرطوبة.

وترسل تلك المستقبلات محاور عصبية تتجه خلفا مخترقة عظام الجمجمة حتى تبلغ الطرف المتضخم للعصب الدماغي الأول. أي العصب

الشمي، ومن ثم تمضي إلى المخ المتوسط. ثم تبلغ أخيراً مركز الشم في الفص الصدغي من قشرة المخ بعد أن تتفرع تفرعات كثيرة[1].

وإننا لندرك من أنفسنا الإرتباطات الكثيرة التي نجمع فيها بين تجاربنا الخاصة وبين بعض الروائح، ولقد تبقى تلك الذكريات في نفوسنا سنين عديدة، بيد أن اختبار حاسة الشم ومساراتها في القشرة اختباراً دقيقاً مضبوطاً أمراً عسيراً، وما زلنا نجهل من أسرار تلك الحاسة الشيء الكثير فإننا لا نعرف بالضبط مثلا كيفية تأثير الرائحة في الخلية، وما إذا كان ذلك نتيجة لتغيرات كيمائية أو فيزيائية ولكننا نعرف، على أية حال، أن الأنف قد يصيبها «الاجهاد» وهنا لن نشم رائحة قد تعرضنا لها زمناً، مع أن ذلك النسيج الأنفي «المجهد» نفسه سوف يصبح على الفور حساساً بالنسبة لرائحة مختلفة من لون آخر.

وإذا كان الذوق والشم متشابهين من الوجهة البيولوجية فإنهما يختلفان من حيث دلالتهما السيكولوجية، فلا تنفعل حاسة الذوق إلا إذا وضع الجسم على اللسان، فهي حاسة قائمة على التماس المباشر، أما الشم فإنه ينفعل عن بعد وفي غيبة الجسم الذي تصدر عنه الرائحة، فالشم إذن من الحواس التي تمكن الإنسان من أن يستبدل بالأشياء ما يشير إليها من إمارات وعلامات، فمن ثنايا هذه الحاسة تنبثق تباشير السلوك التكييفي، سلوك الاستعداد والتوقع والرؤية، ومن إتجاهات الرقي السيكولوجي الانتقال من استخدام الأشياء إلى استخدام رموزها.

لا بد أن نكون قد لاحظنا تأكيدنا للجانب التحليلي والكمي في دراسة الذوق والشم، والواقع أنه يندر أن تكون خبراتنا اليومية بهاتين

---

(١) أحمد عكاشة: علم النفس الفسيولوجي. القاهرة: دار المعارف، ١٩٨٢.

الحاستين ذات طابع تحليلي فإن إختيارنا للطعام وتمتعنا به يقوم على طعمه وهو مزيج من إحساسات ذوقية وشمية بالاضافة إلى التأثيرات الآتية من الحساسية العامة. غير أنه يجب معرفة مساحة كل عنصر من عناصر المزيج لكي نفهم نشأة الخبرة الحسية المركبة، فإن المتذوق المحترف للشاي أو القهوة يميز أثناء إختباراته بين معطيات الأنف ومعطيات اللسان، فهو يبدأ أولا بشم العينة موضوع البحث ثم يقوم بتذوقها تبعا لنظام خاص يجنبه آثار التكيف والتعب.

رابعاً - حاسة الإبصار:

تنشأ معظم مدركاتنا الحسية من إتصال النهايات العصبية إتصالا فعليا مباشرا بالمؤثرات التي أحدثتها، ومن ثم كان إدراكنا الحسي قاصراً على الإلمام ببيئتنا الخارجية والداخلية المتصلتين بنا إتصالا مباشراً. أما الابصار فإنه يتيح لنا أن نستقبل إنطباعات بعيدة كل البعد عن تلك الحدود الضيقة، كما أننا يمكننا من أن ندرك موضع ذواتنا بالنسبة إلى المكان والى الأشياء الأخرى وأنه ليصعب على من هو متمتع بهذه النعمة أن يتخيل الصور الذهنية التي ترسم في أذهان الأفراد الذين ولدوا محرومين منها. ويندر أن تكف العينان عن الحركة تماماً، بل إنهما قد لا تفعلان هذا على الاطلاق، وهذا هو السر في فشلنا عادة في التظاهر بالنوم إذا ما راقب المتشكك عينينا، وذلك لأننا نجد صعوبة بالغة في محاولة منعها عن الاستمرار في حركتها أكثر مما تفعلان عادة في أثناء النوم الطبيعي.

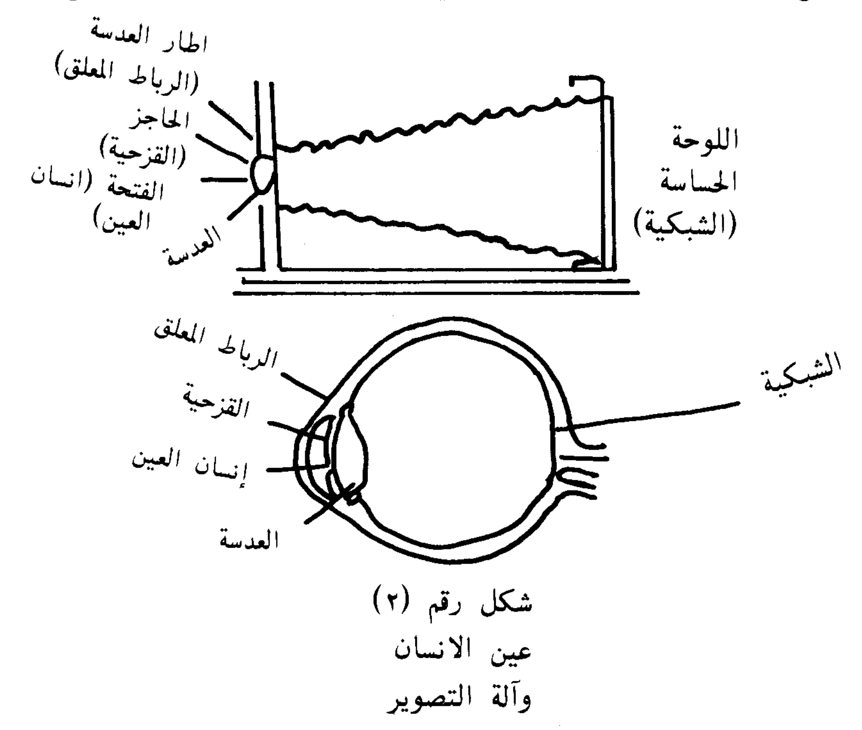
والعين عضو كروي الشكل لا نرى من سطحه إلا جزءاً صغيراً، وهي أداة بصرية بالغة التعقيد، تعتبر آلة التصوير نموذجاً مبسطاً جدا

---

(١) المرجع السابق.

لطراز تكوينها. وتنقسم المقلة «كرة العين» من الداخل على وجه التقريب الى قسمين قسم أمامي صغير يحوي سائلا رقيقاً صافياً «السائل المائي» وقسم رئيسي كبير يحوي مادة هلامية أو جيلاتينية «السائل الزجاجي».

وفي العين يوجد النسيج الصادق الشفافية الوحيد في جسم الإنسان البالغ وهذه الشفافية الكاملة لها بالطبع أهميتها البالغة. والقرنية هي النافذة الأمامية الصافية القليلة التحدب، التي يتحتم على كل الأشعة الضوئية الداخلة إلى العين أن تنفذ فيها، وتعتبر القرنية في الواقع إمتداداً للجلد وهي تشبهه في تكوينها من طلائية متعددة الطبقات ومن نسيج ضام، ولكنها تختلف عنه في خلوها خلواً تاماً من الأصباغ، كما



شكل رقم (٢)
عين الانسان
وآلة التصوير

أن نسيجها الضام لا يحوي أية أوعية دموية. وإذا ما أصيبت القرنية إصابة ما إستطاعت أن تصلح نفسها، وهي لا تقل في قدرتها على ذلك عن الجلد نفسه ويحتمل أن تتكون فيها عندئذ أوعية دموية تفسد صلاحيتها لنفاذ الضوء من خلالها. وقد تكون العين صحيحة التركيب ممتازة من كافة الوجوه ولكن إذا ما تكدرت قرنيتها وفقدت صفاءها أصبحت عاجزة عن الإبصار .وتقع العدسة خلف القرنية بمسافة قصيرة ويفصلها عنها السائل المائي ويحجبها حجباً جزئياً حاجز ملون يسمى القزحية. وعمل العدسة والقزحية منسجمان مع بعضهما البعض بحيث تهيئان لنا أن نستقبل صوراً محدودة واضحة وأن نتمكن من تسديد بصرنا نحو الأجسام القريبة والبعيدة على السواء.

والعدسة قرص محدب السطحين أي أنها سميكة في وسطها وتدق حتى تصبح صفيحة رقيقة عند أطرفها، فهي تشبه العدسات الزجاجية المحدبة السطحين في أنها تستقبل الأشعة الضوئية المتوازية ثم تجمعها من الناحية الأخرى في بؤرة محدودة، تقع في الحالة على الجدار الخلفي للعين حيث يتم إستقبال الإنطباعات البصرية وتتعلق العدسة في موضعها بأنسجة يمكن شدها أو إرخاؤها بفعل عضلات ضئيلة على جوانب العين، ويعمل انكماش تلك العضلات وانبساطها على تغيير شكل العدسة ومن ثم درجة انكسار، أي انحراف الأشعة الضوئية المارة فيها.

وتشبه العدسة القرنية في تكوينها من نسيج شفاف خال من الأصباغ والدم وقد نتعرض أحياناً لعتامة تسمى «الكاتاركت» أو «الماء الأبيض». وهو داء يعوق الإبصار إلى حد ملحوظ ويصيب على الخصوص الطاعنين في السن ولكن يمكن معالجته بإزالة العدسة واستخدام «نظارة» مقربة تعوض المريض عن فقدها.

واتساع الفتحة التي ينفذ منها الضوء إلى العدسة تتحكم فيه

القزحية، هي تلك الحلقة الملونة التي تراها في عيون الناس. أما حدقة العين فهو تلك الفتحة نفسها التي تظهر كبقعة مستديرة سوداء في مركز القزحية، ويتغير اتساعها نتيجة لرد فعل منعكس بالنسبة لدرجة شدة الضوء. أو لتكيف العين للنظر البعيد أو القريب.

ولكي تتمكن العين من إسقاط صور الأشياء القريبة إسقاطا واضحا محدداً على الشبكية تتغير أحوال القزحية والعدسة معا، فالعدسة تزداد استدارة، أي أنها تصبح أكثر تحدبا نتيجة لانبساط العضلات، بينما تنقبض العضلة العاصرة في القزحية فتقلل من اتساع العين إلى الدرجة الكافية لتحديد الصور المطلوبة. وتتم هذه التغيرات نتيجة لفعل منعكس، ولكن قدرتها على التكيف للنظر من قريب تقل مع تقدم السن ولذلك نلجأ عندئذ إلى استعمال «نظارات القراءة».

أما الشبكية، وهي البطانة الداخلية لكرة العين، فهي تحوي الأعضاء النهائية الحسية للأبصار، ويمثلها في آلة التصوير الفيلم الحساس، لكنه لا يقابلها إلا مقابلة ساذجة قاصرة، إذ أن التغيرات التي تكون الصورة في الشبكية ترتد في الاتجاه العكسي ارتداداً سريعاً، وبذلك تستطيع الخلايا نفسها أن تكون صوراً جديدة تتوالى توالياً سريعاً. وإذا ثبت شخص نظره على منظر في ضوء ساطع نسبياً استطاع، بعد أن يسبل جفنيه، أن يرى معالمه المنيرة والمظلمة ولكنها سرعان ما تتلاشى.

وتحوي الشبكية خلايا عظيمة التخصص، تسمى العصى والمخاريط، وهذه لا توجد في أي عضو آخر من أعضاء الجسم، وهي المستقبلات للضوء فالعصى هي التي تجعلنا ندرك درجة سطوع الضوء أو شدته، بينما تضفي المخاريط الألوان على الصورة المتكونة. وتتصل العصى والمخاريط خلف الشبكية - بوساطة الاشتباك العصبي المعقاد - بخلايا عصبية «عقدية» تمتد محاورها حول العين ثم تتلاقى لتكون العصب

البصري الذي ينقل السيالات العصبية إلى المخ.

وهذه العملية التي يتم من خلالها تحول الضوء إلى سيالات عصبية تنقل صوراً لمرئيات لا نستطيع التعرض لها إلا من ناحية الافتراض النظري وحده، ومنها قسم واحد قد اتضحت لنا حقيقته، إذ أن العصى تحوي صبغاً أحمر، يسمى الأرجوان البصري Visual Purple ويتحلل عند تعرضه للضوء، ونتائج تحلله هي التي تنبه الأعصاب فكلما زاد رصيدنا من ذلك الصبغ إزدادت قدرتنا على التكيف للرؤية في الظلام. ويستعيد الأرجوان البصري تركيبة سريعا، وإلا عجزنا عن متابعة النظر والاستمرار فيه، ومع ذلك قد تتعرض العصى للتلف إذا ما تعرضت لضوء شديد باهر، كما يحدث عندما ننظر إلى قرص الشمس نظراً مباشراً، وقد يصاب الإنسان ببقع دائمة ضعيفة الإبصار نتيجة المبالغة في تجربة من ذلك القبيل.

وأحسن ما تكون رؤية الألوان في مركز الشبكية، وهي البقعة التي نستقبل فيها صورة جسم نوجه إليه نظرنا توجيها مباشراً، أما أطراف الشبكة فتكثر فيها العصى، ومن ثم كانت هي أنسب مناطقها للرؤية في الليل.

وتلجأ جميع الجيوش إلى كثير من الحيل لإخفاء مواقع الجنود ولتمويه مراكز المدافع والدبابات والأبنية الهامة كمصانع الذخيرة، بحيث يتعذر على العدو تمييزها مما حولها من أجزاء المكان الطبيعية. ومن الحيل المستعملة في التمويه تلوين المهات الحربية بلون المكان الذي توجد فيه. فإذا وجدت في الحقول الزراعية لونت بلون الأشجار. وإذا وجدت في الصحراء لونت بلون الرمال والصخور. وليس القيام بذلك أمراً هيناً يسيراً، بل هو مهمة فنية تحتاج إلى دراية تامة بطبيعة الألوان وخصائصها، وإلى معرفة تامة بعلاقة الألوان بعضها ببعض، وبقواعد مزجها بحيث يمكن الوصول إلى الألوان المطلوبة دون

أن يتمكن العدو من تمييزها بالوسائل المختلفة التي يلجأ إليها لكشف حيل التمويه. فيجب مثلا أن يحتاط في تلوين المهمات الحربية بحيث يبدو لونها واحدا سواء نظر إليها في ضوء النهار، أو تحت الأنوار الكشافة التي يسلطها العدو، وسواء نظر إليها بالعين المجردة أو بنظارات مرشحة للألوان، أو التُقطت صورتها بالأفلام الحساسة للأشعة تحت الحمراء. والعين الإنسانية حساسة للضوء فقط. ونحن نرى الأشياء بسبب ما يصدر عنها أو ينعكس عنها من ضوء. وليس الضوء إلا إشعاعات كهربائية مغنطيسية صادرة عن شحنات كهربائية تنتقل في الفضاء بسرعة فائقة جداً (حوالي ١٨٦٠٠٠ ميلا في الثانية). ويحدث إدراكنا للألوان نتيجة لتأثير هذه الإشعاعات الضوئية في عيوننا. ولما كانت خصائص الألوان التي ندركها متوقفة على خصائص الضوء المنعكس عن الأشياء على عيوننا، فإنه يحسن بنا أن نعرف أولا خصائص الضوء، ثم نحاول أن نعرف بعد ذلك كيف تتوقف خصائص الألوان على خصائص الضوء[1].

وللضوء خصائص ثلاث هي طول الموجة والشدة والتركيب.

١ - طول الموجة:

تختلف الإشعاعات الضوئية من حيث طول موجاتها. ويتراوح طول موجات الضوء فيما بين ٤٠٠، ٧٦٠ ميلليميكرون تقريبا.

٢ - شدة الموجة:

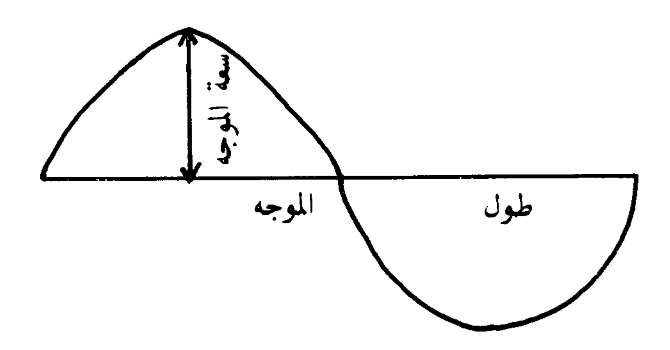
كما تختلف ايضا إشعاعات الضوء من حيث شدتها فالضوء الذي يصدر من شمعة واحدة يقل كثيرا عن شدة الضوء الصادر من خمس شمعات وهذا الضوء الأخير يقل كثيرا عن ضوء المصباح الذي تبلغ شدته مائة شمعة. وإذا زادت شدة الضوء زادت سعة موجته كما هو

(1) Katz, D., The world of colour.London, Kegan, 1935.

مبين بالشكل وتتناسب شدة الضوء المنعكس عن الأشياء مع شدة الضوء الساقط عليها[١].

٣ - التركيب:

يختلف الضوء أيضاً من حيث أنواع الموجات الداخلة في تركيبه. فقد يكون الضوء مركباً من جميع أنواع الموجات، أو يكون مركباً من نوع واحد منها أو من بعضها وتتوقف على خصائص الضوء الثلاث السابقة خصائص اللون الثلاث المعروفة وهي الصبغة (أي نوع اللون) والنصوع والإشباع. ويجب أن نحذر هنا من الخلط بين خصائص الضوء وخصائص اللون. فليست الموجات الضوئية ملونة، ولكن اللون الذي ندركه إنما هو خبرة نفسية ناتجة عن تأثير الموجات الضوئية على جهازنا العصبي[٢].



شكل رقم (٣) العلاقة بين طول الموجة وسعتها

طول الموجة ثابت لا يتغير. اما سعة الموجة فتتغير تبعا لشدة الضوء فإذا اشتد الضوء زادت سعة الموجة. واذا ضعفت قلت سعتها

---

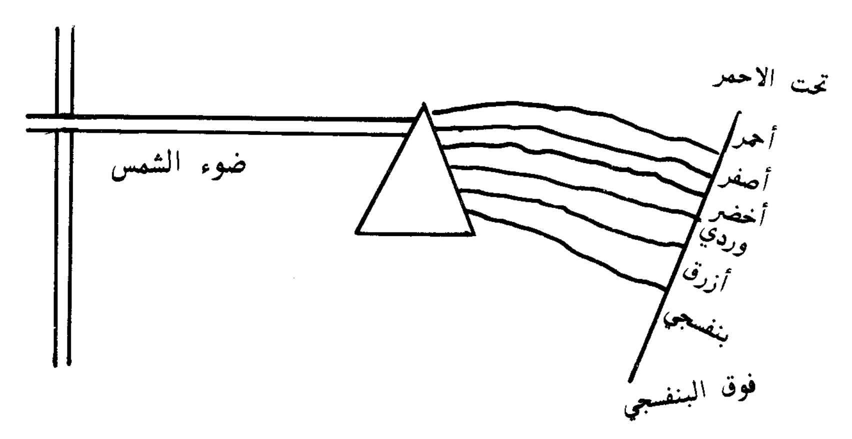
(١) احمد فائق، محمود عبد القادر: مدخل إلى علم النفس العام. القاهرة: الانجلو، ١٩٧٢م.

(2) Katz, D., The world of colour. London: kegan, 1935.

الصبغة:

إذا نظرت إلى ضوء الشمس أو إلى ضوء المصباح شاهدت لوناً أبيض تقريباً. وهذا الضوء الذي يبدو لك أبيض يحوي جميع أنواع الموجات الضوئية المختلفة. وأنت لا ترى هذه الموجات الضوئية المختلفة، ولكنك تستطيع أن تثبت وجودها إذا ما سلطت بصيصا من ضوء الشمس على منشور زجاجي، إذ تشاهد انكسار الضوء إلى عدة ألوان مختلفة تعرف بالطيف الشمسي (انظر الشكل). وليست هذه الألوان إلا الموجات المختلفة التي يتكون منها الضوء الساقط على سطح المنشور.

وإذا نظرت إلى ضوء ذي موجة واحدة لم تر إلا لونا. وإذا اختلطت موجتان أو أكثر فإنك لا ترى عدة ألوان بل لونا واحدا تكون خاصيته مستمدة من خصائص الموجات الداخلة في تركيبه. فنوع اللون الذي



شكل رقم (٤) انكسار الضوء الى الوان الطيف

إذا مر ضوء الشمس بمنشور زجاجي انكسر الضوء الى انواع الموجات المختلفة التي ترى انعكاسها مكونا لالوان الطيف

نراه يتوقف على نوع الموجات التي تتأثر بها العين. ويقدر عدد الألوان التي يستطيع الإنسان تمييزها في الطيف الشمسي بحوالي ١٥٠ لونا ليس لها جميعا أسماء معروفة.

وأشهر ألوان الطيف الأحمر والأصفر والأخضر والأزرق، وهي ألوان بسيطة مكونة من موجات متشابهة، ثم البرتقالي، والبنفسجي، والأصفر المخضر، والأزرق المخضر وهي ألوان ثنائية مكونة من مزيج نوعين مختلفين من الموجات.

وتبدو لنا الأشياء ملونة لأنها تمتص جزءاً من طاقة الضوء الساقط عليها وتعكس الجزء الباقي الذي لم تستطع امتصاصه. وينتج من عملية الامتصاص هذه أن يكثر في الضوء المنعكس بعض الموجات ويقل البعض الآخر تبعا لخصائص الأجسام التي يسقط عليها الضوء.

نصوع اللون:

تتوقف درجة نصوع اللون على درجة شدة الضوء. فقد يبدو لون غلاف الكتاب الأحمر ناصعاً «فاتحاً» أو حالكاً «غامقاً» تبعا لشدة الضوء المنعكس عنه. وتستطيع أن تجرب ذلك إذا ما قربت غلاف الكتاب الأحمر اللون من ضوء المصباح، فإنك ترى لونه يزداد نصوعاً. فإذا ما أبعدت الكتاب عن المصباح قل نصوع اللون، وإذا نقلت الكتاب إلى بقعة مظلمة في الغرفة رأيت أن اللون الأحمر يبدو حالكاً.

ولا يتوقف نصوع لون الشيء على شدة الضوء المنعكس عنه فقط، بل يتوقف أيضاً على شدة الضوء في المكان المحيط به. فاللون المتوسط النصوع يبدو شديد النصوع إذا وضعته على أرضية سوداء، ويبدو حالكاً إذا وضعته على أرضية بيضاء. ويبدو الشيء المتوسط البياض شديد البياض على أرضية سوداء، ويبدو رمادياً أو أسود على أرضية شديدة البياض. فالنسبة بين شدة الضوء المنعكس عن المرئي وبين شدة

ضوء الأرضية «أو المكان المحيط بالمرئي» هي التي تعين درجة نصوع لون المرئي.

ولسلم النصوع ثلاثة ألوان هي الأبيض والرمادي والأسود. فإذا اشتد نصوع اللون قرب من اللون الأبيض. وإذا قل نصوعه قرب من اللون الأسود.

وفيما بين الأبيض والأسود درجات عديدة من اللون الرمادي مثل الرمادي الفاتح والرمادي المتوسط والرمادي الحالك.

إشباع اللون:

تمتاز ألوان الطيف الشمسي بالصفاء والقوة والعمق أي بالإشباع اللوني. وكل لون ناتج عن موجات متشابهة الطول يكون مشبعاً. أما إذا امتزجت عدة موجات مختلفة الطول فإن اللون الناتج عن المزيج يكون أقل إشباعاً من الألوان الداخلة في تركيبه. وكلما زاد الاختلاف بين الموجات الممتزجة قل إشباع اللون الناتج عن المزيج. فاللون الأبيض غير مشبع لأنه مزيج من جميع الألوان. وإذا قلت درجة إشباع اللون الطيفي اقترب من اللون الرمادي. واللون الرمادي عديم الإشباع. وفيما بين لون الطيف واللون الرمادي درجات عديدة من الإشباع تعرف بسلم الإشباع اللوني. وفي إمكانك تغيير درجة إشباع أي لون بإضافة اللون الرمادي إليه بالقدر المطلوب.

ويمكن ترتيب خصائص الألوان الثلاث وتوضيح علاقة بعضها ببعض في شكل واحد يسهل الرجوع إليه عند الحاجة يعرف بالجسم اللوني. يمثل محيط الجسم سلم أنواع اللون أو الصبغة. تقع ألوان الطيف الشمسي على الدائرة. ويمثل المحور العمودي للمجسم وهو الخط المار بالأبيض

---

(١) المرجع السابق.

والرمادي والأسود سلم النصوع. وتمثل الخطوط الأفقية الواصلة من المحور العمودي إلى محيط المجسم سلم الاشباع اللوني. ولما كانت ألوان الطيف واقعة على محيط المجسم بعيدة عن المحور العمودي كانت هذه الألوان أكثر الألوان إشباعاً. وكلما ابتعد مركز اللون عن محيط المجسم وقرب من المحور العمودي قلت درجة إشباعه.

فـالأبيـض والأسود والرمـادي وهي الألوان الواقعـة عـلى المحور العمودي ألوان غير مشبعة. ولما كانت الألوان الواقعة على الدوائر تقع في منتصف المسافة بين الأبيض والأسود كانت هذه الألوان متوسطة النصوع. وكلما اقترب اللون من الأبيض زاد نصوعه، وكلما اقترب من الأسود زادت حلكته. ولاحظ أنه كلما ازداد نصوع اللون أو زادت حلكته ابتعد مركز اللون عن محيط المجسم فقلت درجة إشباعه تبعا لذلك. ويمكنك أن تعرف خصائص أي لون إذا ما حددت مركزه في المجسم اللوني.

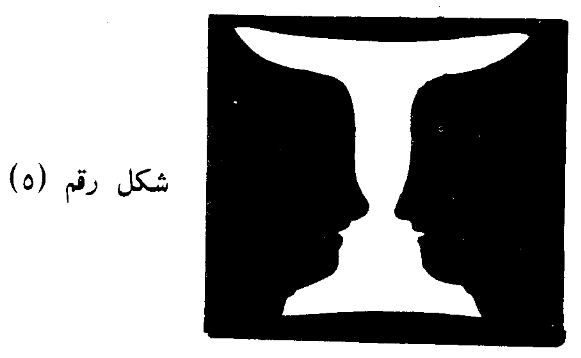
تكيف العين:

إذا نظرت إلى لون ما مدة طويلة بدون أن تحرك عينيك شاهدت أن اللون يضعف رويداً رويداً حتى يصبح قريباً من اللون الرمادي، وذلك نتيجة لتكيف أعصاب العين بالتأثير الحسي المتواصل. وإذا وضعت عدة ألوان مختلفة جنباً إلى جنب للمقارنة بينها، وثبت نظرك عليها مدة طويلة بشرط ألا تحرك عينيك، فإنك تشاهد أن الألوان تتلاشى رويداً رويداً حتى تصبح جميعها قريبة من اللون الرمادي.

وليس تكيف العين قاصراً على اللون فقط، بل إن إدراكك للحجم والشكل والمسافة واتجاه الحركة ليضعف أيضاً بإطالة النظر. ففي الشكل رقم (٥) ترى أحيـانـاً صورة الوجهين المتقـابلين، ثم تنمحي صورة الوجهين فجأة، وتحل محلها صورة الكأس. ثم تنمحي هذه الصورة فجأة

وتحل محلها صورة الوجهين وهكذا. والسبب في ذلك هو تكيف العينين. فبإطالة النظر إلى الوجهين تأخذ صورتهما في الضعف رويداً رويداً حتى تصبح أقل قوة من صورة الكأس فتبدو لنا حينئذٍ صورة الكأس واضحة. وبإطالة النظر إلى الكأس تضعف صورته شيئاً فشيئاً حتى تصبح أقل من صورة الوجهين فيظهران لنا واضحين مرة أخرى وهكذا(!!).

فيجب على كل جندي يقتضي عمله التمييز بين عدة ألوان أو أضواء أو أشكال مختلفة أن يتجنب إطالة التحديق فيها فالنظرة السريعة أجدى كثيراً من التحديق الطويل. فإذا كنت تستطلع أحد مراكز العدو محاولا كشف خداعه وتمويهه لمراكز بطارياته ومهماته، فعليك أن تنظر إلى الأشياء المشبوهة التي تريد التحقق منها برهة من الوقت، ثم حول نظرك عنها برهة أخرى، ثم انظر إليها مرة أخرى وهكذا. وبتكرار ذلك عدة مرات يمكنك أن تكون فكرة صحيحة عنها.



شكل رقم (٥)

الصور اللاحقة:

لا يزول الإحساس بزوال المؤثر مباشرة، بل يبقى الإحساس بعد زوال المؤثر فترة من الزمن. فإذا نظرت إلى الشمس لحظة، ثم حولت عينيك بعيدا عنها. فإنك تستمر ترى الشمس أمام عينيك فترة من

الزمن لا تستطيع فيها رؤية الأشياء الأخرى بوضوح. وإذا نظرت إلى مصباح مضيء ثم نظرت إلى الحائط شاهدت صورة المصباح على الحائط. فإذا أغمضت عينيك فإنك لا تزال ترى صورة المصباح.

وإذا رفعت نظارتك الشمسية الملونة عن عينيك شاهدت جميع الأشياء الخارجية ملونة بلون زجاج النظارة. وتسمى صورة الشيء التي تراها بعد زوال الشيء نفسه بالصورة اللاحقة الإيجابية.

ولا تمكث الصورة اللاحقة الإيجابية في الغالب أكثر من لحظات قليلة. ونحن في معظم الأحيان لا نشعر بوجودها. وبعد زوالها تحل محلها صورة أخرى للشيء المرئي تعرف بالصورة اللاحقة السلبية. يكون لونها مكملا للون الشيء المرئي. فإذا كان نور المصباح الذي نظرت إليه أصفر ناصعا كانت صورته اللاحقة السلبية إذا أطلت النظر إلى بقعة من اللون الأحمر، ثم نظرت إلى ورقة بيضاء، فإنك تشاهد بقعة من اللون الأزرق المخضر على الورقة. وإذا أطلت النظر إلى لون أصفر، ثم نظرت إلى ورقة بيضاء، شاهدت بقعة من اللون الأزرق عليها. وكذلك إذا نظرت إلى أي لون مدة، ثم حولت نظرك عنه إلى شيء آخر، فإنك ترى اللون المكمل للون الذي كنت تنظر إليه من قبل. انظر إلى صورة فيلم مدة ٢٠ دقيقة تقريباً، ثم انظر إلى ورقة بيضاء، فإنك ترى صورة الرجل الأصلية.

فمن الواجب على الجندي الحذر من الصور اللاحقة أثناء مقارنة الألوان المختلفة، وخاصة في عمليات الاستطلاع التي تستلزم التمييز الدقيق بين ألوان المناظر الطبيعية وبين ألوان المهات الحربية الملونة بلون المناظر الطبيعية للتمويه.

وكذلك يجب على المراقبين الليليين أن يتجنبوا النظر إلى الأضواء، لأنهم إذا نظروا إلى الضوء ثم نظروا إلى المنطقة المظلمة التي

يراقبونها بدت لهم شديدة الظلام، وتعذر عليهم أن يتبينوا الأشياء فيها. وإذا كنت تقوم بالرقابة النهارية من داخل غرفة، وجب أن تجعل الغرفة مظلمة على قدر الإمكان، فإن ذلك يساعد على رؤية الأشياء الخارجية بجلاء[1].

ويمكنك أيضاً أن تستخدم الصورة اللاحقة السلبية كسلاح حربي ضد العدو، وذلك بتدبير هجماتك عليه من جهة الغرب أثناء غروب الشمس، ومن جهة الشرق أثناء شروق الشمس، وبذلك تواجه عدوك وضوء الشمس في عينيه فلا يستطيع أن يراك بوضوح. وقد اتبع الجنرال روميل قائد قوات المحور من صحراء ليبيا أثناء الحرب العالمية الأخيرة نفس هذه الخطة، فكان يشن هجماته على قوات الجيش البريطاني قبل غروب الشمس حينما تكون الشمس في مواجهة البريطانيين. ولقي البريطانيون من ذلك صعوبات جمة. وقد حاربه البريطانيون بنفس السلاح فكانوا يشنون هجماتهم على القوات الألمانية أثناء شروق الشمس.

ويستطيع رجال الطيران أن يتبعوا نفسه الخطة، فيهاجمون العدو من ناحية الشرق أثناء الصباح، ومن ناحية، الغرب قبل غروب الشمس.

تباين الألوان:

يؤثر كل لون على الألوان الأخرى المجاورة بأن يضفي عليها اللون المكمل له. فإذا وضعت ورقة حمراء اللون على أرضية زرقاء اللون، بدا لك لون الورقة مائلا إلى الصفرة. وإذا وضعت الورقة الحمراء على أرضية صفراء بدت لك الورقة مائلة إلى الزرقة. وتبدو لك قطعة

---

(١) عمر محمد جبرين: علم النفس الفسيولوجي، دراسة في الأسس العضوية والعصبية للسلوك. عمان: جامعة الأردن (كلية التربية)، ١٩٧٥م (ص ٨٢ - ٨٩).

الورق الرمادية اللون مائلة إلى الخضرة إذا وضعتها على أرضية حمراء. وتبدو لك الطائرة صفراء أمام صفحة السماء الزرقاء. وكذلك يتغير لون كل شيء تبعاً للون الأرضية التي يبدو عليها الشيء. فإذا كان لون الأرضية مكملا للون الشيء بدا لون الشيء قوياً شديداً. فيبدو اللون الأصفر على أرضية زرقاء أشد صفرة منه على أرضية حمراء. وليس للأرضية الرمادية اللون تأثير على إدراكنا للألوان الأخرى. ولذلك يستعمل اللون الرمادي عادة كأرضية توضع عليها الألوان الأخرى التي يراد التحقق منها أو مقارنتها.

ومما يساعد على تباين الألوان وتميزها إختلافها في درجة النصوع. فمن الصعب مثلا قراءة الحروف الحمراء على ورق أخضر لأن كلاً من اللونين الأحمر والأخضر ضعيف النصوع نسبياً. ولذلك كان من الخطأ أن تكتب رخص السيارات أو الإعلانات بحروف حمراء على أرضية خضراء، إذ لا يمكن قراءتها عن بعد عدة خطوات قليلة.

وتبدو الألوان على العموم قاتمة إذا وضعت على أرضية فاتحة «ناصعة»، وتبدو فاتحة على أرضية قاتمة. فإذا قسمت شريطا من الورق الرمادي الفاتح إلى نصفين، ووضعت أحدهما على ورقة بيضاء، ووضعت النصف الآخر على ورقة سوداء، رأيت الجزء الموضوع على الورقة البيضاء أقتم من الجزء الموضوع على الورقة السوداء، ولاحظ أن التغيير الذي يطرأ على اللون الرمادي مقابل للون الأرضية، أي انه يكون قاتما إذا كانت فاتحة وبالعكس. ويلاحظ كذلك أنه من الخطأ طلاء أعلى الطائرات البحرية باللون الأصفر، إذ أنها تبدو حينئذ واضحة على صفحة المياه الزرقاء. كما أنه من الخطأ تلوين أسفل الطائرات الحربية باللون الأصفر إذ أن ذلك يجعلها تبدو واضحة أمام صفحة السماء الزرقاء، بل يجب أن يلون أسفل الطائرات بلون أزرق فاتح مماثل للون السماء وبذلك يصعب تمييزها. وكذلك يجب أن يلون أعلى الطائرات

البحرية بلون أزرق حتى لا تبدو واضحة على صفحة البحر إذا نظر إليها من الجو. ومن الخطأ أن تكون ملابس الجنود فاتحة اللون في ميدان حرب قاتم اللون نسبياً، لأنهم بذلك يكونون واضحين لأعين العدو. فمن الواجب أن يكون لون ملابسهم ومهماتهم الحربية مشابها للون الميدان الذي يحاربون فيه.

العمى اللوني:

يختلف الأفراد من حيث مقدرتهم على التمييز بين الألوان. ويستطيع الشخص العادي التمييز بين جميع ألوان الطيف الشمسي، غير لأنه يوجد بعض الأشخاص الذين لا يستطيعون التمييز بينها. ويطلق العمى اللوني على عدم المقدرة على تمييز الألوان. وليس العمى اللوني مرضاً، وإنما هو نوع من النقص أو الضعف في حساسية العين لبعض موجات الأشعة الضوئية. وقد يحدث العمى اللوني نتيجة لبعض الأمراض الخاصة التي تصيب العين.

والعمى اللوني أكثر انتشارا بين الرجال منه بين النساء. إذ يوجد بين كل مائة رجل حوالي ثمانية رجال مصابين به، بينما يقل عدد النساء المصابات به عن امرأة واحدة بين كل مائتين. وينتقل العمى اللوني بين الناس بالوراثة بطريقة غريبة. فالرجل المصاب به لا يورثه لأبنائه الذكور، وإنما يورثه لبناته اللاتي يورثنه بدورهن لأبنائهن الذكور. وتنقل النساء العمى اللوني إلى أبنائهن بدون أن يكن هن أنفسهن عمى اللون.

وللعمى اللوني أنواع مختلفة تبعاً لمقدار النقص الذي يصيب مقدرة الأشخاص على تمييز الألوان. فقد يكون هذا النقص عاما شاملا، فلا يستطيع الشخص المصاب به أن يميز بين جميع الألوان. ويسمى ذلك بالعمى اللوني الكلي وقد يكون النقص قاصراً على لون واحد أو اثنين

أو أكثر. ويسمى ذلك بالعمى اللوني الجزئي[١].

ولا يستطيع الشخص المصاب بالعمى اللوني الكلي أن يرى الألوان إطلاقا فيما عدا الأبيض والأسود والرمادي. وتبدو جميع الألوان لمثل هذا الشخص كأنها درجات متفاوتة في البياض والسواد والرمادية. ومعنى ذلك أنه يستطيع التمييز بين الألوان المختلفة تبعاً لاختلافها في درجة النصوع فقط، فيبدو له اللون الناصع أبيض، واللون القاتم أسود. أما إذا تساوت الألوان المختلفة في درجة النصوع، فإنه لا يستطيع التمييز بينها، إذ تبدو له جميعها بيضاء أو سوداء أو رمادية على حسب درجة نصوعها. والأشخاص المصابون بالعمى اللوني الكلي قليلون جداً، وليس من المحتمل وجودهم بين رجال الجيش.

والعمى اللوني الكلي أقل انتشارا من النوع الجزئي الذي من أنواعه المنتشرة ما يمتاز المصابون به بعدم المقدرة على التمييز بين اللونين الأحمر والأخضر. والشخص المصاب بهذا النوع من العمى اللوني لا يستطيع أن يميز الزهور الحمراء من بين أوراق الشجر الأخضر، ولا يستطيع أن يلتقط التفاحة الحمراء من بين التفاح الأخضر وهو لا يستطيع أيضاً أن يميز شيئاً أحمر اللون على حقل أخضر إلا إذا كان لونه أنصع من لون الحقل.

وقد يصعب على مثل هذا الشخص رؤية الخنادق المحفورة في الأراضي الزراعية الخضراء اللون[٢].

والمقدرة على التمييز بين الألوان وخاصة الأحمر والأخضر أمر له أهميته في تأمين المواصلات البرية والبحرية والجوية في أوقات السلم

(1) Katz, D., The world of colour. London, Kegan, 1935.

(٢) المرجع السابق.

والحرب معاً. فالفشل في تمييز الأضواء الحمراء مثلا قد يؤدي إلى حدوث الكوارث. وللمقدرة على تمييز الألوان أهميتها أيضاً في تلقي الإشارات الضوئية الملونة، وفي كشف مراكز العدو المموهة. ولذلك كانت الجيوش تحرص دائماً على إختبار مقدرة جنودها على تمييز الألوان فلا تسمح لمن يكون في تمييزه لها ضعف أو شذوذ بالقيام بأعمال يكون لتمييز الألوان فيها أهمية خاصة كالطيران مثلا.

وربما يكون للأشخاص المصابين بالعمى اللوني أهمية خاصة في بعض الحالات. فقد يكون الشخص الذي لا يستطيع التمييز بين الأحمر والأخضر أقدر أحياناً من الشخص العادي على تمييز المراكز المموهة في الحقول الزراعية التي تكثر فيها الألوان الحمراء والخضراء المبعثرة هنا وهناك بين الأزهار وأوراق الأشجار وتراب الأرض. ففي مثل هذا المكان يصعب على الشخص العادي أن يكشف مخابىء العدو المموهة لتنوع الألوان وانتشارها في جميع المكان. أما الشخص الذي لا يرى الأحمر والأخضر فإن جميع الأوراق الخضراء وجميع الزهور الحمراء تبدو له بنية اللون، فيرى الشخص أمامه منظراً متشابه اللون خاليا من التنوع. فإذا وجدت أية بقعة في هذا المكان مختلفة عن بقية الأشياء المجاورة في درجة النصوع، كما يحدث أحياناً إذا لونت المهات الحربية بألوان لا تتشابه تماما مع ألوان الأشياء الموجودة في المكان، أو إذا تركت أوراق الأشجار تذبل فوق المدافع، فإن هذا الشخص يستطيع أن يتميزها بسهولة، بينما لا يستطيع الشخص العادي تمييزها بالعين المجردة. ولكنه يستطيع تمييزها إذا استعمل النظارات المرشحة للألوان أو الأفلام الحساسة للأشعة تحت الحمراء. ومع أنه من المحتمل أن يكون أعمى اللون مفيداً في بعض الحالات الخاصة كما ذكرنا، إلا أنه ليس من الحكمة اختيار مثل هذا الرجل للقيام بعمليات الإستطلاع. إذ دلت بعض الأبحاث الحديثة على أن العمى اللوني الجزئي يكون في الأغلب مصحوباً

بضعف عام في رؤية الألوان الأخرى. فالشخص الذي يستطيع التمييز بين اللونين الأحمر والأخضر مثلا يكون أيضاً أضعف إحساساً باللونين الأزرق والأصفر من الشخص العادي.

وقد يكون الشخص أعمى اللون دون وعي منه، وبدون أن يفطن الناس إلى حقيقة أمره. إذ يستطيع هذا الشخص أن يسمي ألوان الأشياء بأسمائها الحقيقية، فيقول مثلا إن لون العشب أخضر، ولون الدم أحمر، لأنه تعلم منذ الصغر أن الناس يسمون ألوان هذه الأشياء بهذه الأسماء، مع أنه في الواقع يرى ألواناً تخالف تماما ما يراه الناس العاديون.

ويمكن معرفة العمى اللوني بعدة أنواع من الاختبارات التي وضعت خصيصاً لهذا الغرض. وهي تتطلب من الشخص أن يميز بين الألوان التي تعرض عليه، أو أن يختار من بينها ما يشابه ألوان بعض النماذج، أو أن يقوم بترتيبها على حسب انواعها ودرجاتها المتفاوتة. ومن الاختبارات المستعملة اختبار هولمجرن. وهو يتلخص في تكليف الشخص بأن يختار من بين مجموعة من خيوط الصوف الملونة ما يشابه لون بعض النماذج التي تعرض عليه. ولا يعتبر هذا الاختبار الآن من الاختبارات الجيدة، إذ ظهر أن بعض عمي اللون يستطيعون أن ينجحوا فيه.

ويعتبر اختبار ستيلنج أكثر دقة من الاختبار السابق الذكر في تمييز الأشخاص المصابين بالعمى اللوني. ويتكون إختبار ستيلنج من عدة لوحات ينتشر عليها كثير من النقط الملونة، بحيث يكون بعض هذه النقط رقما ملوناً بلون مختلف عن لون بقية النقط المحيطة به. ويستطيع الشخص العادي أن يقرأ هذه الأرقام بسهولة، بينما لا يستطيع أعمى اللون قراءتها. وهناك اختبار ثالث أكثر دقة من اختبار ستيلنج يسمى

اختبار ايشهارا. وهو مكون من لوحات تشبه لوحات ستيلنج إلا أنها ملونة بحيث يستطيع أعمى اللون قراءة الأرقام بينما لا يستطيع الشخص العادي قراءتها.

خامسا: حاسة السمع:

السمع كالبصر، يتيح لنا إستقبال المؤثرات الحسية الناشئة من مصادر بعيدة. ومع أن صلاح أحوالنا أقل اعتمادا على رفاهية أسماعنا منه على حدة أبصارنا إلا أن السمع وسيلة هامة للإدراك والأمن. فضعاف السمع كثيراً ما يستعينون بكلب الحراسة ليعوضهم عن النقص الذي يعانونه في جهاز انتباههم وإدراكهم.

ويحتوي جهاز السمع على الأذن الخارجية التي تلتقط أمواج الصوت، والأذن الوسطى المملوءة بالهواء، والتي تنقل الأمواج، والأذن الداخلية المملوءة بسائل وهي التي توجد فيها أعضاء السمع النهائية. أي المستقبلات الحسية التي يربطها العصب السمعي ومساراته بمراكز السمع في المخ[1].

والذبذبات الصوتية التي تدركها الأذن البشرية يتراوح سلمها بين ٢٠,٠٠٠-٢٠ ذبذبة في الثانية، وللصوت كذلك ثلاث خصائص: الشدة أو سعة الموجة، التردد أو طول الموجة، ثم درجة التركيب، ويقابل الشدة ما يعرف بالرنة فيقال عن الصوت أنه قوي رنان أو ضعيف خافت. ويقابل التردد ما يعرف بالمقام وتتراوح درجات المقام بين الحاد والغليظ، ويقابل التركيب ما يعرف بالكيفية الصوتية أي ما تمتاز به الأنغام الصادرة عن آلات مختلفة باختلاف أجزائها الرنانة، أوتار أو

---

(١) أحمد عكاشة: علم النفس الفسيولوجي. القاهرة: دار المعارف، ١٩٨٢م (ص ٩٦).

خشب أو نحاس، وترجع الكيفية إلى تركيب النغمة الأساسية بنغمات أخرى تعرف بالنغمات التوافقية.

والأذن البشرية أدق تحليلا وأنفذ تمييزاً للكيفيات الصوتية من العين للكيفيات الضوئية، فليس في إمكان العين تحليل اللون المركب إلى ألوانه البسيطة، في حين تميز الأذن المدربة بين النغم الأساسي والأنغام التوافقية، ولهذا السبب لا تفوق لذة فنية ما تجلبه الأنغام الموسيقية من نعيم ومتعة.

ويحدد شدة الصوت شكل موجاته عند تحليلها. فكلما كانت الموجات متقاربة وقممها عالية كان الصوت شديداً وبالعكس فإن الموجات المتباعدة نسبياً وذات القمم المنخفضة تعني إن شدة الصوت ضعيفة. وعند قياس شدة الصوت فإننا نحدد معدل ضغوط موجاته المترددة في الثانية الواحدة فمعدل الضغوط تلك هو معيار شدة الصوت في تلك اللحظة الزمنية وهو أيضاً طاقته. ولذلك يسهل علينا تحويل مقاييس الضغوط إلى مقاييس طاقة وهو ما تفعله أجهزة التذبذب المستعملة في الأجهزة الأليكترونية. وتضعف شدة الأصوات ببعد المسافة التي تقطعها. ويمكن أن يقدر بعد أماكن الأصوات المألوفة بما يطرأ على شدتها من ضعف. ويُقدر التفاوت بين الأصوات بالديسبل شكل (٦).

ويقابل الشدة كصفة فيزيائية للصوت صفة معنوية (سيكولوجية) هي العلو فكلما كانت شدة الصوت المسموع قوية كان سماعنا له عاليا[١]، ولكن ضمن مدى محدداً من التردد لأن أذن الإنسان محدودة الحساسية للأصوات. فهناك حد أدنى وحد أعلى لعدد ترددات الصوت التي تحسسها آذاننا. ومنحنى السمع يظهر أن السمع يبقى جيداً في مدى

---

(١) عمر محمد جيرين: علم النفس الفسيولوجي: دراسة في العضوية والعصبية للسلوك. عمان: جامعة الأردن، كلية التربية، ١٩٧٥م (ص ١٠٩ - ١١٣).

صوت الرعد ١٢٠

صوت طائرة نفاثة

صوت مرجل يغلي ١٠٠

صوت مصعد جبلي

صوت حفارة ٨٠

صوت شارع مزدحم

صوت مناقشة ٦٠

صوت سيارة هادىء

صوت مكتب تقليدي ٤٠

صوت مسكن ٢٠

صوت الهمس

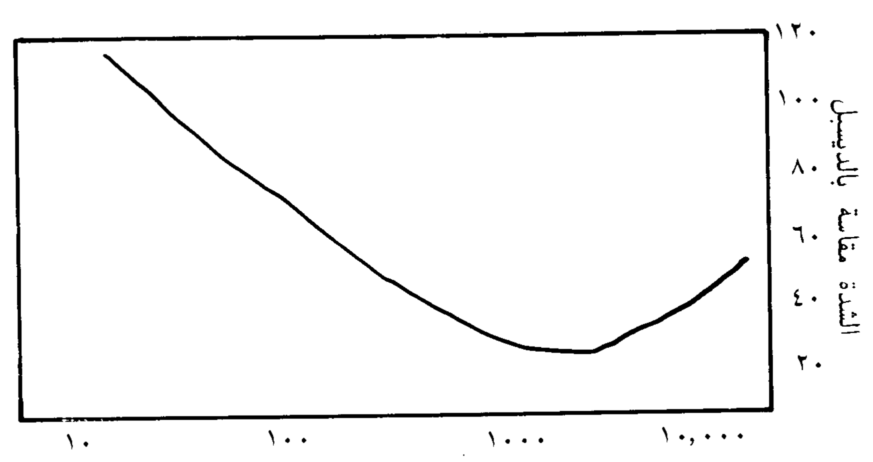
الحد الأدنى المطلق صفر

مدرج الديسيبل

شكل رقم (٦)

الشكل يوضح درجات شدة الصوت.

يتراوح بين ١٠٠٠ - ٣٠٠٠ في الثانية. أما إذا إرتفع التردد فوق ٣٠٠٠ ذبذبة في الثانية فإن حساسية الأذن تضعف ولكنها تشعر به. وقد يصبح مؤلماً للأذن إذا ارتفع أكثر من ذلك بكثير. ومن هنا اعتبر التردد ذو (٣٠٠٠) ذبذبة في الثانية هو الحد المطلق الأعلى للسمع. وبالمثل. فإن انخفاضه عن (١٠٠) ذبذبة في الثانية يضعف سماعه وهذا هو الحد المطابق لسماعه بوضوح.



شكل رقم (٧)

التردد (الذبذبة في الثانية)

يمثل هذا المنحنى العلاقة بين الحد المطلق للشدة والتردد

وعندما تتعرض الأذن لصوتين مختلفين في ترددهما فإن الصوت ذو التردد الأعلى يطغى على الصوت الآخر بحيث لا تميزه الأذن اطلاقاً. ولا يسمع إلا إذا رفعنا من ذبذبته إلى ما فوق الحد المطلق الأعلى. أي إلى ما فوق ذبذبة الصوت العالي الذي طغى عليه من قبل. وكثيرا ما تلاحظ هذه الظاهرة بين الأصوات ذات الترددات المتقاربة وبخاصة العالية منها[١].

أما سببها فيرجع إلى آلية القوقعة ذاتها. فإذا ما وجه الصوتين كل إلى أذن منفردة فإن التعمية أو حجب الصوت لا تحدث. وتستعمل التعمية كثيرا في التداخل الإذاعي وأحيانا في عمليات التشويش على أجهزة العدو.

ويجد الطيارون ورجال الدبابات صعوبة في سماع زملائهم اذ تحجب أصوات الطائرة والدبابة أصواتهم. ولهذا السبب يلجأون الى استعمال التليفون للاتصال فيما بينهم.

(١) المرجع السابق.

ويسبب التعرض للأصوات الشديدة مدة طويلة صمما مؤقتا تطول مدته تبعا لشدة الصوت وطول مدة التعرض له. ولذلك كان الطيارون وجنود الدبابات لا يستطيعون سماع الكلام الموجه إليهم، أو تمييز الأصوات الضعيفة عقب مغادرتهم للطائرة أو الدبابة. ويحتاج هؤلاء الى مدة طويلة (٢٤ ساعة في بعض الأحيان) لكي يعودوا الى حالتهم الطبيعية. ويحسن بالطيارين ورجال الدبابات ورجال المدفعية والعمال الذين يقضون وقتا طويلا بجانب الآلات الصاخبة أن يضعوا أغطية على آذانهم لوقايتها من التلف. ويجب على أفراد المدفعية أن يقفوا خلف المدافع أثناء اطلاقها ليقوا آذانهم من ضغط الهواء الشديد الذي يسببه دوي المدافع.

سادساً: حاسة الاتزان:

اننا لا نستطيع أن نحافظ على اعتدال قامتنا أثناء المشي أو الوقوف إذا فقدنا قدرتنا على التوازن، وتعتمد حاسة الاتزان على أحاسيس متعددة تصدر من الجلد والعضلات والعينين ومن جزء من الأذن الداخلية (الجزء التيهي) يسمى القنوات الهلالية. بيد أن هذه القنوات هي التي تسهم بأعظم نصيب في ذلك المجال.

ووظيفة هذه القنوات هو إشعارنا بوضع الجسم الكلي أثناء حركتنا ويبدو هذا واضحا عندما يتحرك الإنسان في الفضاء أو ينحني باتجاه محوري. وهي تمتلىء امتلاءً جزئياً بسائل يتحرك مع كل حركة نأتيها برؤسنا، وبذلك يتغير وضع السائل على الزوائد الشعرية للخلايا العصبية (المتصلة بهذه القنوات) مع كل حركة من حركات الرأس إذ يضغط على بعضها أكثر من ضغطه على البعض الآخر. ومن ثم نعرف بخبرتنا الوضع الذي اتخذه رأسنا مع تلك الحركة.

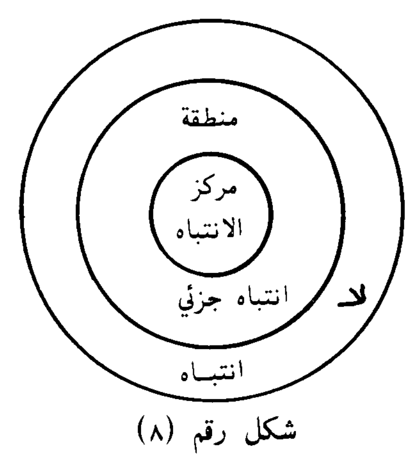
بيد أننا إذا درنا حول أنفسنا دورانا سريعا، استمر دوران السائل

واضطرابه بعد وقوفنا عن الدوران فأحدث عندنا شعورا بالإختلاط ولا يزول هذا الدوران إلا بعد هدوء السائل واستقراره، فندرك وضعنا بالنسبة إلى الأشياء المحيطة بنا.

الانتباه

يعرف الانتباه أنه العملية التي يتم بها انتقاء الشخص لمثيرات معينة تنشط حواسه لاستقبالها دون غيرها من المثيرات الأخرى. وهو يمثل أحد المظاهر الهامة الأولية لنشاط الجهاز العصبي المركزي. فعندما يكون الانتباه في اوج نشاطه كما هو الحال في حالة اليقظة او الانجذاب نحو مثيرات هامة يكون الجهاز العصبي المركزي أيضاً في أوج نشاطه لأنه هو المسئول عن هذا الانتباه اليقظ، وعندما يكون الجهاز العصبي في حالة استرخاء كما هو الحال عند النوم أو تعاطي المهدئات والمواد الكافة لنشاط الجهاز العصبي يكون الانتباه في أدنى مستوياته.

ولا يمكن للشخص أن يركز انتباهه في الأحوال العادية على أكثر من مثير واحد في وقت واحد هذا مع قدرته على أن يحول انتباهه من مثير لآخر بسرعة فائقة. وهذه السرعة تعطيه إنطباعا بإمكانية انتباهه لعدة مثيرات في وقت واحد.



شكل رقم (٨)

ويمكن تصوير مجال الانتباه على نحو دائري، حيث يمثل أحد المثيرات مركز الدائرة وتحوطه مثيرات يكون الانتباه إليها جزئيا. أي قابلة للانتقال الى بؤرة الانتباه في سهولة في الوقت الذي تتحول فيه البؤرة السابقة للانتباه الى بطانة وهكذا. وخارج هذين الاطارين تتواجد مثيرات أخرى بعيدة عن مركز الانتباه قد تتحول هي الأخرى الى بؤرة انتباه وهذا يتوقف على مدى قابليتها لاجتياز عتبة الاحساس.

وهناك عوامل تؤثر على الانتباه بعضها خارجي والبعض الآخر داخلي، ومن العوامل الخارجية قوة المثير وتركيزه، فالمثير القوي يحتل بؤرة الاهتمام. فالصوت العالي الحاد يجذب الانتباه إليه اكثر من الصوت المنخفض الغليظ، كما أن الضوء المبهر واللون الفاقع يحتل بؤرة الاهتمام أكثر من الصوت الخافت. ومن العوامل التي تساعد أيضا على جذب الانتباه المدة أو التغير إذ ينتقل الانتباه من مثير لآخر كلما حدث تغير أوجه جديد على البطانة الشعورية لبؤرة الانتباه. فإذا كان الانتباه مركزا على مثير له وتيرة واحدة كحركة منتظمة لمحرك السيارة ثم طرأ على المحيط الشعوري لهذه الأصوات تغير ما، كسماع صوت نقرة أو صفير فإن الانتباه ينجذب إليها تلقائياً لتحتل بؤرته[(١)]. كما أن تكرار المثير على نحو رتيب يجذب إليه الانتباه كما هو الحال في الاعلانات. وهناك عنصر آخر هو التضاد، حيث ينتقل الانتباه من مثير لآخر لتفرد هذا الأخير بنوعية خاصة. وتتضح الفائدة التطبيقية لهذه العوامل في مواقف مثل:

(١) تدريب أفراد الدوريات الليلية على الصمت التام أثناء عملهم في استطلاع مواقع العدو حتى يمكنهم الافلات من رقابته، وذلك في بعض

---

(١) أحمد فائق، محمود عبد القادر: مدخل الى علم النفس العام. القاهرة: الانجلو، ١٩٧٢م.

الحالات التي لا يستخدم فيها أجهزة تمكنه من إكتشاف أمرهم. كما يدرب هؤلاء الأفراد أيضاً على أن يظلوا على أوضاعهم وفي أماكنهم ساكنين إذا ما سُلطت عليهم أضواء من العدو من كشافات أو بواسطة طلقات إشارة.

(٢)تدريب السائقين على القيادة ليلاً دون إضاءة الانوار ويكتفي بالسير على هدى النور الخلفي الصغير (نور الكرونة) للسيارات الأمامية، وهو عادة ما يكون في مكان أسفل السيارة وتقابله علامات بيضاء حتى لا يميزه إلا السائق الذي يقود سيارته خلف التي تضيء هذا النور.

(٣) طلاء المعدات بالوان غير براقة وأن تكون بلون الأرض التي تعمل عليها (للتغلب على عنصر الجده أو الحداثة والذي يلفت الانتباه)، ومحاولة إزالة اللمعان حتى تكون مطفية تماماً، إلى جانب استخدام الأغطية أو شباك التمويه ذات اللون المشابه للون الأرض.

أما العوامل الداخلية التي يمكن أن توجه انتباه الإنسان فهي الحاجات أو الرغبات ، فالشخص الجائع يركز إنتباهه على روائح الطعوم وأسماء المطاعم، والمريض يركز انتباهه على أعضائه المصابة ويتتبع التغيرات التي تطرأ عليها. وهناك عنصراً آخر هو التوقع. فعندما يكون الشخص متوقعا لحدث ما فإن انتباهه يتمركز على نطاق محدود من المثيرات المرتبطة بتوقعه[١].

والى جانب العوامل السابقة المؤثرة على الانتباه هناك عوامل ليست خارجية خالصة ولا هي داخلية تماما، وتسمى بالعوامل «البينية» ومن هذه العوامل ما يتعلق بنوعية الشخص المتنبه. إذ يمكن أن يختلف

---

(١) المرجع السابق.

إنتباه الأشخاص مثلا بإختلاف جنسهم ومهنتهم وثقافتهم. فالرجال يختلفون عن النساء في نوع ولون الملابس والأشياء التي يمكن أن تثير إهتمامهم. والمهندسون المعماريون أكثر إهتماما بتفاصيل المباني عن غيرهم. وهكذا يمكن أن يختلف الأفراد في الجيش فيما يثير انتباههم بإختلاف مهنهم وتخصصاتهم. فالأفراد المتخصصون في أعمال الدفاع الجوي يوجهون جل إهتمامهم الى مواقع الأسلحة المضادة للطائرات ونظام الانذار الجوي في كل موقع عسكري يتواجدون فيه. كما أن قادة التشكيلات العسكرية الكبيرة عادة ما يوجهون إهتماما بالأسلحة والوحدات التي تنتمي الى تخصصاتهم الأصلية أكثر من غيرها. فالقائد الذي كان من ضباط المدرعات عادة ما يسترعي انتباهه كل ما يظهر من جوانب للقوة والضعف في أفراد أو معدات أو أسلحة وحداته المدرعة (في التدريب أو الحرب) عن تلك التي يلحظها في وحداته المرؤسة الأخرى من المدفعية أو المشاة أو المهندسين(١).

ومن هذه العوامل البينية أيضا ما يتعلق بالشكل المدرك. وتشير الدراسات إلى أن الشكل العام كثيراً ما يكون ملفتا للنظر أكثر من التفاصيل، لأنه يدرك ككل له معنى. اذ أن الحقيقة الرئيسية في المدرك ليست هي الأجزاء التي يتكون منها وإنما هي الشكل أو البناء العام. وهذا ما أيدته معظم الدراسات التي أجريت بغرض إختيار صحة آراء الجشطالت في عمليات الادراك الحسي(٢).

---

(١) نذكر في هذا الصدد أن الجيوش المتقدمة تفرض على الضباط الانتقال بين مختلف المناصب والتخصصات قبل الترقي الى المراكز القيادية وذلك لضمان تمرس الضابط في كافة مجالات الخبرة العسكرية وحتى تلقى منه كل وحداته المرؤسة عناية وإهتماما كافيين.

(٢) أنظر العوامل الموضوعية للادراك في الجزء التالي من هذا الفصل والخاص بالإدراك الحسي.

أنواع الانتباه:

(١) إنتباه قسري (لا إرادي):

ويظهر هذا النوع من الانتباه عندما تتزايد شدة العوامل الخارجية وهي المثيرات البيئية عن العوامل الداخلية عند الفرد وهي العملية الانتقائية التلقائية لديه. ويظهر هذا النوع عند الانتباه لضوء مبهر أو صوت انفجار ومن هنا تبدو أهمية إزالة لمعان أسطح المعدات العسكرية، وإطفاء الأنوار ليلا أو تقليلها الى أدنى حد ممكن في مواقع القوات أو أثناء سير المركبات العسكرية منعا من جذب انتباه أفراد العدو.

وعندما ينجذب أنتباه الشخص رغما عنه الى مثيرات بالغة في الشدة، يكون من الصعب عليه أن يوجه إنتباهه نحو أي مثيرات أخرى، إذ يتغافل عنها كلياً. ذلك لأن الشخص العادي لا يستطيع أن يوجه إنتباهه الى مثيرين معا في وقت واحد. ومن الأمثلة الواقعية لعمليات الانتباه القسري في الحرب ما يتم في تكتيك العمليات الصغرى في هجوم الوحدات الصغيرة. حيث تلجأ إلى أسلوب يسمى بالضرب مع الحركة. إذ تقوم مجموعة من الأفراد[1] بالضرب على العدو من مواقع معينة لجذب انتباهه وإجباره على الاشتباك معها في الوقت الذي تتحرك فيه مجموعة أخرى من القوة المهاجمة نحو العدو. وتعرف المجموعة الأولى بالمجموعة الساترة لأن المجموعة الثانية تستغل شغلها للعدو وتتحرك نحوه - أي تحت ستر المجموعة الأولى - حتى تقترب منه. وربما لا يتنبه لوجودها حيث تفاجئه.

---

(١) لا يقتصر هذا الاسلوب الهجومي على أفراد المشاة بل يتبعه أيضا أفراد الاسلحة الأخرى كالدبابات التي تعمل في مجموعات أو أزواج تقوم كل منها بحماية الأخرى وتغطية تقدمها بالنيران.

وقد تعتمد أيضا الطائرات المقاتلة على أسلوب مشابه لما سبق في محاولاتها تدمير أو إسكات بعض مواقع المدفعية غير الصاروخية والتي يصعب مهاجمتها مباشرة. حيث تقوم طائرة أو أكثر بالتظاهر بالهجوم (أو الإشتباك) على هذا الموقع من إتجاه معين حتى يقوم بتوجيه كل إهتمامه بالضرب عليها بينما تنقض بعض الطائرات الأخرى نحوه من إتجاه آخر في توقيت ملائم وبطريقة تمكن من إصابته.

(٢) الانتباه التلقائي (أو المعتاد).

وهو يحدث في معظم الأحيان عندما تكون علاقة الشخص بواقعه عادية وعندما يكون العالم الخارجي منتظما ليس فيه تغير كبير في مثيراته. وفي هذه الحالة تتساوى تقريبا شدة التنبيهات الخارجية مع الداخلية لدى الفرد. حيث لا يكون هناك أيضا دافع داخلي يوجه انتباه الشخص نحو مثير معين بذاته. وهنا يوزع الشخص إنتباهه بين المثيرات الموجودة في بيئته الخارجية بطريقة شبه منتظمة[١].

(٣) الانتباه الإرادي:

ويختلف هذا النوع من الإنتباه عن النوعين السابقين في تزايد قوة العوامل الداخلية (والممثلة في دوافع معينة) عن العوامل الخارجية من حيث تأثيرها على توجيه إنتباه الشخص. ونعني بهذا وجود حاجة ملحة أو دافع قوي لدى الشخص للانتباه نحو موضوع معين بذاته. وقد يحاول الشخص في هذه الحالة التغلب على أي عائق خارجي يحول دون ذلك الانتباه. فالأم القلقة على طفلها المريض تستطيع رغم كثرة الأصوات المحيطة به أن تسمع أضعف الأصوات التي يصدرها.

---

(١) أحمد فائق، محمود عبد القادر: مدخل الى علم النفس العام. القاهرة الانجلو، ١٩٧٢ م.

(٤) الانتباه الاستباقي:

ويظهر في حالات توجيه الانتباه حول موضوع لم يظهر بعد في مجال الانتباه مثل حالة تأهب الأفراد للقفز بالمظلات عندما تبلغ الطائرة بهم منطقة القفز (أو الهبوط) أو ترقب أفراد أطقم إقتناص الدبابات وصول الدبابات المعادية الى مدى المؤثر لقذائفهم.

ويمكن اعتبار أعمال المراقبة الأرضية والجوية نوع من الانتباه الاستباقي. فالفرد الذي يراقب شاشة الرادار بحثا عن الاشارات الهامة العارضة يقوم بهذا النوع من الانتباه. وفي هذا النوع من الاعمال - أي المراقبة - عادة ما يبدأ الآداء على درجة كبيرة من الكفاءة ثم يهبط تدريجيا بمرور الوقت. وقد إقترح بعض الباحثين أسبابا عديدة لهذا الهبوط منها ملل المراقبين عندما تلاحظ ندرة مثل هذه الإشارات الهامة. ومن هنا تبرز الحاجة لعمليات الإشراف الدقيق على المراقبين واجراء التغيير المستمر لهم.

الإدراك الحسي

هو العملية العقلية التي تتم بها معرفتنا للعالم الخارجي عن طريق التنبيهات الحسية، ولقد كان هناك رأي قديم يشير إلى أن الإدراك الحسي يتم عن طريق الترابط. فالسيارة مثلا كشيء مدرك ليست إلا أطوالا معينة ودرجات ضوئية مختلفة وإحساسات لمسية تترابط كلها كي ندرك السيارة. ويرى أنصار هذا الرأي أن المثيرات تدرك أولا كجزئيات ثم يقوم العقل بتنظيمها وربطها ببعض.

إلا أن العلماء الألمان أمثال كوهلر وكوفكا قد أثبتوا خطأ هذا الرأي حيث قرروا أن الإدراك الحسي يكون أولا في شكل كليات وليس جزئيات تترابط مع بعضها، أي أن عملية الإدراك تتم بعكس ما يراه الترابطيون، حيث يرى هؤلاء العلماء أن الكليات هي التي تدرك

أولا ثم يتم تحليلها - إذا ما أراد الشخص ذلك - لندرك منها الجزئيات. والإدراك الحسي هو إدراك لصيغ كاملة. بل إن العقل لا يدرك الجزئيات وحتى إذا ما تعرض لها أكملها تلقائيا.

وقد سميت هذه المدرسة بالجشطالت وهي لفظ يقابلها في العربية كلمة «صيغة» وفي الانجليزية كلمة Form.

فالنغم وهو مقطوعة موسيقية (مدرك صوتي) يعزفه عدد كبير من الأفراد، ونحن لا نستمع إلى كل عازف على حدة وإنما نسمع «النغم» ككل واحد متناسق، ونميزه عن غيره من الأنغام أو المقطوعات الموسيقية الأخرى.

والمربع يتكون من ٤ خطوط ولكل خط من هذه الخطوط إحساس خاص به، غير أنه صفة المربع لا توجد في هذه الخطوط، ولا حتى في الخطوط مع وجود زوايا قائمة وإنما تدرك في الكل مباشرة[١].

تجارب الجشطالت في الإدراك الحسي:

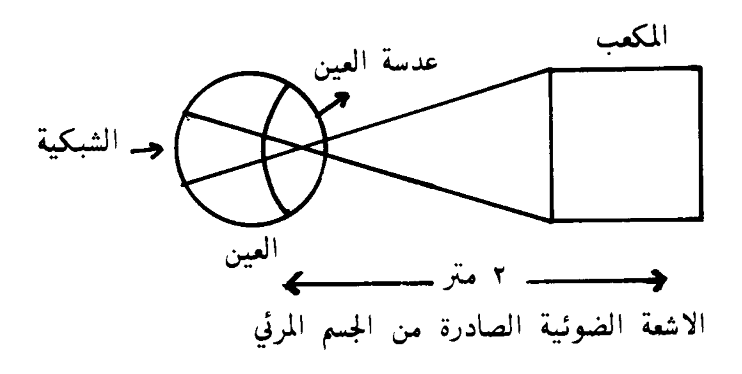
أجرى الجشطالتيون بعض التجارب ليؤيدوا وجهة نظرهم ويدحضوا آراء الترابطيون وليبرهنوا على صدق نظريتهم ومن هذه التجارب:

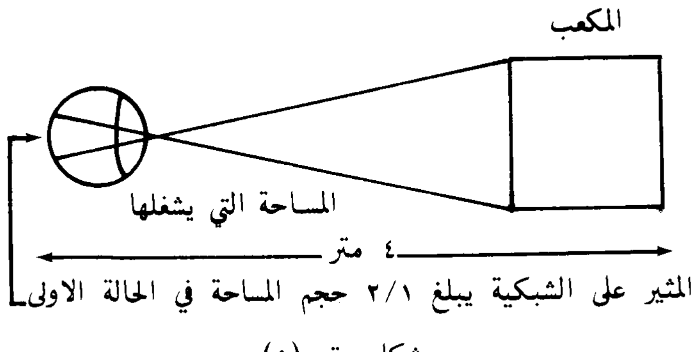
(١) الفرق بين الإحساس والإدراك:

إذا نظر الشخص إلى مكعب على مسافة مترين، ثم نظر إليه على مسافة ٤ أمتار فإن الصورة التي تتكون على شبكية العين في الحالة الثانية يصبح حجمها نصف حجم الصورة التي تتكون في الحالة الأولى ومع هذا يظل المدرك كما هو لم يتغير رغم تغير مساحته على شبكية العين.

---

(١) المرجع السابق.

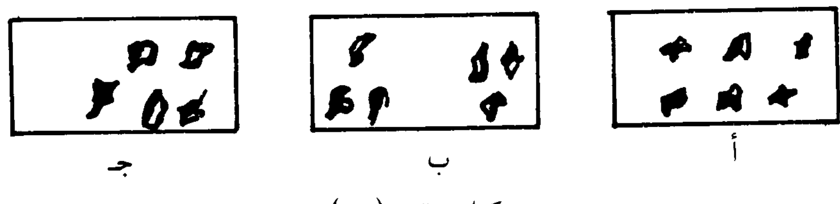




شكل رقم (٩)

(٢) الإدراك هو إدراك لشيء منفصل متناحي.

إذا عرضنا على شخص مجموعة من البقع السوداء عديمة الشكل فإن إدراكه لها يتوقف على عدة عوامل. فإذا كانت تلك البقع منتشرة في مساحة معينة ادركها إدراكا كليا، ولكنه سيدرك فيها إنفصالا وتجمعا تبعا لما يطرأ على انتشارها من تغيير. ويمثل ذلك بالأشكال الآتية:



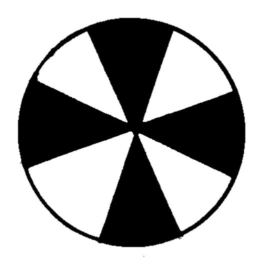
شكل رقم (١٠)

ففي الشكل الأول (أ) تدرك مجموعة البقع السوداء ككتلة

واحدة، وفي الشكل (ب) تدرك كمجموعتين منفصلتين، وفي (ح) تدرك كمجموعة واحدة منفصلة[1]. إن هذه الملاحظة تبين أن المدرك هو إحساس بشيء له بغيره صلة مما يدل على حصوله على تناحيه وإنفصاله من خلال الوحدة التي يوجد فيها. ولو كان الادراك مجرد إحساس لما إختلف إدراكنا للبقع في الأشكال الثلاثة السابقة.

(٣) المدرك يكون دائما في علاقة تضاد مع أرضيته:

إذا نظرنا الى الشكل رقم (١١) نجد أن ادراك الاجزاء المظللة كوحدة واحدة في تعارض وتضاد مع الاجزاء البيضاء ولا يميل الابصار أن يدرك مزيجا من الوحدتين معا. ويدل ذلك على أن ما ندركه يتناحى بواسطة أرضية تحوطه فلكي يظهر أمامنا شكل ما لا بد له من



شكل رقم (١١)

أرضية تحيط به ويختلف عنها. فالسبورة مثلا هي عبارة عن قطعة من الخشب على شكل مستطيل مطلي باللون الاسود ولها حدودا خارجية، لذا فهي تتمايز عن الحائط الذي لا بد وأن يختلف عنها في اللون وربما في درجة اللمعان. وبدون هذا التضاد مع الحائط لا يمكن إدراكها. فإذا إفترضنا مثلا أن هناك قطعة من الخشب مماثلة تماما في حجمها للسبورة وموجودة بدلا منها لكنها بلون الحائط ولها درجة لمعانه وفي نفس الوقت مثبتة عند سطح الحائط بحيث لا تبرز الى خارجه (أي

(١) أحمد فائق، محمود عبد القادر: مدخل إلى علم النفس العام. القاهرة الانجلو، ١٩٧٢م.

ليس لها حدود خارجية) في هذه الحالة لا يمكن تمييزها كمدرك يختلف في معالمه عن المكان المحيط به.

وهكذا بالنسبة لسائر المدركات. والأهداف العسكرية يمكن أن تظهر نتيجة إختلافها عن الأرض المحيط بها وتناحيها عنها. واختلافها في اللون واللمعان ومن هنا وجب الحرص أن تطلى المعدات بطلاء مشابه في اللون واللمعان للأرض التي تجري عليها العمليات العسكرية. وقد أصبح هذا من العوامل الهامة لإخفاء المعدات عن نظر القوات المعادية. منذ الحرب العالمية الثانية. كما تفنن الفيتناميون في إدماج مقاتليهم وأسلحتهم في الأرض التي يعملون عليها أثناء حربهم مع القوات الأمريكية.

وتلعب عملية بروز الأشكال عن أرضياتها دورا في ميادين الحروب، فمن المعروف في معارك الدبابات مثلا أن كل ما يمكن أن يرى من الدبابات يصبح للتو واللحظة معرضا للإصابة القاتلة لذا يحرص كلٌ من الجانبين المتحاربين في هذه المعارك على الاندماج في الأرض الخلفية مع تجنب كل ما يلفت النظر. والأرض الخلفية هي مصلح عسكري يقصد به الأرضية التي تحيط بالهدف أو الموقع. وفي سبيل هذا الاندماج يلجأ طاقم الدبابة الى مختلف الحيل والوسائل مثل الاختفاء في الثنيات الأرضية أو الحفر مع تمويه الجزء الظاهر منها ليبدو مشابها للأرض المحيطة به حيث يثبت عليه بعض أعشاب هذه الأرض أو قطعا من القماش بلون رمالها[١]. الى جانب تجنب إستخدام السطوح العاكسة مثل النظارات والأزرر النحاسية «والخوذ» (غطاء الرأس للفرد المقاتل). وتفيد مثل هذه الإجراءات السابقة إذا كانت ظروف المعركة تتطلب

---

(١) يحاول أيضا أفراد الطاقم تمويه ملابسهم بأساليب مشابهة.

الثبات (كما يحدث في بعض حالات الدفاع). أما عند الحركة فيتجنب افراد طاقم الدبابة الظهور بها فوق الثباب[1] حتى لا تلفت أنظار القوات المعادية حيث تبرز في هذه الحالة كشكل ظاهر عن الأرضية المحيطة بها.

ويمكن أن يظهر التضاد بين الشكل والأرضية في صور أخرى مثل إختلاف الأحجام فإذا كان الشكل صغيرا برز كمدرك عن الأرضية الكبيرة وبالعكس. كما يلاحظ أن الأشياء التي يألفها الانسان ويتعامل معها كثيراً أميل لأن تبدو له كمدركات بالعكس من تلك التي لا يألفها. فالجندي الذي تمرس في الحياة العسكرية قد يمكنه إكتشاف بعض مواقع الأسلحة المموهة (التي أجريت لها عمليات إخفاء) أما الشخص الذي لم يألف مثل هذه الأسلحة فيستحيل عليه تمييزها تحت هذه الشروط السابقة.

وهكذا فإن الأشياء التي نتعامل معها تبرز بوضوح عن أرضياتها كجشطالت (كمدركات لها معنى في أذهاننا) في حين لا تكون الأرضية جشطالت إلا في حالة التعادل[2]، وعندما نُبصر منظرا طبيعيا نرى أشجارا وسحابا دون أن نرى الأرض كمساحات تفصل بين الأشجار، أو السماء لونا يفصل بين السحب.

---

(١) يقصد بهذا مصطلح الظهور فوق خط الأفق».







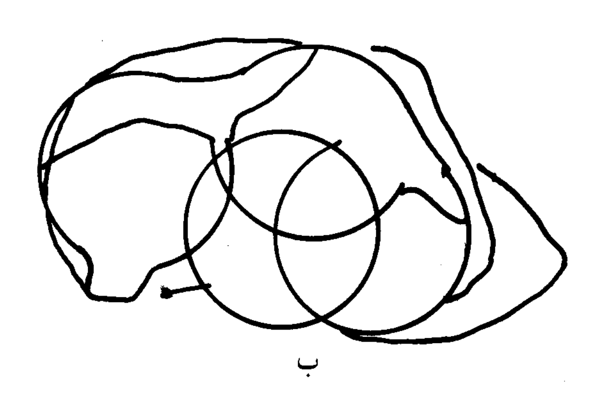


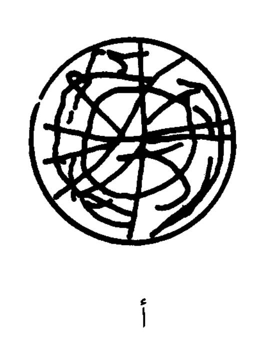
شكل رقم (١٢)

بعض المظاهر الأولية لمحاولات الاندماج في الأرض الخلفية

(٤) المدرك هو إنتظام داخل الشكل:

من العوامل التي تساعد على إبراز الشكل هي حدوده الخارجية ويتضح هذا من الدائرتين أ، ب بالشكل رقم (١٣) عندما نحاول طمس معالمها، فالشكل (أ) يظل كما هو دون تغير واضح فيه، أي محتفظا





شكل رقم (١٣)

بخواصه كدائرة لأن حدوده الخارجية لا زالت كما هي أما الشكل (ب) فقد زالت معالمه وفقد خاصية الاستدارة لأن حدوده الخارجية قد تغيرت. وتستغل هذه الظاهرة في إخفاء المعدات بوضع أغطية من شباك التمويه عليها وهي في الحفر مع فرد هذه الشباك بطريقة معينة تزول معها معالم الحدود الخارجية للمعدة.

وقد بينت تجارب الجشطالت أن هناك عوامل موضوعية خارجية إلى جانب ما ذكرناه تساعد على تمييز الأشياء المختلفة، هذا في الوقت الذي توجد فيه أيضا عوامل ذاتية تلعب دورا هاما في عمليات الإدراك. ويرى الجشطالتيون أن أفكارهم وتجاربهم هذه يمكن أن تنطبق على الحواس الأخرى وقد ميزوا خصائص أربعة للإدراك هي:

(١) إننا ندرك كليات دون تحليلها الى عناصرها الجزئية.

(٢) إن ما ندركه نوع من العلامات بعضها مادي يدل على الأشياء (كالدخان يدل على وجود النار أو أصوات تدل على إقتراب مركبات أو طائرات من نوع معين) وبعضها غير مادي كالاسماء والرموز والمصطلحات الدالة على الأشياء.

(٣) إن الالفة بالمدرك تجعله يتحول تدريجيا عن التفاصيل والعلامات البسيطة.

(٤) تؤدي عملية إختصار العلامات في الإدراك الى القدرة على معرفة أكثر من معنى في نفس الشيء. ويمكن تلخيص بعض العوامل الموضوعية الأخرى للإدراك في الآتي:

(١) عامل القرب: الأشياء المتقاربة ترك كضيع بعكس الأشياء المتباعدة فالخطوط الافقية التي تكونها هذه النقط لا تظهر بوضوح لأن النقط بعيدة عن بعضها أما الخطوط الرأسية فهي واضحة لقرب النقط من بعضها.

شكل رقم (١٤)

(٢) عامل التشابه: الأشياء المتشابهة تدرك كصيغ بعكس الأشياء غير المتشابهة.

شكل رقم (١٥)

فبالرغم من أن المسافات بين العلامات أو النقط تبدو متساوية داخل كل من الشكلين (أ)، (ب) إلا أن الخطوط الأفقية تبرز أوضح في الشكل (ب) لأنها تشير الى علامات متشابهة، كما أنه لا يبدو هناك أثرا ظاهرا لخطوط رأسية في الشكل رقم (ب) لأنها تضم أشياء متنافرة.

(٣) الإستمرارية: الأشياء المتصلة تدرك كصيغ بعكس الأشياء المنفردة التي لا علاقة تربطها ببعضها.

(٤) الأشياء الناقصة تدعونا لإدراكها كصيغ وإلى سد الثغرات الموجودة بينها. فنحن نميل مثلا إلى إدراك الدائرة التي ينقصها جزء كدائرة ويفسر مبدئي الإغلاق والاستمرارية كيف تنجح المواقع الهيكلية إذا صممت جيدا - في جذب نيران القوات المعادية وجهودها. وهي عبارة عن قطع خشبية وهياكل على شكل معدات واسلحة وأفراد توضع وتنظم على الأرض على شكل موقع دفاعى يميل المشاهد له لاكمال أوجه النقص به وإدراكه متصلا. أما العوامل الذاتية في الإدراك فهي:

١ - إن عمليات إنتقاء المثير الذي يوجه إليه الانتباه والحاجات والرغبات والتوقع كلها تؤثر على عمليات الإدراك كما يلعب أيضا عامل التهيؤ العقلي دوراً هاما في عمليات الإدراك وفي توجيه الانتباه، فإذا أراد شخص أن يقابل أخا أو إبنا له في المطار فإن تهيؤه العقلي يعزله عن المثيرات الأخرى بحيث لا ينتبه أو يدرك وجود معارف آخرين يهبطون من نفس القطار أمام بصره.

٢ - الخبرة السابقة لها أهميتها في مجال الإدراك، فقبل إجراء جراحة لمجموعة من الأشخاص العميان منذ الولادة من أجل استعادة بصرهم، وكانوا قابلين للشفاء، تبين أن هؤلاء يمكنهم تمييز المكعب عن الكرة بواسطة اللمس. وبعد نجاح الجراحة وإبصارهم لم يستطيعوا تمييز المكعب عن الكرة بصريا. ولكنهم بمجرد لمس كل شكل منها أصبح ذلك

التمييز ممكنا. وتلعب هذه الخبرة دورا هاما كما ذكرنا في إمكانية تمييز الجنود لأسلحة العدو ومعداته التي تحاول إخفائها في مواقعه المموهة، وكذا تمييز قذائفه من أصواتها.

١ - إدراك الحركة:

يرى الجشطالتيون أن إدراك الحركة يخضع تماما لقوانين إدراك الثوابت الا أن الحركة ذاتها جشطالت مستقل وقد فسروا إدراك الحركة فسيولوجيا بقولهم أن شبكية العين تتكون من خلايا حسية عديدة وعندما يقع عليها مؤثر فإن الخلايا التي تتأثر به تتغير كيميائيا، حيث تحتاج إلى فترة زمنية معينة لتعود الى الاتزان الكيميائي بعد زوال المؤثر وقبل أن تعود الى حالتها الطبيعية تكون مجموعة أخرى من خلايا الشبكية قد تأثرت لذلك يبقى التأثير مستمراً بحيث تدرك الحركة كجشطالت مستقل وليس كمجرد إنتقال مثير من مكان لآخر.

٢ - إدراك المكان:

تبرز قدرة الفرد مع النمو على فهم العلاقات المكانية فالطفل يتعلم مثلا أن الرجل الذي يمشي بعيدا لا يصغر في حجمه وأن قضيبا السكة الحديد لا يقتربان. وهكذا يتم إدراك الحجم وثباته الظاهري رغم تغيراته على شبكية العين بناء على تغيير المسافة بيننا وبينه وكذا نتيجة لكونه فوق أو تحت أو في مستوى النظر.

٣ - أثر العامل الذاتي في اخطاء الإدراك:

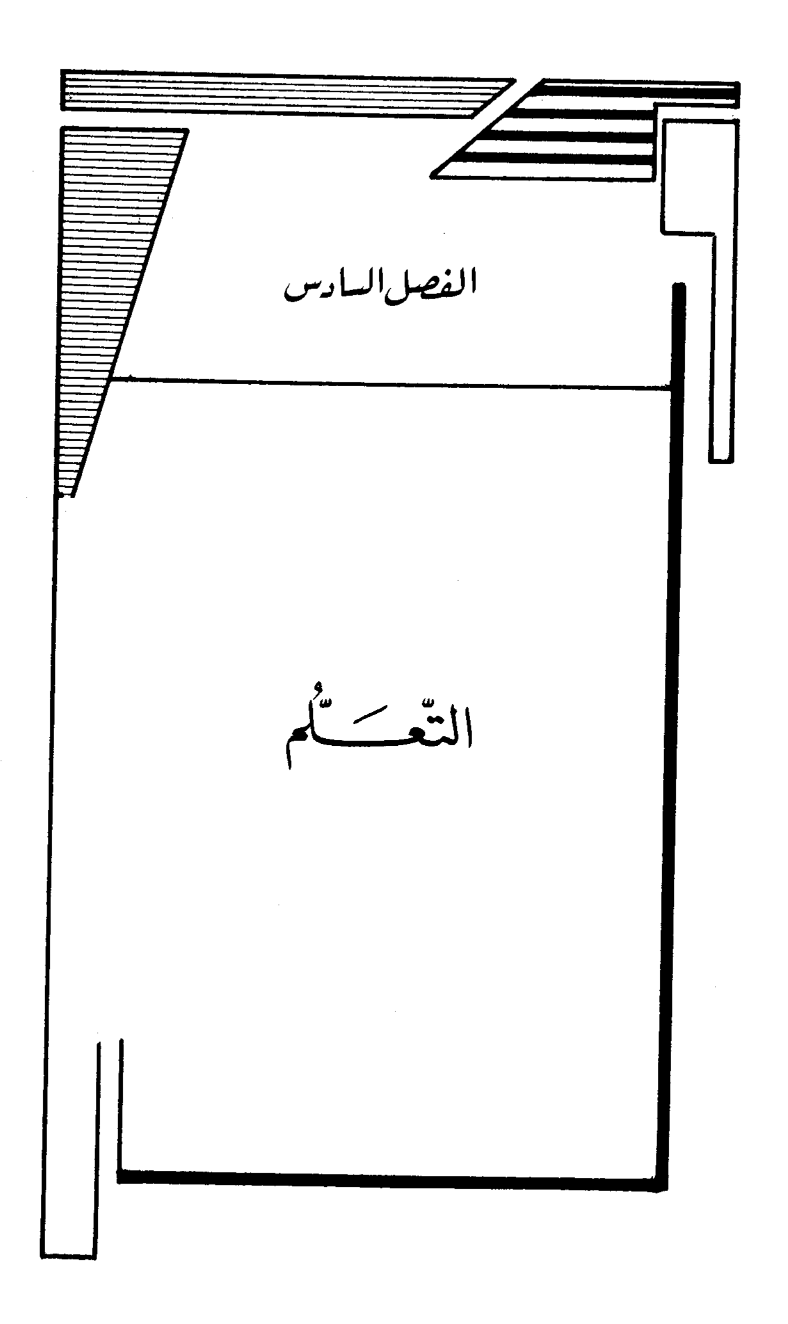
إن عامل التهيؤ العقلي يؤدي في كثير من الأحيان الى خطأ في الإدراك، وتبدو أخطاء الإدراك التي تتأثر بهذا النوع على أنها أخطاء معتادة. فعندما نكتب كلمة «ذلك» دون وضع النقطة على الذال «ذلك» فإنه من النادر أن تلحظ هذا الخطأ لإعتيادنا قراءتها على النحو الصحيح ومثال هذا الخطأ في حياتنا اليومية نلحظه من نفس

المثال السابق عندما تكون مهيئة عقليا لاستقبال شخص ما وسط زحام، فإن تهيؤنا العقلي يؤدي بنا إلى الاندفاع إلى أشخاص يشبهون الشخص الذي نتوقع مجيئه.

وقد يخطىء بعض أفراد المدفعية ويسرعون بتوجيه نيرانهم نحو طائراتهم عند ترقبهم لطائرات العدو، وذلك بالرغم من قدراتهم على إمكانية تمييز الطائرات الصديقة والمعادية. ومن هنا وجب التأكيد جيدا على الأفراد بالأوقات والاماكن التي يسمح فيها بالطيران حتى يمكن الاقلال من مثل هذه الأحداث. وقد وقعت مثل هذه الأحداث في معارك الدبابات في شمال افريقا حيث إشتبكت مدرعات الجيش الثامن في قتال مرير مع بعضها عندما إنسحب الألمان بمهارة من بينها[1].

---

(1) Fuller, J.G «The Decisive Battles of the Western World and their Enfluence Upon History» London 1958.



الفصل السادس

التّعلُّم

الفصل السادس

التعلم

لا تقتصر أهمية التعلم على علم النفس التربوي وحده وإنما هي عملية أساسية في الحياة وكل فرد منا يتعلم ويكتسب خلال تعلمه أساليب السلوك التي يعيش بها. وتظهر نتائج التعلم في ألوان النشاط التي يقوم بها الإنسان وفيما ينجزه من اعمال. ولقد استطاع خلال القرون أن يستفيد من خبرات الأجيال التي سبقته عن طريق التعلم وبالتالي أضاف إسهامه إلى رصيد الإنسانية المتزايد من المعارف والمهارات. وقد نمت العادات والقوانين واللغات والمؤسسات الاجتماعية وتطورت واستطاع الإنسان المحافظة عليها نتيجة لقدرته على التعلم.

والسلوك الذي هو مادة علم النفس الأساسية، ودراسته هي موضوعه نوعان: سلوك متعلم وغير متعلم، والسلوك غير المتعلم لا يتضمن إلا أنماطا محدودة للغاية مثل العطس والسعال ونحو ذلك من الأفعال التي يأتيها الإنسان نتيجة تكوينه الفسيولوجي وتركيبه الداخلي فحسب. أما غير ذلك من انماط السلوك فأغلبها مكتسب، أو بمعنى آخر يتعلمها الفرد نتيجة مروره بعـدد من الخبرات أو المواقف الخاصة في حياته. وهذا النوع الأخير من السلوك يشتمل أنواعا عديدة. فالكلمات التي ننطقها وطريقة المأكل والملبس وتعاملنا مع الغير، بل وطريقة تفكيرنا

واتجاهاتنا نحو الناس، والمهارات التي نؤديها والأعمال التي نقوم بها، كلها تمثل أنواعا من السلوك المتعلم[1].

من هنا تأتي أهمية هذه العملية وتأثيرها في حياتنا العامة، ومن هنا تأتي ضرورة الإلمام بها والتعرف على شروطها والعوامل المؤثرة فيها، إذ عن هذا الطريق يمكن استخدامها الاستخدام الصحيح لتحسين آداء الفرد في ميادين مختلفة من العمل أو التعلم أو نحو ذلك من المجالات التي تتطلبها.

ولذلك لا نستغرب إذا وجدنا أن دراسة عملية التعلم تحتل مكانة رئيسية في علم النفس العام، كما تحتل نفس المكانة في ميادين عديدة من علم النفس التطبيقي، مثل علم النفس الصناعي والتجاري وغيرهما. إذ عن طريق التعلم يتم تحسين اداء العامل في هذه الميادين وتزداد بالتالي كفاءته وانتاجه.

فإذا انتقلنا إلى المجال العسكري، نجد أن التعلم يحتل مكان الصدارة. فقد اتضح من دراسة معظم المعارك التي دارت خلال الحربين الأولى والثانية وما بعدهما أن الانتصار لا يتحقق إلا بكفاءة المعدات الحربية وحسن الآداء من مختلف الأفراد العاملين على هذه المعدات. وحسن الآداء لا يتأتى إلا بالتدريب الذي يتم على أسس علمية.

والآداء الذي يتم في خلال الحروب يختلف بطبيعة الحال عن ذلك الذي يتم في المجالات المدنية كالصناعة والتجارة والصحافة وغيرها. فهو آداء عملي يتم في ظروف قد تكون بالغة الصعوبة ويتضمن فنونا متعددة يُطلب من كل الأفراد إتقانها. فالجندي يتعين عليه أن يتقن استخدام سلاحه الشخصي إلى جانب تعلمه قيادة معداته بمهارة. وقد يكون في

---

(١) إبراهيم وجيه: التعلم. القاهرة: عالم الكتب، ١٩٧١م (ص ١١).

نفس الوقت مكلف مثلا بالعمل على جهاز لاسلكي فعليه أن يلم بطريقة عمل الجهاز إلى جانب دراسته لوسائل التخاطب باللاسلكي بسرعة ودون أخطاء، وربما يقتضي الأمر أيضاً تعلماً آخر هو أن يعمل ضمن طاقم مدفع بمهارة وسرعة. وهناك فن يتطلب تدريباً لا يستهان به هو ذلك الذي يتعلق بقيادة الرجال وإدارتهم في مواجهة النيران وكيفية تحرك الأفراد بمعداتهم وعتادهم تحت ضغط طيران العدو ومدفعيته وما قد يتطلبه هذا من احتلال لمواقع جديدة أو امداد أو إخلاء لقوات أو وضع لألغام وموانع هندسية لإعاقة تقدم العدو أو ما يقتضيه الموقف من تقدم بغرض ازالة ألغام للعدو كتحضير لعملية هجوم عليه.

هذا إلى جانب ضرورة اعداد افراد ذوي تخصصات نادرة مثل الطيارين وبعض الأفراد الذي يعملون على المعدات الثقيلة ومثل هذه المهن تتطلب جهدا ووقتا لا يتسهان بها لأعداد الأفراد والمداومة على المحافظة على كفاءتهم العالية.

وعلى هذا فلا يقتصر التعلم في المجال العسكري على الوسيلة التقليدية القديمة التي تعتمد على الحفظ والاستظهار أو مجرد تلقي المحاضرات والمعلومات ولكنه يتضمن في المقام الأول اكتساب مهارات وعادات تحقق للفرد الفاعلية في العمل. وقد يتلقى الأفراد العسكريين جزءاً ضئيلا من تدريبهم بأسلوب نظري أي باستخدام طريقة المحاضرة. ولكن هذا الأسلوب لا يستخدم إلا كمجرد تقديم لموضوع ما أو لمناقشة أخطاء شائعة ظهرت في تدريب عملي.

وللتعلم تعريفات مختلفة ولكن أكثرها شيوعا هو أن «التعلم تغير شبه دائم في سلوك الكائن الحي نتيجة للخبرة والممارسة والتدريب»[1].

---

(١) حسين عبد العزيز الدريني: المدخل إلى علم النفس. القاهرة: دار الفكر العربي، ١٩٨٣م (ص ٢٣٩ - ٢٤١).

ويلاحظ على هذا التعريف:

١ - أنه استبعد التغيرات الطارئة التي ترجع إلى عوامل عارضة مثل تلك التي تحدث نتيجة للتعب والإجهاد أو نتيجة لتناول عقاقير وأدوية معينة إذ أنها لا تتمتع بدرجة من الدوام كما أنها لا ترجع إلى الممارسة والتدريب.

٢ - ان التركيز على التعلم بأسلوب المحاضرة واعتباره الطريقة الأساسية أو الوحيدة للتعلم قد لا يترتب عنه إلا تنمية عادات بعيدة كل البعد عن المجال العسكري - وما تتطلبه الأعمال الحربية من الفرد من سرعة تصرف وحسم وقدرة على المبادأة - هذه العادات هي الإحجام عن محاولة التوصل إلى حلول للمشكلات أثناء سير المعركة والسلبية والجمود.

٣ - لا يمكن ملاحظة التعلم مباشرة بل يستدل عليه من ملاحظة وقياس جوانب السلوك المختلفة، فالخبرة والممارسة والتدريب تحدث تغيرات متعددة لدى الفرد قد لا ندركها مباشرة بل نستدل عليها مثلا من تغير الآداء مثل السرعة في العمل على الأجهزة والمعدات المختلفة ونقص الأخطاء التي قد يترتب عنها خسائر أو أضرار بفعل العدو. فتحسن الجنود في الرماية مثلا يمكن أن يتضح بعد قضاء ساعات كثيرة من التدريب عليها مع الإشراف الدقيق من معلمي الرماية. ويبدو هذا التحسن في سرعة إصابة الأهداف مع قلة استهلاك الذخيرة. وكذلك ايضاً فإن تحسن آداء القادة الأصاغر يمكن أن يتحقق بعد تكرار تدريبهم على حل مشكلات مشابهة لتلك التي سوف يواجهونها في المعركة الفعلية ويترتب عن هذا التدريب المستمر سرعة توصلهم إلى قرارات سليمة وتحاشي الوقوع في الأخطاء وتجنب التردد وضياع الوقت.

٤ - يحدث التعلم نتيجة للخبرة والممارسة والتدريب.

والخبرة هي كل ما يؤثر على سلوك الإنسان من خارجه ويؤدي به إلى الوعي بمثير أو منبه خارجي أو حدث داخلي. والممارسة هي نوع من الخبرة المنتظمة نسبياً أي أنها تكرار حدوث نفس الاستجابات أو ما يشابهها في مواقف بيئية منتظمة نسبيا. أما التدريب أو التمرين فهو أكثر صور الخبرة تنظيما ويتمثل في سلسلة منظمة من المواقف حيث تبدأ بتعليمات ثم مناقشات ومراجعة على تختة رمل أو نماذج مصغرة ثم يعقب هذا بيانات عملية توضيحية وآداء فعلي من الأفراد يتكرر كثيرا ويوجه الأفراد ويصحح أخطاءهم أولا بأول ويحدد طرقاً متعددة لتقييم هذا الآداء.

٥ - إن التعلم باعتباره تغيرا شبه دائم في السلوك لا يعني أنه تغير للأفضل، فبعض التغيرات يكون للأفضل مثل تحسين وتطوير قدرة الفرد على الرماية، أو تدريب السائقين على القيادة الليلية دون استخدام الأنوار حتى لا يسهل على العدو اكتشاف أماكنهم بدقة. وهناك تغيرات تكون نحو الأسوأ مثل تعلم الرماية بطريقة غير صحيحة وتبدو في اخطاء قد تكون شائعة مثل اهتزاز يد الجندي أو كتفه قبيل اطلاقه النار وذلك توقعا منه لصدمة الانفجار، أو تعود السائقين أن تكون سياراتهم الحربية أو مدرعاتهم متقاربة من بعضها أثناء القتال وذلك في ثباتها أو تحركها في مجموعات، وهو أمر قد يعرضها إذا ما قصفت بنيران العدو الأرضية أو طيرانه لخسائر تفوق كثيرا حجم الضرر البسيط الذي تتعرض له إذا ما راعى السائقون ترك مسافات كافية بينها.

٦ - يشتمل التعلم التغيرات التي تطرأ على الجانب المعرفي من السلوك كتعلم الضابط للمبادىء العامة للحرب (مثل خفة حركة القوات وسرعة حشدها في الوقت والمكان المناسبين والاقتصاد في القوى)

وقواعد تطبيقها في مختلف الأراضي والظروف الحربية، وتعلم الجندي وضابط الصف تشكيلات المعركة وأساليب الهجوم والدفاع المختلفة للجماعة أو لفصيلة المشاة مثلا. كما يتضمن التعلم كذلك تغيرات تطرأ على الجانب الحركي من السلوك كتعلم الجندي مهارات مثل الزحف على الأرض وتخطي الموانع أو العمل على أجهزة الرادار أو إطلاق الصواريخ.وإلى جانب هذا ايضا هناك تغيرات وجدانية يتضمنها التعلم كتلك التي تتصل بالانفعالات، مثل آداء الأعمال وسط مشاق القتال وضجيج القنابل بطريقة عادية وكأنها أشياء مألوفة.

إلا أن التعلم المعرفي والحركي والوجداني لا يجب أن ينسينا أن السلوك هو وحدة كلية تتضمن الجوانب الثلاثة. فتعلم الجندي الرماية على أبسط أنواع الأسلحة وهي المعروفة بالرشاشات أو الهاونات الخفيفة قد يبدو أن المظهر السائد فيه هو تعلم حركي فقط إلا أنه في الواقع يتضمن هذه الأنواع الثلاث السابقة من حيث أنه لا يمكن اتقانه إلا مع توافر بعض شروط منها:

أ - أن يعرف المتعلم أجزاء السلاح وطريقة عمل كل جزء وأنسب ترتيب لحركاته على كل جزء وفكه وتركيبه وعلى هذا تتعدد الدروس التي على الجندي تلقيها مثل خواص السلاح وقواعد التصويب والرماية وكيفية التخلص من أعطاله البسيطة وكلها معلومات لا بد له من الإلمام بها.

ب - أن يدرك المتعلم متى يستخدم هذا السلاح كي يحقق أفضل فاعلية ممكنة وما هي الحالات التي تقل فيها هذه الفاعلية.

جـ - كما يتطلب الأمر كذلك أن يكون الجندي متهيئاً وجدانيا لتلقي هذا التدريب بحيث يحقق تقدما فيه، فهناك أفراد قد يسيطر عليهم الاضطراب وقت الآداء لعوامل ترجع مثلا إلى شعورهم بالهيبة

من المعلم ولاسيما إذا كان صلباً أو عنيفاً في معاملته للجنود، أو خوفهم من العقاب أو من الظهور بمستوى غير لائق بهم أثناء الآداء أمام زملائهم مما قد يجعلهم موضع سخرية منهم. وربما يزداد مثل هذا الاضطراب إذا ما وبخهم المعلم وطالبهم بالسرعة في الآداء.

وتتوقف عملية تهيئة الأفراد وجدانيا على كفاءة المعلم في فهم أفراده، وتشجيعه لهم على الآداء ولجوئه إلى الصبر والحلم مع من يظهرون خجلا أو اضطراباً يعوقهم عن الفهم والتحسن في التعلم. هذا إلى جانب عوامل أخرى مثل بث روح التنافس بين الأفراد أو روح الفريق مع اهتمامه بالاثابات المادية والمعنوية.

التعلم والعادة:

إن ما جعل بعض العلماء يخلطون بين مفهوم التعلم ومفهوم العادة هو ما يلاحظ من تكون مجموعة ثابتة من الاستجابات لمجموعة ثابتة من المثيرات. وهذه الملاحظة صحيحة فعلا، حيث نجد أن هناك من الأشخاص من يؤدون نوعا خاصاً من السلوك في مواقف بعينها ويميلون إلى تكرار هذا السلوك كلما تكررت المواقف[1]. ويبدو أن التفسير الملائم لهذه الملاحظات أن الشخص قد اعتاد أو اكتسب عادة الاستجابة للموقف بهذا السلوك أو ذاك. لذلك بدا لهؤلاء العلماء أن الطريقة التي نكتسب بها الخبرة بعالمنا الخارجي هي طريقة تكوين عادات سلوكية معينة وثابتة.

والواقع أن تعريف علم النفس بمعناه العام يحدد مجال بحث عالم النفس بأنه دراسة سلوك الإنسان. ويمكن أن نستبدل كلمة السلوك

---

(١) أحمد فائق، محمود عبد القادر: مدخل إلى علم النفس العام. القاهرة: الانجلو، ١٩٧٢م.

بكلمة العادات لنتفق بهذا مع علماء السلوكية والتعلم. وبذلك يكون موضوع علم النفس هو دراسة عادات الإنسان. ويمكن تبرير ذلك بأن سلوك الإنسان ليس أكثر من مجرد مجموعة من الحركات ونظام الآداء يواجه بها الشخص مثيرات بيئته ولكن هذا التبرير لا يصمد أمام حقيقة أخرى.

فالمتأمل في سلوك الإنسان - أو مجموعة عاداته السلوكية - لا يفوته ملاحظة مدى التعديل والتغير النسبي المستمر في مجموعة عاداته، حيث أن كل موقف جديد يمر به الفرد من شأنه أن يحدث بعض التعديلات على عادات معينة أو يلغي الأخرى، كما قد يُسفر عن تدعيم عادات قديمة أو اكتساب عادات جديدة تماما.

وتنشأ هذه العادات فيما يرى « هل » وغيره من علماء التعلم السلوكيين عن استجابات يحاول بها الكائن الحي التكيف مع البيئة حيث تلقى تدعيماً يظهر في صور شتى مثل الآثار المترتبة عما قد تصادفه مثل هذه الاستجابات من نجاح في تحقيق اهدافه وإشباع حاجاته، وعمليات التكيف بين الكائن الحي وبيئته مستمرة لا تتوقف ما دامت حياته مستمرة لأنها تستهدف إشباع دوافعه الأولية.

وعلى هذا تظهر هذه العمليات سلوكا جديدا لدى الفرد لم يكن له وجود عنده من قبل ذلك، وقد يكون هذا السلوك على شكل عادات حركية كالجري والسباحة والقفز وتسلق الأسوار، وقيادة السيارات والطائرات والتعامل مع الآلات، أو عادات سلوكية كتنمية عادات النظام والانضباط في العمل واحترام الآخرين، كما يمكن أن تظهر كذلك في شكل عادات عقلية مثل المهارات الرياضية والهندسية التي يتعلمها البعض والتي تبدو في شكل تصميم المنشآت والمشروعات الصناعية أو

اكتساب اساليب معينة للتفكير العلمي السليم المنتج أو اتجاهات أو قيم جديدة.

وتعتبر الممارسة شرطاً هاما من شروط التعلم، فما يتعلم يجب أن يمارس. فنحن لم نتعلم الكتابة مثلا بالنظر إلى الحروف في الكتب وملاحظة الفروق بين الكلمات، وإنما تعلمناها عن طريق الإمساك بالقلم واستخدامه في الكتابة، وتكرار هذه العملية عددا كبيرا من المرات تحت إشراف وتوجيه مدرسينا وآبائنا - الذين كانوا يوضحون لنا الفروق بين الحروف المختلفة وكيفية كتابتها ويكشفون لنا عن أخطائنا[١]، ويوضحون لنا طريقة تصحيحها - هو الذي مكننا من تعلم الكتابة وهكذا يتم تعلم كثير من المهارات العسكرية مثل السير بالخطوة المنتظمة، قيادة السيارات الحربية بأنواعها في الأرض الوعرة، القفز بالمظلات، العمل على الأسلحة والأجهزة المختلفة، الرماية، العمل ضمن أفراد الدوريات والكمائن.

ويلاحظ كذلك أن كثيرا من العادات الخاصة بحسن التصرف في المعركة لا يمكن اكسابها لقادة الوحدات الصغرى أو الكبرى إلا من خلال الممارسة الفعلية. وهي عادات تتضمن في معظمها عمليات عقلية تستهدف وضع حلول عاجلة لمشكلات. فتطبيق النظريات الحربية مثلا عن تعاون عناصر المدفعية بأنواعها مع وحدات المهندسين والدبابات والمشاة والطيران للقيام بعمليات حربية دفاعية أو هجومية لا يتعلمه الضابط من مجرد تفهم ما يقرأه أو يسمعه عن القادة المحنكين. ولكن يتحقق هذا التعلم لمثل هذه المهارات - وغيرها من فنون توجيه القوات أثناء المعركة والتغلب على المشكلات التي قد تواجهها - عن

---

(١) حسين عبد العزيز الدريني: المدخل إلى علم النفس. القاهرة: دار الفكر العربي، ١٩٨٣م.

طريق الممارسة الفعلية ومواجهة مواقف متكررة مشابهة لظروف القتال المحتملة مع العدو. وعلى هذا يتطلب تدريب الضابط حل كثير من هذه المشكلات تصاغ له بصفة مستمرة في صورة مشروعات على خرائط أو في مناورات عسكرية متكررة. حيث يظهر فيها جانب يمثل العدو وما يمكن أن يقدم عليه من أعمال أو تصرفات مضادة، مع وجود ضباط آخرين يعملون كمحكمين يسجلون أخطاءه أولا بأول خلال مراحل التدريب، ثم تناقش الأخطاء التي يتعرض لها وتصحح الحلول التي يضعها. ومن الطبيعي أن يقع المتعلم في بداية ممارساته هذه لأخطاء لا حصر لها مثل تلك التي تنتج عن سوء التقدير لاستخدام المعدات والأسلحة والأفراد أو الأوضاع التي يجب أن تكون عليه في أرض المعركة أو نظام وسرعة تحركها. ومع تطور التدريب تقل أخطاء المتعلم في كل محاولة جديدة عن تلك التي تسبقها.

وقد برزت أهمية مثل هذا النوع من التدريب في خلال الحرب العالمية الثانية عندما تنوعت الأسلحة وتعددت وتعقدت خواصها عن ذي قبل، وحيث تكررت هزائم الحلفاء - مع وفرة عتادهم وأفرادهم في بعض الميادين - من القوات الألمانية. وبالرغم من محاولات بريطانيا وحلفائها استيعاب الدروس المستفادة التي تسببت في هذه الهزائم إلا أنها استمرت تتوالى مما ترتب عنه أن أجرى الحلفاء تغيرات شاملة في مختلف أوجه نشاطهم العسكري لمجابهة خطر الهزيمة المتوقع. ومن هذه التغيرات تلك التي بدأها مونتجمري في الإعداد لمعركتي علم حلفا والعلمين حيث درب ضباطه تدريبا متواصلا على حل المشكلات التي يمكن أن تواجههم في ظروف المعركة الفعلية بطريقة عملية وبالتعرف على أخطائهم[١].

---

(1) Montgomery of Alamein, K.G. «The memories of Field - Marshal the Viscount Collins, London 1958.

وعموما، فالتكرار وحده من غير أن يعرف المتعلم الأخطاء التي يرتكبها أثناءه قد يؤدي إلى تثبيت هذه الأخطاء وإلى إعاقة التعلم. ومن هنا تأتي أهمية التوجيهات والإرشادات التي يتلقاها المتعلم أثناء آدائه.

وهكذا فالتكرار وإدراك الفرد لأخطائه في تعلم المهارات التي تتضمن في معظمها جهدا عقليا وهي المهارات التكتيكية أصبح لا يقل أهمية عن غيره من أنواع التعلم الأخرى الحركية والتي غالبا ما تنال عناية في مراعاة هذين المبدأين في مراحل التدريب الأساسي سواء للجندي أو الضابط.

كما أن مبدأ التعلم بالاستكشاف الذي ينادي به أوزابيل أو التعلم بالمحاولة والخطأ لثورنديك واللذين يحبذان أن يترك المتعلم يحاول بنفسه ويخطىء قبل أن يتوصل إلى حلول للمشكلات التي تواجهه في مواقف التعلم لا يعني مطلقاً تعارضاً مع الرأي السابق. إذ أن كلاً من هذه الآراء تتفق في مبدأ واحد هو ألا يترك المتعلم دون التعرف في نهاية الأمر على الحلول الصحيحة المناسبة للمواقف المختلفة سواء توصل إليها بنفسه أو أرشده المعلم إليها. كما يراعي أن ثورنديك نفسه توصل في تجاربه إلى أن عامل المران لا يؤدي إلى التعلم إلا عندما يتيح الفرصة لظهور عاملي التوجيه والإثابة، حيث أشار إلى أهمية التكرار مع معرفة الأخطاء والتعزيز المادي أو المعنوي كي يكون هناك تقدما سريعا في التعلم[١].

وتحقق الممارسة كذلك نوعا آخر من التعلم هو اكتساب طرق منطقية في التفكير بالنسبة للضابط. ويقصد بها تلك الأساليب التي تساعده ان

---

(١) حسين عبد الوزير الدريني: المدخل إلى علم النفس. القاهرة: دار الفكر العربي، ١٩٨٣م (ص ٢٤٠، ٢٤١).

يراجع المعلومات الضرورية واللازمة لآداء مهمة حربية. مثل تفهمها جيداً وأن يُفكر في إمكانياته المتاحة من الأفراد والعتاد والمساعدات التي يمكن أن يتلقاها عن طريق الجو أو البحر من القوات الأخرى الصديقة أو المعاونة لوحدته، وكذا أن يعي جيدا قدرات العدو ونوع أسلحته وطبيعة الأرض التي يقاتل عليها ومتطلباتها وغير ذلك من أمور. ومثل هذا التفكير يجب أن يتم في وقت قصير نسبياً لأنه قد لا تتاح له فرصة كافية لإجرائه وقت المعركة الى جانب انه يجب الا ينشغل أو ينعزل عن جنوده وقت اعدادهم لها. وعلى هذا يجب أن يتضمن اعداد القادة اتقان مثل هذه المهارة. وهذا الاتقان ايضاً لا يتحقق إلا بتهيئة برامج تدريبية متكررة تتضمن مواقف يمكن أن يمارس الضباط خلالها هذا الأسلوب من التفكير.

والواقع ان تنمية العادات الفكرية السليمة هو وسيلة مكملة للأسلوب السابق في حل المشكلات التكتيكية. إذ أن التوصل إلى قرار سليم بشأن توزيع القوات أو حركتها لا يتيسر إلا بتحليل واقعي منطقي مرتب لأبعاد الموقف يخلو من الارتجال والتخبط. وهذا التحليل لا يتحقق إلا إذا تعلم الضابط كيف يفكر في إجراءات المعركة مُسبقاً ويعتاد أن يضع في اعتباره أموراً أساسية لا يغفلها في تفكيره هذا.

قياس التعلم:

تستخدم وسائل متعددة لقياس التعلم تختلف حسب ما يُتعلم، فإذا كان التعلم حركيا اختلفت مقاييسه عما إذا كان معرفياً أو وجدانياً. ومن أنواع مقاييس التعلم:

١ - السرعة: وتظهر في إختصار الزمن اللازم لانهاء عمل معين مثل تجهيز أفراد طاقم ما للمدفع الذي يعملون عليه للرماية بعد تعبئته

بالذخيرة أو إصلاحهم لعطب بسيط أصابه لاستئناف الرماية عليه مرة أخرى. إذ يتناقص الوقت المستغرق لآداء مثل هذه الأعمال مع استمرار التدريب.

٢ - الدقة: أي نقص الحركات العشوائية وثبات الاستجابات الصحيحة أو نقص الأخطاء التي كان يقع فيها المتعلم مثل نقص الأخطاء التي يقع فيها فيها قائد الدبابة أو السيارة المدرعة من تحركات خاطئة كالظهور بها على خط الأفق أو التباطؤ اثناء عبور منطقة معرضة مما يجعلها هدفا سهلا لنيران أسلحة العدو.

كما تظهر الدقة ايضا في أثناء التدريب على الرماية على مختلف أنواع الأسلحة، فكلما تقدم الفرد في التدريب عليها كلما امكن له أن يتمثل جيداً قواعد التصويب وأن يتخلص من الأخطاء التي تبعد الرصاصة أو القذيفة عن مكان الهدف، ويبدو هذا جليا واضحا في ميادين التدريب على الرماية.

٣ - المهارة: يقصد بها اداء العمل بسرعة ودقة مع التكيف السريع للتغيرات الطارئة. فإذا كانت دقة الرماية تتضح في ميادين الرماية وأثناء التدريب عليها في ظروف عادية فإن المهارة فيها تظهر اثناء المناورات التي تجري بالذخيرة أو اثناء القتال الفعلي، حيث يزداد توتر الأفراد وتتلاحق التغيرات.

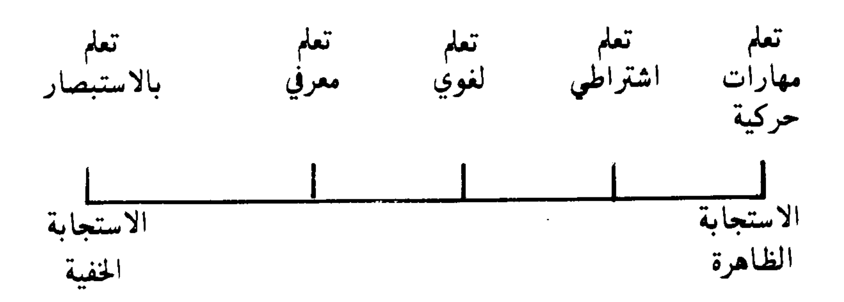
وتتضح الأمثلة التي تبين المهارة في التعلم أيضاً في قيادة السيارات، فالسائق الماهر لا يستغرق وقتا طويلا لإدارة السيارة وهو لا يرتكب أخطاء كثيرة أثناء القيادة ويستطيع التكيف السريع لتغيرات الطرق ولاختلاف انواع السيارات التي يقودها.

٤ - عدد المحاولات اللازمة للتعلم: ويقصد بها عدد المحاولات التي يقوم بها الفرد حتى يحدث التعلم مثل عدد المحاولات التي يجريها الجندي

لتعلم فك مدفع رشاش خفيف لتنظيف وصيانة أجزائه ثم إعادة تركيبها. أو عدد المحاولات التي يجريها ضابط لتعلم رسم خريطة لأول مرة تتضمن قدرا معينا من المعلومات والمصطلحات العسكرية دون خطأ ما.

أنواع التعلم:

يتضح من تعريف التعلم أن من خصائصه الشمول، بمعنى أن تغيراته غير قاصرة على جانب واحد من السلوك دون الآخر. فقد يكون التغير في السلوك حركيا أو معرفيا أو وجدانيا. إلا أن هذا لا يفقد السلوك وحدته الكلية. ويمكن تصور أنواع التعلم على بعد واحد متصل يبدأ من الاستجابة الظاهرة الواضحة الصريحة ويمتد حتى الاستجابة الخفية غير الواضحة[1].



شكل رقم (١٦)

(١) المرجع السابق.

ويقوم هذا التصور على أساس نوع الاستجابة السائدة في التعلم فقد يكون الاعتماد على العضلات كما في اكتساب المهارات الحركية وقد يكون الاعتماد على استخدام الألفاظ والرموز كالتعلم اللغوي والمعرفي.

ومن التحفظات الهامة بالنسبة لهذا التصور أن بعضا من صور التعلم قد تتضمن أكثر من نوع واحد من أنواع التعلم السابقة. فاكتساب الاتجاهات يتضمن استجابات لفظية (رأي الفرد في تعليم المرأة مثلا) ومعرفية (إدراك الآثار المترتبة على هذا التعليم) وحركية (تأييد تعليم المرأة قولا وفعلا).

فإذا رجعنا إلى البعد السابق لوجدنا أن تعلم المهارات الحركية يتضمن القيام باستجابات ظاهرة تعتمد على استخدام العضلات، وأداء الحركات التي يسهل ملاحظتها. أما التعلم بالاستبصار فيتضمن القيام باستجابات داخلية لا يسهل ملاحظتها مباشرة كالتفكير في المشكلة وتحليلها إلى عناصرها وإدراك العلاقات بينها وغير ذلك من العمليات العقلية التي لا تدرك مباشرة بل بآثارها كما تظهر في القيام بحل المشكلة. أما الأنواع الثلاثة الباقية فتقع فيما بين تعلم المهارات الحركية والتعلم بالاستبصار.

فالتعلم الشرطي يقوم على الربط بين عدة مثيرات واستجابات أو استجابات متعددة، وهذه الاستجابات قد تكون واضحة صريحة مثل رفع الحمامة لرأسها عند مستوى معين[1] أو ضغط الفأر على رافعة للحصول على الطعام، وقد تكون خفية داخلية مثل سيلان اللعاب. إلا أن هذا النوع من التعلم يقوم أساساً على الرابطة المثير - الاستجابة في

---

(١) يتضح هذا عند عرض تجارب سكنر عن تشكيل سلوك الحيوانات والطيور.

سلوك قابل للملاحظة. ولذلك فإنه أقرب ما يكون إلى قطب الاستجابة الظاهرة.

فإذا انتقلنا إلى التعلم اللغوي (تعلم المفردات والمعاني) لوجدنا أن الشخص يتلقى مثيراً لغوياً واضحاً صريحاً ثم يقوم بعمليات عقلية متعددة من تحديد للخصائص واستدعاء للمعلومات السابقة وربط بينها وغير ذلك حتى يصدر الاستجابة الواضحة، لذلك فإنه يقع في منتصف البعد بين قطبي الاستجابة.

فإذا انتقلنا إلى التعلم المعرفي والاستبصار لوجدنا أنها أكثر قربا لقطب الاستجابة الخفية، إذ يتلقى الكائن المثيرات المختلفة فيحاول تصنيفها في فئات تجمع بينها خصائص مشتركة ويدرك أوجه الشبه والاختلاف بينها، ثم يحاول إدراك العلاقات بينها مكونا تصنيفات أعم وهكذا.

إلا أن هذه الأنواع لا تعني أن السلوك ليس وحدة كلية والدليل على ذلك أن تعلم المهارات الحركية - بالرغم من أن الاستجابة السائدة فيه هي الاستجابة الحركية الظاهرة، إلا أن هذا لا يمنع أن يتضمن إستجابات غير واضحة مثل إدراك العلاقة بين مكونات المهارة. مثل معرفتنا للعلاقة بين حركات الجسم وسير الدراجة عند قيادتها كوضع اليدين والبدن وتآزر العين وحركة القدم اليمنى وحركة القدم اليسرى وأثر ذلك على سرعة دوران العجلات وعلى سرعة الدراجة عموما مقاسة بالمسافة المقطوعة في فترة زمنية محددة. أو التآزر بين حركة اليدين والساقين والرأس والتنفس أثناء السباحة وذلك بالإضافة إلى معرفتنا اللفظية أو العملية بقانون الطفو.

والدليل الثاني ينبع من تجارب التعلم بالاستبصار وإدراك العلاقات كما تظهر عند مناقشة هذا النوع من التعلم.

نظرية الاشتراط الكلاسيكي:

إذا لاحظنا موقف الطفل الصغير من الطبيب قبل أن يحقنه بالمصل وبعد أن يحقنه به تجد فارقاً كبيراً. فقبل الحقن يكون ودوداً لا يخاف الطبيب ولكن بعد الحقن أصبح الطبيب منفراً مخيفاً مؤلماً وذلك لارتباطه بالحقن الذي سبب للطفل الألم. أي أنه قد حدث ارتباط بين الطبيب والحقن، ولما كان الحقن (كمثير) قد أدى إلى استجابة مؤلمة فإن الطبيب أيضاً يصبح مثيرا يستدعي نفس الاستجابة التي كانت للحقن.

هذا المثال يوضح نظرية الارتباط الشرطي الكلاسيكي التي يعتبر بافلوف Pavlov من مؤسسيها الأوائل. وللتحقق من نظريته أجرى عملية جراحية لكلب استطاع بها جمع قطرات اللعاب التي تفرز أثناء إجراء التجربة. كانت تجاربه تقوم على تقديم أكثر من مثير في وقت واحد أو مرتبة ودراسة استجابة الكلب لها. إذ كان يقدم الطعام مسبوقا بصوت جرس ويدرس التغيرات الحادثة في سيلان اللعاب.

أحضر بافلوف أحد الكلاب إلى معمله المبطن الجدران، بحيث لا تنفذ الأصوات والمؤثرات الخارجية الأخرى إلى داخل الحجرة. وضع الكلب فوق إحدى الموائد وربطه بحيث لا يستطيع الحركة. وكرر هذه العملية عدة مرات كان يحضر الكلب في كل منها لنفس الحجرة ثم يربطه إلى نفس المائدة، ثم يخرجه بعد ذلك. هذا التدريب السابق ضروري في الواقع حتى يتعود الكلب على هذه الظروف ويصبح هادئاً عند ربطه أثناء إجراء التجربة[1].

وأعد بافلوف جهازاً يمكن بواسطته جمع لعاب الكلب مباشرة من الغدد اللعابية، وتسجيل كميته.

---

(١) إبراهيم وجيه: التعلم القاهرة: عالم الكتب، ١٩٧١م.

وعند إجراء التجربة، أحضر بافلوف الكلب الجائع إلى المعمل وربطه كالمعتاد. وبعد مدة دق بافلوف جرساً معيناً. واستجاب الكلب لهذا المثير ببعض الحركات الاستطلاعية، ولكن لم تحدث إستجابة إسالة اللعاب، وبعد ثوان من سماع صوت الجرس، قدم الطعام (مسحوق اللحم) للكلب الجائع فأكله. وسجل جهاز اللعاب كمية اللعاب المسال. بحيث كان سماع صوت الجرس يتبعه دائما تقديم الطعام وتحدث استجابة إسالة اللعاب. بعد ذلك قدم بافلوف مثير صوت الجرس وحده، ولم يقدم الطعام، فوجد أن لعاب الكلب يسيل بالرغم من ذلك.

ويمكن تمثيل هذه النتيجة كما يلي:

مثير غير شرطي U.C.S (الطعام) ← استجابة غير شرطية U.C.R. (لعاب) فإذا سبق تقديم المثير غير الشرطي (م.غ.ش.) تعريض الكلب لمثير آخر كرنين جرس فيمكن أن نطلق على الجرس تعبير المثير الشرطي C.S. وبتكرار تقديم م.غ.ش بعد المثير الشرطي (م.ش) يفرز اللعاب لمجرد قرع الجرس وتكون هذه الاستجابة شرطية (ا.ش).

ويكتب قانون هذه التجربة على النحو التالي:

١ - مغ.ش ← أ - غ. ش أو U.C.S. ← U.C.R.

٢ - م. ش.← م.غ.ش. ← أ.غ.ش

أو C.S → U.C.S. → U.C.R.

وبعد تكرار هذه الخطوة يحدث الآتي:

٣ - م. ش ← أ.ش أو ← C.S. → C.R.

---

(١) أحمد فائق، محمود عبد القادر: مدخل إلى علم النفس العام. القاهرة: الانجلو، ١٩٧٢ م.

بعد ذلك أخذ بافلوف في تنويع تجربته. فقد اهتم بأثر التكرار على تثبيت الاستجابة للمثير الشرطي، وبكمية اللعاب التي يفرزها الكلب في كل مرة. ثم قام ببحث أثر عدم تقديم الطعام (المثير غير الشرطي) على انطفاء الاستجابة الشرطية. واستنتج من تنوع تجاربه عدة قوانين تخص اكتساب الاستجابات غير الشرطية هي:

القانون الأول:

«تتعلم الإستجابة الشرطية بتكرار تقديم المثير غير الشرطي بعد المثير الشرطي» وتسمى عملية الاكتساب بتكرار تقديم المثير غير الشرطي اكتسابا بالتدعيم أو بالتعزيز Reinforcement فكلما عززنا الاستجابة الشرطية بتقديم المثير غير الشرطي، أمكن للمثير الشرطي أن يحل محل المثير غير الشرطي والتعزيز في تجربة بافلوف هو الطعام.

القانون الثاني:

«تنطفىء الاستجابة الشرطية إذا كررنا المثير الشرطي دون تقديم المثير غير الشرطي». فقد لاحظ بافلوف أن إفراز اللعاب يأخذ في النقصان تدريجيا إذا لم يتبع قرع الجرس للكلب تقديم الطعام لتعزيز الاستجابة الشرطية.

القانون الثالث:

«إن الاستجابة الشرطية المنطفئة أسهل في إعادة اكتسابها من تكوينها». فقد لاحظ بافلوف أن الاستجابة الشرطية بالنسبة لبعض المثيرات الشرطية تحتاج إلى تكرار التجربة مع التعزيز أكثر من عشرين مرة. فإذا ما استمر في تجربته دون تعزيز الاستجابة الشرطية حوالي خمس عشرة مرة تنطفىء الاستجابة الشرطية تدريجيا. ولكنه بمجرد إعادة تعزيزها عدداً لا يتجاوز خمس مرات تكتسب الاستجابة الشرطية من جديد بنفس شدتها القديمة.

القانون الرابع:

«من الممكن أن ينتقل تأثير المثير غير الشرطي إلى مثير شرطي عن طريق التدعيم، وبعد مدة يصبح المثير الشرطي مثيراً غير شرطي لينقل تأثيره إلى مثير شرطي ثان» إذ أمكن لبافلوف أن يجعل الجرس - وهو مثير شرطي - يثير استجابة شرطية عن طريق التدعيم. وبعد أن دعمت الاستجابة للمثير الشرطي الأول أخذ يضيء ضوء قبل قرع الجرس كمثير شرطي ثان وبعد تكرار التجربة (ضوء، يتلوه جرس) أصبح الضوء يثير الاستجابة الشرطية وهي إفراز اللعاب.

القانون الخامس:

«يحدث التشريط الانتقائي Selective Conditioning بواسطة التعزيز الانتقائي Selctive Reinforcement. فقد تبين لبافلوف في بداية تجاربه أن أي صوت يسمعه الكلب خارج حجرة المعمل - ويكون قريباً من ميعاد تقديم الطعام له - يؤدي إلى الاستجابة الشرطية وهي إفراز اللعاب. لذلك قام بافلوف بتجارب متنوعة على قدرة المثير المميز على استثارة الاستجابة الشرطية، وموجز هذه التجارب أنه كان يسبق تقديم الطعام (مثير غير شرطي، قرع جرس) له ذبذبة محددة، بحيث يستطيع أن يجعل هذا المثير الشرطي دون غيره هو المؤدي إلى الاستجابة الشرطية. ثم أصبح يغير من ذبذبة الجرس، دون أن يعزز الاستجابة الشرطية، فانتهى من ذلك الى ربط الاستجابة الشرطية بمثير شرطي محدد هو جرس ذو ذبذبة محددة.

القانون السادس:

«يرتبط زمن حدوث الاستحابة الشرطية مع زمن احداث المثير الشرطي وإتباعه بالمثير غير الشرطي» فقد لاحظ باقلوف أن الاستجابة

الشرطية تحدث بعد إنقضاء وقت معين على إحداث المثير الشرطي. وهي تتقدم أو تتأخر تبعا لتقدم المثير غير الشرطي أو تأخره.

وتتضح عمليات الارتباط الشرطي في عديد من المواقف في المجتمع العسكري سواء في أوقات الحرب أو السلم. وهذا الارتباط يساعد على تكوين بعض عادات وأنماط سلوك معينة. ومن أمثلة هذا أن تعرض الأفراد لرؤية وسماع الانفجارات من قذائف وما قد يسبقها من علامات أو مظاهر يُمكنهم من التمييز بين أنواعها ومسافاتها وقدراتها التدميرية وبالتالي يمكنهم اتخاذ سلوك مضاد معين بطريقة ما لمواجهتها.

والشاب قبل انضمامه إلى القوات المسلحة العسكرية لا يعبأ بالضابط أو ضابط الصف فهما لا يتميزان في نظره عن الشخص العادي إلا في زيهما الرسمي. ولكنه بمجرد انخراطه في سلك الجيش سرعان ما يلقى من معلمه ضابطا كان أم ضابط صف معاملة تتسم بالقسوة والصرامة كي يعتاد النظام والطاعة. ومن هنا يصبح الفرد الذي يحمل رتبة عسكرية في نظره إنسانا ذا أهمية وهيبة. وقد تكونت هذه النظرة نتيجة عملية ارتباط شرطي بين رؤيته لهؤلاء الأفراد الذين يحملون الرتب العسكرية وبين قسوة المعاملة وما قد تتضمنه من أساليب عقاب أو ضغط وإرهاق بدني.

نظرية التعلم بالمحاولة والخطأ:

في نفس الوقت تقريباً الذي كان فيه إيفان بافلوف مشتغلا بالافرازات اللعابية للكلاب، كان عالم النفس الامريكي ادوارد لي ثورنديك (١٨٧٤ - ١٩٤٩ م)، يقوم بملاحظة القطط الجائعة لاكتشاف كيفية حلها لمشكلة الحصول على الطعام. كان ثورنديك يضع القطط المحرومة من الطعام في أقفاص محيرة Puzzle Boxes، وهي أقفاص يمكن للحيوان الخروج منها بأداء افعال بسيطة مثل جذب حبل ما،

الضغط على سقاطة، أو يضغط بقدمه على لوح ما. وكباعث على حل المشكل كان الطعام يوضع خارج القفص بحيث يمكن للحيوان رؤيته وشم رائحته. وقام ثورنديك بالملاحظة الدقيقة لعدد كبير من القطط وهي تتعلم كيفية الخروج من أقفاص مختلفة. وفي آخر الأمر، لخص ملاحظاته الفطنة بالطريقة التالية:

عندما توضع القطة في الصندوق يصدر عنها علامات واضحة للضيق، مع وجود دوافع للهروب من سجنها، محاولة أن تحشر وتضغط نفسها لتخرج من خلال أي فتحة تخدش، وتعض الأعمدة والأسلاك وتمد مخالبها في أي فتحة وتخدش أي شيء تصل إليه، وتواصل جهودها حتى ترتطم بأي شيء غريب ثابت أو مُفكك، وهي تخدش الأشياء داخل الصندوق. ولا تعطي انتباها كبيرا للطعام الموجود بالخارج، ولكنها تبدو وكأنها تناضل بشكل غريزي للهروب من السجن.

وعلى نحو متصل ولمدة ثمانية أو عشرة دقائق تقوم القطة بالخدش والعض وحشر جسمها. وفي أثناء كفاح القطة المندفع وخدشها لكل جوانب الصندوق يحتمل أن تخدش الحبل أو الحلقة أو تضغط على الزرار بحيث تفتح الباب. وبالتدريج تنطفيء كل المحاولات الأخرى غير الناجحة. ويؤدي السرور الناجم عن المحاولة المؤدية الى الفعل الناجح إلى إستمرارها. وبعد عدة محاولات، تقوم القطة عند وضعها في الصندوق مباشرة بخدش الحلقة أو الضغط على الزرار بطريقة محددة واضحة. وقد إعتقد ثورنديك أن كل الحيوانات، وكذلك الإنسان، يقومون بحل المشكلات بالتعلم عن طريق المحاولة والخطأ. ففي البداية، يجرب الكائن الحي استجابات «غريزية» مختلفة. وتصبح الأساليب السلوكية الناجحة هي الأكثر تكراراً، بإفتراض انها تستمر نتيجة للسرور

المرتبط بالنجاح[1]. وفي نفس الوقت، يقل إحتمال حدوث الأفعال غير الناجحة، فهي تنطفىء وتقمع لأنها لا تـؤدي إلى نتيجة مرغوب فيها. وهكذا كان ثورنديك من أوائل علماء النفس الذين اكدوا على أهمية توابع السلوك بالنسبة للتعلم. وهو ما يعقبه - اي السلوك - من آثار سارة أو مؤلمة.

وينتمي ثورنديك أساساً إلى المدرسة السلوكية، ولذلك فهو يسلم بأن وحدة مثير - استجابة هي الأساس في تفسير السلوك. فلكل مثير استجابة خاصة به تحدث عندما يظهر المثير المعين. ويرى ثورنديك أن الكائن الحي يولد وهو مزود بعدد غير محدود من هذه الروابط التي تربط بين مثيرات معينة في البيئة وبين استجابات خاصة بها عند الكائن الحي. وأن وظيفة التعلم هي جعل هذه الارتباطات تقوى أو تضعف أو تعدل بالنسبة لمواقف معينة. فالقطة عندما توضع في القفص ويستثيرها الموقف الجديد، تستجيب أولا بالاستجابات الموجودة، عن طريق الخدش أو عض القضبان أو محاولة إزالتها او الإفلات من بينها أو نحو ذلك[2].

وقد شوهدت قطط ثورنديك وهي تقوم بهذه الاستجابات. إلا أن الموقف الجديد لا يفيد فيه هذا النوع من الاستجابات أو الروابط. ومن ثم تبدأ هذه الروابط في الضعف تدريجيا وتبدأ في الظهور روابط أخرى كانت أقل قوة. ولكن قوتها تزداد بالتدريج حتى تصبح هي السائدة لأنها أكثر ارتباطاً بمتطلبات الموقف الجديد.

---

(١) دافيد روف (ترجمة سيد الطواب وآخرون): مدخل علم النفس: القاهرة: دار ماكجروهيل للنشر، ١٩٨٠م.

(٢) إبراهيم وجيه: التعلم. القاهرة: عالم الكتب، ١٩٧١م.

ونوع الارتباط الذي يعينه ثورنديك هو الإرتباط العصبي. فهو يتصور العلاقة مثير - استجابة على أنها علاقة بين مجموعة من الخلايا العصبية التي تستقبل المثير وتتأثر به، وبين مجموعة أخرى من الخلايا التي تتسبب في حدوث الاستجابة، ولم يقدم ثورنديك وصفا كاملا لما يحدث في الجهاز العصبي بل اكتفى بالقول بأن هذه الروابط ذات طبيعة فسيولوجية غير محددة تماما. وفي سبيل تحديد ما يقصده وضع ثورنديك وضع عدداً من القوانين الأساسية لتفسير عملية التعلم وعدداً آخر من القوانين الثانوية التي ترتبط بها.

وقد مرت هذه القوانين بعدد من التطورات.

والمجموعة الأولى من القوانين التي وضعها لتفسير عملية التعلم تشمل:

١ - قانون المران.
٢ - قانون الأثر.
٣ - قانون الاستعداد.

١ - قانون المران أو التكرار:

بمعنى أن الإستجابات تتقوى بالاستعمال وتضعف بالاغفال أو الإهمال المتواصل. فاستجابة جذب السقاطة للخروج من القفص إزدادت قوة بتكرار المحاولات.

والحقيقة أن تكرار الإرتباط لا يكفي وحده لحدوث التعلم. لأننا لو حسبنا عدد مرات تكرار كل إستجابة من الإستجابات الفاشلة في المحاولات المتتالية لوجدناها أكثر بكثير من مرات تكرار الاستجابة الصحيحة، ومع ذلك تعلم الحيوان الاستجابة الصحيحة، وأغفل في النهاية جميع الاستجابات الفاشلة.

وقد فطن واطسن إلى النقص في هذا القانون ولذلك وضع قانوناً آخر هو قانون الحداثة، بمعنى أن الاستجابة الأخيرة التي يعملها الحيوان لها أسبقية على الاستجابات الأخرى، وذلك ما دامت هذه الاستجابة هي الموصلة الى الهدف، إلا أن ثورنديك لم يأخذ بهذا التفسير واعتبره غير كاف كي يبين لماذا يعود الحيوان مرة ثانية الى عمل الاستجابات غير الصحيحة في المحاولات التالية. ورأى أن تثبيت الاستجابات الصحيحة وتضاؤل الاستجابات الخاطئة يعود الى عامل آخر هو الأثر.

٢ - قانون الأثر:

بمعنى أن الاستجابات أو الحركات تثبت أو تحذف حسب ما يتبعها، أي حسب الأثر المترتب على عملها.

وما يعنيه ثورنديك بكلمة الأثر هو ما يحدث تابعا للاستجابة وفي حدود ثوان قليلة غالبا بعدها.

فعامل السرور والإرتياح الحادث نتيجة عمل بعض الاستجابات أو الحركات يعمل على تقوية الرابطة بين الأثر الحادث وبين الاستجابات أو الحركات المؤدية إليه ومن ثم يميل الحيوان الى تكرارها. بينما يعمل الضيق وعدم الارتياح على حذف الحركات التي تؤدي إليه.

٣ - قانون الاستعداد:

يحدد هذا القانون الأسس الفسيولوجية لقانون الأثر. ويوضح الظروف التي يكون فيها الكائن الحي في حالة ارتياح أو في حالة ضيق.

أ - حينما تكون الوحدة العصبية مستعدة للعمل فإن عملها يريح الكائن الحي.

ب - حينما تكون الوحدة العصبية مستعدة للعمل ولا تعمل، فإن عدم عملها يسبب الضيق للكائن الحي.

ح - حينما تكون الوحدة العصبية غير مستعدة للعمل وتجبر عليه فإن العمل يسبب الضيق للكائن الحي.

القوانين القانونية:

يتبع قوانين التعلم الأساسية عند ثورنديك وهي المران والأثر والاستعداد عدد من القوانين الأخرى التي تهدف الى توضيح مجالات تطبيقها في مواقف التعلم المختلفة.

١ - الاستجابة المتنوعة أو المتعددة:

يضطر الكائن الحي في مواقف التعلم الى تنويع إستجابته قبل أن يصل الى الاستجابة التي تنهي الموقف ويرتاح لها أو تحقق الهدف.

٢ - الموقف أو الاتجاه:

يخضع التعلم للحالة التي يكون عليها الفرد ولاتجاهه أو موقفه من موضوع التعلم. وموقف الفرد أو اتجاهه لا يؤثر فقط على الكيفية التي يقبل بها على موضوع التعلم، بل يحدد أيضا ما إذا كان هذا الموضوع يرضيه أو يسبب له الضيق، فالتلميذ الذي يكره دراسة مادة ما مثل الجغرافيا، لا يقبل على دراستها[1].

٣ - العناصر السائدة:

يستطيع الانسان أن ينتقي العنصر الأهم في الموقف وأن يستجيب له وأن يهمل العناصر الأخرى الأقل أهمية.

---

(١) المرجع السابق.

٤ - الاستجابة المماثلة:

وهذا القانون يوضح الكيفية التي يتصرف بها الفرد في المواقف الجديدة، فهو يستجيب للمواقف الجديدة على نحو ما إستجاب للمواقف المماثلة.

٥ - نقل الارتباط:

يعتقد ثورنديك أنه يمكن نقل أي إستجابة ترتبط بموقف معين الى موقف آخر أو لمثير آخر جديد.

تعديل قوانين التعلم الأساسية لثورنديك:

أولا: استبعاده لقانون المران، أصبحت وجهة نظر ثورنديك فيما يختص بقانون المران، أن المران في حد ذاته لا يؤدي الى أي تحسن في التعلم، وإنما يتيح الفرصة فقط لعوامل أخرى مثل التوجيه والاثابة بأن تتدخل. هذه العوامل الأخيرة هي التي تؤثر في الموقف التعلمي وتؤدي الى التحسن.

فتكرار الموقف التعلمي بدون أن يعرف المتعلم أوجه الخطأ والصواب أو بدون أن يثاب على ما يفعله لن يؤدي إلى أي تحسن أو سيؤدي الى تحسن ضئيل للغاية إذا قورن بالمران الموجه أو بالفعل المثاب.

ثانيا: تعديل قانون الأثر: فيما يختص بقانون الأثر كانت وجهة نظر ثورنديك هي تكافؤ أثر عوامل الارتياح والضيق في تقوية وإضعاف الروابط المتكونة. وقد أعاد ثورنديك النظر في هذا الموضوع ورأى أن الارتياح (أو الثواب) أبعد أثراً في تقوية الروابط من الضيق (أو العقاب) في إضعاف الروابط وإزالتها. فمن المحتمل مثلا أن يؤدي عقاب التلميذ المخطيء ليس إلى إضعاف الروابط فيقل إهماله، وليس الى تكوين رباط آخر يؤدي الى الاهتمام بعمل الواجبات، بل قد تتكون

روابط جديدة مثل الهرب من حصص المدرس.

ونتيجة لهذا التعديل أيضا إضطر ثورنديك الى وضع عدد من القوانين الثانوية الجديدة نلخصها فيا يلي:

١ - الانتماء:

كلما كانت أجزاء الموضوع المتعلم مرتبطة بعضها ببعض كلما زادت فرصة تعلمها.

وبالنسبة للثواب والعقاب فيتوقف انتاؤها على مدى ارتباطها بالموقف الذي يشبع حاجة عند الشخص المثاب أو العقاب. فإذا كافأ الضابط الجندي لأنه أجاد أداء عمله، فإن الاثابة تنتمي الى الموقف. أما إذا كافأه لأنه كان مسروراً في هذا اليوم، فإن الاثابة لا علاقة لها بالموضوع.

٢ - التعرف:

إذا إستطاع المتعلم أن يتعرف على الموقف أو الموضوع الذي يقدم له وأن يتحقق منه، نتيجة سابق خبرته به، كان من السهل عليه أن يتعلمه. فإذا وزع الجندي على مهنة تشبه تلك التي كان يعمل بها قبل انضمامه الى الجيش كلما سهل تدريبه. فالجندي الذي كان يعمل سائقاً لسيارة أو جرار في حياته المدنية يسهل عليه قيادة الدبابات والسيارات المصفحة عبر الأراضي الوعرة مثلا عن زميله الذي لم يتعلم قيادة السيارات، والجندي الذي كان يجيد رياضة الغطس والسباحة يسهل تدريبه في «قوات الضفادع البشرية» وهكذا.

٣ - شدة التأثير:

كلما إزدادت شدة المثير، أو شدة الموقف، كلما زاد ميل الفرد للاستجابة له. فالتدريب الشاق العنيف الذي يتخلله تمثيل جو المعركة من سماع ورؤية طلقات الرصاص والقنابل وانفجاراتها هذا الى جانب

صرامة وإنضباط المشرفين عليه بحيث يشعر الأفراد أن تصرفاتهم محل تقييم وحساب دقيقين كلها عوامل تبعث على الاهتمام بالتدريب وتثبت المهارات المراد تعلمها. ويلاحظ أن الوحدات العسكرية التي يتكرر تعرضها للقتال يكتسب افرادها حرصا ودراية ولهذا تقل خسائرها في الأفراد والمعدات عن تلك التي تحارب لأول مرة.

٤ - اليسر:

كلما كانت الاستجابة في متناول الفرد وفي مقدورة أن يعملها كلما سهل عليه تعلمها وهنا تتضح أهمية توزيع الجنود على الاعمال التي تناسب قدراتهم العقلية والبدنية حيث يمكنهم هذا من التقدم بسرعة في التدريب. فالأفراد الاميون لا يمكنهم العمل على الأجهزة الحربية المعقدة، والجنود الذين يتسمون بردود فعلية بطيئة لا يرجى من تدريبهم على اجهزة إطلاق الصواريخ أو المدافع المضاد للطائرات وهكذا.

تعقيب:

يعتبر ثورنديك من الرعيل الأول الذي إستخدم الطريقة العلمية التجريبية في دراسة التعلم. وكان له تأثير كبير على التربية منذ بدأ في نشر نظريته، فقد لفت النظر الى أهمية التعلم عن طريق العمل، إذ عن طريق الممارسة للخبرة المتعلمة يحدث أن يرتبط المثير مع الاستجابة.

كذلك يمكن أن نقول أنه كان يدعو الى التدريب النوعي الخاص لكل خبرة، فالنجاح في تعلم الحساب يجب أن يؤسس على التدريب النوعي على العمليات الحسابية والنجاح في تعلم اللغة والأدب يبني على التدريب النوعي وعلى تعلم الكلمات ومعاني الكلمات، وليس من شك في أن هذا الاتجاه قد أفاد في زيادة الإنتاج وفي إتقان الخبرة في نواح متعددة مثل الخط والعمليات الأساسية في الحساب والهجاء والأداء في إختبارات الذكاء والتوجيه المهني إلخ.. على أن ثورنديك قد بالغ في

أهمية التدريب النوعي في الوقت الذي أهمل فيه العمليات العقلية الراقية، ولم يعترف بحدوث أي تنظيم في تلك العمليات غير الآلية. وهذا الاتجاه رغم ما وجه إليه من نقد فقد أثبتت الأبحاث الحديثة التي عملت في تدريب الجنود في الحرب العالمية الثانية على الأجهزة والآلات الحربية أن التدريب النوعي ضروري لتعلم إستخدام هذه الآلات في أقصر وقت ممكن[1]. ولهذا حللت هذه الأعمال تحليلا نوعيا دقيقا حتى يمكن السيطرة على كل خطوة في الوقت المناسب. فإذا كان الجندي يعمل على معدة حربية كسيارة مدرعة مثلا فتوضع سلسلة من الدروس الأساسية التي لا بد له من إتقانها حتى يمكن له أن يقودها بنجاح في مناورة حربية، مثل التدريب العملي على صيانة كل جزء من أجزائها وإصلاح الأعطال البسيطة التي تدخل في إختصاصه، التدريب على قيادتها بكفاءة على الأراضي الصعبة (الرملية والجبلية)، ثم إتقان المهارات الخاصة باستخدام المدفع الخاص بهامثل التدرب على فكه وصيانته وتركيبه، قواعد التصويب الخاصة به، تركيب وإستخدام الأدوات التكميلية له في حالة وجودها، استخدام جهاز الارسال اللاسلكي المخصص وهكذا حيث تقسم أيضا مثل هذه الدروس الى موضوعات أخرى فرعية. ويمكن أن تظهر أهمية مثل هذا التدريب كذلك في حالة العمل على الأجهزة الأخرى الأكثر تعقيداً.

---

(١) رمزية الغريب: التعلم: دراسة نفسية تفسيرية توجيهية القاهرة: الانجلو، ١٩٧٧م (ص ١٣٥).

نظرية الاشتراط الاجرائي:

يعتبر سكنر هو مؤسس هذه النظرية التي تقوم من الناحية المنهجية على استخدام الملاحظة الموضوعية في دراسة المثير - الاستجابة. قامت نظريته على المبدأ القائل أن المثير يستثير إستجابة تميل للتكرار إذا دعمت أو عززت أي تبعتها مكافأة مادية كالحصول على الطعام أو معنوية كالهرب من موقف مؤلم. فالطفل إذا بكى للحصول على شيء معين وأعطاه له أهله يستخدم البكاء وسيلة لاشباع رغباته.

وقد اتضح من نتائج تجارب باڤلوف، أن الاشتراط الكلاسيكي يقوم أساسا على إستبدال مثير بمثير آخر جديد يكتسب القدرة على إستدعاء الإستجابة الخاصة بالمثير الأصلي نتيجة فعل منعكس، ولكن الاستجابة واحدة وتعتمد على وظيفة عضوية للكائن الحي.

وهذه الأنواع من الاستجابات التي تعتمد على الوظائف العضوية لا تمثل إلا أنواعا محدودة من سلوك الكائن الحي. ولا شك أن الاهتمام يجب أن يوجه أيضا الى الطرق المختلفة التي تؤثر بها البيئة الخارجية على الكائن الحي وإلى أنواع السلوك التي يواجه بها البيئة الخارجية، والتي يمكن وصفها بباسطة على أساس الأفعال المنعكسة شرطية أو غير شرطية. والإشتراط الإجرائي يوجه إهتمامه لهذه الأنواع الأخيرة.

وهناك فرق آخر بين الاشتراط الإجرائي والإشتراط الكلاسيكي وهو أن المعزز في الشرطية الكلاسيكية يأتي قبل حدوث الاستجابة الشرطية. ففي تجارب بافلوف كان سماع صوت الجرس وتقديم الطعام (المعزز) يأتيان أولا وتحدث بعد ذلك إستجابة إسالة اللعاب. أما في الإشتراط الاجرائي فيأتي المعزز بعد حدوث الإستجابة. كما أن التعزيز في الإشتراط الكلاسيكي يقترن بالمثير أما في الاشتراط الاجرائي فيقترن

بالاستجابة ولا حاجة له لوجود المثير[1].

وقد أنصب إهتمام سكنر Skinner على التجارب الخاصة بتعلم الحيوان. وصمم العديد من الأجهزة.

والطريقة التي استعملها سكنر في تدريب الحيوانات. هي تحديد كل خطوة من الخطوات المرغوب من الحيوانات تعلمها والتي تؤدي في نهايتها الى تعلم نمط السلوك المطلوب، وتعزيز كل خطوة من هذه الخطوات دون سواها أثناء التدريب إذا أديت بالشكل المطلوب الذي يؤدي الى الخطوة التالية على أساس أن الحيوان يميل في المستقبل الى أن يعمل ما قام به أثناء التعزيز حتى يقترب تدريجيا من النمط المرغوب فيه.

وقد تمكن سكنر بهذه الكيفية أن يعلم الحيوانات أنواعا معقدة من السلوك. مثل تعلم الحمام لعب تنس الطاولة وتعلم الفئران الحصول على بليه ثم تحريكها في إتجاه ثقب معين ووضعها فيه.

وأحدى أنواع هذه التجارب استخدم فيها الصندوق المسمى باسمه (صندوق سكنر). ويتكون هذا الصندوق من قفص صغير مصنوع من شبكة من السلك تسمح بملاحظة سلوك الحيوان (فأر في الغالب) بوضوح. وتنفذ خلال السلك الى داخل القفص رافعة من النحاس، وتتصل هذه الرافعة من الجهة الأخرى بجهاز يعمل في حالة ضغط طرف الرافعة من الداخل - ولو ضغطا بسيطا - على قفل دائرة كهربائية تعمل على إسقاط قطعة من الطعام من النوع الذي يرغبه الحيوان في وعاء خاص موضوع داخل القفص تحت الرافعة. فعندما يوضع الحيوان الجائع في هذا الصندوق تكون الاستجابة المطلوب إجراؤها هي الضغط على الرافعة، والتعزيز هو الحصول على الطعام ولكي يدرب سكنر أحد

---

(١) إبراهيم وجيه: التعلم. القاهرة: عالم الكتب ١٩٧١م.

الفئران على إلتقاط بلية ثم تحريكها في إتجاه ثقب معين ووضعها في هذا الثقب. يبدأ بحرمان الفأر من الطعام لمدة محدودة أو حتى ينقص وزنه بنسبة معينة. ثم يلجأ الى تدريب الفأر على الأكل من مكان معين عند سماعة صوت رنين أو غير ذلك حتى يقوده الرنين باستمرار إلى مكان الطعام.

ثم تبدأ التجربة بسماع الفأر صوت الرنين وتقديم الطعام عندما يلمس الرافعة. وتكرر التجربة بحيث لا يقدم الطعام إلا إذا ضُغطت الرافعة. وبعد أن يتعلم الفأر ضغط الرافعة بصورة منتظمة للحصول على الطعام، تبدأ مرحلة جديدة يقدم الطعام فيها فقط في المرات التي يضغط فيها الفأر الرافعة ويلمس البلية مباشرة بعد ضغط الرافعة. وفي مرحلة تالية لا يقدم الطعام إلا إذا حرك الفأر البلية في إتجاه الثقب.. ثم وضعها فيه. وبذلك يتم التدريب.

ومن التجارب الهامة التي أجراها سكنر تلك التي قام فيها بتدريب الحمام على أنواع مختلفة من الاستجابات مثل تعلم رفع الرأس بحيث تصبح عادة عندها. الى تعلم أنماط سلوك أكثر تعقيداً مثل لعب كرة الطاولة ناقرة الكرة إلى الأرقام والى الخلف عبر الطاولة.

ولكي تتعلم الحمامة رفع الرأس، عمد سكنر إلى وضع الحمامة في قفص توجد على أحد جدرانه مسطرة مدرجة يمكن عن طريقها قياس إرتفاع رأس الحمامة في الظروف العادية. وأيضا تحديد القياس الذي يمثل الحالات النادرة التي ترتفع فيها رأس الحمامة عن هذا المعدل ووضع خط على المقياس يمثل الحالات النادرة. ثم يبدأ التدريب بملاحظة حركة رأس الطائر، فإذا وصلت في إرتفاعها إلى الخط الذي يمثل المستوى المرتفع يقدم الطعام للطائر بسرعة. وتكرر هذه العملية كلما إرتفعت رأس الحمامة فوق الخط المحدد.

ويقترح سكنر أن هناك نوعان من التعزيز: تعزيز موجب وهو المثير الذي إذا أضيف الى الموقف يؤدي الى زيادة إحتمال حدوث الاستجابة، ومن ذلك الطعام فهو مثير معزز للحيوان الجائع، بينما نجد أن الاستجابة التي تساعد الحيوان على إزالة مصدر من الاستثارة المؤلمة قد تقوي وتتدعم وتعطينا مثالا للتعزيز السالب[١].

والتعزيز عند سكنر يتم للاستجابة وليس للمثير بخلاف ما يقرره بافلوف وهو يخضع لجداول معينة، بحيث يتحدد النظام الذي يتم فيه. وهذا النظام إما أن يعتمد على تحديد الفترة الزمنية بين تقديم كل تعزيز والتعزيز الذي يليه ويسمى في هذه الحالة بالتعزيز الدوري. وإما أن تحدث حالة التعزيز بعد عدد محدد من الإستجابات حسب ما يتضح للمجرب من ظروف التجريب السابق، ويسمى التنظيم الأخير بنسبة التعزيز.

وتقوم فكرة التعزيز الدوري عند سكنر على أساس أن الاستجابات التي نؤديها في حياتنا اليومية لا تخضع لتعزيز منتظم. فالتاجر لا يحصل كل يوم على الربح الذي يرضيه. ومع ذلك يستمر في تجارته يوما بعد يوم، لأن الأيام التي يربح فيها تكفي لتعزيز نشاطه واستمراره في تجارته.

والموظف الكفؤ لا يسمع باستمرار كلمات التشجيع من رئيسه، ومع ذلك يستمر في تأدية عمله بكفأءة، لأن التشجيع الذي يحصل عليه. من وقت لآخر والتقارير الطبية التي تعطي عنه على فترات من الزمن تكفي لتعزيز نشاطه وإستمراره في العمل بكفاءة.

وقد أخذ سكنر هذا المبدأ العام، وأخضع له نظامه التجريبي فالفأر

---

(١) المرجع السابق.

في تجارب سكنر يعطي الطعام بعد كل مرة يضغط فيها على الرافعة، وإنما يعطي الطعام حسب نظام تجريبي محدد. ضغطه على الرافعة لأول مرة، ثم بعد إنتهاء فترة زمنية محددة من نهاية إعطائه الطعام السابق، كل ثلاث دقائق مثلا أو كل أربع دقائق حسب التنظيم الموضوع. أو بعد عدد معين من الاستجابات الناجحة.

ويحدث إنطفاء الاستجابة عندما يتكرر إجراؤها ولا يأتي التعزيز، وتكون النتيجة أن تبدأ الاستجابة في التضاؤل بالتدريج بمعنى أن يقل معدل ظهورها حتى تختفي في النهاية تماماً.

ويعني التمييز عند سكنر تمييز مثير معين لا تحدث الاستجابة الإجرائية الا في وجوده. فإذا حدث أثناء تدريب الفأر على الضغط على الرافعة للحصول على الطعام، أن الطعام كان لا يقدم إلا في وجود ضوء معين. فإن الفأر سيتعلم أن يضغط على الرافعة عندما يوجد الضوء، ولن تحدث الاستجابة إذا لم يوجد.

أما التمايز فيختص بالإستجابات وليس بالمثيرات، ويحدث نتيجة تعزيز الإستجابة عندما تحدث بشكل معين أو بدرجة معينة، فإذا كان المطلوب هو أن يتعلم الفأر الضغط على الرافعة بقوة معينة، فإن تمايز هذه الاستجابة (إجراؤها بالشكل المطلوب) يحدث عندما يأتي التعزيز (أثناء التدريب)، فقط عندما يضغط الفأر على الرافعة بهذه القوة ولا يأتي التعزيز إذا جاء الضغط بقوة أقل أو أكبر.

تعقيب:

توصل سكنر من دراساته الى أن عملية التعزيز التي يتبع فيها الفعل مكافأة في الحال هي عملية أساسية في كل صور التعلم. وكانت النتائج التي توصلت اليها هذه الدراسات في مجال تدريب الحيوان مثاراً لاعجاب الكثيرين. كما ساعدت على ميكنة التدريس بإنشاء التعلم المبرمج

وما يتضمنه من الات التدريس المبرمجة مسبقاً والكتب المبرمجة هذا الى جانب الات الاختبار والتصحيح الاوتوماتيكي والمعينات السمعية والبصرية ومعامل اللغة وغيرها من الوسائل التي تعتمد على آراء سكنر.

وهو يقترح أن مبادىءالتعلم التي مكنت الحيوانات من القيام بانواع معقدة من السلوك يمكن أن تطبق أيضا على الانسان اذ يمكن تقسيم المهارات المعقدة الى عناصر صغيرة، والأخذ بيد المتعلم في الانتقال من خطوة لأخرى حتى يصل الى الهدف النهائي وتدعيم كل خطوة من هذه الخطوات، وهو ما يحققه التعلم المبرمج حيث يثير الرغبة والحماس عند المتعلم مما يدعوه لبذل الجهد في محاولات صادقة للتحسن.

كما يساعد التدعيم الدوري بانواعه على زيادة عدد الاستجابات الاحتياطية عند المتعلم ويقصد بها الاستجابات التي يستمر في ادائها قبل حدوث الانطفاء. ويعتبرها سكنر بمثابة إستجابات تحصيل وإنجاز إذ أنها تؤثر في البيئة وتعدل فيها بما يحقق أهداف الإنسان ويشبع حاجاته.

ويتفق رأي سكنر من حيث أن «السلوك يتعدل بنتائجه» مع ما يقترحه أصحاب الاتجاه السبرنيتي Cybernetics - والذي ظهر في نهاية الحرب العالمية الثانية نتيجة لبحوث Weiner ١٩٤٨ - بان السلوك يوجه ذاتيا على أساس التغذية المرتدة. وقد أجريت هذه البحوث وغيرها بغرض الكشف عن أفضل الوسائل لتدريب المجندين الأمريكيين على الأجهزة الالكترونية المعقدة عندما دخلت الولايات المتحدة الحرب. ويشار الى مصطلح «سبرنيتي» الى عملية التحكم والضبط الذاتي التي تتميز بها بعض هذه الأجهزة. ويرى وينر وجود علاقة أو أوجه شبه في عمل الآلة ذاتية التحكم وعملية الضبط الذاتي لسلوك الانسان[١].

(١) رمزية الغريب: التعلم: دراسة نفسية تفسيرية توجيهية القاهرة، الانجلو ١٩٧٧ م.

وتسوق رمزية الغريب مثالا عن هذا التشابه بالصاروخ الموجه ذاتيا نحو الهدف حيث يكون سفينة أو طائرة. ويزود هذا الصاروخ باجهزة مثل الرادار والاحساس بالحرارة.. الخ. ومهمتها الحصول على معلومات عن الهدف وتصحيح مساره على اساس هذه المعلومات وهو ما يمكن تشبيهه بعمليات التعدية المرتدة عند الانسان والتي تظهر بصورة واضحة إذا ما حاول طفل في السنة الأولى التقاط مكعب أحمر مثلا وضع أمامه على منضدة. إذ نلاحظ أن يد الطفل تتحرك الى الأمام والخلف والأجناب قبل أن تستطيع أن تصل الى المكعب وذلك في محاولات مستمرة منه لتصحيح مسار يده الى الهدف.

وقد أحدث كل من هذين الاتجاهين لسكنر وأصحاب المدرسة السبرنيتية تغيرا لا بأس به في التعلم.

ويمكن تلخيص التعلم تبعا لهذين المبدأين كالاتي:

(١) الالمام بمعلومات شاملة عن الفرد قبل التدريب من حيث سنه وشخصيته ومستواه لعقلي ومهاراته المختلفة وخبراته واعماله السابقة ولا سيما ما يتفق منها مع موضوع التعلم الجديد. فالفرد إذا ما الحق بعمل يتشابه مع مهنته قبل التحاقه بالجيش مثلا حقق تقدما أسرع في التدريب.

ويمكن على أساس هذه المعلومات السابقة تصنيف الأفراد الى فئات وإختيار نوع التعلم المناسب لكل فئة.

(٢) تحديد الهدف المطلوب التوصل اليه أو المهارة التي نبغي تعلمها ككل وعلى أساس الهدف يمكن تحديد الخبرات وأوجه النشاط اللازمة لهذه المهارة الى جانب تحديد الخطوات التي تقود في نهايتها المتعلم الى إتقان المهارة ككل واختيار انسب ترتيب لهذه المراحل.

ويلاحظ تزايد المهارات التي يطلب من الأفراد العسكريين آدائها

تعقيداً مع زيادة تطور الحروب ووسائلها، كما أنها تتنوع تنوعا بالغا باختلاف وظائف هؤلاء الأفراد ومهامهم. وغالبا ما تتضمن هذه المهارات جوانب حركية عقلية يمكن تقسيمها الى مراحل أساسية تقسم الى مراحل فرعية وهذه المراحل تقسم بدورها الى عناصر أصغر وهكذا حتى نصل الى أقل تقسيم ممكن بحيث لا يشكل في تعلمه صعوبة بالغة على الفرد.

وعلى هذا يتعلم الفرد في البداية مهارات أساسية مثل استخدام سلاحه وكيفية الانتقال من مكان لآخر في ميدان المعركة. وهي موضوعات تقسم الى عناصر فرعية مثل الالمام بخواص السلاح وطرق صيانته وكيفية حمله وملئه بالذخيرة وتفريغه منها. وهذه الموضوعات بدورها تتضمن عناصر أصغر. وينتظم الجنود في مجموعات صغيرة جدا يتولى تدريب كل منها معلم يشرح ويؤدي كل حركة والمجموعة تقلده وعليه يلاحظها خلال الآداء في كل حركة، وتعزيز ذوي الآداء الجيد بكلمات ثناء وتشجيع وكذا توجيه المخطىء كي تؤدي عمليات التغذية المرتدة وظائفها. ثم تنتهي هذه المراحل الاساسية بأول تدريب على الرماية، وفي جميع الأحوال يحقق المتعلم أكبر استفادة من مبدأ التغذية المرتدة كلما تمكن من التعرف على نتيجة آدائه في أسرع وقت.

وينتقل المتعلم بعد هذا التدريب الأساسي الى مراحل أخرى رئيسية (تنقسم أيضا على النحو السابق) تتضمن التدريب على بعض المعدات والعمل كفريق أو طاقم مع الآخرين الى أن تنتهي هذه المراحل كلها بمناورة كبرى مشابهة الى حد ما بما يمكن أن يؤديه الأفراد في ميدان المعركة. ومن المفيد الاهتمام بعوامل التدعيم الايجابي والسلبي لجميع الأفراد مهما تنوعت وظائفهم - بما فيهم القادة على إختلاف رتبهم - وذلك خلال كل هذه المراحل.

وهكذا كما هو الحال في جميع تطبيقات الاشراط الاجرائي يحدد السلوك النهائي الذي نبغي تحقيقه ثم ترتب الظروف لتشكيل السلوك بتعزيز الخطوات في الاتجاه المرغوب فيه. ويختلف الانسان عن الحيوان في هذا الصدد، فبالرغم من أن كلا منهما يتعلم تعلما واضحا من معرفة النتائج والتعزيز إلا أن الإنسان تكفيه معرفة النتائج فقط. وقد اتضح من دراسات كثيرة على وجود الاشتراط الاجرائي عند الانسان وان معرفة النتائج هامة لذلك. وهي على الأقل نوع من التأمين ضد إستمرار الأخطاء.

٤ - الاستعانة بمثيرات مساعدة تمكن الجندي من التوصل الى الاستجابة الصحيحة مثل:

أ - مثيرات تعتمد على التشابه وهي تتضمن لوحا ورسوم بيانية ونماذج مصغرة وتحت رمل وبيانات عملية وغير ذلك من وسائل تعطي صوراً واضحة لأوجه النشاط المطلوبة. وهي وسائل اصبحت ضرورية لأي نشاط تدريبي منذ الحرب العالمية الثانية.

ب - مثيرات تعتمد على التضاد والتي قد تكشف عن بعض جوانب قصور في سير التدريب وتوجه نظر الأفراد المتدربين للتغلب عليها مثل تمثيل العدو (أفراده ومعداته) في صورة هيكلية أو واقعية خلال مراحل التدريب المتنوعة لاختبار ردود الفعل من أفرادنا حياله ومدى فاعلية سلوكهم.

٥ - تصمم إختبارات دورية عقب كل مرحلة وأخرى نهائية لمحاولة مراجعة مواقف التعلم كلها التي مر بها الأفراد.

نظرية التعلم بالإستبصار:

تشكل المعرفة الانسانية بناء نسقيا من البحوث والفروض والنظريات. بمعنى أن أي بحث علمي جديد يتضمن عادة إضافة لما سبقه من دراسات. إذ أن الباحث عليه أن يلم جيدا بما سبق أن توصل اليه غيره في ميدان بحثه فيبدأ حيث انتهى الآخرون. ويتميز العلم بأنه جدلي بطبيعته. فليست هناك نظريات ثابتة بشكل مطلق لأن أية نظرية أو قانون ما هي إلا تصورات لمجموعة علاقات بين متغيرات تحت شروط معينة. والقانون العلمي لا يعتبر صادقا إلا تحت هذه الشروط[1]، وعندما يتاح للعلم إكتشاف شروط أخرى ومزيد من التحكم والضبط في متغيرات هذه الظاهرة وهو ما يحدث دائما سرعان ما تتغير هذه النظريات والقوانين. ويمكن تمثل هذه الفكرة بوضوح في ظهور نظريات التعلم.

فلقد كان بافلوف (١٨٤٩ - ١٩٣٦م) العالم الروسي يجري دراساته حول نظرية الارتباط الشرطي في نفس الآونة تقريبا التي تقدم فيها ثورنديك (١٨٧٤ - ١٩٤٩م) بنظريته عن المحاولة والخطأ أثر التجارب المتعددة التي أجراها في اميركا ثم تبعهم أعلام السلوكية مثل واطسن ١٩١٤م وهل ١٩٤٣م وغيرهما في محاولاتهم لجعل علم النفس علما موضوعيا راسخا يقوم على دراسة ظواهر قابلة للملاحظة والقياس ويشابه العلوم الطبيعية. وبالرغم من التقدم الذي تصور السلوكيون أنهم حققوه في هذا المجال فقد ظهرت في المانيا - وفي هذه الفترة الزمنية أيضا - مدرسة مختلفة تماما أوضحت جوانب قصور هامة في تفسير السلوكيين للتعلم، هي المدرسة الجشطالتية.

---

(١) أحمد فائق، محمود عبد القادر: مدخل الى علم النفس العام. القاهرة: الانجلو، ١٩٧٢م.

تمكن الجشطـالتيون من تصحيـح مفـاهـيم الـترابطيون حول مفهوم الادراك الحسي. اذ ليست هذه العملية تشكل مجموع الاحساسات التي ترد الى العقل عن طريق المثيـرات البصرية أو السمعية أو اللمسية وإنما هي عبارة عن معان كلية للأشياء مصدر الادراك. وتعني كلمة جشطالت أن الحقيقة الرئيسية في المدرك الحسي ليست هي العناصر أو الأجزاء التي يتكون منها المدرك وإنما الشكل أو البناء العام.

فالفرد يدرك الأشياء والمواقف ككل أو كوحدة، فإذا رأينا صورة جميلة أدركناها كوحدة ذات معنى واعجبنا بها ككل، فنحن لا ندرك اللون وحده ثم الشكل والحجم ثم نجمع بين كل هذا فيما يسمى صورة. والنغم وهو مقطوعة موسيقية يعزفها عدد كبير من الأفراد لا نستمع فيه الى كل عازف على حدة وإنما نستمع للنغم ككل واحد متناسق ونميزه عن غيره من الأنغام أو المقطوعات الموسيقية الأخرى.

وقد أنكر الجشطالتيون أيضا دراسة السلوك عن طريق تجزئته الى مثيرات واستجابات، فالسلوك - وهو كل متكامل - له خواص تميزه عن الأجزاء ولا نستطيع دراسة خواص الكل من جزء كما لا يمكننا دراسة خواص الماء من دراسة خواص الاوكسجين والايدروجين اللذين يدخلان في تركيبه. كذلك يرى الجشطالتيون ضرورة عدم فصل الكائن الحي عن بيئته لأن سلوك الإنسان في أي موقف من مواقف حياته هو نتيجة لتفاعل الفرد مع ما يحيط به من بيئة طبيعية أو إجتماعية فضلا عن أن إدراكه للمنبه الخارجي نفسه هو عملية سيكولوجية ولا تعتمد فقط على خواص المثير الطبيعي، فصوت طفل يبكي بالنسبة لأمه ليس مجرد مثير طبيعي أو ذبذبات ذات أطوال وسرعة معينة تؤثر على الخلايا السمعية للأذن وإنما هي عملية سيكولوجية تعني أكثر من مجرد مثير صوتي [١].

---

(١) رمزية الغريب: التعلم: دراسة نفسية تفسيرية توجيهية. القاهرة: الانجلو ١٩٧٧ م.

لم ينكر الجشطالتيون إمكان حدوث تعلم بالمحاولة والخطأ أو عن طريق تكوين رباط شرطي بين مثير وإستجابة ولكنهم كانوا يرون أن نتائج تجارب ثورنديك وباڤلوف لا يمكن أن تطبق على جميع مواقف التعلم وأن الحيوانات التي إستخدمت في هذه التجارب لا تمثل بالطبع جميع الكائنات الحية. فلم تظهر في هذه الدراسات أو غيرها دور التعقل او ما يسمى بالاستبصار وهو الجانب الذي يتميز به الانسان عن غيره من الكائنات. ويقصد بالاستبصار هو إدراك الكائن الحي لمباديء عمل عليه مواجهته أو مشكلة عليه يقع عبء حلها وهو أيضا رؤية العلاقات المناسبة بين اجزاء الموقف الذي يتضمنه العمل أو المشكلة.

وتتلخص التجارب التي أجراها الجشطالتيون في إعداد قفص كبير علق بسقفه موزا ووُضع فيه صندوق بحيث أن القرد الجائع متى وضع في القفص لا يستطيع أن يصل الى الهدف ما لم يصعد فوق الصندوق ويقفز وقد وضع داخل القفص ٧ من القرود. وقد حاولت القردة أن تصل الى الفاكهة بالقفز من الأرض دون جدوى. وقد توقف أحدها عن هذه المحاولة بسرعة وجعل يسير جيئة وذهاباً متململا. وفجأة توقف أمام الصندوق وأمسك به، وحمله مسرعا تجاه الهدف، وبدأ يصعد فوقه كي يصبح قريبا من الهدف، قافزاً إلى أعلى بكل قوته، وجذب الموز وحدث هذا بعد خمس دقائق من ربط الفاكهة. أما الفترة بين اللحظة التي تريث فيها أمام الصندوق وبين القضمة الأولى من الموز فلم تتجاوز بضع ثوان قليلة. وكان هذا فعلا مستمراً بعد التريث الأول الذي قام به. وحتى هذه اللحظة لم يلحظ أي من الحيوانات الصندوق، وذلك لأنها كانت جميعها منصرفة إنصرافا شديداً الى الهدف، ولم تشارك الحيوانات الستة الأخرى في حمل الصندوق. ولقد قام القرد بهذا العمل بيد واحدة وفي ثوان قليلة، ولقد راقب الملاحظ هذه التجربة خلال نافذة من خارج الحظيرة.

وكان هناك شيء سخيف غبي في العمل المدهش الذي قام به الحيوان، فقد إستطاع أن يدفع الصندوق ببراعة بحيث أصبح تحت الموز قبل أن يثبت من فوقه ولكن الجانب المفتوح من الصندوق كان في الجهة العليا، ولم يغير من وضعه هذا بل صعد ووقف على حافة الصندوق التي كانت بطبيعة الحال غير مريحة. ولم يضع الصندوق رأسيا بحيث يوفر عليه بعض الطاقة التي أضاعها. ولكن العمل كله كان سريعاً جداً، بحيث لا يسمح بوقت للقيام بهذه التحسينات.

ولقد أعيد الاختبار في اليوم التالي. وكان الصندوق موضوعا على أبعد مسافة من الهدف، أي على مبعدة خمسة أمتار، وبمجرد أن أدرك (سلطان)[1] الموقف أخذ الصندوق وجره معه، حتى أصبح تقريبا تحت الموز مباشرة ووثب من فوقه، في هذه المرة كان الجانب الأعلى من الصندوق مغلقاً وواضح من هذه التجربة تنبه سلطان لوجود صندوق في الحظيرة، وإدراك العلاقة بين الصندوق وإمكان الوصول الى الهدف.

وفي تجربة أخرى وضع الموزة في مكان مرتفع بحيث لا يتوصل اليها القرد ما لم يقفز فوق صندوقين الواحد منها فوق الآخر. وواضح أن هذه التجربة أكثر تعقيداً من سابقتها ذلك أنها تتطلب أمرين: الأول أن يصبح الصندوقان الأول والثاني جزءاً من نمط أو صيغة كلية للحل، والأمر الثاني إدراك مشكلة الجاذبية وما تتطلبه من وضع الصندوق الصغير فوق الكبير حتى يكون التركيب ثابتا. ويذكر كوهلر Kohler ١٩٢٥ م أن القردة قد أظهرت استبصاراً بإدراكها علاقة صندوق فوق الآخر، ولكنها لم تدرك كنه الثبات في وضع الصندوقين معاً، ولم تستطع القردة أن تتوصل الى هذا الثبات إلا بالمحاولة والخطأ[2].

---

(١) القرد الذي توصل الى الحل في المحاولة الأولى.

(٢) جابر عبد الحميد: سيكولوجية التعلم ونظريات التعليم. القاهرة: دار النهضة العربية، ١٩٧٨ م.

وقد أعد الجشطالتيون تجارب أخرى تعرف بتجارب مشكلات العصي وقد إقتضت هذه المشكلات إستخدام عصا أو أكثر لجذب الطعام الذي كان يوضع خارج القفص. ولوحظ أن الاستبصار يبدأ باستخدام العصا، ولو أنه كثيراً ما يكون الاستخدام خاطئا، كما يحدث حين يقذف القرد بالعصا تجاه الموز ويفقدها، وقد لوحظ أنه متى إستخدم شمبانزي العصا بنجاح كان يلجأ على الفور الى ما تعلم، ويستخدم العصا في المرات التالية وقد أعاد كوهلر هذه التجربة وزادها تعقيداً، وذلك بأن زاد المسافة التي تفصل بين الطعام والقرد بحيث لا يستطيع أن يصل الى الهدف باستخدام عصاً واحدة من العصوين اللتين تركا بالقفص. وقد حاول «سلطان» أن يجذب الموزة باحدى العصوين، ثم بالأخرى دون جدوى. ولما يئس ترك الهدف وجعل يلعب بالعصوين، ولم يلبث أن أدخل إحداهما في الأخرى بطريقة بدت عارضة وعندما أدرك القرد أنهما أصبحا عصاً واحدة جذب بها الموز، ولما أدرك «الفكرة» جعل يكرر تركيب العصوين المرة بعد الأخرى.

وقد لوحظ أن القرد «سلطان» لجأ الى إستخدام العصوين بنجاح عندما أعيدت التجربة. ومعنى ذلك: أن الاستبصار قد حدث وهو إدراك العلاقة بين العصا الطويلة والمسافة البعيدة عن الهدف. لقد جاءت تجارب الجشطالتيون في وقت كان المعلمون في اشد الحاجة الى ما تضمنته من أفكار. فلقد ساعدت أفكار السلوكيين، وعلى رأسهم واطسن الذي كان يرى مع تلاميذه أن البيئة بما لها من شد وجذب تؤثر في الكائن الحي الذي يستجيب لها بطرق أساسها الغباء. ومعنى هذا أن العودة الى نظرة أكثر إتزاناً - كنظرة كوهلر وكوفكا التي أكدا فيها مفهوم الاستبصار ودروه في التعلم - كانت بمثابة أمل جديد للمعلمين، وغيرهم ممن رأوا العودة الى إحترام التفكير والفهم. ولقد كان فضل

كوهلر عظيما في تخليص الفكر السيكولوجي والتربوي من سيطرة سلبية واطسن وثورنديك.

ويمكن استخلاص النتائج التالية من التجارب السابقة:

(١) أن الوصول الى الحل يأتي فجأة نتيجة ما يسمى «بالاستبصار».

(٢) أن الاستبصار يعتمد على إدراك وتنظيم أجزاء الموقف أي عندما تنتظم الأجزاء الضرورية للحل بشكل يسمح للحيوان بإدراك العلاقة بينها. ففي تجربة العصا مثلا كان القرد يصل الى الحل بسرعة إذا كانت العصا في الجانب القريب من الطعام.

(٣) متى توصل الحيوان الى الحل عن طريق الاستبصار أمكن له أن يكرره بسهولة.

(٤) أن هذا الحل يمكن أن يطبق في المواقف الجديدة. فالحيوان في تجارب الاستبصار لا يتعلم عادة أن يعمل بطريقه إليه وانما يتعلم علاقة بين وسائل وغاية. وقد وجد كوهلر إذا استبدل الصندوق بكرسي أو جذع شجرة فإن القرد يستخدمه في الحال للوصول الى الطعام.

(٥) يتطلب الحل بالاستبصار قدراً من الذكاء والخبرة السابقة، ولا يعني هذا أن الخبرة هي أهم الشروط لهذا النوع من التعلم بل إنه يعتمد على قدرة الكائن الحي على التنظيم الجيد للمجال الادراكي الذي يتطلب هو الآخر قدراً معينا من الذكاء.

تعقيب:

إذا كانت نظرية سكنر ومبادئه عن الاشتراط الاجرائي يمكن الاستفادة منها في تعلم المهارات الآلية المعقدة التي تتطلب أعمالا حركية تقتضي الدقة والسرعة وحسن الأداء - كما هو الحال في تدريب

الافراد الــذين يعملون كفريــق (أطقم) عــلى المعــدات المتوسطــة أو الثقيلة - فإن نظرية الجشطالت يمكن أن تساير المبادىء التي تتبع في تدريب القادة سواء كانوا مسئولين عن وحدات صغرى أو كبرى. وهو التدريب على حل المشكلات إذ يلاحظ كثيراً أن اخفاق القادة على إختلاف مستوياتهم في معالجة المشكلات التي تواجههم في ميدان الحرب قد يترتب عنه خسائر لا يستهان بها.

وتتنوع مثل هذه المشكلات تنوعاً بالغا بسبب ما وصلت اليه الحرب الحديثة من تطور. وعلى القادة حلها بحزم وسرعة في ظروف القتال الشاقة والمضطربة. ومنها على سبيل المثال ما يتعلق بإدارة الأفراد المرؤوسين ومنها ما يتعلق بتوفير ونقل الامدادت الى اماكن القتال، وسرعة إصلاح المعدات واستعواضها وأهم هذه المشكلات ما يتعلق بإدارة الافراد والمعدات داخل ميدان المعركة ومحاولة التوصل الى أفضل الحلول للتفوق على العدو. وهو ما يعرف بالمناورات التكتيكية والتي يتطلب اداؤها التفكير في تحقيق انسب استغلال للاسلحة والمعدات المتيسرة في حوزة القائد بحيث يساير هذا الاستغلال خواصها وكذا طبيعة أرض المعركة.

وحل المشكلات ليس الا نوعا من التعلم يشبه في طبيعته الأنواع الأخرى التي تتضمن علاقات معقدة ويخضع لقوانين مشابهة لها، فالقائد الذي يعمل على حل مشكلة لديه دافع لمواجهتها ويتطلب هذا النوع من التعلم «إستبصاراً» أي إكتشافا للعلاقات بين الوسائل - وهي مختلف الاسلحة والأفراد والمعاونات وأماكنها على الأرض وطرق التعاون والاتصال فيما بينها - والغايات وهي صد هجوم للعدو مثلا، أو تدميره أو تحقيق حماية جوية من طيرانه.

ويمكن التدرج في هذا التدريب التكتيكي أو الميداني حيث يصمم

في المراحل الأولى منه مشكلات مناسبة ومُبسطة للقادة في بداية التدريب حتى يسهل عليهم حلها. وتعرض عليهم هذه المشكلات في بادىء الأمر صورة مواقف ممثلة على تخت رمل أو خرائط أو على الأرض مباشرة وبدون جنود أو باستخدام نماذج هيكلية. وكل هذه الوسائل السابقة تحقق توفيراً للتكاليف والجهد الى جانب إمكانية سهولة تكرارها وتنويعها لتنمية مهاراتهم على التصرف الصحيح والسريع عندما يعاد تدريبهم عليها مرة أخرى وذلك أثناء التدريب الواقعي بالجنود أو عندما تواجههم في أثناء ظروف القتال الفعلية.

ويلاحظ أنه يسهل انتقال أثر التعلم كلما كانت طريقة الممارسة مشابهه بدرجة كبيرة للظروف التي سوف تستخدم فيها المهارة أو المعرفة فعلا. كما أن مثل هذا التعلم يقلل من الملل ويحقق مستوى عاليا من الدافعية والكفاية في التدريب. ويرى الجشطالتيون أن المشكلة الجيدة هي بمثابة دافع جيد يدفع الفرد الى التعلم وهي في المرتبة الثانية تساعده على الوثوق في قدرته على تصريف شئونه بنفسه.

وعموما، فإن أفضل طريقة لاكتساب المعلومات كما يراها علماء الجشطالت هي أن يصل اليها المتعلم بنفسه وبناء على إستبصاره الذاتي مما يجعلها اثبت في ذاكرته وأكثر وضوحاً، ولن يتسنى له ذلك إلا إذا مارس حل المشكلات. ولكن إعداد هذه المشكلات للقادة في مجال التدريب ليس بالامر الهين ولكنه يتطلب بدوره مستوى عالٍ من الكفاءة والتخصص العالي الفني في المادة العسكرية موضوع التعلم ذاته وجهداً لا يستهان به.

التعلم بالملاحظة

عندما يتغير سلوك حيوان ما بطريقة دائمة نسبيا، كنتيجة لملاحظة أفعال حيوان آخر، فإن علماء النفس يسمون هذه الظاهرة بالتعلم عن

طريق الملاحظة، أو التعلم الاجتماعي، أو الاحتذاء وفقا لنموذج معين Modeling أو المحاكاة Imitation وتتعلم كل من الكائنات الحية البسيطة والمعقدة من خلال الملاحظة. وقد لوحظت تلك العملية لدى الأطفال حديثي الولادة ويعتقد أنها موروثة.

ويعتقد عالم السلوك ألبرت باندورا Albert Bandura بجامعة ستانفورد والذي أجرى قدراً كبيراً من الدراسات على هذه العملية الأساسية - أن أي شيء يمكن تعلمه مباشرة يكون في الامكان تعلمه بالنيابة أو يعوض عن طريق ملاحظة الآخرين. وان التعلم بالملاحظة «يختصر» عملية التعلم. حيث قال باندورا: إذا كان على الفرد أن يعتمد كلية على أفعاله ليتعلم، فإن معظمنا لن يعيش أبداً عملية التعلم. وعندما نستخدم مصطلح التعلم بالملاحظة فإننا لا نقصر الأثر الناجم عنه على المحاكاة الدقيقة. ففي كثير من الحالات، يشتق الأفراد قواعد ومبادىء عامة للسلوك تسمح لهم بتجاوز ما يرونه ويسمعونه. مثلا، على الرغم من أن أطفال عائلة ما قد لا يستخدمون تعبيرات الوالدين بدقة، لكنهم يتعلمون أساليب التفاعل المستخدمة واستراتيجيات حل الشكوى والظلم. وبملاحظة كل فرد للآخر، يكتسب الناس عددا هائلا من الاستجابات، وتتضمن مجموع الكلمات التي يستخدمها الفرد، وأساليب الكلام، والأنشطة الجسمية الروتينية، والآداب والقواعد الاجتماعية، والأساليب السلوكية المرتبطة بالأدوار الاجتماعية للنساء والرجال، والعمال، والأزواج، والآباء.

وتتضمن عملية التعلم بالملاحظة مرحلة إكتساب حيث يلاحظ فيها المتعلم نموذجاً يسلك بطريقة معينة ويتعرف على الملامح المميزة لسلوك هذا النموذج ويلي هذا مرحلة الحفظ وفيها تختزن إستجابات النموذج بطريقة فعالة في ذاكرة المتعلم أما المرحلة الثالثة فهي مرحلة الآداء

وتبدأ عندما يتم قبول سلوك النموذج على أنه مناسب بالنسبة للمتعلم وأنه من المحتمل أن يؤدي الى نوع من الاثابة - مهما اختلفت صورها - للمتعلم[1].

ويلاحظ أن هذا النوع من التعلم يلعب دوراً هاما في التدريب العسكري، ويظهر هذا في أعمال التدريب على المهارات الحركية كتعلم العمل على الأجهزة والاسلحة المختلفة. اذ يقوم المعلم بتجزئة المهارة الكلية في العادة الى حركات يتولى شرح كل منها أمام الجنود الذين يكونون مجموعات صغيرة تصطف أمامه في أرض التدريب، ثم يؤدي الحركة المطلوبة أمامهم ويطلب منهم تقليده وعليه مراقبتهم للتأكد من أن الجميع قلدوه بطريقة صحيحة قبل أن ينتقل الى الحركة التالية حيث يكرر هذا الاسلوب مرة أخرى وهكذا.

ويصح أيضا التعلم بالملاحظة في البيانات العملية والتي عادة ما تسبق مراحل المناورة العسكرية الفعلية. والبيان العملي كما هو معروف نموذج محكم ومرتب ودقيق من المناورة الحربية يقدم ويعرض بواسطة أفراد اكفاء ليشاهده باقي أفراد الوحدة أو التشكيل المقاتل ثم يحاولون تقليده عندما يؤدون المناورة الحربية الحقيقية.

تعقيب على نظريات التعلم:

إختلفت النظريات في درجة صعوبة التجارب التي استخدمتها حيث استخدم الشرطيون تجارب بسيطة للغاية وكانت تتطلب من الكائن الحي أقل مجهود ممكن حيث تحل إستجابة مكان إستجابة أخرى بتلازم مثيرين وإستجابة. وعلى النقيض من هذا النوع من التجارب توجد

---

(١) حسين عبد العزيز الدريني: المدخل الى علم النفس. القاهرة: دار الفكر العربي، ١٩٨٣م.

التجارب المعقدة التي تحتاج الى إستبصار وفهم من الكائن الحي حيث توجد أمامه مشكلة يريد لها حلا. ويكتشف أن وسائله السابقة وخبراته الماضية لم تعد توصله للحل وأن عليه أن يتبين علاقات معينة في المواقف وينظمها بطريقة معينة توصله الى الهدف وخير مثال لذلك تجارب الجشطالتيون.

وبالرغم من وجود بعض الاختلاف بين نظريات التعلم السابقة إلا أن هناك بعض أوجه اتفاق بينها يمكن إيجازها فيما يلي:

(١) التأكيد على أهمية الدافع فهو الذي يستثير الكائن الحي ويحركه في إتجاه معين يحقق له الاشباع. فالجائع ينشط بحثا عن الطعام لا الماء. ويؤدي الدافع الى إختيار الاستجابة الصحيحة الموصلة الى الاشباع. فلقد تعلم الفأر في تجارب سكنر أن يضغط على الرافعة ليحصل على الطعام لا أن يدور في القفص أو يعض القضبان. هذا وقد اعتبر الطعام نوعا من الاثابة في إثارة الدافع عند الحيوان نحو التعلم.

ويمكن إثارة الدافع لدى الأفراد للتعلم بطرق متعددة، ومن هذا مثلا أن يسبق تدريس أي موضوع معين - سواء كان هذا التدريس يتم في صورة محاضرة أو بيان عملي أو مناورة - عملية تلقين معنوي. ويتضمن هذا التلقين عناصر مثل ابراز أهمية الموضوع بالنسبة لتحقيق الكفاءة العسكرية للفرد والوحدة والوطن وأن هذه الكفاءة جزء لا يتجزأ من عملية بناء المجتمع والمحافظة على قيمه الدينية والجهاد في سبيل الله. هذا الى جانب أمور مثل توضيح العلاقة المباشرة بين الهدف من الالمام الجيد لموضوع التدريب والواجبات الوطنية أو القومية.

ويعتمد بعض الضباط أو القادة على العقاب إعتقاداً منهم أنه الوسيلة الاساسية التي لا غنى عنها لحسن الآداء أثناء التدريب. وقد يصلح العقاب في ظروف خاصة ومع بعض فئات من الاشخاص

المنحرفين للمساعدة على تقويمهم إلا أنه لا يصح اتباعه كمبدأ رئيسي لاثارة الدافعية عند المتعلم فبالاضافة الى أنه يولد كراهية مستترة وعداء نحو الشخص مصدر العقاب - قد يظهر بصورة واضحة وقت المعركة وربما يؤدي حوادث اعتداء على مستخدمي العقاب - لـه أيضا آثار ضارة متعددة.

فمعظم البحوث والنظريات السيكولوجية تؤكد أهمية الاثابة وتفضلها على العقاب. كما اتضح ايضا ان نتائج العقاب حتى وان أدت الى بعض التقدم في التعلم إلا أن هذا التقدم أقل استمراراً في الأثر من ذلك الذي تحققه الاثابة. ومن ثم فإن تأثيره في عملية التعلم ضعيف.

وقد يؤدي العقاب أحيانا الى كف السلوك لدى بعض الجنود أو اصابتهم بتبلد وفقدان الاتزان الإنفعالي أو الشعور بأنهم أقل من غيرهم.

وتوكد معظم البحوث السيكولوجية أهمية الاثابة للتعلم. فهي تستثمر النشاط والحيوية والرغبة في اثبات الذات والحصول على التقدير وكلها حاجات أساسية ودوافع جيدة للتعلم في المجتمع العسكري. وقد تأخذ الاثابة شكل الجوائز المادية والهدايا أو غير المادية كالتقدير والاستحسان وتزداد قيمة التقدير كلما كان أثناء الطوابير اليومية العادية أو في لقاءات بين قائد الوحدة والجنود حتى يكون على مرأى ومسمع من جميع الأفراد.

ومن الوسائل الأخرى التي تمكن من إثارة الدافعية لدى المتعلم أيضا هو صياغة الموضوعات المراد التدريب عليها في صورة مشكلات تثير الرغبة في الوصول الى حل لها. هذا الى جانب وسائل أخرى مثل التنافس بين الأفراد في مواقف آداء عملية مثل اكتشاف عطل بسيط في مدفع أو سيارة مدرعة. وسرعة الاصلاح، أو السرعة والدقة التي

يتمكن بها طاقم مدفع من اعداده للرماية. وغير ذلك من موضوعات. كما تساعد أيضا المناورات الحربية ذات الجانبين على إثارة الدافعية لدى الافراد حيث يحاول كل جانب منهما الحاق الهزيمة بالآخر. ويمثل أحد الجانبين الجيش الحقيقي للدولة المعادية في أساليب القتال.

(٢) توضيح دور التدريب في التعلم ولقد اتخذ التدريب مظهر تكرار السلوك الهادف الناجح في تجارب باڤلوف وسكنر وثورنديك، كما أكدت بحوث عديدة على أهمية التدريب لتعديل الاسلوب غير المناسب الذي يستخدمه الفرد في التعلم على أن يكون موجها أي يؤدي الى إستبعاد الاستجابات الخاطئة والاحتفاظ بتلك الصائبة الموصلة الى الهدف.

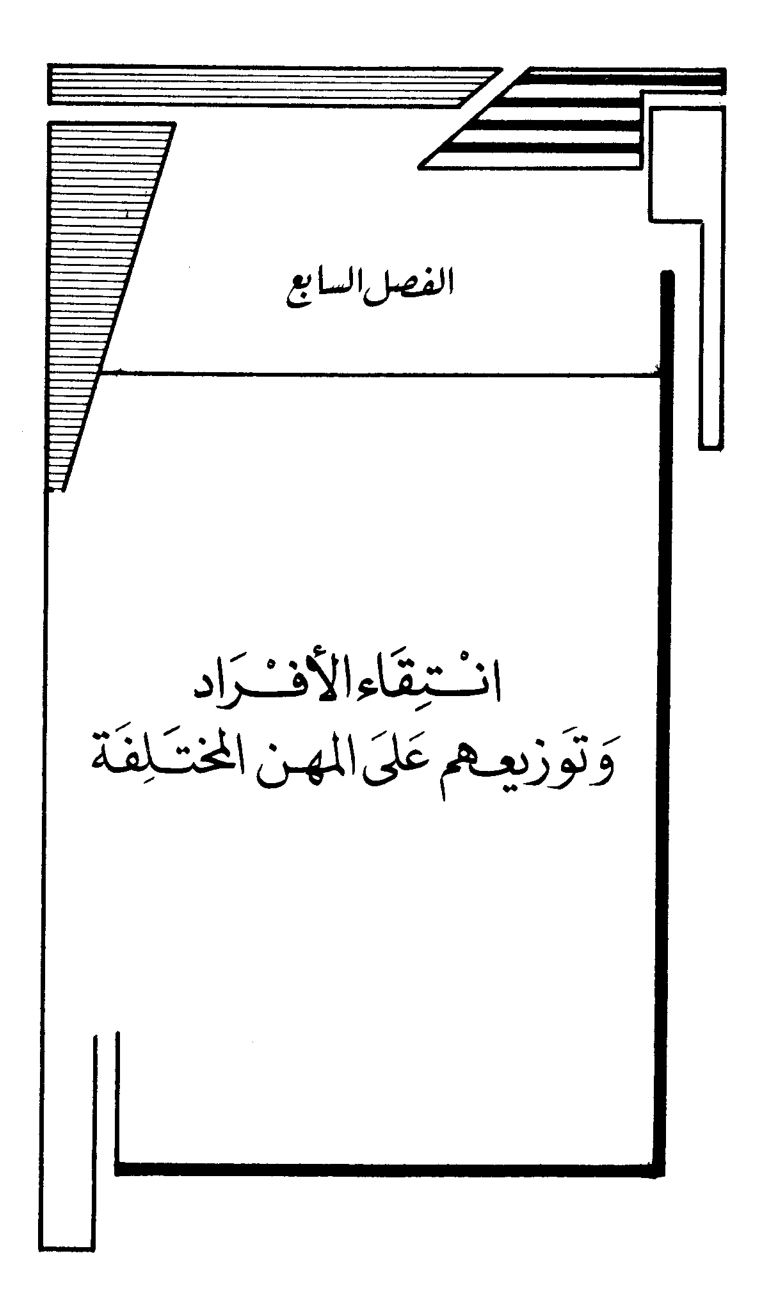
(٣) تتفق مدارس التعلم المختلفة على أن انتقال اثر التدريب من موقف الى آخر يتناسب مع درجة التشابه بين الموقفين في المعنى أو في التركيب. ولقد دلت كثير من تجارب السلوكيين عن التعلم ان انتقال أثر التدريب من مظاهر التعلم الشائعة. وعلى هذا فكلما كان التدريب يتم في ظروف مشابهة لتلك التي تحدث في المعركة كلما ساعد هذا على انتقال أثر التدريب وحقق الفائدة المرجوة منه. وتلجأ الجيوش الحديثة إلى عديد من الاجراءات لتحقيق هذا التشابه بما يعرف بالواقعية في التدريب.

ومن أساليب تحقيق الواقعية في التدريب اقامة الموانع في طريق تقدم القوات مثل الاسلاك الشائكة وسدادات الطرق وإطلاق النيران من القوات التي تمثل العدو سواء كانت أرضية أو جوية مع مراعاة احتياطات الامان الضرورية، وتعريض الوحدات القائمة بالمناورة لاصوات انفجارات مستمرة هذا الى جانب تعريض القادة الاصاغر الى ضغط شديد من الرئاسات الاعلى في طلب مهام قتالية كثيرة وفرض مواقف تتميز بالصعوبة بغرض تدريبهم على حلها. هذا ويمكن إستخدام

منشورات الحرب النفسية والاذاعات الصوتية في المشروعات التكتيكية ذات الجانبين لابراز مضمونها وأهدافها للقوات وإعدادها لأعمال الحرب النفسية التي يمكن أن يقوم بها العدو في المستقبل.

(٤) يتضح مما سبق أهمية تكوين العادات كي يتم التعلم وعلى هذا فإن تعويد الجندي على أساليب عمل معينة يسهل له مهامه في القتال ويجعله لا يتردد كثيراً في المواقف التي يفيد فيها إستخدام هذه الاساليب ما دام قد اطمأن الى النتائج التي تحققها، وتبرز هنا أهمية البند السابق من حيث الاهتمام بالجانب العملي الواقعي في تعلم الأفراد العسكريين مثل إعداد أراضي وميادين التدريب إعداداً جيداً وما يتطلبه هذا من حفر الخنادق اللازمة وتجهيز نماذج ذات احجام مشابهة لدبابات واسلحة العدو وميادين رماية متطورة وإنشاء دشم خفيفة فقط قوية وغير ذلك من وسائل مساعدة على التدريب العملي.





الفصل السابع

انتقاء الأفراد وتوزيعهم على المهن المختلفة

الفصل السابع

انتقاء الأفراد وتوزيعهم على المهن المختلفة

أدرك البريطانيون في القرن الماضي أن من أهم صفات القائد العسكري أن يفهم قبل كل شيء قدرات جنوده وضباطه وطاقاتهم وتكوين وإمكانيات وحداته الفرعية الصغرى التي يقودها (كالجماعة والفصيلة والسرية... وهكذا) قبل أن يجمع قواته وينظمها ويدربها إستعدادا للدخول في معركة مع العدو. ولم تكن شجاعة الجندي واستبساله في القتال - في رأي القادة البريطانيين القدامى - يكفيان وحدهما لإحراز النصر ما لم يمتلك المهارة والقدرة على إستخدام السيف أو البندقية. كما أن الخدمة العسكرية لم تكن قد اتخذت طابعها الفني التخصصي الدقيق الذي نراه في عصرنا هذا بعد أن بلغ التسليح هذا التطور الهائل الذي نراه اليوم.

وإذا استبدلنا السيف أو البندقية غير الآلية - وهي الأسلحة التي كانت تستخدم قديما - بالأسلحة الصغيرة الرشاشة أو البندقية الصاروخية أو المدفعية بأنواعها والدبابات، لتطلب الأمر قدرات ومهارات أعلى مستوى وقس على ذلك الأسلحة الأخرى المتطورة.

ولقد تمخضت الحرب العالمية الثانية وما أعقبها من حروب كالحرب الكورية وحرب فيتنام. عن تشكيلة واسعة من الأسلحة لم يسبق لها

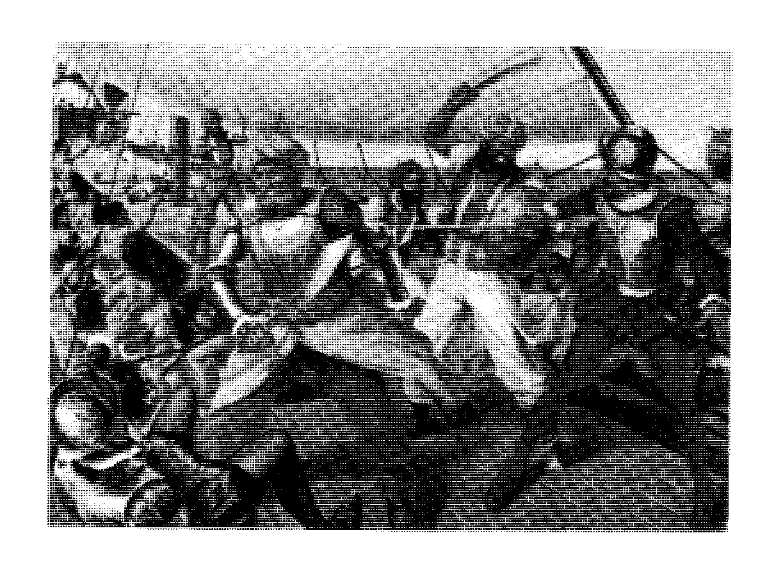
مثيل في التاريخ العسكري. إذ كانت المدافع مثلا في بداية استخدامها في الحروب توجه بالبصر وحده وتطلق بواسطة إشعال فتيل، فأصبحت اليوم لها رادارات تحدد لها مسافات أهدافها واتجاهاتها، ولها آلات لتحديد التنشين «للناشنكاه» وآلة أخرى للتعمير وثالثة للإطلاق. فقد تعقدت أجهزة المدافع وتعقدت تبعا لهذا واجبات العمل عليها وتطلب الأمر بذلك مجموعة متنوعة من المهارات لا بد من توافرها في أفراد الطاقم كل فيما يخصه. كما تطورت أيضا الدبابات تطورا سريعا وأصبحت العمود الفقري في جميع جيوش العالم.

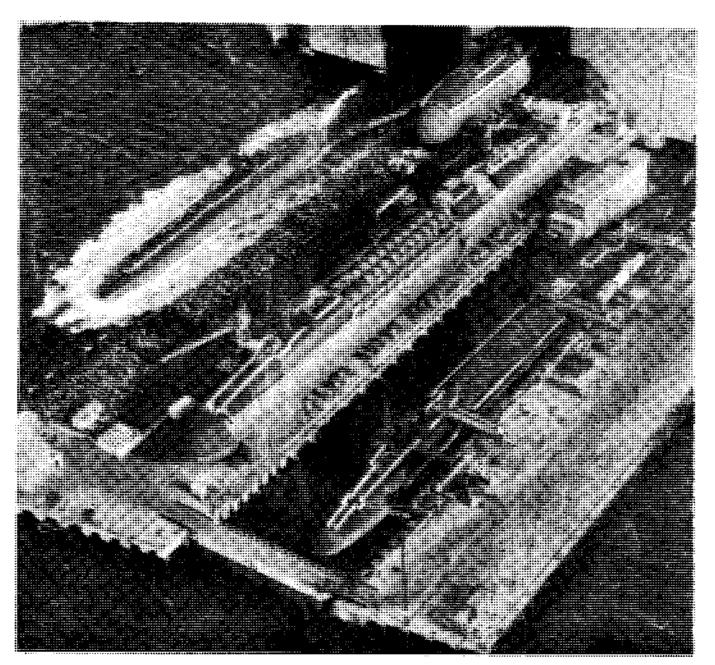
وبعد اختراع الطائرة استخدمت في الحرب العالمية الأولى على نطاق ضيق للقيام بمهام ثانوية، ولم تأت الحرب الثانية - بعد ربع قرن - إلا وكان السلاح الجوي عنصراً أساسياً في المعارك، لعب فيها دوراً حاسماً. حيث شهدت معركة نورماندي مثلا حشداً لأكبر أسطول جوي - عرف حتى ذلك الحين - قام بدور رئيسي في غزو أوربا. ولقد حقق السلاح الجوي تطورا هائلا في ربع قرن، يفوق ما حققته أسلحة أخرى في ٢٢ قرنا من الزمان، وأصبح مستقبل الجيوش يعتمد على الجو والسيطرة عليه.

وقد تطور التسليح كذلك في الأساطيل البحرية لجيوش العالم إلى الآلية الميكانيكية والالكترونية. وأصبحت هذه الجيوش منظمات معقدة يتطلب العمل فيها قدرات على مستوى عال من التخصص[١]. وأصبحت الآلة لا تستطيع أت تؤدي وظيفتها بنجاح إلا إذا أدى الرجال الذين يعملون عليها ويديرونها وظائفهم بنجاح أيضا.

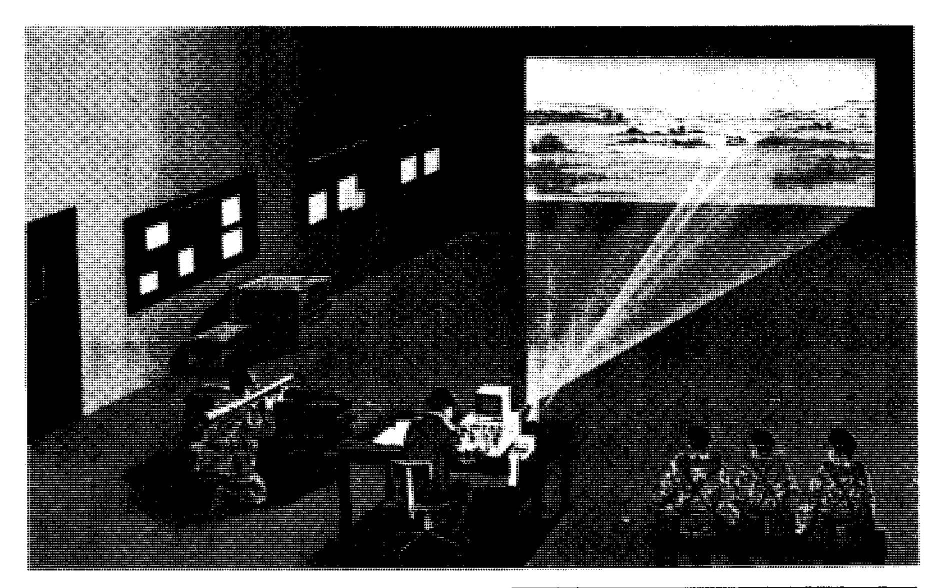
---

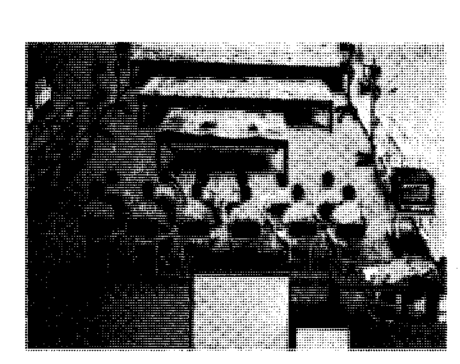
(١) عبد المحسن كامل مرتجى، محمود خيري بنونة: العمليات الحاسمة في تاريخ جنود الجو. الاسكندرية: المكتب المصري الحديث للطباعة والنشر، ١٩٧٠م.

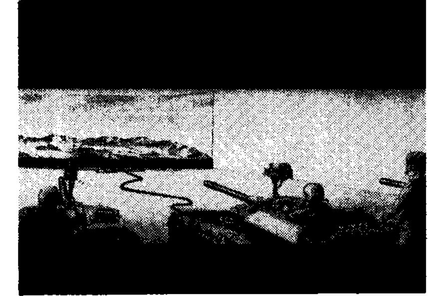




يتطلب التطور في المعدات مستوى عال
من القدرات الفنية
عما كانت عليه في الحروب القديمة









لازم التطور في المعدات
تطور في وسائل التدريب

وعلى هذا فالمشكلة الأساسية التي تصادف المختصين في العمل الفني العسكري هي معرفة طبيعة هذا العمل لتحليل مقتضيات أدواته ووسائله ثم معرفة طبيعة الأفراد الذين سيعملون على هذه الأدوات والآلات لكي يعين الأصلح منهم ليقوم بالعمل الذي يتناسب مع قدراته. وهي نفس المشكلة التي واجهت السلطات العسكرية للجيوش المقاتلة في الحربين العالميتين. فحينما قامت الحرب العالمية الأولى كان كثير من الأسلحة المعقدة قد برز إلى الوجود كالطائرات والدبابات والغواصات والأجهزة اللاسلكية كما كانت الأسلحة القديمة كالمدفعية قد تطورت فبلغت هي الأخرى مستوى أعلى من التركيب وثبت لدى القيادات المختلفة أن أداء هذه الأسلحة الآلية لوظائفها يتفاوت في جودته بتفاوت القائمين بإدارتها في حسن استعمالها لها. فكان من الطبيعي أن تلجأ هذه القيادات إلى علماء النفس ليتولوا بوسائلهم العلمية مهمة إنتقاء الأفراد وتوزيعهم على الأعمال المختلفة. ففي ألمانيا وفرنسا وإيطاليا والولايات المتحدة وبريطانيا عمل السيكلوجيون على وضع إختبارات لبعض الخدمات الحربية مثل وظائف المراقبين الليليين والملاحين والسائقين والعاملين على آلات التلغراف وأجهزة مكافحة الغواصات[1]. وفي الولايات المتحدة بالذات قام نشاط كبير من جانب علماء النفس لتطبيق علم النفس ووسائله الاختبارية في مضمار القوات المسلحة وإنشئت سبعة عشر لجنة لبحث المشاكل السيكلوجية العسكرية تحت إشراف المجلس القومي للأبحاث.

---

(1) Vernon, P& Parry, J: Personnel selection in the British forces,London: University of Lodon Press 1949.

وقامت هذه اللجان ببحث كثير من الموضوعات الهامة كان من بينها إختبار المجندين من حيث الذكاء أو المقدرة العقلية لمعرفة صلاحيتهم أصلا للخدمة العسكرية على وجه العموم ثم اختبارهم فيما لديهم من إستعدادات خاصة حتى يمكن إجراء الانتقاء بينهم وتوزيعهم على الخدمات المختلفة ويماثل ذلك إنتقاء الضباط ومن يتولون مراكز القيادة والطيارين والملاحين الجويين. يضاف إلى ذلك عدة أبحاث تتعلق باستخدام الوظائف الأساسية كالبصر والسمع وما يتعلق بهذا الاستعمال من مسائل سيكلوجية.

على أن هذا النشاط برغم سعة مجاله بالنسبة للدول الأخرى قصر عن تناول الاستعدادات اللازمة للتدريب المتخصص على مستوى عال. إذ كانت محاولاته الاختبارية في هذا الصدد ضئيلة وقليلة ولا تزال في مرحلة تجريبية ولا نجد أمامنا إختبارا طبق على نطاق واسع واعتمد على أنه وسيلة مقننة للقيام بعملية إنتقاء واسعة (إذ طبق على حوالي مليونين من الجنود الأمريكيين) سوى الاختبار العقلي الذي ضم مجموعة من المقاييس العقلية السائدة حينذاك وسميت بالاختبارات العقلية لجيش الولايات المتحدة. وتعرضت هذه المجموعة لكثير من التعديل والتغيير لتوجيهها الوجهات القياسية الصحيحة حتى إنتهت إلى مجموعة معتمدة من الاختبارات يبلغ عددها ثمانية عرفت بإختبار الفا. ولما كان هناك عدد من الجنود لا يجيد اللغة الانجليزية وتعليمات هذا الإختبار مكتوبة بتلك اللغة فقد صمم إختبار آخر مماثل لاختبار الفا يسهل شرح المطلوب أداؤه فيه بالاشارة وبإستعمال أقل عدد من الكلمات فكان الممتحن يقوم بالتمثيل لأداء المطلوب في الإختبار على سبورة أمام المختبرين وعرف هذا الإختبار بإختبار بيتا. وقد أدى هذا الاختبار وظيفته بنجاح من حيث كونه وسيلة علمية للإنتقاء وثبتت فائدة إستعماله في التمييز بين مستويات ثلاثة في المقدرة العقلية العامة:

المستوى الممتاز والمتوسط والمنخفض، وبذلك أمكن توجيه أصحاب المقدرة الممتازة إلى التدريب على القيام بوظائف الضباط وضباط الصف وغيرها من الوظائف التي تتطلب قدرات خاصة. وتوجيه ذوي المقدرة المتوسطة إلى التدريب على القيام بالخدمات العملية التي تتطلب مجهوداً جسمانيا فقط.

وأخيرا استبعاد أولئك الذين هم دون المستوى المطلوب، كما أمكن تحقيق الاتزان[١] في توزيع مستويات القدرة على الوحدات المختلفة وتعيين أفراد من ذوي المستوى الواحد مع بعضهم البعض وبالتالي ايجاد جماعات متجانسة يسهل تدريبها.

الفروق الفردية

إذا نظرنا إلى جنود وحدة عسكرية صغيرة في مستوى السرية أو الكتيبة أثناء تجمعهم في بداية الطابور الأول، نجد أن أقلية منهم طوال القامة وأقلية قصار القامة أما الغالبية فهم متوسطوا الطول، كذلك بالنسبة للخصائص الجسمية الأخرى كالوزن مثلا حيث نجد أقلية ذات وزن ثقيل وأقلية ذات وزن خفيف أما الغالبية فهم متوسطوا الوزن، وينطبق نفس التوزيع على حاسة الابصار، فالأقلية حادوا البصر والأقلية الأخرى ضعيفوا البصر أما الغالبية فهم متوسطون في حدة الابصار. فإذا إنتقلنا إلى خصائص الأفراد العقلية كالذكاء نجد أن

---

(١) يقصد بهذا إيجاد نوع من التقارب في عدد الأفراد من ذوي مستوى الكفاءات المتماثلة في كل وحدة عسكرية وأمثالها من الوحدات الأخرى، بحيث لا تضم وحدة عسكرية مثلا معظم الأفراد ذوي القدرات المتوسطة في مهارة ما وتستحوذ الأخرى على معظم الأفراد المتفوقين في قدراتهم في نفس المهارة.

الأقلية مرتفعوا الذكاء وأقلية أخرى منخفضة الذكاء أما الغالبية فهم متوسطوا الذكاء. وهكذا أيضا بالنسبة للمظاهر السلوكية في المجتمع العسكري كالتقدم في التدريب فهناك أقلية من الجنود تكون منخفضة في آدائها أثناء التدريب وأقلية مستواها مرتفع في اتقان المهارات اللازمة وإستيعاب موضوعات التدريب العملية أو النظرية، أما الغالبية فهم متوسطوا الآداء والاستيعاب.

هذه الأمثلة كلها توضح معنى الفروق الفردية، أي إن هناك إختلافات موجودة بين الأفراد في الطول أو الوزن أو حدة الابصار أو الذكاء وغيره من الجوانب المعرفية أو في الخصائص المزاجية الانفعالية كالانطواء والانبساط والاتزان الانفعالي والخنوع والسيطرة، وعلى أساس هذه الاختلافات يمكن أن يظهر هناك تفاوت كبير بين الأفراد في أسلوب آدائهم للاعمال من حيث السرعة والدقة والاتقان ومدى حرصهم على الالتزام بالمبادىء الخلقية في الآداء، فلكل فرد شخصيته التي تميزه عن غيره سواء من حيث قدراته المعرفية أو خصائصه المزاجية والانفعالية والجسمية.

١ - أهمية الفروق الفردية:

للفروق الفردية أهمية كبيرة في مجالات متعددة منها:

أ - التدريب:

الأفراد يختلفون في مكنونات شخصياتهم (قدرات معرفية أو سمات انفعالية أو خصائص جسمية)، وهذه الاختلافات تؤثر في مدى صلاحية كل منهم لنوع معين من التدريب فليس كل فرد بقادر على تعلم التعامل مع الآلات الالكترونية مثلا بنفس الدرجة من المهارة والكفاية. وهكذا بالنسبة لسائر المعدات والاسلحة الأخرى.

وعلى هذا يمكن تقسيم الأفراد في الوحدة أو في مراكز التدريب أو غيرها من المنشآت التعليمية الى مستويات وفق قدراتهم وتقديم موضوعات التدريب المناسبة لكل مستوى كما يلاحظ أن ساعات التدريب اللازمة لاعداد الفرد يمكن أن تقل إذا ما وجه إلى مهنة كان يعمل فيها قبل التحاقه بالجيش.

ب - الاقتصاد في القوى البشرية:

كما تختلف موضوعات التدريب فيما تحتاج اليه من قدرات وميول لكي ينجح الفرد فيها، تختلف كذلك المهن فيما تحتاج اليه من قدرات وميول ومهارات واستعدادات، ولعل من أهم مقومات نجاح العمل في المجال العسكري هو بدء وضع الجندي المناسب في المكان المناسب. والعمل في الجيش لا يقتصر - كما يتصور البعض - على نواحي عسكرية فردية مثل إجادة الرماية أو قيادة الدبابة والطائرة وإنما يتضمن أيضا مئات الأعمال المختلفة بعضها له صلة مباشرة بالعمليات القتالية والبعض الآخر ليس له صلة مباشرة بهذه العمليات. وهذا التنوع في الأعمال يقابله من ناحية أخرى اعداد كبيرة من القوى البشرية المطلوبين للتجنيد أو المجندين حديثا والذين تتباين قدراتهم المعرفية وخصائصهم المزاجية والانفعالية والجسمية ويلزم توجيههم إلى العمل الذي يتناسب معهم(١).

ومن المحتمل اذا ما وجه الأفراد إلى العمل في مهن لا تتناسب مع قدراتهم وإمكانياتهم أن يقضوا فترة طويلة من التدريب قد تبلغ شهورا بل سنوات، وهو أمر يكلف الدولة أموالا طائلة، وربما لا ينجحون

---

(1) Ginzberg, E. «Toward a theory of occupational choice». New York: McGraw-Hill, 1961.

أيضا في نهاية الامر. مما يترتب عنه إعادة تدريبهم من جديد للعمل في مهن أخرى.

وقد لا تقارن هذه الخسارة الاقتصادية التي تحدث من تغيير مهنة الفرد بضخامة الخسارة التي يمكن أن تحدث في المعدات (أو نتيجة الخطأ في آداء الفرد أثناء العمليات) وذلك إذا استمر الفرد في العمل الذي لا يلائمه. ومن الأمثلة البسيطة على هذا أن المركبات بأنواعها - وبخاصة الشاحنات ذات الحمولات الكبيرة أو المخصصة لنقل الدبابات - تحتاج إلى أفراد يحسنون قيادتها وصيانتها إذا عملت عبر الاراضي لفترات طويلة. ذلك أن الجهل والاهمال يساعدان على سرعة اعطالها واستهلاكها وما قد يترتب عن هذا من تعطيل توصيل الامدادات وما قد ينجم عن هذا من اعاقة للمهام العسكرية في مواجهة العدو.

جـ - رفع مستوى الكفاءة القتالية للوحدات:

وجود أصلح الأفراد للتخصصات المختلفة بالوحدة من سائقي مركبات بأنواعها ورماة وعمال اشارة واصلاح معدات وغير هذا من مهن يساعد الوحدة في مهامها وقت التدريب وأثناء الحرب، ولا شك أن الجيوش المتطورة تعتمد تماما على التخصص المهني، والمعدات الحربية والاسلحة الحديثة تحتاج إلى أفراد فنيين مؤهلين ومدربين حتى يمكن تحقيق أكبر قدر ممكن من الاستفادة المرجوة منها وحتى تعمل بأقصى طاقة ممكنة لها، ومثل هذه العوامل تساعد على سرعة استعداد الوحدات ورفع كفاءتها العسكرية.

د - الروح المعنوية:

ان توجيه الفرد الى المهنة التي تناسب قدراته واستعداداته وميوله في الجيش يمكنه من النجاح فيها مما يساعده على أن يحقق ذاته في هذه المهنة وان يتوافق معها ومع زملائه. كما يلاحظ إتقان الفرد في آدائه

على سلاحه أو معداته الحربية يجعله يثق فيها ويندمج معها ويحرص على الا يتركها مهما صادف من ضغوط أثناء المعركة وهي مظاهر ترتبط بالروح المعنوية العالية.

٢ - طبيعة الفروق الفردية:

أ - عموميتها وتوزيعها:

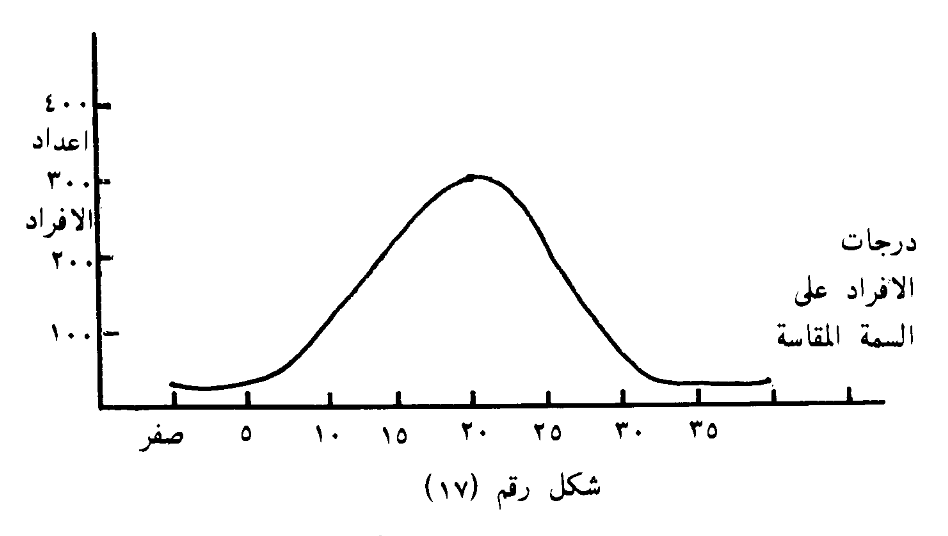
الفروق الفردية شائعة بين جميع الناس مهما تباينت بيئاتهم وأجناسهم وهي إعتدالية في توزيعها، فإذا كانت لدينا مجموعة كبيرة من الأفراد أحسن إختيارها كي تمثل مجتمعا معينا تمثيلا صادقا وأردنا أن نقيس سمة أو قدرة معينة لدى أفرادها - وأن نوضح نتيجة هذا القياس بيانيا - لوجدنا أن توزيع الخاصية المقاسة يظهر على شكل منحنى جرسي مقلوب كما هو موضح في الشكل رقم (١٧) ولهذا المنحنى عدة خصائص نوجز بعضها فيما يلي:

أ - إن غالبية الأفراد يتميزون أنهم وسطا في الخاصية ثم تتناقص تدريجيا أعداد الأفراد الذين تقل أو تزداد لديهم الخاصية كلما بعدنا عن المنتصف.

ب - إنه منحنى ذو قمة واحدة نتيجة لأن الغالبية تدور حول القيمة المتوسطة.

ب - ثباتها:

يختلف معدل ثبات الفروق الفردية تبعا لنوع السمة المقاسة، ويقصد بمعدل الثبات سرعة تغير السمة. فالفروق في السمات العقلية والمعرفية أكثر ثباتا من الفروق في السمات الانفعالية والوجدانية. فالذكاء لا يتغير بنفس السرعة التي يتغير بها الانطواء. ويرجع ذلك إلى أن السمات الانفعالية والوجدانية أكثر تأثرا بالعوامل الثقافية بدرجة تفوق تأثر السمات العقلية والمعرفية.



شكل رقم (١٧)

ووجود درجات متفاوتة من الخاصية أو السمة لدى الأفراد يوضح أنها توجد بمقادير متفاوتة وأن ما يوجد بمقادير يمكن أن يقاس.

جـ - مظاهرها:

(١) الفروق بين الجماعات:

اذا قيس ذكاء عينة من الجنود الذين كانوا يعيشون في الريف قبل تجنيدهم وقورن بذكاء عينة أخرى من الجنود من نفس السن من سكان المدن لوجدنا فروقا ظاهرة بين العينتين في متوسط وتشتت درجات ذكائهما.

(٢) الفروق بين الأفراد:

يختلف الأفراد في مقدار نصيب كل منهم من السمة أو الصفة المقاسة فداخل الجماعة أو الفصيلة (ويمثلان أصغر الوحدات الفرعية) يوجد جنود أذكياء وآخرون متوسطو الذكاء ومجموعة ثالثة دون الوسط. كما نجد أيضا تباينا في هذه المجموعات الصغيرة بين الجنود في العوامل المزاجية والانفعالية فهناك الذين يميلون إلى السيطرة وآخرون يتصفون بالاعتدال في هذه السمة وهناك أيضا من يتسمون بالخضوع

وهكذا بالنسبة لسائر الخصائص الأخرى النفسية والمعرفية.

وكما يختلف الافراد في هذه الفئات الصغيرة أيضا في درجة ادائهم للأعمال المختلفة، فهم يتفاوتون في مدى طاعتهم للأوامر ومثابرتهم على تنفيذ المهام الموكولة اليهم ومدى اعتنائهم بصيانة معداتهم ونشاطهم أثناء التدريب.

(٣) الفروق داخل الفرد الواحد:

(أ) إن مستويات القدرات أو درجات السمات لدى الفرد الواحد ليست متساوية فقدرة الفرد العددية - والتي تظهر في كل نشاط عقلي معرفي يتميز بسهولة وسرعة ودقة إجراء العمليات العددية - تختلف عن قدرته الإدراكية والتي تتعلق بادراك تفصيلات الأشياء المختلفة، كما قد تختلف أيضا قدرته الميكانيكية عن قدرته المكانية وهكذا. أي أنه لا توجد علاقة إيجابية بين السمات داخل الفرد الواحد بمعنى أنه لا ترتفع قدرته الرياضية بنفس الدرجة التي ترتفع بها قدرته على التذكر وبنفس درجة مثابرته أو سيطرته[1].

(ب) للفروق داخل الفرد الواحد أهمية كبيرة، إذ تجعل له أسلوبه المتميز المختلف عن غيره من الأفراد، كما تبين أسباب تفوق الفرد أثناء تدريبه على بعض المهن والتخصصات دون غيرها وذلك تبعا لدرجة ما لديه من قدرات لازمة لهذه المهن. فالأفراد ذوو المستوى المرتفع في القدرة اللغوية قد يصلحون للعمل على أجهزة الاشارة أو أفرع الشئون المعنوية، وذوو القدرة على التحمل الشديد ربما يصلحون للعمل كطاقم للدبابات، والأفراد ذوو القدرات البدنية العالية والذين يجيدون

---

(1) Vernon, P&Parry, J: Personnal Selection in the British forces, London: University of London Press, 1949.

الألعاب الرياضية التي تتطلب السرعة في الحركة والتصرف والمخاطرة ربما يكونون أصلح من غيرهم للعمل في قوات المظلات..

٣ - بعض المتغيرات التي تقدر على أساسها الفروق الفردية:

يمكن أن تقدر الفروق الفردية على أساس نوعين من المتغيرات، متغيرات تتعلق بالقدرات وأخرى تتصل بالعوامل المزاجية والانفعالية:

أ - القدرات:

القدرة هي طاقة الفرد في آداء عمل ما جسميا كان أو عقليا، قبل أو بعد التدريب ومن أمثلة القدرات:

(١) الذكاء:

يعتبر الذكاء أهم ما يميز الانسان عن سائر الكائنات الحية وهو يمكنه من حل مشكلات دون أن تكون حاضرة أمامه بالفعل، ويتضمن هذا استخدام الكلمات والرموز والمصطلحات استخداماً ماهراً. فقد رأينا مثلا في تجارب الجشطالت أن القردة التي استخدمها كوهلر وكوفكا في تجاربها تفكر تفكيراً عيانيا أي محسوسا. وهو تفكير بدائي تتصف به الحيوانات والأطفال ممن هم دون السابعة. ولا بد فيه أن تكون عناصر المشكلة ماثلة أمامهم كي يتسنى لهم حلها. ففي هذه التجارب السابقة ظهر الهدف واضحاً جلياً أمام القردة، كما وضعت الوسائل اللازمة لبلوغ ذلك الهدف داخل القفص المعد للتجربة وهي الصناديق أو العصي التي إستخدمتها القرد للحصول على الموز (الهدف).

والانسان لا يحل كل مشكلاته بالضرورة عندما تتواجد عناصرها أمامه على هذا النحو السابق بل يستخدم التفكير المجرد الذي يعتمد على الرموز والأرقام. فنرى مثلا المهندسون يستخدمون الرسوم البيانية لتصميم المنشآت عندما تتوافر لديهم المعلومات الضرورية لذلك والعلماء

يخططون لاطلاق مركبات فضائية وهم يعتمدون في هذا على عمليات عقلية مجردة الى جانب التجربة والمعلومات الدقيقة. كما يُعتبر إستعمال اللغة أيضا هو نوع من التفكير المجرد الذي يميز الإنسان عن الكائنات الأخرى.

وهناك عدة تعريفات سيكولوجية للذكاء يمكن أن نصنف المعاني التي تدور حولها الى الفئات الثلاث التالية:

- القدرة على التكيف أو التوافق مع البيئة، ويتضمن ذلك القدرة على مواجهة المواقف الجديدة بالاستجابات الجديدة الملائمة لحلها بما يوصل الكائن الحي الى أهدافه.

- القدرة على التعلم: فكلما زاد ذكاء الكائن الحي كلما إزدادت قدرته على التعلم أو سرعته فيه.

- القدرة على التفكير المجرد: أي القدرة على تناول الرموز[١] تناولا ماهرا. وما دامت هذه الرموز تمثل العالم الخارجي، فإن المهارة في تناولها تزيد من مهارة الشخص حل المشكلات في العالم الخارجي.

وتشترك هذه المعاني الثلاثة في أمر واحد هو أن السلوك الذكي هو سلوك هادف، وهذا لا يعني أن كل سلوك هادف يشير الى ذكاء صاحبه. وعلى هذا يعرف وكسلر الذكاء تعريفا يجمع بين هذه المعاني الثلاثة حيث يقول «ان الذكاء هو القدرة الاجمالية للفرد على القيام بتصرفات هادفة والتفكير بطريقة عقلية والتعامل مع البيئة تعاملا يتصف بالكفاءة».

---

(١) لا يقتصر معنى كلمة رموز هنا على المصطلحات العلمية فقط بل يقصد بها أيضا أي لفظ أو تعبير لغوي أو رقم يدل على معنى أو شيء في العالم الخارجي.

والذكاء قدرة إجمالية لأنه يتكون من عناصر أو قدرات. وبالرغم من أن هذه العناصر أو القدرات ليست مستقلة تماما احداها عن الاخرى إلا أنها قابلة أيضا لأن تصنف حسب أنواعها المختلفة. كما ينبغي القول أن السلوك الذكي هو دالة **Function** للطريقة التي تتفاعل بها القدرات العقلية مع بعضها ومع العوامل الأخرى اللاعقلية كالدوافع والانفعالات. أي أن السلوك الذكي هو محصلة لتفاعل عوامل متعددة، هذه العوامل او القدرات المتعددة تسهم بمقادير مختلفة عند حل الشخص لأية مشكلة بناء على ما تتطلبه هذه المشكلة من قدرات مختلفة وبدرجات متفاوتة ومن أمثلة هذه القدرات:

(أ) الفهم اللفظي: ويقصد به إدراك معاني اللغة وتكشف هذه القدرة إختبارات الفهم القرائي والجناس اللفظي وترتيب الجمل والاستدلال اللفظي ومضاهاة الجمل والكلمات وكذا بعض المقاييس الخاصة عن الحكم والأمثال الشعبية.

(ب) الطلاقة اللفظية: وتتشبع به الاختبارات التالية تشبعا عاليا: الجناس اللفظي والقوافي (كما في الشعر) أو ذكر أسماء لأشياء في فئة معينة (أسماء أولاد، أسماء تبدأ بحرف معين).

(جـ) القدرة العددية: وتكشف عنها الإختبارات التي تتطلب القيام بحل مسائل حسابية بسرعة وبدقة.

(د) القدرة المكانية: ويتضمن هذا العامل عاملان فرعيان متمايزان هما تصور علاقة مكانية أو هندسية ثابتة وعلاقة مكانية متحركة. وثمة إحتمال لعامل ثالث هو تصور حركات البدن وأوضاعه.

(هـ) الذاكرة الارتباطية: وتظهر في إختبارات التذكر الخاصة بالارتباطات الثنائية بين عدد وكلمة أو عدد وعدد.

(و) السرعة الادراكية: وتظهر في الإختبارات التي تتطلب من الفرد السرعة والدقة في التعرف على الأشكال المختلفة وأوجه الشبه والاختلاف بين الأشياء.

(ز) القدرة الاستدلالية: إقترح ثرستون أن هذا العامل يتضمن عاملي الاستقراء والاستنباط. ويوجد الاستقراء في الاختبارات التي تتطلب من المفحوص الوصول الى قاعدة أو مبدأ من عدة وقائع جزئية مثل القاعدة التي تحكم سلسلة الأعداد أو تصنيف الأشكال أو تحديد المساحات أو تكملة الجداول.

(س) القدرة الرياضية: وتنقسم هذه القدرة الى قدرات مركبة توضح كل منها مادة من المواد الرياضية المعروفة وبذلك تختلف القدرة الحسابية عن القدرة الجبرية وعن القدرة الهندسية في مكوناتها العقلية.

ومن مكونات القدرة العقلية للقدرة الرياضية: القدرة على التعبير اللغوي، والقدرة العددية والقدرة الإستدلالية بنوعيها الاستقرائي والاستنتاجي.

(ع) القدرة الميكانيكية: دلت أغلب البحوث على إعتماد النجاح في الأعمال الميكانيكية على الفهم الميكانيكي أكثر من إعتماده على المهارة اليدوية ولذا اتجهت الأبحاث الحديثة الى تحليل المكونات العقلية لهذا الفهم الميكانيكي في دراستها لهذه القدرة المركبة.

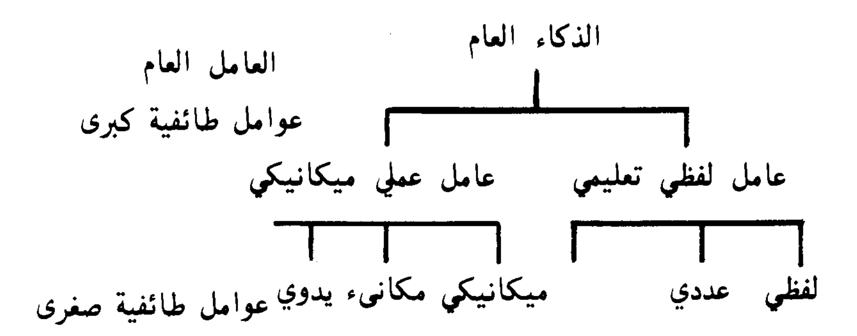
وتتلخص أهم المكونات العقلية للقدرة الميكانيكية في القدرة الاستقرائية والقدرة المكانية والقدرة التذكرية وقدرة السرعة الادراكية[1].

---

(١) يوسف الشيخ، جابر عبدالحميد، سيكولوجية الفروق الفردية. القاهرة: دار النهضة العربية، ١٩٦٤م.

وتختلف درجة حاجة المهن المهتلفة لهذه القدرات والمقادير اللازمة لكل منها في الشخص.

ومن القدرات الطائفية أيضا القدرات الفنية والقدرة الموسيقية.



وقد اقترح فرنون نموذجاً « هرميا » للقدرات العقلية يزداد فيه عدد العوامل كلما إتجهنا نحو القاعدة وتقل كلما إتجهنا نحو القمة كما يلاحظ زيادة عمومية العوامل كلما إتجهنا نحو القمة، ويقصد بالعمومية تضمنها في ذاتها للعديد من العوامل. فالذكاء العام يحتوي في داخله على عناصر متعددة. وتقل هذه العمومية كلما إتجهنا نحو القاعدة. فالعامل اللفظي للذكاء يتضمن في ذاته عناصر أقل مما يتضمنه العامل اللفظي التعليمي الذي يتضمن في ذاته الذكاء اللفظي والعددي.

(٢) القدرات الحركية النفسية:

(أ) القدرة على توجيه الانتباه[١]: ومن أمثلتها قدرة الجندي على حصر انتباهه لفترة زمنية في مساحة محددة من الأرض (مكلف فيها بأعمال الحراسة أو المراقبة) أو في آلة أو معدة معينة. ويختلف الأفراد في قدراتهم على الانتباه وبخاصة عندما يتعرضون لعوامل التعب.

---

(١) راجع فصل الاحساس والانتباه والإدراك الحسي.

(ب) قوة اليدين: وتتضمن دقة وسرعة في الآداء باليد وقدرة على آداء أعمال تتطلب عضلات قوية في الأصابع واليدين والرسغين والساعدين مثلما تتطلبه بعض المعدات العسكرية من عمليات ضغط على الأشياء أو ثنيها أو جذبها أو برمها أو قطعها أو دورانها أو مسكها. هذا الى جانب قوة الذراعين وما تتطلبه من قدرة على آداء أعمال تتطلب عضلات قوية في الذراعين من الكوع الى الكتف مثلما تتطلبه عمليات رفع الأشياء أو هزها أو دفعها أو قذفها.

(جـ) القدرة على التآزر: وتشير هذه القدرة الى التأليف المنسجم بين الوظائف الحسية والعضلية في العمل. فهناك تآزر بصري عضلي وهو هام مثلا في الرماية وإطلاق الصواريخ وبخاصة عند الضرب على الأهداف المتحركة حيث يتعين على الجندي مثلا تقدير حركة الهدف المطلوب إصابته ومسافته ثم إطلاق النيران في لحظة محددة. ولا بد أن يحاول ضبط حركاته لأقصى قدر ممكن خلال هذا الآداء.

(د) القدرة على آداء الأعمال الميكانيكية الدقيقة: وهي تتطلب أيضا دقة في حركة اليد وكذا ضبطا لحركات الأصابع.

(٣) القدرات الجسمية:

حيث تتطلب بعض الأعمال تكوينا جسميا معينا وقوة إحتمال كبيرة كما هو الحال عند العمل على معدات ثقيلة أو في بعض وحدات الاسطول.

(٤) القدرات الحسية:

(أ) حدة الأبصار:

وهذه القدرة لازمة للعمل في كثير من الأعمال والمهن بالجيش. وهي تتضمن أيضا كيفية تكييف الابصار الليلي للعمل الذي يُؤدي مثل قيادة

السيارات ليلاً في « أرتال »[1] دون إضاءة. وقد أجريت إحدى الدراسات لمعرفة سبب كثرة حوادث السيارات ليلا وإتضح أنها ترجع الى عيب في المقدرة على الإبصار الليلي عند السائقين.

(ب) تمييز الألوان:

توجد إختبارات خاصة للكشف على الأفراد لاكتشاف عمى الألوان الكلي والجزئي. وهذه القدرة ضرورية لكي يتمكن الأفراد من تمييز المعدات عن الأرض المحيطة بها.

(جـ) سرعة الإدراك البصري:

يوجد إختلاف بين الأفراد من حيث سرعة إدراكهم البصري، فالبطء في الادراك البصري يعطل صاحبه في المواقف التي تتطلب إدراكاً فوريا كالرصد وأعمال الرادار والملاحظة واستخدام الاسلحة وبخاصة المضادة للطائرات.

(د) إتساع المجال البصري:

لا يرى بعض سائقي السيارات غير الطريق الذي يسيرون فيه فقط وآخرون يرون المنازل والمناظر التي تحف بهم - ومن الناس من لا يرون تفاصيل الأشياء إلا بالتحديق وآخرون يرون تفاصيل الأشياء بسهولة على الجانبين ويرجع هذا الاختلاف الى تفاوت إتساع المجال البصري بين الأشخاص. ويفضل الأفراد ذوي المجال البصري المتسع للعمل بالجيش. إذ أن كثيراً من المهام العسكرية تتم في أراض مكشوفة حيث يتطلب الأمر أن يكون لدى الشخص مقدرة على سرعة تمييز الأهداف العسكرية المعادية قبل أن تباغته.

---

(١) يقصد بها سير عدد من السيارات أو المركبات العسكرية وفق نظام معين لآداء مهمة ما قبل الاتصال المباشر بالعدو.

ب - العوامل المزاجية والانفعالية:

من الضروري لفهم هذه العوامل أن نستعرض بإختصار شديد نظريات الشخصية. إذ أن كلا من هذه النظريات تضع عدة مسلمات عن السلوك المميز لهذه العوامل، كما تضع تعريفاً للشخصية يحدد نطاق دراستها. فنظرية التحليل النفسي قد وضعت تصوراً للشخصية على أنها تتكون من الهو والأنا والأنا الأعلى، بينما ترى السلوكية أن الشخصية لا وجود لها بل كل ما هناك عادات نوعية أو إرتباطات بين مثيرات واستجابات وعلى هذا فأنصار نظرية التحليل النفسي لهم مسلماتهم عن الشخصية تختلف عن أنصار السلوكية مما يؤثر في منهج وطريقة دراسة كل منهم للشخصية. فلقد إعتمد التحليل النفسي على إستخدام التحليل النفسي بينما إعتمدت السلوكية على إستخدام الملاحظة الموضوعية للسلوك.

وفضلا عن هذا فإن وضع النظريات يساعد على وضع الأدوات والمقاييس اللازمة لدراسة الشخصية. فلقد ترتب على نظرية السمات مجموعة من الإختبارات لتقيس السمات والأبعاد المكونة للشخصية، بينما إستخدم التحليل النفسي تحليل الأحلام وفلتات اللسان والتداعي.

ويمكن تصنيف بعض نظريات الشخصية في الفئات التالية:

(١) نظريات الاستعداد.

(٢) النظريات السيكودينامية.

(٣) نظريات التعلم الإجتماعي.

(٤) النظريات الفينومونولوجية.

---

(١) محمد عثمان نجاتي: علم النفس الصناعي. القاهرة: مكتبة النهضة المصرية ١٩٦٠م.

(١) نظريات الاستعداد:

تقوم نظريات الاستعداد على التسليم بأن شخصية الفرد تتكون من عديد من الاستعدادات للتصرف بطريقة معينة. وأن هذه الاستعدادات على درجة من الثبات أي لا تتغير تغيراً كبيراً مع مرو الزمن، كما وأنها على درجة من العمومية أي تظهر في عديد من المواقف التي يمر بها الفرد. بناء على هذا فإن معرفتنا بإستعدادات الأفراد تساعدنا على التنبؤ بسلوكهم. هذا ولقد اتخذت الاستعدادات مسميات مختلفة منها أنماط الشخصية، سمات الشخصية، عوامل الشخصية، حاجات الشخصية.

(٢) نظريات الإنماط:

إختلفت نظريات الأنماط في الأساس الذي قامت عليه فلقد وضع أبو قراط نظريته عن أنماط الشخصية على أساس جسمي حيث قسم الناس بناء على صفات البدن الى أربعة أنماط السوداوي والدموي والبلغمي والصفراوي.

ولم يقتصر تقسيم الشخصية إلى أنماط بناء على إستخدام المؤشرات الجسمية فقط بل إعتمد أيضا على عوامل سيكولوجية من هذه التقسيمات تقسيم سبرانجر للشخصية بناء على الميول والقيم. إفترض سبرانجر أن الميول السائدة بين الرجال والنساء هي تعبيرات من خلقهم الموروث. فالشخصية في نظره ليست نتاج تفاعل بين الكائن الحي والبيئة، بل تتحدد بتكوينه الوراثي. كما إفترض وجود ستة أنماط محددة من الشخصيات وقد أقام تقسيمه على أساس الإحساس الذاتي بالقيم وهذه الأنماط هي:[١]

---

(1) Brown, R.&Herrnstein, R. Psychology. England: Methuen&Co Ltd. 1975.

(أ) النمط النظري: يهتم أساسا بالمواد العلمية والبحث الموضوعي عن الحقيقة والوصول الى القانون العام في الظواهر العلمية. وهذا النمط من الأفراد يميل الى إهمال المسائل السياسية والاجتماعية.

- النمط الاقتصادي: يهتم أساسا بالمسائل الاقتصادية والكسب والثروة والفائدة، وتتمثل صورة هذا النمط في رجال الأعمال.

(ب) النمط الجمالي: يحب الجمال في الصوت والشكل واللون والنسب ويميل هذا النمط أساسا الى أن يكون غير عملي، وليس لديه الصبر على المسائل الإقتصادية والأمور المتعارف عليها بين الناس ويتطلب الحرية والتحرر من القيود.

- النمط الإجتماعي: يهتم أساسا بالنواحي الانسانية العامة. يميل الى مشاركة الآخرين وتقديم الخدمات لهم دون تفكير فيما ينتظره من جزاء أو ما يجنيه من وراء ذلك من نفع شخصي.

- النمط السياسي: تحركه الرغبة في القوة، ويندرج تحت هذا النمط المهتمون بالشئون السياسية ومحركوا السياسة ومصائر الشعوب والباحثون عن الفرص لكسب السيطرة.

- النمط الديني: يرى الله في كل أمور الحياة، وانه يهيمن على كل شئونها وهذا النمط من الأشخاص يخشى الله في تصرفاته.

(٣) نظرية السمات:

ترى هذه النظرية أن السمات مثل العدوانية والإستقلالية والاكتفاء الذاتي وغيرها هي التي تتحكم وتوجه سلوك الفرد، وأن لدى كل فرد درجة من كل سمة، وبالتالي فإن شخصية الفرد هي درجاته التي يحصل عليها في مقاييس السمات المختلفة. ولكن لما كان حصر السمات يعتبر أمرا شبه مستحيل لذا ظهرت نظرية عوامل الشخصية.

ويرى العلماء أن السمات هي عادات. فالبحار الذي يعيش على ظهر السفينة لفترات طويلة يكون عليه أن يقوم بأعمال متعددة بطرق معينة وبتكرار قيامه بهذه الأعمال تتكون لديه عادات سلوكية يمارسها في المواقف المناسبة. وتكون ممارسته لها بدرجات متفاوتة من المهارة والدقة.

ويرى فريق من العلماء أن السمات هي إستعدادات نفسية عند الفرد كالاستعداد الإنفعالي العام والاستعداد لتحمل درجات متفاوتة من الألم.

وهناك من ينظر الى السمات بإعتبارها إطارات لتقدير وتقويم المواقف المختلفة. فاتجاهات الفرد وقيمة وميوله تزوده بأطر أو معايير يستخدمها في الحكم على المواقف المختلفة التي يمر بها. وهذه الأطر أو المعايير يكتسبها الفرد نتيجة لما يمر به من خبرات.

(٤)نظرية عوامل الشخصية:

ترى هذه النظرية أن الشخصية تتكون من مجموعة من الأبعاد أو العوامل والبعد هو خط متصل له قطبان متميزان وأن هذا البعد يجمع سمات متعددة لدى الأفراد. من هذه الأبعاد بعد الانطواء - الإنبساط، وبعد الخضوع - السيطرة، أما شخصية الفرد فهي الدرجات التي يحصل عليها في المقاييس التي تقيس أبعاد الشخصية الأساسية.

(٥) نظرية الحاجات:

تقوم هذه النظرية على أساس أن سلوك الفرد لا تحركه السمات بل الحاجات.والحاجات إما أن تكون أولية بيولوجية كالحاجة للماء والطعام والجنس، وإما أن تكون ثانوية نفسية كالحاجة للتحصيل والسيطرة والاكتفاء الذاتي والعدوان والتواد، وأن الشخصية نتائج لتفاعل هذه الحاجات مع الظروف والعوامل البيئية المحيطة بالفرد.

ومن أتباع هذه النظرية هنري موراي الذي يرى أن للفرد حاجات

واضحة تدرك بالملاحظة المباشرة وحاجات أخرى كامنة لا يمكن التعرف عليها إلا باستخدام الاختبارات الاسقاطية.

توزيع الأفراد على المهن المختلفة

يعتمد هذا التوزيع على حقيقتين.

١ - أن هناك فروقا بين الأفراد في قدراتهم وإستعداداتهم وسمات شخصياتهم.

٢ - أن هناك فروقا بين المهن فيما تتطلبه من هذه القدرات والاستعدادات والسمات.

والهدف هو تحقيق المواءمة بين خصائص الفرد ومتطلبات المهنة. ولذلك فنحن نحتاج هنا الى معلومات علمية دقيقة عن كل من العمل من ناحية وخصائص الفرد من ناحية أخرى. ونحصل على هذه المعلومات من خلال الدراسة العلمية للعمل ومن خلال قياس قدرات الفرد بإستخدام الإختبارات النفسية الجيدة. وسوف نتناول فيما يلي هاتين النقطتين بالحديث وهما تحليل العمل، وقياس قدرات الفرد وسمات شخصيته.

تحليل العمل

تعتمد بعض الجيوش المتقدمة حاليا على أسلوب تحليل العمل المتبع في مجال الصناعة كطريقة علمية لدراسة العمل. ولجمع المعلومات عنه، بهدف استخدامها في أغراض الاختيار المهني أو غير ذلك من الأغراض كتقسيم العمل وتنظيم برامج التدريب وتحسين طرقه وتحديد المسئوليات والاختصاصات داخل نطاق العمل.

وتتصل المعلومات التي يتم جمعها بعدة جوانب هامة في العمل هي: وصف العمل والتعرف على القدرات والاستعدادات والسمات اللازمة

للنجاح فيه وطبيعة الظروف التي يتم في ظلها العمل وأنواع المخاطر التي يتعرض لها القائمون به.

وصف العمل: يقدم لنا وصف العمل فكرة مفصلة عن الخطوات التي يتم بها العمل والواجبات والمسئوليات التي يتحملها القائمون به كما تعطينا وصفا للآلات والأجهزة والمواد المستخدمة في العمل.

متطلبات العمل: يؤدي تحليل العمل إلى التعرف على متطلبات النجاح فيه، فيوضح لنا القدرات الجسمية والعقلية الضرورية لنجاح الشخص في القيام بعمله وسمات الشخصية الإنفعالية الضرورية لتحقيق النجاح والتوافق المهني.

ولا شك أن لتقدير «مقدار» هذه القدرات والسمات فائدة كبيرة للعمل، وقد أمكن لبعض علماء النفس مثل «فيتيليس» و«شارتل» من رفع مستوى الكفاءة في العنصر البشري في الأسطول الأمريكي أثناء الحرب العالمية الثانية عن طريق الجمع بين أهمية القدرة أو السمة الشخصية عند الفرد وبين مقدار المطلوب منها لأداء العمل. كما قام قسم التحليل المهني بلجنة القوى البشرية الحربية بالولايات المتحدة بتحديد معنى قوائم القدرات والسمات اللازمة لكل مهنة عسكرية تحديدا دقيقا.

طبيعة ظروف العمل: يتم فيها التعرف على طبيعة ومواصفات العمل مثل المسئوليات والواجبات والمهام التي يؤديها الفرد والأسلحة والمعدات والموارد التي يستخدمها، ووصف مكان العمل، وإشراف الفرد على غيره وإشراف الغير عليه والظروف الطبيعية (الفيزيقية) للعمل، ويقصد بها طبيعة الأرض وظروف الصخب وبيانات أخرى مثل علاقة العمل بغيره من الأعمال ومدى الانهاك الجسمي والعصبي الذي يمكن أن يتعرض له من يقوم بهذا العمل .

هذه المعلومات التي نتوصل إليها من تحليل العمل تعطينا فكرة واقعية عن العمل من جميع جوانبه، مما يساعد على القيام بعملية الاختيار بعد ذلك على أساس علمي سليم ويتم جمع المعلومات سابقة الذكر بطريقة علمية منظمة تستخدم فيها أساليب الملاحظة المباشرة والمقابلة الشخصية (الإستبار) وغير ذلك من الأساليبالعلمية الأخرى، ويتم تسجيل هذه المعلومات في إستمارة علمية خاصة تسمى استمارة تحليل العمل.

أساليب تحليل العمل:

يستخدم الأخصائي النفسي الذي له دراية بالأعمال العسكرية طرقا متعددة للحصول على المعلومات عن طبيعة العمل وما يتطلبه من خصائص نفسية. فيستخدم الملاحظة المباشرة للفرد أثناء قيامه بعمله كما يستخدم أسلوب المقابلة الشخصية (الاستبار) وذلك بسؤال الأفراد لاستيضاح بعض التفاصيل التي لم يتوصل لمعرفتها بأسلوب الملاحظة ويستخدم أيضا في بعض الأحيان أسلوب الاستخبار وذلك بطبع الأسئلة التي تتناول تفاصيل العمل، ثم تقديم هذه الأسئلة الى العاملين لجمع المعلومات الضرورية عنه.

ويلاحظ أن الأخصائي النفسي يجمع بين هذه الأساليب المتعددة في تحليل العمل، ليستفيد من مختلف المصادر التي توضح خصائصه ومتطلبات النجاح فيه.

وسوف نعرض بإيجاز لاثنين فقط من هذه المصادر، نظراً لأنها من أكثر الاساليب إستخداماً في تحليل العمل، فنعرض أولا لأسلوب الملاحظة المباشرة للعمل، ثم نعرض بعد ذلك لأسلوب الاستبار أو المقابلة الشخصية.

١ - أسلوب الملاحظة المباشرة:

ويعتبر هذا الأسلوب من أكثر أساليب تحليل العمل إستخداماً، نظراً لأنه يعطي معلومات مباشرة عن طبيعة العمل، فيقوم الأخصائي النفسي بملاحظة العمل بنفسه، فيحصل بذلك على معلومات واقعية عن طبيعته ومسئولياته وواجباته المختلفة. كما أن الأخصائي النفسي بحكم إعداده العلمي العسكري العام وبحكم خبراته في تحليل الأعمال الأخرى يستطيع من ملاحظته المباشرة للعمل أن يستنتج نوع القدرات والاستعدادات التي تلزم للقيام به. فهذه الملاحظة أساسا ملاحظة سيكولوجية، وليست ملاحظة عادية فهنا نلاحظ سلوك الفرد في موقف العمل لكي نستنتج نوع القدرات العقلية وسمات الشخصية التي تمارس نشاطها في موقف العمل والتي يترتب عليها نجاح الفرد في مهنته.

ومن الضروري أن يكون الأخصائي النفسي من الأفراد العاملين بالفعل في القوات المسلحة فما لم يكن قد انخرط فترة طويلة في سلك الجيش وخدم في وحداته فمن الصعوبة عليه أن يكون فكرة صادقة دقيقة عن طبيعة الأعمال والتخصصات المختلفة وأن يحدد الوظائف النفسية أو القدرات البدنية والعقلية اللازمة لها.

٢ - أسلوب الاستبار:

يمدنا الاستبار أو المقابلة بالكثير من المعلومات عن العمل ومتطلباته، فعند ملاحظة الأخصائي النفسي للعمل. نجد أن هناك كثير من النقاط التي تحتاج الى الايضاح فيقوم بسؤال الفرد عنها، حتى يستكمل المعلومات والفهم لطبيعة العمل وقد يسأل الفرد مثلا عن بعض التفاصيل الخاصة بسلوكه في موقف العمل، أو عن الواجبات الأخرى التي يقوم بها من وقت لآخر.

---

(1) Super, D. The Psychology Of Careers. New York: Harper & Brothers, 1957.

وقد يحتاج الأخصائي النفسي الى مقابلة الأفراد الذين يشغلون وظائف قيادية أو المشرفين على العمل لكي يستفسر منهم عن بعض المعلومات الأخرى، كالواجبات أو المسئوليات أو علاقة هذا العمل بغيره من الأعمال، وعمليات تنسيق الأعمال بين الأفراد المرؤسين، وكذا أعمال الاتصال بالرئاسات والإدارات أو الوحدات الصغرى لتسهيل مهام الوظائف المختلفة، ويقوم الأخصائي النفسي بتسجيل المعلومات التي يحصل عليها فوراً أثناء المقابلة حتى لا يحدث تداخل بينها في ذاكرته أو خلط أو نسيان مما قد يؤدي الى تشوه لبعض المعلومات.

إستمارة تحليل العمل:

يسجل الاخصائي النفسي المعلومات التي يجمعها بإستخدام أساليب الملاحظة والمقابلة وغيرها في إستمارة خاصة، تسمى باستمارة تحليل العمل. وهناك عدة صور من استمارات تحليل العمل، وذلك حتى تتناسب مع نوع الأعمال التي يتم تحليلها، وهل هي أعمال عقلية أو مكتبية أو يدوية ...إلخ.

وتشمل استمارة تحليل العمل عادة على عدة أجزاء:

١ - التعريف بالعمل، والمكان الذي يتم به إجراء التحليل.

٢ - وصف المهام التي يقوم بها القائم بهذا العمل.

٣ - الخبرة والتدريب والتعليم اللازم للقيام بالعمل.

٤ - علاقة العمل بغيره من الأعمال من ناحية الاشراف.

٥ - متطلبات العمل من القدرات والاستعدادات.

٦ - أنواع النشاط الجسمي التي يقوم بها الفرد.

٧ - الظروف الفيزيقية المحيطة بالعمل.

ويوضح الشكل التالي استمارة تحليل عمل تشتمل على الاجزاء السابقة.

إستمارة تحليل العمل.

إسم العمل .... عدد الافراد

الجهة التي يعمل بها (وحدة، إدارة) ....

نوعها ....

المهنة أو التخصص ....

التاريخ ....

وصف العمل: ....

....

....

....

١ - النشاط الذي يقوم به الفرد: (يحدد الآداء الفاشل والآداء الناجح).

٢ - المهنة التي كان يعمل بها الفرد قبل إلتحاقه بالجيش.

أ - المدة التي قضاها في هذه المهنة السابقة.

ب - مستوى خبرته وادائه فيها.

٣ - التدريب: أقل مدة تدريب

(أ) الافراد الذين ليست لهم خبرة:

(ب) الأفراد الذين لهم خبرة.

التدريب	المهارات الخاصة بالعمل التي تكتسب أثناء التدريب.
التدريب العام. التدريب التخصصي. التدريب المهني أو الفني. الدورات التدريبية الحاصل عليها. النشاط العام والهوايات.	

فترة التدريب الاساسي قبل الالتحاق بالوحدة ....

٤ - علاقة العمل بغيره من الأعمال الاخرى.

أ - الترقية منه وإليه .... التنقلات .... إلخ

ب - الاشراف على العمل .... عام .... مباشر ....

(القائم بالاشراف يبين عمل المشرف):

ح - الاشراف الذي يتولاه القائم بالعمل:

لا يوجد .... عدد الأفراد الذين يشرف عليهم .... رتبهم .... أسماء أعمالهم.

٥ - المسئولية:.

أ - المسئولية عن الأسلحة والذخائر والمعدات ....

ب - المسئولية عن الأجهزة ....

جـ - المسئولية عن عمل الآخرين ....

د - المسئولية عن التعاون مع الآخرين ....

هـ - المسئولية عن أمن الآخرين ....

و - المسئولية عن تدريب الآخرين ....

٦ - تفهم العمل:

معرفــــــــــة العمــــــــــل والادوات والأجهزة والمواد ، وطرق العمل ، .... الخ ....

٧ - القدرة العقلية:

أ - المبادأة.

ب - مرونة التفكير.

خ - الحكم المستقل.

د - اليقظة العقلية:

٨ - المهارة والدقة:

....

....

٩ - تعريف المصطلحات:

....

....

١٠ - تعليمات عامة:

....

....

....

١١ - المتطلبات البدنية والعقلية:

الصفة	أ	ب	جـ	د	هـ	الصفة	أ	ب	جـ	د	هـ
أ - المهارة العضلية والحركية في الأداء:						(١٦) الرمي					
(١) السرعة في العمل						(١٧) السباحة					
(٢) قوة الأيدي						(١٨) تمرين الضغط					
(٣) قوة الأذرع						(١٩) تمرين « القرفصاء »					
(٤) قوة الظهر						(٢٠) تمرين العقلة					
(٥) مهارة الأصابع						(٢١) تمرين البطن					
(٦) مهارة اليدين والذراعين						ح - قدرات معرفية:					
(٧) مهارة القدمين والساقين						(٢٢) تمييز الألوان					
(٨) التآزر بين العين واليد						(٢٣) تقدير الأحجام					
(٩) التآزر بين العين واليد والقدم						(٢٤) تقدير المسافات					
(١٠) التآزر بين اليدين						(٢٥) إدراك شكل الأشياء					
ب - متطلبات اللياقة البدينة						(٢٦) تقدير سرعة الاشياء المتحركة					
(١١) القفز						(٢٧) حدة الابصار					
(١٢) الجري						(٢٨) حاسة السمع					
(١٣) التوازن						(٢٩) حاسة الشم					
(١٤) التسلق والزحف						(٣٠) التمييز باللمس					
(١٥) الحمل						(٣١) التمييز العضلي					
						(٣٢) العمليات الحسابية					
						(٣٣) سهولة التعامل بالأرقام					
						(٣٤) القدرة على التعبير الشفهي الكتابي					

الصفة	أ	ب	جـ	د	هـ
(٣٥) القدرة على إتخاذ قرارات					
(٣٦) القدرة على الترتيب					
(٣٧) القدرة على تصميم الخطط					
(٣٨) حرية التصرف والمبادأة					
(٣٩) تفهم الأجهزة الميكانيكية					
(٤٠) إستخلاص العلاقات الشكلية					
(٤١)التوجيه المكاني					
(٤٢) الانتباه الى عدة اشياء					
(٤٣) سعة الحيلة في التعامل مع الآخرين.					
(٤٤)تذكر الأسماء والأشخاص					
(٤٥) المظهر الشخصي					
(٤٦) القدرة على التركيز					
(٤٧) الإتزان الانفعالي					
(٤٨) العمل تحت ظروف خطيرة					
(٤٩) وعي تفاصيل الأشياء					
(٥٠) تذكر الأفكار المجردة					
(٥١) تذكر التعليمات الشفهية					
(٥٢) تذكر التعليمات الكتابية					
(٥٣) العمل تحت ظروف غير ملائمة بدنيا					

١٢ - ظروف العمل ومخاطره:

التعرض للحروق ....

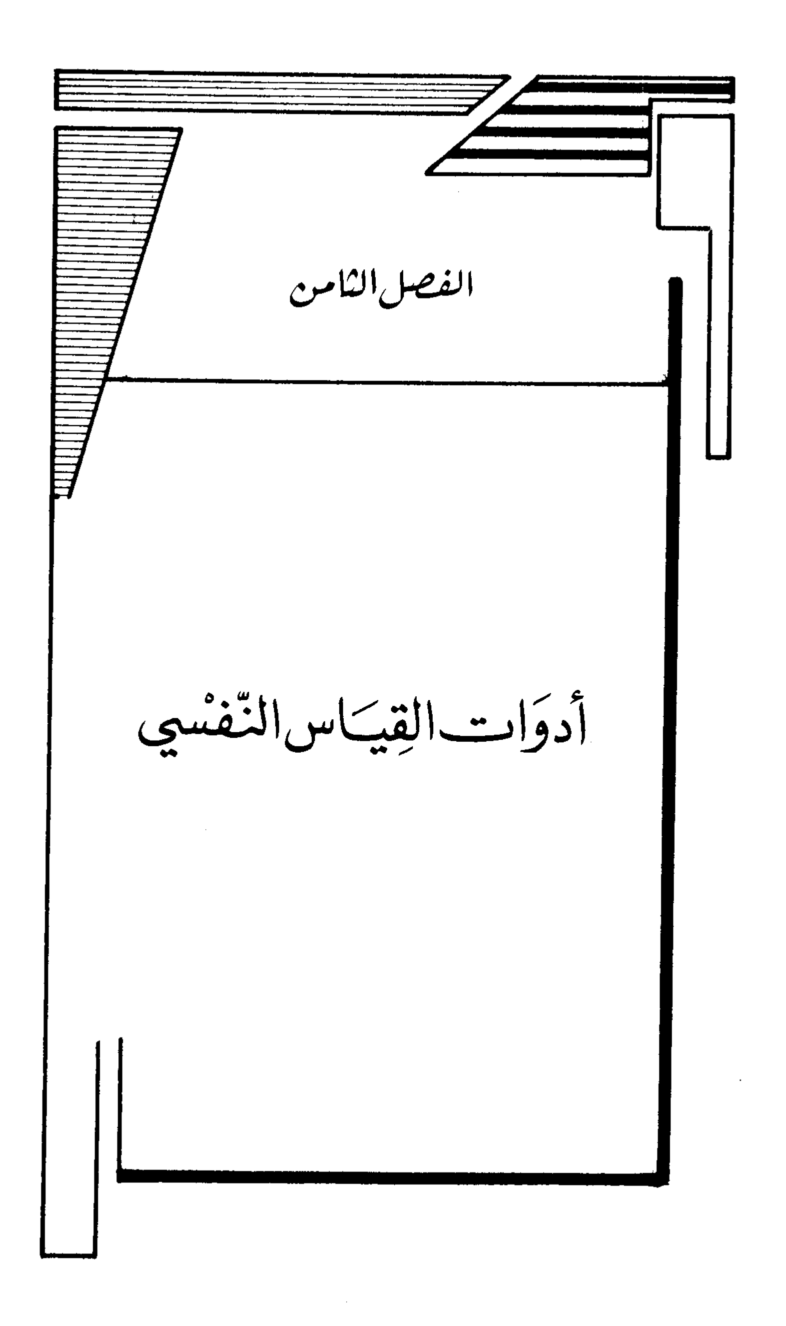
مخاطر كهربائية ....

التعرض للاشعاع ....

مخاطر أخرى ....

وتستخدم المعلومات التي تتجمع من تحليل العمل في عدة أهداف، لعل اكثرها شيوعا عمليات توزيع الأفراد على الاسلحة والوحدات التي تمر بعدة خطوات تبدأ بوجود عدد كبير من المتقدمين اللائقين طبيا للخدمة العسكرية ويقوم هؤلاء المتقدمون عادة بملء البيانات التي تشتمل عليها استمارة بيانات. وتعتبر هذه المعلومات ذات أهمية كبيرة في التعرف على التاريخ السابق للفرد، كالدراسات والمؤهلات التي حصل عليها، ومستواه فيها، وكالمهن التي سبق له الاشتغال فيها، ومدى نجاحه أو فشله في الأعمال السابقة. كما تتناول استمارة لتقديم أنواعاً أخرى من المعلومات كالحالة الاجتماعية والاسرية وعدد الأولاد، وكذلك الهوايات والميول والاهتمامات.

وقد أظهرت الدراسات المختلفة أن من الممكن الاستفادة ببعض أنواع المعلومات التي تشتمل عليها استمارة التقديم في التنبؤ بنجاح الفرد في المستقبل، ويمر الأفراد المطلوب تصنيفهم بعد ذلك بخطوات الاختيار الأخرى وأهمها الاختبارات النفسية، والمقابلة الشخصية، وبناء على نتائجها يمكن تحديد نوع العمل الذي يصلح له الفرد.



الفصل الثامن

أدوات القياس النفسي



الفصل الثامن

أدوات القياس النفسي

يتميز العلم بخصائص متعددة منها الأمبيريقية (أي الاعتماد على التجربة والموضوعية في جمع الحقائق) والدقة. ولكي يمكن التوصل إلى هذه الخصائص يعتمد الباحثون على القياس. وذلك حتى يتسنى الحصول على تقديرات رقمية دقيقة للظواهر والأشياء مثل المساحات والحجوم والأطوال. والاوزان وأبعاد أجسام الكائنات الحية ودرجات الحرارة وغير ذلك.

ويستخدم علم النفس المقاييس والأجهزة التي تمكن من جمع المعلومات المطلوبة عن شخصية الانسان وما تتضمنه من مكونات بطريقة علمية. وهو يشبه في هذا العلوم الأخرى حيث تستخدم مقاييس الأطوال والاوزان والحرارة والضغط. ومثل هذه الادوات تهدف إلى عمل ملاحظات أدق مما نستطيع عمله بالعين المجردة. أو بحاسة اللمس أو السمع. فشتان مثلا بين تقدير الحرارة والنبض باللمس أو الأذن وبين تقديرهما بالترمومتر والسماعة ومقياس الضغط.

وكذلك الحال في علم النفس نجد المقاييس والأجهزة الكثيرة التي تساعد على التوصل الى المعلومات الدقيقة عن الشخصية.

١ - تصنيف أدوات القياس النفسي:

هناك أكثر من أساس لتصنيف هذه الأدوات. فقد تصنف إلى أدوات موضوعية وأخرى ذاتية. فإذا كانت الأداة تطبق بشكل مستقل تماما عن الباحث ودون تأثر بانطباعاته وتفسيره، نكون بصدد أدوات موضوعية، مثل أجهزة قياس زمن الرجع والقدرة على التصويب وثبات اليد واختبارات الذكاء العملية واللفظية. وإذا كانت تتأثر بانطباعات الباحث وتوجهاته النظرية نكون بصدد أدوات ذاتية مثل المقابلة الحرة أو غير المقننة، المقاييس الاسقاطية وقد تصنف على أساس طريقة التطبيق، فهناك أدوات فردية مقابل الأدوات الجماعية أي التي تطبق على مجموعة من الأفراد دفعة واحدة. وتعتبر طبيعة المثيرات التي تتضمنها الأداة من أسس التصنيف. فهناك أدوات تعتمد على التقدير الذاتي للمفحوص أي تقدير المفحوص لحالته كما يشعر بها. من أمثلة ذلك معظم مقاييس الشخصية، والميول، الاتجاهات، القيم، الدافع... وهناك أدوات تعتمد على الملاحظة المباشرة أو أجهزة قياس القوة العضلية والتآزر... وهناك أدوات تعتمد على مثيرات محددة التكوين والمعاني بحيث لا تحتمل أي تفسير مثل إختبارات التحصيل والذكاء... وأخرى تعتمد على مثيرات غير محددة التكوين مثل الاختبارات الاسقاطية واختبارات التداعي الحر أو المقيد. وقد تكون هذه الأدوات مكتوبة أو مصورة وتسمى باختبارات «الورقة والقلم» مقابل الأدوات المعملية أو العملية كالأجهزة والمواقف العملية. وتقود طبيعة المثيرات إلى تصنيفها بناء على المجالات التي نقيسها فهناك إستفتاءات المسوح الاجتماعية، إختبارات الجوانب المعرفية، الجوانب المزاجية والانفعالية «الشخصية» إختبارات الميول والاتجاهات، والقيم... إلخ. وأخيرا قد تصنف بعض الأدوات بناء على أساسها النظري. فهناك أدوات نابعة أساساً من نظرية معينة وأخرى لا تنتمي لأي نظرية، أي اعتمد في

بنائها على الخبرة والمعطيات الامبيريقية[1].

٢ - أوجه استخدام الاختبارات والمقاييس في الجيش:

بدأ القياس النفسي مواكبا في تقدمه لعلم النفس ومتقدما معه منذ منتصف القرن التاسع عشر مع المحاولات الجادة لدراسة الظواهر النفسية من منظور علمي يقوم على الملاحظة المضبوطة بعيدا عن التأمل الفلسفي وتقدم على يد باحثين منهم «فيبر» Weber ١٨٧٨م. وجالتون Gallton ١٨٨٣م وتيرمان Terman ١٩٠٤م وغيرهم.

وكان لدخول الولايات المتحدة الحرب العالمية الأولى سنة ١٩١٧م تأثيره الحاسم على القياس النفسي، فبمجرد إعلان الولايات المتحدة الحرب على الرايخ الألماني طُلب من السيكولوجيين الأمريكيين أن يقدموا جهودهم للجيش بأية صورة ممكنة، وكانت النتيجة هي إيجاد تنظيم شديد الكفاءة لاستخدام الاختبارات في مساعدة الجيش على فرز المجندين وفحص الأفراد وانتقاء القادة ورجال المهام الخاصة كأفراد المخابرات والاستطلاع والكوماندوز.

وأمكن حتى نهاية سنة ١٩١٧م إختبار ٣١٥٢٠ مجندا باستخدام إختبارات الذكاء، وأعتمد على نتائج هذه الاختبارات في تحول منخفضي الذكاء إلى أعمال مناسبة، مع استبعاد المتخلفين عقليا - كما استخدمت أيضا اختبارات الشخصية لاستبعاد المضطربين انفعاليا بعد فحص سيكاتري سريع، وفي النهاية كان قد أمكن اختبار أكثر من مليون وسبعمائة ألف مجند، أخرج من الجيش بناء على نتائج الاختبارات ٨٠٠٠ مجند وأتيح لـ ١٠٠٠٠ آخرين تدريبات خاصة.

---

(١) أحمد فائق، محمود عبد القادر: مدخل الى علم النفس العام. القاهرة: الانجلو، ١٩٧٢م.

وترتب على الحاجة لاختبار هذه الأعداد الكبيرة تصميم إختبارات جمعية أيسر وأسهل في التطبيق، وكان أشهر هذه الاختبارات إختبار « الفا » للجيش Army Alpha واختبار « بيتا » Beta. ويستخدم إختبار الفا في حالة المتعلمين ومن يقرأون ويكتبون بينما يستخدم بيتا للأميين. ويتضمن اختبار الفا بنودا لاختبار القدرة على تنفيذ التعليمات وتكملة الجمل، وتكملة سلاسل الأرقام والمتشابهات والمعلومات العامة، أما اختبار بيتا فقد تضمن متاهات ومكعبات، ورموز وأرقام وتكملة صور، وتصميمات هندسية... الخ وهو مصمم لقياس القدرات الفطرية، أي القدرات التي لم تصقل من خلال التعليم.

وقد أدى استخدام الاختبارات والمقاييس في الأغراض الحربية لا إلى زيادة احساس القادة العسكريين بأهمية القياس النفسي واستخدامات هذه الادوات فقط بل وإلى زيادة اهتمام الساسة ورجال الأعمال والعلماء بما لدى علم النفس من أساليب تستحق التشجيع والتمويل بالهبات المختلفة لمواصلة البحث والتطوير، كما اهتمت حكومات الحلفاء بالاستعانة بعلماء النفس في اختيار العمال للصناعات الحربية وغير الحربية المختلفة.

وقد حصل القياس النفسي على الدفعة الرئيسية خلال العامين الأخيرين من الحرب العالمية الأولى، وكانت هذه الدفعة من القوة بما جعلته لا يتوقف عن النمو والتطور بعد ذلك خلال فترة السلام بين الحربين العالميتين الأولى والثانية وكانت أهم معالم التطور في هذه الفترة في مقاييس الذكاء وظهور التعديل الجديد لمقياس ستانفورد بينيه وكذا مقياس وكسلر-بلفيو. كما امتد مثل هذا التطور في مجالات أخرى منها قياس سمات الشخصية.

فقد وضع وودورث Woodworth قائمة تتضمن ١١٦ بندا من

البنود المختارة من الأوصاف السيكاتيرية للأعراض العصابية ومن بعض المصادر الأخرى وصيغت هذه الأوصاف على شكل أسئلة مباشرة تتطلب الاجابة بنعم أو لا. ثم طبقت على عدد كبير من المجندين بهدف التعرف على المضطربين نفسيا، وأولئك الذين يعانون من مشكلات تعجزهم عن الاستمرار في الحرب أو حسن الآداء. كما استخدم ييركس Yerkes نماذج أخرى من اختبارات الشخصية لا تعتمد على أسلوب التقدير الذاتي بل أسلوب التقديرات الخارجية أو التصنيف بواسطة المحكمين وذلك في الفحوص الخاصة بالجيش الامريكي الى جانب إختبار الفا السابق عندما تزايدت اعداد أفراده بمعدل ضخم. وكان هذا الاستخدام يفرض اختيار أصلح الأفراد للتدريب لكي يصبحوا ضباطا وإبعاد غير اللائقين عن الخدمة، ثم يصنف باقي المفحوصين على وحدات الجيش على أساس نتائج الاختبارين. وكان المطلوب من الملاحظين ان يصنفوا الافراد في اختبار ييركس هذا على أساس خصائصهم من حيث «القيادة» أو «السرعة» في الوصول الى القرارات أو اصدارها.

وقد ذكرنا في الفصل الأول أن ألمانيا قد استفادت من علم النفس في مجال القوات المسلحة، حيث بدأت تعد نفسها للحرب العالمية الثانية وقد اهتمت في هذا باستغلال علم النفس في مجال انتقاء الافراد وتوزيعهم على المهن المختلفة في الجيش. ويهمنا أن نستعرض بايجاز الجوانب الشخصية التي تناولتها اختبارات الانتقاء الألمانية.

أ - القدرات العقلية كالذكاء العام والمقدرة على التجريد والتعميم أي التدرج من الجزئي إلى الكلي، وكانت تعرض أفلام سينمائية على المختبرين لكي يقوموا بوصف ما فيها بعد العرض. فيكشف وصفهم عن قدراتهم على الملاحظة والتخيل. كما وضعت أمامهم مشاكل عملية على هيئة مقالات لتقدير قدراتهم على تصميم الحلول والخطط.

ب - تحليل النشاط أي تحليل السمات العامة للشخصية والمزاج فطبقت اختبارات تناولت المقدرة على الانتباه وسرعة التعلم والقابلية للتعب والضبط الانفعالي واستعملت الاختبارات الاسقاطية للتعمق في دراسة الشخصية. كما استعملت اختبارات المواقف لنفس الهدف فكان المختبرون يكلفون بأداء أعمال تتطلب سرعة الأداء وخفة الحركة والمثابرة والتصرف عند المفاجآت ويتعرضون أثناءها لتشجيع مفرط أو انتقاد شديد لملاحظة تأثيرات المثيرات الاجتماعية على شخصياتهم.

جـ - تحليل تعبيرات الوجه: فلوحظت التعبيرات الوجهية وصورت بواسطة آلة تصوير مخبأة. وذلك أثناء المناقشة أو أثناء اختبارات تضمنت مثيرات للشرود أو الألم. كذلك حللت طريقة الكلام والكتابة باليد وأسلوب الكتابة وأي لون من التعبير يمكن استعماله للإستدلال على معالم الشخصية.

د - تاريخ الحياة: جمعت المعلومات عن حياة المختبر بواسطة الاستخبارات والمقابلات الشخصية التي تتناول ظروف نموه وأهدافه ومطامحه في الحياة وتقديره لنفسه واتجاهاته النفسية الاجتماعية. وبحثت إستجاباته الاجتماعية في المواقف المختلفة.

وفي جميع هذه الاختبارات لم ينصب الاهتمام على درجات التحصيل العددية بقدر ما انصب على التبين الكيفي لمعالم الشخصية عن طريق ملاحظتها في طريقة قيامها بعمل ما. وكان الهدف الأساس من ذلك تكوين صورة واقعية للشخصية ككل لا كمختصر جامع لمجموعة من السمات والقدرات.

وعلى ما سبق تستخدم الاختبارات والمقاييس النفسية في الجيش لأغراض كثيرة نلخص أهمها فيما يلي: -

أ - إختيار الأفراد الصالحين للعمل: تستخدم الاختبارات النفسية

لاختيار المجندين والمرشحين للكليات والمدارس العسكرية وإبعاد الأفراد غير الصالحين فقد دلت كثير من الدراسات على أهمية إستخدام هذه الاختبارات في عملية الاختيار إذ أن ذلك يرفع من نسبة الأفراد الصالحين ويقلل من نسبة الأفراد الفاشلين.

ب - يمكن استخدام الاختبارات النفسية أيضا في التصنيف وذلك بالتوفيق بين قدرات الشخص واستعداداته وبين العمل الذي يناسبه.

جـ - إختيار الأفراد الصالحين للتدريب: تساعد الاختبارات النفسية أيضا في إختيار الأفراد الصالحين للتدريب وإبعاد الأفراد الذين لا يتوقع تقدمهم فيه ويؤدي ذلك إلى تقليل نفقات التدريب وذلك بإنقاص مدة التدريب اللازمة للتقدم في الآداء المطلوب تعلمه.

د - قد تستخدم الاختبارات والمقاييس النفسية كوسيلة مكملة للخبرة وتقارير الكفاءة والملاحظة الموضوعية لإختيار الأفراد الذين تسمح لهم قدراتهم واستعداداتهم باختيار مهام أو تدريبات خاصة أو القيام بأعمال معينة يترتب عنها الترقية وتولي مناصب لها مسئوليات أكبر. وعلى هذا تساعد الاختبارات والمقاييس النفسية مع هذه الوسائل السابقة على اكتشاف الأفراد الاكفاء والموهوبين للاستفادة بهم مستقبلا في الجيش.

هـ - تحديد إحتياجات التدريب: تفيد الإختبارات النفسية في التعرف على أوجه النقص في معلومات الجنود والضباط ليمكن تنظيم برامج تدريبية خاصة لزيادة مهاراتهم ومعلوماتهم وكفايتهم وكذا في تقييم برامج التدريب وكفاية المدربين.

و - الإرشاد والتوجيه النفسي: تفيد إختبارات الشخصية في الكشف عن الإضطرابات الانفعالية والمشكلات العاطفية حتى يمكن معالجتها وإيجاد التوافق النفسي والاجتماعي ويمكن تقسيم الإختبارات

النفسية التي تحقق الأغراض السابقة إلى قسمين رئيسيين:

أ - اختبارات الاستعدادات.

ب - اختبارات الشخصية[1].

أ - الاختبارات الاستعدادية: تستخدم اختبارات الاستعدادات للتنبؤ في النجاح في العمل، ويعرف الاستعداد بأنه القدرة الكاملة لتعلم مهنة أو عمل معين إذا أعطي الفرد التدريب أو الخبرة المناسبة. ويمكن تقسيم هذه الاختبارات الى نوعين أساسيين:

(١) اختبارات القدرات: حيث تتخد كوسائل لمعرفة ما يستطيع الفرد أن يعمله، ومثالها إختبارات القدرة الميكانيكية واختبارات القدرة اللغوية وإختبارات القدرة الحركية وهي تستخدم للكشف عن إستعدادات الفرد في النواحي الميكانيكية واللغوية والحركية لتبين مدى قدرته على النجاح في مثل هذه النواحي.

(٢) إختبارات التحصيل: وستتخدم لمعرفة ما استطاع الفرد تعلمه وما سبق أن حصله من خبرات ومثالها اختبار مادة التاريخ العسكري أو مادة التعبئة أو المواد الدراسية الأخرى بشكل عام.

ب - إختبارات الشخصية: ويمكن بواسطة إختبارات الشخصية معرفة كيف يسلك الفرد في المواقف المختلفة التي ستقابله وهي تعتبر وسيلة من وسائل الملاحظة للسلوك الظاهر للفرد، ومن خلال هذا السلوك الظاهر يستطيع الأخصائي النفسي أن يستشف الصراعات الداخلية له وكذلك إحتياجاته واتجاهاته وتتنوع إختبارات الشخصيية.

---

(١) يميل بعض الباحثين الى استخدام كلمة مقاييس بدلا من إختبارات ويميل كذلك آخرون الى استخدام لفظ استخبارات للإشارة الى إختبارات الشخصية التي تعتمد على التقرير الذاتي.

فعلماء الاجتماع يميلون عموما لمعرفة السمات الخلقية في ضوء المعايير الإجتماعية السائدة مثل الأمانة والتعاون والإخلاص والصدق وغير ذلك من الفضائل الاجتماعية. ورجال التربية وعلماء النفس يهتمون كثيرا بمعرفة درجة تكيف الفرد مع نفسه ومع بيئته، كما يهتم النفسيون بمعرفة ميول الأفـراد والأنشطة التي سيفضلونها أكثر من غيرها، هذا بجانب اهتمامهم بمعرفة الاتجاهات نحو الآخرين أو آزاء بعض القضايا المعاصرة. ولذا تتعدد الطرق والوسائل الخاصة بقياس الشخصية ويمكن تصنيفها لأربعة وسائل حسب رأي ثورنديك وهاجين.

(١) ما قرره الفرد عن نفسه على أساس أن معظم الأفراد أدرى بحالهم من غيرهم وأن الفرد أدرى بنفسه وبآماله وطموحه ومخاوفه وأنه يتحكم في سلوك نفسه إلى حد بعيد فيظهر ويخفي ما يستطيعه ويمكنه. وهنا تكمن الحاجة إلى سؤاله وسبر أغوار نفسه ويختص بهذا مقاييس التقدير الذاتي.

(٢) رأي الآخرين فيه فمعاشريه يعلمون عن حياته الخاصة الكثير ثم إنهم يلاحظونه ويتتبعوه في أكثر من موقف إلى درجة أنهم يستطيعون وصف سلوكه وصفا أقرب إلى الدقة، وصفا تنبؤيا لما ستكون عليه تصرفاته مستقبلا أي جمع البيانات عنه بالطريقة المسماة بـ« دراسة الحالة ».

(٢) قيام مجموعة من الملاحظين المدربين بملاحظته في مواقف معينة.

(٤) ما يقرره الفرد على استفسارات غير مباشرة تدور حول تصوراته وأحلامه. وتبنى هذه الوسيلة على أساس أن الفرد قد يحجب بعض البيانات إما عمداً أو عن معرفة وبالتالي توجه إليه أسئلة غير مباشرة فيسقط ما في نفسه عند الاجابة عليها. لذا سميت هذه بالاختبارات الاسقاطية.

٣ - أسس القياس النفسي

يختلف الإختبار النفسي عن الاختبارات المدرسية المألوفة في أنه ليس مجرد مجموعة من البنود أو الأسئلة اللفظية أو العملية المصورة أو المسموعة والتي تدور حول موضوعات ما معينة، بل هو مقياس موضوعي ومقنن لعينة من سلوك الفرد، ويتضمن هذا التعريف عنصرين رئيسيين هما:

أ - الأسس الواجب مراعاتها عند تصميم المقياس أو الاختبار النفسي:

(١) المقياس النفسي: مقياس لعينة من السلوك. فالسيكولوجي يشبه الكيميائي عندما يريد تحليل كميات ضخمة من المواد، لا يقوم بتحليل كل كميات المادة بل يأخذ عينة تمثل تمثيلا دقيقا كميات المادة الموجودة. وحسب مدى دقته في اختيار العينة تكون سلامة النتائج التي يصل إليها. كذلك عند قياس القدرة اللفظية، عندما نحاول معرفة مقدار رصيد الفرد من مفردات اللغة، لا نسأله عند كل ما يعرفه، بل نسأله عن عينة من المفردات التي تمثل المستويات المختلفة من المهارة، والانواع المختلفة من المفردات. وكذلك الحال في قياس الذكاء أو الشخصية، لا نختبر كل استجابات الفرد بل نختبر عينة محدودة تمثل الاستجابات الأصلية.

(٢) الموضوعيـــة: وتعني الموضوعيـــة التحرر من التحـــيز الشخصي عند الحكم على المفحوص، وأن لا تتأثر نتائج القياس بآراء الفاحص الشخصية أو باختلاف الفاحص نفسه. وتتضح الموضوعية في كل خطوات القياس، في تطبيق الاختبار وتصحيحه وتفسير نتائجه. وهي من المبادىء الأساسية التي يلتزم بها علم النفس عموما للوصول إلى المعرفة العلمية المقبولة.

(٣) التقنين: ويعني التقنين «توحيد إجراءات تطبيق وتصحيح الإختبار» فإذا كنا نرغب في المقارنة بين الدرجات التي يحصل عليها الأفراد المختلفون، فلا بد وأن تكون ظروف التطبيق واحدة بالنسبة للجميع. ولتحقيق ذلك يقوم مصمم الإختبار بتحديد مختلف الظروف التي يتم في ظلها تطبيق الإختبار. فيحدد التعليمات الشفهية التي تقال قبل بدء الاختبار، والأمثلة التوضيحية التي تقدم لشرح طبيعة الاختبار، كما يحدد زمن تطبيق الإختبار، وكيفية الإجابة على إستفسارات المفحوصين أثناء جلسة الإختبار.

(٤) المعايير: عندما نطبق الإختبار النفسي على أحد الأفراد ويحصل على درجة عالية، فإن هذه الدرجة الخام لا معنى لها. لا نستطيع أن نعرف مثلا: إذا كانت الدرجة مرتفعة أو منخفضة وهل هي جيدة أم غير جيدة إلا اذا قارنا هذه الدرجات بدرجات الأفراد الآخرين في المجتمع. ولذلك تشتمل عملية تقنين الاختبار على اعداد معايير له. ويتم ذلك بتطبيق الاختبار على عينة كبيرة من الأفراد تمثل المجتمع الأصلي. وبناء على ذلك يتم اعداد المعايير، التي تصبح بعد ذلك مرجعا نفسر في ضوئه الدرجة التي يحصل عليها أي فرد نقوم بإختباره.

ب - خصائص الاختبار الجيد:

هناك عدد من الشروط لا بد من توافرها في الإختبار الجيد. وقد تكلمنا من قبل عن بعض المتطلبات الهامة في المقياس النفسي وهي الموضوعية، والتقنين، المعايير. وإلى جانب ذلك هناك شرطان أساسيان لهما الأهمية القصوى هما شرطا الثبات والصدق، نتكلم عنهما فيما يلي:

(١) الثبات: يعني الثبات اتساق الدرجات التي يحصل عليها نفس الأفراد إذا اعدنا اختبارهم بالمقياس نفسه أو بصورة مكافئة له.

ولتوضيح ذلك بمثال من المقاييس الفيزيقية، لنفرض أنه كان لدينا متر نقيس به الأطوال، وقمنا بقياس طول منضدة، فإننا نتوقع أن يعطينا المقياس نفس النتيجة اذا كررنا عملية القياس. فحصولنا على نفس النتيجة يدل على جودة المقياس، اما إذا تناقضت النتيجة فإننا لا نستطيع الاعتماد على المقياس بعد ذلك. وبالطبع قد نقبل فروقا طفيفة في القياس عند تكراره، عندما لا تتجاوز هذه الفروق مليمترات قليلة، أو أجزاء من المليمتر. أما إذا زادت فروق القياس عن هذا الحد فإننا نشك في سلامة المقياس نفسه. وهذا صحيح في مجالات القياس الطبيعية كقياس الأوزان أو الأطوال أو الحرارة، حيث يُسمح بقدر طفيف جدا من فروق القياس أما إذا زادت الفروق عن ذلك الحد كان ذلك إشارة إلى وجود خطأ في عمليات القياس.

ونفس هذا المطلب وهو الثبات، لا بد من توافره في المقاييس النفسية. وهناك عدة طرق لدراسة ثبات الاختبار نذكر منها طريقتان:

أ - إعادة تطبيق الاختبار:

وذلك بتطبيق الاختبار على نفس عينه الأفراد مرتين ثم حساب معامل الارتباط بين الدرجات التي حصل عليها نفس الأفراد في المرتين. فإذا كان الإرتباط بين درجات المرة الأولى ودرجات المرة الثانية مرتفعا دل ذلك على ثبات الاختبار.

(ب) طريقة الصور المتكافئة:

وفي هذه الطريقة يكون لدينا صورتان متكافئتان من نفس الاختبار نطبقها معا على نفس عينة الأفراد ثم نحسب معامل الإرتباط بين الدرجات على الصورتين.

ويشير إرتفاع ثبات الإختبار إلى إمكانية الاعتماد على نتائج

استخدامه وإلى أن أخطاء القياس طفيفة جدا لا تتجاوز الحدود المقبولة علميا.

ب - الصدق: يعتبر الصدق أهم مستلزمات المقياس الجيد وهو يعني «درجة قياس الاختبار فعليا لما يدعى أنه يقيسه». فإذا كان لدينا مقياس يدعي مصممه أنه يقيس الذكاء، فلا بد من التحقق من ذلك تجريبيا، وإذا كان لدينا مقياس يدعى أنه يقيس الانطواء أو المجاراة الاجتماعية فلا بد من التأكد من سلامة وصحة ذلك الادعاء.

وهناك عدة طرق لدراسة الصدق، نعرض احداها فقط كمثال يوضح طبيعة صدق الاختبار. لنفرض أنه كان لدينا مقياس يدعى أنه يقيس الاستعداد للنجاح في قيادة الطائرات[١] فإننا نستطيع التحقق من صدق الإختبار بتطبيقه على عينة من المشتغلين بهذه المهنة، وفي نفس الوقت نستطيع الحصول - من مصادر أخرى وبطريقة مستقلة - على معلومات عن النجاح الفعلي لكل فرد من أفراد هذه العينة في مهنة قيادة الطائرات. وبعد ذلك نقوم بحساب معامل الإرتباط بين درجات الإختبار من ناحية ودرجات النجاح الفعلي في المهنة من ناحية أخرى. ويعبر معامل الإرتباط الناتج عن صدق الاختبار، أي عن مدى قدرته على التنبؤ بالنجاح الفعلي في هذه المهنة.

٤ - نماذج من الإختبارات والمقاييس النفسية

أ - مقاييس الذكاء

من المحتمل أن يكون عالم السلوك الانجليزي «فرنسيس جالتون» أول من فكر بجدية في إختبار الذكاء. حيث أنشأ معملا صغيرا في متحف لندن بهدف قياس قدرات الانسان، معتقدا أن المعوقين عقليا ينقصهم حدة الإحساس، مقررا أن القدرات العقلية والإدراكية قد تكون مرتبطة معا بدرجة كبيرة.

ولو كان الأمر هكذا، فإن إحدى تلك القدرات تكون مؤشرا للأخرى. وبالتالي، بدأ جالتون في تقدير بعض الصفات مثل حدة الابصار والسمع، الاحساس اللوني، الحكم البصري، وزمن الرجع، وقاس الأنشطة الحركية متضمنة «قوة جذب أو شد شيء ما والضغط عليه» «قوة النفخ» أيضا وسرعان ما اشترك بالمثل كثير من علماء النفس الآخرين في محاولة بناء اختبارات للقدرات العقلية.

(١) إختبار بينية للذكاء:

ابتكر الفريد بينيه، عالم النفس الفرنسي الشهير أول مقياس عملي للذكاء. في البداية، قام بينيه وزملائه بقياس المهارات الحسية والحركية كما فعل جالتون. ولكنهم سرعان ما تحققوا من أن مثل هذه المقاييس لا تعطي المعلومات المرغوبة. ومن ثم، بدأوا في تقويم الوظائف المعرفية وهي: حيوية التخيل، طول ونوعية الانتباه، الذاكرة، والاحكام الجمالية والخلقية، التفكير المنطقي، والقدرة على فهم الجملة. وقام بينيه بجمع بعض المهام العقلية لتقدير تلك القدرات وبدأ باختبار المفردات في إحدى مدارس الأطفال بباريس.

وفي عام ١٩٠٤ م خطى مشروع بينيه خطوة كبيرة. ففي هذا الوقت عين في لجنة حكومية لدراسة مشكلات تعليم الأطفال المتخلفين.

وتوصلت اللجنة الى ضرورة التعرف على الأطفال المعوقين عقليا ووضعهم في مدارس خاصة. ومن ثم، بدأ بينيه ومعاونوه في العمل في إختبار يميز الأطفال الذين يستطيعون الافادة من التعليم المدرسي العادي من هؤلاء الذين لا يستطيعون ذلك. ولبناء الاختبار، إختاروا المفردات التي تميز بين الأطفال الأكبر والأصغر سناً ذوي مستوى الذكاء المتماثل بصورة واضحة (بافتراض أن الأطفال يكتسبون مهارات عقلية أكثر مع تقدمهم في العمر الزمني)[1]. كما أن بينيه ومعاونوه إختاروا المهام التي تميز بجلاء بين الأطفال الأذكياء والأغبياء من نفس العمر.

وباستخدام تلك الاستراتيجيات العامة، تجمع عدد كبير من مفردات الاختبار المميزة وتم ترتيبها تبعا لصعوبتها وتضمنت المهام (البنود) الموضوعة لمستوى عمر ثلاث سنوات وهي مفردات تقيس مقدرة الطفل على أمور مثل الإشارة الى الانف، والعينين، والفم وإعادة ذكر رقمين، والتعرف على الأشياء الموجودة في صورة ما. بينما تضمنت المفردات الموضوعة لمستوى عمر سبع سنوات، الاشارة الى اليد اليمنى، وصف صورة ما، إعادة سلسلة من ثلاث أرقام، وعد بعض العملات. وقد صمم اختبار بينيه بحيث يستطيع الأطفال ذوو

(١) وحدة القياس العقلي للأطفال هي السنة العقلية ونحصل عليها بتطبيق اختبار الذكاء على مجموعات كبيرة من الأطفال في أعمار مختلفة ثم حساب متوسط إجابات الأطفال في كل عمر معين على هذا الاختبار فلو كانت نتائج الاختبار كما يلي:

٦ سنوات ومتوسط الإجابة الصحيحة =٢٢
٨ سنوات ومتوسط الإجابة الصحيحة =٢٥
١٠ سنوات ومتوسط الإجابة الصحيحة =٢٧

إذاً كل طفل مهما كان عمره الزمني يحصل على متوسط إجابات =٢٢ في هذا الاختبار يكون عمره العقلي =٦ سنوات، وكل طفل يحصل على متوسط إجابات=٢٥ يكون عمره العقلي=٨ سنوات وهكذا..

القدرة المتوسطة تقريباً، أن يحلوا حوالي ٥٠٪ من المشكلات الموضوعة لمستوى عمرهم ومعظم المهام الموضوعة للمستويات العمرية الأصغر.

يطبق اختبار بينيه بطريقة فردية على الأطفال، وتُسجل استجاباتهم ويتم تقديرها. وعندئذ، يحدد المختبر مستوى عقليا أو عمراً عقلياً كما أطلق عليه في نهاية الأمر. أي عندما يكون أداء طفل ما في العاشرة من عمره مساويا لمتوسط أداء الأطفال الذين في مثل عمره، يكون مستواه العقلي مساويا عشر سنوات. بينما يكون المستوى العقلي لهذا الطفل مساويا لست سنوات، إذا كان أداؤه مماثلا لمتوسط أداء أطفال في السادسة من عمرهم. ويُحسب الفرق بين المستوى العقلي والعمر الزمني كمؤشر للذكاء. ويعتبر الأطفال متخلفين عقليا إذا كان مستواهم العقلي منخفضاً بمقدار عامين عن عمرهم الزمني.

معنى نسبة الذكاء

في عام ١٩١٦م، قدم «لويس تيرمان» (١٨٧٧ - ١٩٥٦م)، عالم النفس الأميركي بجامعة ستانفورد نسخة معدلة من إختبار بينيه للأمريكيين حيث لاقت قبولا كبيراً[١].

وفي ذلك الوقت، تبنى تيرمان مفهوم نسبة الذكاء من أحد علماء السلوك الألمان، كمؤشر للذكاء. ونسبة الذكاء هي دليل عددي يصف الأداء النسبي في إختبار ما، ويقارن بين أداء فرد ما بأداء الآخرين من نفس العمر. ويمكن حساب نسبة الذكاء بطرق مختلفة فاستخدمها تيرمان لوصف العلاقة بين المستوى العقلي والعمر الزمني، رافضا طرق القياس التي إستخدمها بينيه وهي الفرق بين الإثنين. وفي مقياس

(١) دافيد روف (ترجمة سيد الطواب وآخرون): مدخل علم النفس. القاهرة: دار ماكجروهيل للنشر، ١٩٨٠.

ستانفورد - بينيه للذكاء - وهو الإسم الذي أطلق على نسخة تيرمان المعدلة - كان حساب نسبة الذكاء يتم على النحو التالي: يعطى المفحوص عددا محددا من الشهور بالنسبة لكل إجابة صحيحة، وتجمع النقط المتجمعة ويسمى مجموعها العمر العقلي (يتم إختيار قيم النقط المعطاة لكل مهمة بحيث يكافيء متوسط درجات العمر العقلي للأفراد عمرهم الزمني).ثم يقسم العمر العقلي على العمر الزمني (CA) ويضرب الناتج في ١٠٠. أي أن نسبة الذكاء IQ =

$$\frac{\text{العمر العقلي (MA)}}{\text{العمر الزمني (CA)}} \times ١٠٠ .$$

مثلا، نسبة ذكاء الطفل في العاشرة من عمره حصل على درجة مكافئة ل ١١سنة عمر عقلي هي ١١٠($IQ = \frac{١١}{١٠} \times ١٠٠ = ١١٠$) . وتعكس نسبة الذكاء إفتراضا مؤداه أن العمر العقلي المنخفض بعام واحد عن العمر الزمني يظهر تخلفاً في سن ٥ عنه في سن ١٥: ولكن الآن، يختلف حساب نسب الذكاء في مقياس ستانفورد - بينيه إختلافا طفيفا ملحوظة: لا ترتكب خطأ مساواة نسبة الذكاء بالذكاء. فالذكاء كما عرفناه، قدرة عامة للأنشطة العقلية. ونسبة الذكاء هي عدد يدل على أداء فرد ما في إختبار معين بالمقارنة بأفراد آخرين من نفس فئته العمرية.

إختبار وكسلر لذكاء الراشدين

وبصفة عامة إنتشرت أفكار بينيه عن إختبار الذكاء في بعض دول من العالم، لأن أداء الاختبار يُغلب عليه الجانب العملي، فهو يسمح لعلماء النفس بتقدير الذكاء في صورة رقمية. وهذه الصورة الرقمية يمكن لأي فرد حسابها بسهولة بعد تفاعله مع المفحوص لفترة ساعة

تقريبا. وقد حاول بعض علماء السلوك تحسين مقياس ببنيه، بينما قام آخرون ببناء إختبارات جديدة بطريقة مشابهة. ولتوفير الجهد والمال، قدم علماء النفس أدوات يمكن تطبيقها على مجموعة من الأفراد في وقت واحد، كما صُممت إختبارات لفئات معينة من الأفراد، بحيث تشمل الأطفال، المراهقين، البالغين، المكفوفين والصم. ويوجد حاليا، ما يقرب من مائة إختبار للذكاء يستخدمها المُربون. ولعل أبرز هذه المقاييس مقياس «ويكسلر».

وضع عالم النفس ديفيد ويكسلر مقياسا للذكاء يعرف بمقياس ويكسلر لذكاء الراشدين، ويعد مثالا لإختبار معاصر للذكاء يستخدم على نطاق واسع لتقويم القدرات العقلية للراشدين. يتكون المقياس من ست إختبارات فرعية لفظية لتقدير القدرات المعتمدة على اللغة، وخمسة إختبارات فرعية عملية لتقويم القدرات المعتمدة على التفكير ومهارات حل المشكلات العملية.

وباستخدام تعليمات مقننة، يطبق المختبر المدرب مقياس ويكسلر لذكاء الراشدين على فرد واحد وتعالج المهام المكونة لكل إختبار فرعي تبعا لترتيب صعوبتها أي من السهل الى الصعب، ويتم تسجيل إستجابات المفحوصين الصحيحة بحيث يمكن تقويمها في وقت لاحق في ضوء مجموعة من المحكات التي تصاحب الاختبار. وتظهر درجات الإختبارات الفرعية الأحد عشر مستوى أداء المفحوص بالمقارنة بأداء غيره من نفس فئته العمرية. وتمكن هذه المعلومات من رسم تخطيط نفسي لمواطن القوة والضعف العقلية لدى كل مفحوص. وأخيراً، يقارن الأداء الكلي لكل مفحوص طبق عليه المقياس بالأداء الكلي لعينة ممثلة من أفراد ينتمون الى نفس الفئة العمرية. مثلا، أداء المفحوص الذي يماثل أداء المجموعة المرجعية بنسبة ٥٠٪ تشير الى أن نسبة ذكائه في المتوسط تساوي ١٠٠،

ويحصل الفرد الذي يؤدي أفضل أو أسوأ من ٥٠٪ من أداء المجموعة المرجعية على نسبة ذكاء مناظره مرتفعة أو منخفضة (يوضح جدول رقم (١) النسب المئوية لأفراد المجموعة المرجعية التي تقع داخل نطاق كل فئة من فئات نسب الذكاء، بإستخدام إختبار وكسلر «W.A.I.S.»).

الاختبارات الفرعية لمقياس ويكسلر لذكاء الراشدين[١].

الاختبارات الفرعية اللفظية:

المعلومات العامة: تتطلب الاسئلة معرفة المعلومات العامة مثل: «ما هي عاصمة ايطاليا؟ ما هو علم الحفريات؟. وهو مصمم لتقدير المعرفة العامة.

الفهم العام: تتطلب الأسئلة معرفة أمور عملية، مثل: لو تهت في غابة بالنهار ازاي تعرف تخلص نفسك؟ لماذا تطلب الحكومة من الناس ضرورة عمل رخص للسيارات؟.

وهو مصمم لتقدير المعلومات العملية والقدرة على إصدار أحكام إجتماعية.

الاستدلال الحسابي: تتطلب الأسئلة معالجة الأعداد، مثلا: «اشترى شخص سيارة بثلثي ثمنها الأصلي ودفع فيها ٤٠٠٠ ريال، يبقى ثمنها الأصلي كام».

ثماني رجال يمكنهم إنهاء عمل في ٦ أيام، كم رجل يلزم لإنهاء العمل في ١/٢ يوم؟.

---

(١) د. وكسلر (إقتباس واعداد لويس كامل مليكة ومحمد عماد الدين إسماعيل). مقياس وكسلر - بلفيو لذكاء الراشدين. القاهرة: النهضة المصرية، ١٩٨٣م.

وهو مصمم لتقدير قدرات التركيز والاستدلال باستخدام الحساب.

المشابهات: تتطلب الأسئلة مقارنة مفردتين للتعرف على وجه الشبه الأساسي بينهما مثلا «فيما يتشابه الأسد والنمر؟» «ما هو وجه الشبه بين الساعة والأسبوع؟».

وهو مصمم لتقدير كل من القدرات المنطقية والمجردة أو إحداها.

إعادة الأرقام: تتطلب الأسئلة تذكر بعض الأرقام السابق عرضها على المفحوصين، والمحصورة بين رقمي ٢، ٩ وذلك وفقا للترتيب الذي عرضت به ومرة أخرى بالعكس.

وهو مصمم لتقدير الانتباه والذاكرة الصماء.

المفردات: تتطلب الاسئلة تحديد معنى بعض الكلمات مثل: «مظلة» «الضمير» وهو مصمم لتقدير القدرة على تعلم اللفظية والمدى العام للأفكار.

الاختبارات الفرعية العملية:

رموز الأرقام: تعرض على المفحوص تسعة أرقام يرتبط كل منها بعدد من الرموز المختلفة، ثم سلسلة من الأرقام مرتبة ترتيباً عشوائيا وعلى المفحوص كتابة الرمز المطابق لكل رقم أسفله.

وهو مصمم لتقدير سرعة التعلم وكتابة الرموز.

تكميل الصور: تقدم للمفحوص صوراً كاملة، وعليه تحديد الجزء الأساس الناقص منها وهو مصمم لتقدير اليقظة البصرية والذاكرة البصرية.

رسوم المكعبات: تقدم للمفحوص بعض الرسوم كنموذج، وعلى المفحوص أن يتناول بعض المكعبات الخشبية الصغيرة ليكون منها الرسم الذي يمثله النموذج.

وهو مصمم لتقدير القدرة على تحليل الكل الى الأجزاء المكونة له والقدرة على تكوين المجردات.

ترتيب الصور: تقدم للمفحوص صوراً صغيرة مرتبة ترتيباً عشوائياً يتراوح عددها بين ثلاثة وستة صور وعليه أن يعيد ترتيبها لتكوين قصة معقولة.

وهو مصمم لتقدير القدرة على الفهم، وتكوين الرأي عن موقف اجتماعي.

تجميع الأشياء: تقدم للمفحوص أجزاء تشبه اللغز من شيء ما، وعليه تجميعها بسرعة.

وهو مصمم لتقدير القدرة على بناء شيء محسوس من مكوناته.

جدول رقم (١)

تصنيفات نسب الذكاء في مقياس ويكسلر

نسبة الذكاء IQ	التصنيفات	النسبة المئوية المتضمنة
١٣٠ - فأكثر	متفوق جداً	٢,٢
١٢٠ - ١٢٩	متفوق	٦,٧
١١٠ - ١١٩	ذكي عادي	١٦,١
٩٠ - ١٠٩	متوسط الذكاء	٥٠,٠
٨٠ - ٨٩	غبي عادي	١٦,١
٧٠ - ٧٩	الحالات الهامشية (قد تصنف في فئة ضعاف العقول أو الاغبياء).	٦,٧
٦٩ فأقل	ضعيف العقل	٢,٢

إختبار الذكاء العالي

يقيس الإختبار الذكاء العام، ويشمل ٤٢ سؤالا متدرجة في الصعوبة وتتضمن عينات مختلفة من الوظائف العقلية أهمها:

١ - القدرة على تركيز الإنتباه.

٢ - القدرة على إدراك العلاقات بين الأشكال.

٣ - الاستدلال اللفظي: الأحكام المنطقية والمتناسبات اللفظية.

٤ - الاستدلال العددي: حل سلاسل الأعداد وأسئلة التفكير الحسابي.

٥ - الاستعداد اللفظي: التعبير والمترادفات[١].

ويصلح هذا الاختبار لقياس الذكاء بالمستوى التعليمي الثانوي وما يعادلها والمعاهد العليا والجامعات بما في ذلك الدراسات العلمية والأدبية أو النظرية والعملية. والوقت المحدد للإختبار ٣٠ دقيقة.

ومن أمثلة الأسئلة الواردة في الإختبار ما يلي:

١ - اكتب الكلمات الناقصة في كل سطر مما يأتي:

أ - أبيض إلى أسود مثل قصير إلى ....

ب - «عين» إلى .... مثل .... إلى «يسمع»

٢ - أوجد العددين التاليين في سلسلة الأعداد الآتية:

(أ) ٢ - ٤ - ٨ - ١٦ - ....

(ب) ١٥ - ٥١ - ١٦ - ٦١ - ١٧ - ٧١ - ....

---

(١) صفوت فرج: القياس النفسي. القاهرة: دار الفكر العربي، ١٩٨٠م.

٣ - إختر أصلح التفسيرات لكل كلمة وضع خطا تحته:
استمرأ (أذعن لغيره - إستساغ - إستطرد - عمل معروفا).

ب - مقاييس القدرة

القدرة هي طاقة الفرد في أداء عمل ما، جسميا كان أو عقليا، قبل أو بعد التدريب. فهناك «قدرة عقلية عامة» ويطلق عليها «الذكاء العام» أو العامل العام الذي يؤثر في جميع أنواع الأداء في مجالات مختلفة. كما أن هناك قدرات خاصة أي لا يظهر أثرها إلا في مجال معين، كالقدرة اللفظية، أو القدرة العددية، أو القدرة الميكانيكية.... إلخ

ومقاييس القدرة نوعان:

النوع الأول: يقيس ما يستطيع الفرد أن يتعلمه لأداء عمل ما (في المستقبل).
أي، هل يمكنه أن يتعلم وينمي أداء معين؟
هذا النوع من المقاييس يسمى مقاييس استعداد.

النوع الثاني: يقيس ما تعلمه المرء فعلا (في الماضي) لأداء عمل معين، ويسمى هذا النوع مقاييس تحصيل.

والاستعداد هو قدرة طبيعية على إكتساب أنواع عامة نسبياً أو خاصية من المعرفة أو المهارة. فقد لا يكون لدى الفرد حاليا قدرة على أداء عمل ما ولكن لديه إستعداد لاكتساب هذه القدرة مستقبلا، بالتدريب والممارسة.

كأن يكون لدى الشخص إستعداد موسيقي، فهو لا يستطيع العزف الآن على الآلة الموسيقية، ولكنه يستطيع أن يتعلم العزف ليكتسب القدرة على العزف مستقبلا.

وبالمثل هناك إستعداد ميكانيكي، إستعداد لأن يكون الفرد راميا ماهراً أو أن يعمل في المراقبة الجوية للطائرات المعادية أو ملاحاً في طائرة.

وقد عرضنا مقاييس الذكاء وسنعرض فيما يلي بعض مقاييس القدرات الأخرى.

قياس مدى الانتباه

الجهاز المستخدم هو «التاكستوسكوب» وهو عبارة عن جهاز عرض به مجموعة بطاقات مرسوم عليها دوائر أو نقط صغيرة مختلفة العدد، وتعرض الصور واحدة واحدة على شاشة بيضاء أمام المفحوص لفترة زمنية قصيرة (جزء من الثانية). ويطلب من المفحوص عقب عرض كل بطاقة أن يذكر أو يسجل عدد الدوائر أو النقط التي رآها في كل مرة، كما يذكر درجة تأكده مما يقول. وتكرر التجربة حوالي عشر مرات. ثم نقارن بين ما تذكره المفحوص والعدد الحقيقي في كل مرة، وتمثل النتائج بيانيا.

قياس زمن الرجع

يعرف زمن الرجع بأنه الوقت الذي ينقضي بين بدء ظهور المثير وبدء ظهور الاستجابة ويقوم هذا التعريف على أساس أن هناك فاصلا زمنيا بين بدء ظهور المثير وبدء إستجابة المفحوص لهذا المثير، حيث يصعب على أي مفحوص أن يستجيب مباشرة لأي مثير بمجرد ظهوره[1].

---

(١) محمود الزيادي وآخرون: علم النفس التجريبي. الرياض، عمادة شئون المكتبات ١٤٠٢ هـ.

فإذا كان هناك جندي يعمل على مدفع مضاد للطائرات، حددت له سرعة طائرة العدو وإتجاهها وكافة المعلومات اللازمة له، وصدرت له التعليمات بإصابتها. فإن مثل هذا الجندي إذا كان متميزاً بزمن رجع مناسب فإنه يستطيع إسقاط الطائرة إذا إستغرق تنفيذ الأمر زمنا ملائما، ولكنه إذا أبطأ وإستغرق زمن رجع أكثر مما هو متوقع فإنه يتيح لطائرة العدو فرصة الهرب وضرب مصنع أو مدرسة أو حي من المدينة أو أهداف عسكرية مثلا. ذلك لأن الأجزاء من الثانية مضروبة في سرعة الطائرة تعطي مسافة كبيرة بين الطائرة والقذيفة، تخرجها من نطاق الإصابة فتفلت منها. والزمن المحصور بين لحظة ظهور المثير وهو الطائرة ولحظة الاستجابة وهي إستعمال اليد لتشغيل المدفع يسمى بزمن الرجع. وقد إهتم علماء النفس بدراسة زمن الرجع وقياسه بالمختبر لمعرفة الفروق بين الأفراد والعوامل المؤثرة عليه.

جهاز قياس زمن الرجع:

نظراً لصغر زمن الرجع فقد حاول العلماء تطوير طريقة قياسه بما يضمن الدقة وعادة ما يستخدم في الجهاز «ساعة الايقاف» لقياس الفاصل الزمني بين ظهور المثير واتمام الاستجابة والذي يستغرقه عدة ثوان على أساس أن هذه الساعة تستطيع أن تسجل أخماس الثانية لأن وحداتها تتكون من ٢٠٠ مللي ثانية.

وهناك أجهزة متعددة لقياس زمن الرجع يمكن بواسطتها تقدير الزمن الذي ينقضي بين ظهور المثير وصدور الاستجابة التي قد تكون إما باليد أو بالقدم تبعاً لنوع الجهاز والغرض المطلوب من أجله قياس زمن[١] الرجع. فإذا كان الغرض هو معرفة مدى لياقة الفرد لقيادة

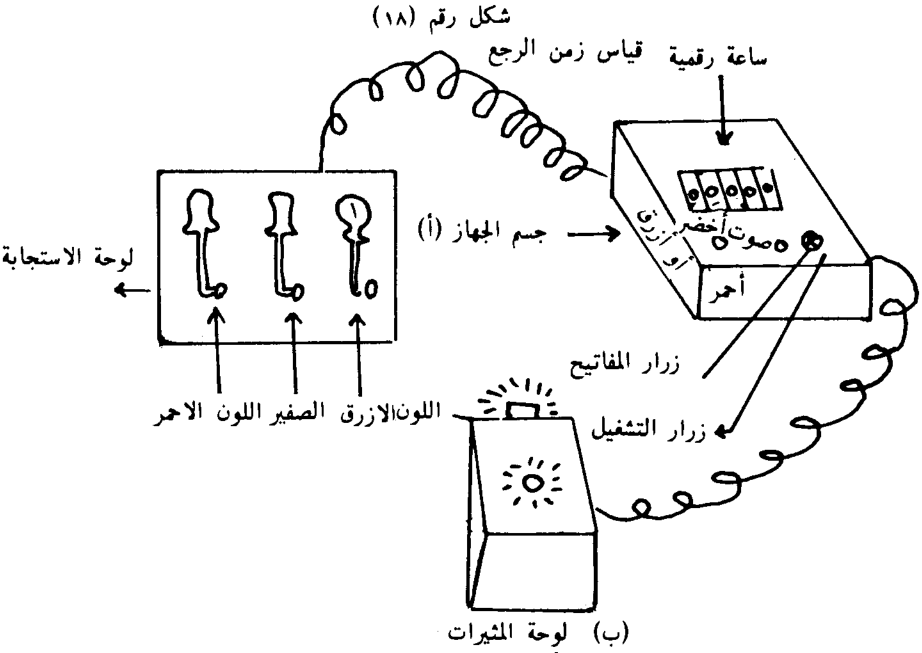
---

(١) محمد عثمان نجاتي: علم النفس الصناعي. القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ١٩٦٠م.

السيارات استخدم جهاز تصدر الاستجابة فيه بالقدم، أما المهن التي تتطلب أن تكون سرعة الأداء باليد فيستخدم فيها النوع الأول. ويمكن بهذا النوع من الأجهزة تقدير مدى صلاحية الفرد للعمل كرامٍ على مختلف أنواع المدافع أو بعض أجهزة إطلاق الصواريخ. والشكل رقم (١٨) موضح به أجزاء جهاز من هذا النوع ويتكون من الآتي:

أ - جسم الجهاز وعليه ساعة ايقاف رقمية لتقدير الوقت المنقضي بين ظهور المثير وصدور الاستجابة، وهناك الى اليمين زرار لإدارته على الرقم الذي يعطي المثير المطلوب، ويحوطه تدريج من أربعة أرقام مخصص كل منها لمثير يختلف عن غيره. وهناك ثلاثة من هذه المثيرات تظهر إما على شكل لون أحمر أو أزرق أو أخضر. أما الرابع فيظهر على شكل جرس. ويوجد أيضا على هذا الجزء زرار التشغيل.

شكل رقم (١٨)



(ب) لوحة المثيرات
(التي يظهر عليها الضوء ومنها يأتي الصوت بعد تشغيل المفاتيح بجسم الجهاز)

ب - لوحة المثيرات ويظهر عليها المثير المطلوب عندما يضغط الباحث على زرار التشغيل، وهي متصلة كهربائياً بجسم الجهاز.

جـ - لوحة مفاتيح الاستجابة وعليها ٣ مفاتيح على شكل روافع صغيرة كتلك التي تستخدم في أجهزة التلغراف كي يضغط المفحوص على أحدها عندما يرى المثير على لوحة المثيرات.

طريقة التشغيل: يجلس المفحوص على مقعد وأمامه لوحة مفاتيح الإستجابة بحيث يمكنه رؤية لوحة المثيرات بوضوح. ويحجب الفاحص عنه جسم الجهاز حتى لا يرى الرقم الذي ينتظر أن يصدر عنه المثير. ويخبر الفاحص المفحوص بطريقة الأداء. وتتضمن هذه الطريقة أن لكل مثير سيظهر من ٣ مثيرات محتملة (لون أحمر وأزرق أو صوت جرس) مفتاحا معينا عليه أن يضغط عليه (يمكن للباحث في تجربة أخرى أن يستبدل أحد هذه المثيرات الثلاث بالمثير الرابع). ثم يحدد الفاحص نوع المثير دون أن يراه المفحوص بإدارته كل من زرار المفاتيح وزرار التشغيل على جسم الجهاز.

وتبدأ التجربة في حجرة خافتة الإضاءة ويوضع أمامه الجهاز. وقبل بدء التجربة يشرح الفاحص للمفحوص كيفية الأداء. فإذا ظهر ضوء أخضر عليه أن يضغط على الزر الأيمن وإذا ظهر ضوء أحمر عليه أن يضغط على الزر الأيسر وإذا سمع صوت جرس عليه أن يضغط على الزر الأوسط.

وقد تستغرق المحاولات الأولى وقتا طويلا نسبيا يصل لنصف ثانية ولكن يتناقص هذا الزمن بتكرار المحاولات ليصل إلى ما بين ١/٥ و ١/٤ ثانية أي ما بين ٢٠٠ ، ٢٥٠ مللي ثانية بإعتبار أن الثانية تساوي ١٠٠٠ مللي ثانية، وأن الملي ثانية يساوي واحدا من الألف من الثانية.

نفترض أن الجندي الذي يعمل على مدفع مضاد للطائرات يعلم أن

قواته الجوية مشتبكة مع قوات العدو، وعليه أن يصيب طائرات العدو إذا دخلت المجال المؤثر لمدفعه، ويعلم كذلك أن هناك فروقاً دقيقة تميز طائرات العدو عن طائرات قواته الجوية. إذن عليه أن يميز نوع الطائرة قبل إطلاق النيران، فإذا كانت صديقة امتنع عن إطلاقه. أما إذا كانت تابعة للعدو وأطلق عليها النار، معنى ذلك أن الوقت الذي سينقص منذ لحظة بدء ظهور المثير (الطائرة) حتى بدء ظهور الإستجابة (إطلاق القذيفة) سيكون أطول من مثيله عندما يؤمر بالضرب مباشرة على أية طائرة تدخل مجاله الجوي. إذ أن الفرق بين الزمنين يستغل في تمييز المثير.

وقد وجد في تجارب زمن الرجع انه كلما ازداد التشابه بين المثيرات كلما طال زمن الرجع التمييزي إذ يستغرق المفحوص بعضا من الوقت في التمييز بين لونين إذا كانا متشابهين في الدرجة وبالعكس كلما كانا متباعدين كلما قل الوقت اللازم للتمييز بينهما.

كما يلاحظ أيضاً في تجارب زمن الرجع أن أداء المفحوص يتحسن باستمرار التدريب فيصل المفحوص في المتوسط إلى أقصى سرعة له بعد عدة مئات من المحاولات موزعة على أيام متعددة.

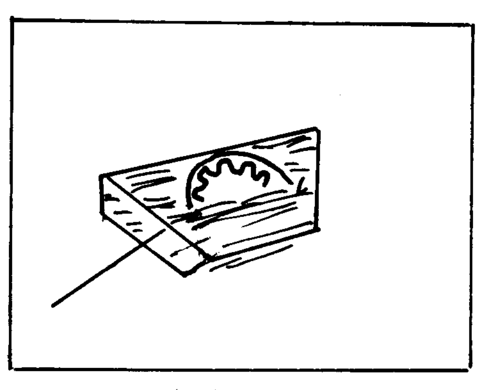
إختبار دقة التآزر الحركي[1]

(أ) الجهاز المستخدم:

جهاز «حد المنشار» (تصميم بونازدل). يتركب الجهاز من شبه صندوق معدني يوجد في سطحه العلوي قناة منحنية جوانبها تشبه حد المنشار، ويتحرك في هذه القناة قائم معدني بواسطة رافعتين على جانبي الجهاز

---

(١) حلمي المليجي: القياس السيكولوجي في الصناعة. القاهرة: دار المعارف، ١٩٦٩م.



شكل رقم (١٩)
جهاز حد المنشار

(ب) خطوات التجربة.

على الشخص أن يحرك القائم المعدني من أول القناة حتى آخرها مستخدما الرافعتين برفق.

يسجل المختبر عدد مرات الخطأ التي يلامس فيها القائم المعدني حافة القناة، وطول الفترة الزمنية للخطأ في كل مرة. ويمكن استخدام مسجل الأخطاء الألكتروني لحساب ذلك بعد توصيله بالجهاز.

احسب الزمن الكلي للمحاولة بالثواني مستخدما ساعة إيقاف (كرونومتر).

كرر التجربة عدة مرات وسجل النتائج في جدول.

استبدل القائم المعدني بآخر أكبر منه سمكا (القائم المعدني أسطواني الشكل أي ذات مقطع دائري). لاحظ أن احتمال الخطأ في هذه الحالة سوف يزيد. كرر الخطوات السابقة باستخدام القائم المعدني الجديد. استبدل القائم المعدني الثاني بثالث أكبر منه سمكا. ثم كرر إجراء الخطوات السابقة أيضاً في هذه الحالة.

حاول تمثيل النتائج في كل حالة بيانياً على النحو التالي.

عدد المحاولات مقابل عدد الأخطاء.

عدد المحاولات مقابل طول الفترة الزمنية للخطأ.

عدد المحاولات مقابل الزمن الكلي بالثواني.

التطبيقات العملية:

١ - اختبار الأفراد المناسبين لعمليات دقيقة لبعض الآلات.

٢ - يصلح الجهاز في إختبار أعداد كبيرة في وقت قصير جدا.

إختبار دقة حركة اليد

أ - الجهاز المستخدم:

يستخدم جهاز «شينوسويد» وهو من تصميم «بوناردل».. ويتركب من قرص مثبت به دبوسان يمكن تحريكهما معا في آن واحد خلال قناة متعرجة موجودة بلوحة معدنية فوق سطح القرص بقليل. ويحسب الخطأ عند تحريك القرص إذا لمس أحد الدبوسين جوانب القناة، ويمكن تسجيل ذلك بمسجل الأخطاء الالكتروني[١].

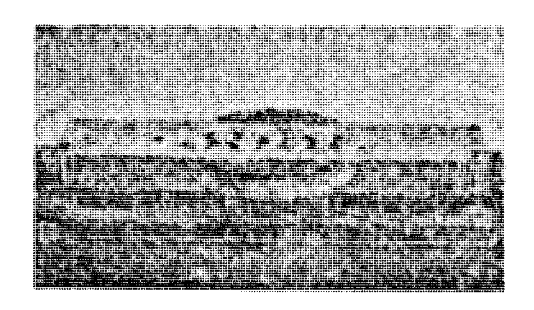
(ب) خطوات العمل:

حرك القرص الدائري بحيث ينتقل الدبوسان المثبتان به معا في آن واحد من أول القناة (العلوية) حتى آخرها دون لمس جوانبها.

احسب عدد الأخطاء، أي عدد المرات التي يلمس فيها أي من الدبوسين جوانب القناة وذلك بتسجيل قراءة مسجل الأخطاء الإلكتروني.

---

(١) المرجع السابق.



شكل رقم (٢٠)
جهاز سينو سويد

إقرأ أيضاً مجموع الفترات الزمنية للأخطاء أثناء المحاولة كما سجلها مسجل الأخطاء.

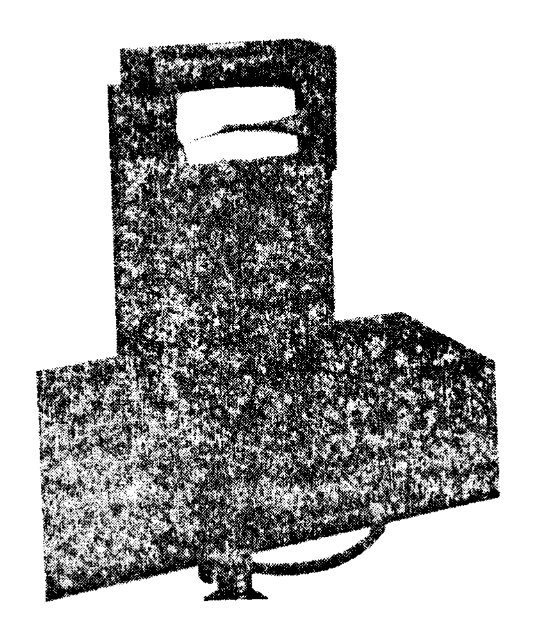
احسب الزمن الكلي للمحاولة بالثواني بواسطة كرونومتر.
كرر التجربة عدة مرات وسجل النتائج في جدول.
وضح النتائج التي حصلت عليها بيانياً على الوجه التالي:
عدد المحاولات مقابل عدد الأخطاء.
عدد المحاولات مقابل الفترة الزمنية للخطأ (مدة التلامس).
عدد المحاولات مقابل الزمن الكلي بالثواني.
ماذا يمكنك إستنتاجه من المنحنيات البيانية الناتجة؟.

(جـ) تطبيقات عملية للجهاز:

اختيار الأشخاص لجميع الأعمال التي تحتاج إلى دقة في حركة اليد. وقد صمم الجهاز بوجه خاص للإختبارات المتكررة للأعداد الكبيرة من الأفراد في أقصر وقت ممكن[1].

(1) Haire, M. Some problems of industrial training. S.LJ. Soc. Fsones. 1948.

قياس قوة التحمل



شكل رقم (٢١)
ديناموجراف

الجهاز المستخدم:

الديناموجراف وهو رسام مكبر يسجل ذاتيا قوة الشخص وتحمله كما يبدو ومن ضغط اليد، ويعمل الجهاز بواسطة انتفاخ من المطاط في حجم قبضة اليد مملوء بالماء، عندما يضغط عليه الشخص بيده يندفع الماء في أنبوبة إلى داخل الجهاز، حيث تتحرك إبرة تسجل خطوطا على شريط من الورق البياني (مربعات) الذي يتحرك أوتوماتيكيا إلى خارج الجهاز بواسطة مسجل كهربي داخلي[١].

يوضح هذا الرسم ذبذبات مجهود الشخص أثناء التجربة.

طريقة العمل:

١ - نطلب من الشخص أن يقبض على المنفاخ المطاط في إحدى يديه ويضغط عليها حتى يتحرك السن وتظهر الخطوط على الورق البياني وذلك لفترة زمنية محددة.

---

(١) المرجع السابق.

٢ - قارن منحنى التعب الناتج مع المعايير الموجودة بالمعمل حتى تتمكن من تحديد مدى قوة تحمل الشخص وقوته التي بدت في ضغط اليد.

قياس التعب

أ - الجهاز المستخدم: الأرجوجراف:

طريقة العمل:

يربط الذراع بسير من الجلد في إطار بحيث يكون مستريحا ولكنه غير قابل للحركة. جميع الأصابع ما عدا الأوسط مثبتة حتى لا تتحرك.

تثبت دوبارة في الإصبع الأوسط وتمرر فوق بكرة عند حافة المنضدة، ويعلق في طرفها الآخر أوزان خفيفة أو ثقيلة حسب نوع التجربة.

يسأل الشخص أن يجذب الدوبارة ببطء أو بسرعة، لمدة قصيرة أو طويلة.

تسجل عدد مرات الجذب، والسرعة، وطول مسافة الجذب على أسطوانة متحركة (دورانية).

ملاحظات:

أولا: كمية الشغل الإجمالية التي يستطيع شخص ما تأديتها في زمن معين تختلف كثيراً باختلاف الطريقة المستعملة. فيستطيع الشخص القيام بشغل أكثر في نفس الزمن لو أن:

الأثقال كانت أخف،

لو كان الجذب بطيئاً أكثر منه سريعا.

لو اعطي فترات راحة مما لو كان عمله متصلا.

لو كان لديه حافز أقوى للعمل (فالعامل الذي يبدو عليه الإجهاد،

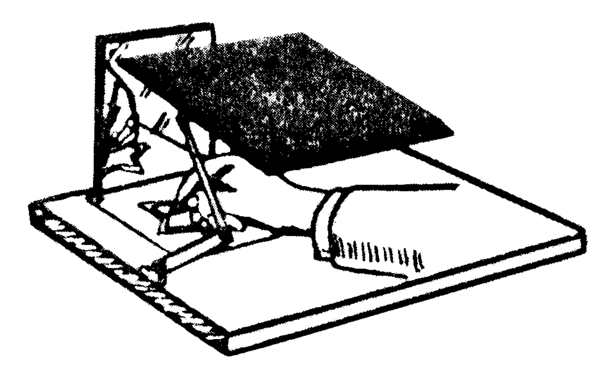
ظاهريا، يمكنه الاستمرار في الشغل لو شجع بقوة لأدائه).

ثانيا: هذه التجارب خاصة فقط بالتعب العضلي تحت ظروف فردية من الاعياء أو الإجهاد الفسيولوجي.

إختبار إنتقال أثر التدريب

أ - الجهاز المستخدم:

يتكون الجهاز من ورقة مرسوم عليها نجمة خماسية حدودها ذات خطوطمزدوجة متوازية بينها مسافة معينة، والورقة موضوعة على قاعدة خشبية أفقية (على المنضدة) بحيث يمكن للشخص أن يرى صورة النجمة فقط في مرآة رأسية مثبتة في اللوحة الخشبية، ولكنه لا يستطيع الرؤية المباشرة للورقة نفسها حيث يخفيها عن الشخص حاجز متحرك كما في شكل ( ).



شكل رقم (٢٢)
تجربة الرسم في المرآة

(ب) خطوات العمل:

يطلب المختبر من الشخص أن يمسك قلما (رصاص) بيده اليمنى، ويحركه في حدود النجمة المرسومة على الورقة بين الخطوط المتوازية بأسرع ما يمكن.

يجب التأكد من أن الشخص لا يرى يده أو النجمة رؤية مباشرة بل يرى صورتها فقط في المرآة، أي أن المرآة هي الموجه الوحيدة في معرفة الاتجاه.

على المفحوص أن يحرك سن القلم حتى يعود مرة أخرى إلى نقطة البداية.

تكرر التجربة حوالي ١٥ مرة.

يسجل المختبر الزمن المستغرق في كل محاولة باستخدام كرونومتر.

حينما يجد المختبر أن المفحوص قد تكون لديه فعلا تآزر بصري حركي أي حدث تعلم باليد اليمنى، يطلب منه أن يكرر التجربة مستخدما اليد اليسرى. سجل النتائج في جدول، ثم وضح ذلك بالرسم البياني.

(جـ) ملاحظات:

يأتي الإنسان إلى كثير من الأعمال الجديدة مزوداً بخبرات سابقا فإذا كان لدى الفرد عادة ما أو مهارة ما تسهل تعلم العمل الجديد، فإننا نقول أن هناك «إنتقال موجب لأثر التدريب» وأحيانا أخرى، نتدخل عادة قديمة لدى الفرد في تكوين عادة أخرى. فيكون لها تأثير معطل في تعلم العمل الجديد، ويسمى هذا «إنتقال سالب لأثر التدريب».

قد نجد في بعض التجارب الأخرى أنه لم ينتقل من أثر التدريب إلا جزءاً فقط، بينما تشير تجارب أخرى، تحت ظروف أخرى، إلى حدوث انتقال أكثر. ان هذا الإختلاف في الانتقال يعتمد على أسلوب التعلم أو الطريقة التي يتعلم بها الفرد. الانتقال يعني تعميم ما نتعلمه.

والعادة التي حدث لها تعميم هي عادة تكونت نتيجة عدة مثيرات

أو مواقف متشابهة، والتشابه بين المواقف والقدرة على اكتشاف أوجه الشبه هما عاملان هامان في حدوث الانتقال. كما أن إثارة التهيؤ الذهني للبحث عن التشابه عامل هام أيضاً. فهناك ضابط يتعلم درسا في التكتيك كقطعة منفصلة من المعلومات، وآخر تمكنه الظروف من أن يبحث عن عديد من التطبيقات العملية لهذا الدرس خلال التدريب الميداني أو الحربي. والأخير لا يحتفظ فقط بالمعلومات فترة أطول بل إنه يكتسب أيضاً إستعمالات أكثر لتلك المعلومات.

ويظهر هذا الأثر لانتقال التدريب عند توزيع الأفراد الجدد داخل القوات المسلحة. فكلما عمل الفرد في مهنة مشابهة لمهنته قبل التحاقه في الجيش كلما حقق تقدما أسرع في التدريب على هذه المهنة.

إختبار القدرة الميكانيكية[1]

الجهاز المستخدم:

هو جهاز الروافع أو إختبار الروافع «لميلي» ويتكون الجهاز من:

١ - لوحة معدنية مستطيلة بها ٥٤ ثقباً.

٢ - أربعة قضبان معدنية «أوروافع» ذات خمسة ثقوب. وأربعة قضبان ذات ٤ ثقوب.

وأربعة قضبان ذات ٣ ثقوب.

وثلاثة قضبان كل منها به ثقبان فقط عند الطرفين.

٣ - ستة ألسنة «مسامير طويلة» لوصل الروافع ببعضها.

٤ - أربعة مسامير صغيرة.

---

(١) حلمي المليجي: القياس السيكولوجي في الصناعة. القاهرة: المعارف، ١٩٦٩م.

الأساس الذي بني عليه الاختبار:

الغرض من الاختبار هو محاولة بناء أداة لتشغيل الروافع في اتجاه محدد أي محاولة حل المشكلات المحددة التي يطلبها الاختبار. فيقدم ثلاثة عشر مشكلة تتزايد تدريجيا في الصعوبة ويطلب من المختبر محاولة حلها.

ولهذا، فإن الإختبار يحاول تحقيق ما يلي:

١ - تهيئة ربط الأفكار بتداول الأشياء التي يحملها الشخص.

٢ - يسمح للشخص، كما تكشف المحاولة ذاتها، بأن يصبح واعيا بأخطائه، وبهذا يفهم المشكلات التي تواجهه.

٣ - إن عرض نوع جديد تماما من المشكلات واكتشاف الشخص للأخطاء التي يقع فيها، تهيء السبيل له لكي يعدل نفسه على نحو أفضل.

٤ - أن شروط هذا الإختبار تشبه لحد كبير تلك الظروف التي يجد عمال الحرف أنفسهم فيها.

خطوات العمل:

حاول أن تبني أداة لتشغيل الروافع في الاتجاه المحدد بكل من المشكلات الثلاثة عشر المرفقة بالجهاز مع ملاحظة أن زمن المحاولة ٢٠ دقيقة (متضمنة أداء الأختبار والاستفسارات).

مقاييس الشخصية

إختبارات الشخصية كثيرة ومتنوعة، منها ما يهدف إلى تقييم إجمالي للشخصية، ومنها ما يهدف إلى قياس سمات أو عوامل شخصية معينة. ومن الأولى، طريقة المقابلة وهي طريقة دقيقة تحتاج إلى سيكولوجي. مُدرب تدريباً كافياً تجنباً للذاتية في الأحكام، ومراعاة للموضوعية التي تكفل الحصول على البيانات الهامة بدقة. ومنها أيضاً، الإختبارات الإسقاطية، مثل إختبار بقع الحبر لرورشاخ، واختبار «تفهم الموضوع»

المعروف باسم .T.A.T[١]، واختبار «علاقات الأشياء» .O.R.T[٢]. ولكي تُثمر نتائج هذه الاختبارات، يتحتم إجراؤها بواسطة سيكولوجي معد لذلك إعداداً كاملا، ويكون على دراية واسعة وبصيرة بأعماق النفس البشرية والدينامية السيكولوجية لسلوك الإنسان.

أما القسم الثاني من الاختبارات، فيختلف من حيث السمات الأساسية أو عوامل الشخصية التي يهدف إلى قياسها. وهي إختبارات مقننة[٣] وأكثر موضوعية، وأسهل في التطبيق الفردي والجماعي، إلا أن تفسير نتائجها يحتاج ايضا إلى المتخصص المدرب في قياس الشخصية. وتصمم هذه الإختبارات غالبا في صورة إستفتاءات أو استبيانات تتباين من حيث الزمن الذي تستغرقه في الأداء وفي التصحيح، ويتوقف هذا على الغرض الذي صمم من أجله والظروف التي سيطبق فيها. ومن امثلتها، إستفتاء الشخصية للمدارس الثانوية، واستفتاء الشخصية للراشدين (كاتل)، ومقاييس مينسوتا للشخصية وغيرها.

وفيما يلي بعض مقاييس الشخصية المختلفة.

---

(1) Thematic Apperception Test.

(2) H. Phillipson. The object Relations Technique.

(٣) من حيث معامل الصدق، ومعامل الثبات، وإعداد المعايير الدقيقة، وتحديد شروط تطبيقه وتصحيحه وتفسير الدرجات التي تحصل عليها. كل هذا يحدد مدى الاعتماد على تلك الاختبارات في التطبيق العملي، ويسهل إيجاد الفروق الفردية بين الأشخاص، ووضعهم بالنسبة للمجموع.

إختبار «كاتل» لشخصية الراشدين[1].

هذا الإختبار من تأليف «كاتل» وثم إعداده بالعربية تحت عنوان «إختبار عوامل الشخصية للراشدين» ويقيس ١٦ عاملا للشخصية.

وقد أجرى «كاتل» عديدا من الدراسات التجريبية «والعاملية» قبل تصميمه لمقياسه للتأكد من صدق العوامل المكونة له وهو يرى أن مثل هذا التعدد لعوامل الشخصية كما هو في مقياسه يساعد على دقة «التنبؤ» في مجال قياس الشخصية وانطباق الصفات التي يقدرها المقياس على صاحبها بالفعل. كما أن هذا المقياس يمكن من تزويد الباحث بأكبر قدر من المعلومات عن الشخصية في أقصر وقت ممكن. وهذا الإختبار يقيس أبعاداً مختلفة للشخصية كل منها ذا قطبين موجب وسالب مثل «سيكلوثيميا - شيزوثيميا» ويقصد بسيكلوثيميا الشخص الاجتماعي الذي يميل إلى التحدث مع الآخرين والإئتناس بهم وهذه الصفة تقابلها سمة الانعزال عن الآخرين وهو ما يقصد بكلمة شيزوثيميا.

وهذا هو البعد الأول الذي يقيسه إختبار كاتل.

وهكذا بالنسبة للابعاد الأخرى للمقياس حيث صممت لقياس صفات ونقيضها مثل الاتزان الانفعالي في مقابل التقلب الانفعالي، والسيطرة في مقابل الخضوع ونوضح في الجدول التالي هذه الأبعاد أو العوامل الستة عشر:

---

(1) Cattell, R.B & Stice, S.J, Hand book for the sixteen personality factor questiennaire. Champaign, ILL. Institute for personality and Abelity testing, 1962.

	بعد الشخصية « القطب السالب »	اسم « العامل » بالعربية ورمزه	بعد الشخصية « القطب الموجب »	
١	متحفظ ، بارد	أ (س ظ ١).	ودود ، يشارك إجتماعيا	A
٢	غبي	ب (س ظ ٢)	ذكي	B
٣	متقلب انفعاليا	ح (س ظ ٣)	متزن انفعالياً	C
٤	مستكين (خاضع)	د (س ظ ٥)	مسيطراً	E
٥	جاد ، صامت	هـ (س ظ ٦)	مرح ، متحمس	F
٦	لا يعتمد عليه	و (س ظ ٧)	مثابر مواظب	G
٧	خجول ، محجم	ز (س ظ ٨)	مغامر ، جريء اجتماعيا	H
٨	صلب ، فظ القلب	ح (س ظ ٩)	رقيق القلب حساس	I
٩	واثق من غيره	ط(س ظ ١٢)	مُرتاب ، شكاك	L
١٠	عملي ، يهتم بالحقائق	ي(س ظ ١٣)	خيالي ، بوهيمي	M
١١	ساذج ، غير ملتوي	ك (س ظ١٤)	داهية ، سوفسطائي	N
١٢	واثق من نفسه ،دمث	ل (س ظ١٥)	منزعج ، قلق	O
١٣	محافظ ، حذر	م١(س ظ١٦)	تجريبي ، حر التفكير	Q 1
١٤	تقليدي ، تابع ، مقلد	م٢(س ظ١٧)	مكتفي ذاتيا	Q 2
١٥	عرض ،تابع لدوافعه الفطرية	م ٣(س ظ١٨)	مضبوط ، منظم	Q 3
١٦	مسترخي ، هادىء	م٤(س ظ١٩)	متوتر ، محبط	Q4

بروفيل إستفتاء الشخصية للراشدين - تأليف « كاتل ».

مقياس مينسوتا للشخصية متعددة الأوجه[1].

هذا الاختبار من تأليف «هاتاواي» و«ماك كنلي» وهو أساساً أداة إكلينيكية لقياس درجة ونوع الانحراف في النواحي الآتية:

توهم المرض، الاكتئاب، الهستيريا، السلوك السيكوباتي، البارانويا السيكاثينيا، الشيزوفرانيا، والهوس الخفيف. ويقيس الاختبار أية مجموعة أخرى من الميول والسمات مثل الذكورة والأنوثة، والانطواء الإجتماعي، بالإضافة إلى ذلك يقدم الإختبار ثلاثة مقاييس أخرى لتحديد مدى تعاون المفحوص، وصدقه، ومحاولة تقديم صورة ملائمة عن نفسه والاختبار يصلح للكشف عن الأمراض النفسية والعقلية لمن هم في سن ١٦ - ١٨ وما بعد ذلك، ويمكن استخدامه كاختبار فردي أو جمعي، وتسجل النتائج في مبيان نفسي خاص.

وقد استخرجت في السنين الأخيرة مقاييس جديدة عديدة لم يتضمنها نظام التصنيف، وتختلف الأدلة على صدق هذه المقاييس إختلافا كبيرا. ولكنا نورد فيما يلي وصفا مختصراً لأهم هذه المقاييس، ويلاحظ أن اختيار بنود هذه المقاييس تم بطريقة المجموعات المتعارضة، أي بناء على صلاحية البنود في التمييز بين الأشخاص الذين تنطبق عليهم السمة (على أساس السجل المرضي والتشخيصي السيكاتري الخاص بهم) وبين الآخرين الأسوياء.

١ - مقياس السيطرة (Do): يهدف إلى قياس السيطرة الشخصية في مواقف المواجهة.

---

(١) س. هاثاواي، ج ماكنلي (ترجمة لويس كامل مليكة وآخرون: إختبار الشخصية متعدد الأوجه. القاهرة: مكتبة النهضة العربية، ١٩٧٨م.

٢ - مقياس العداوة (Ho): يهدف إلى قياس العدوانية وعدم الثقة في الآخرين.

٣ - مقياس المسئولية (Re): يهدف إلى قياس الشعور بالمسئولية الإجتماعية والخلقية.

٤ - مقياس المكانة الإجتماعية - الإقتصادية (St): يهدف إلى قياس عوامل سيكولوجية معينة ترتبط عادة بالمكانة الإجتماعية الاقتصادية للشخص.

٥ - مقياس العصاب: يهدف إلى التمييز بين السويين والعصابيين من النوع الخليط.

٦ - مقياس ألم الظهر الأسفل (LBQ): يهدف إلى قياس العوامل السيكولوجية التي وجدت في الجنود ممن يعانون من ألم وظيفي في أسفل الظهر كما يتميز عن الحالات الباثولوجية العضوية.

إستبيان الشخصية لبرنرويتر

في الفترة ما بين الحربين العالميتين الأولى والثانية، إهتم علماء النفس ببناء إختبارات الشخصية المتعددة الأبعاد، أي التي تقيس أكثر من سمة أو صفة من سمات أو صفات الشخصية.

ويعتبر إستبيان برنروتير أول خطوة في هذا الاتجاه. وقد حاول برنروتير التحقق من صحة الفرض بأن سلوك الشخص في موقف معين ربما يكشف عن سمات شخصية مختلفة، وعندئذ يمكنه تقدير أوزانا شخصية متباينة للسمات المختلفة، وبناء إختبارات تستخدم في تحليل سمات متعددة معاً وفي وقت واحد.

وقد جمع برنروتير مفردات إختباره من عدة إختبارات سابقة مثل إختبار البورث في السيطرة والخضوع وإختبار ثيرستون في الشخصية واختبار «ليارد» للإنطواء - الانبساط، والاختبار الذي كان قد أعده لقياس اكتفاء الذاتي. ثم حاول التحقق من أن مجموعة المفردات تقيس كل متغير من المتغيرات الأصلية بنفس الدقة التي تقيس بها الاختبارات الأصلية هذه المتغيرات.

ويتكون الاستبيان من ١٢٥ سؤالا يجيب عنها المختبر بنعم أو لا أو «؟». وقد صممه برنروتير عام ١٩٣٢م لقياس سمات الشخصية الآتية: العصابية والاكتفاء الذاتي والإنطواء والانبساط والسيطرة والخضوع والثقة بالنفس والميل الاجتماعي.

ومن أمثلة عبارات هذا الاستبيان: -

هل يتحسن عملك إذا امتدحك أحد؟

هل تميل إلى الرياضة أكثر مما تميل إلى الأنشطة الفكرية؟

هل تتجنب عادة إستشارة غيرك؟.

وقد بينت معاملات الإرتباط بين الدرجات الأربعة لهذا الاستبيان أن هذه الدرجات لا تقيس ست جوانب أو سمات مختلفة للشخصية إذ وجد أن درجات العصابية ترتبط إرتباطا عاليا بدرجات الإنطواء.

ولكن يمكن الحصول على ست درجات وذلك بتعيين أوزان عددية مختلفة للمفردات.

وقد نقل المقياس إلى العربية محمد عثمان نجاتي وقام بدراساته عن صدقه وثباته.

إختبار ايزنك للشخصية[1]

إهتم ايزنـك في نظريتـه للشخصيـة الـتي سماها «نظريـة الأبعاد المنفصلة» بدراسة أبعاد الشخصية ومحاورها باعتبارها محددات أساسية للاتجاهات التي يمكن أن تكون عليها الشخصية. وقد حقق ايزنك نظريته تجريبياً باستخدام اسلوب التحليل العاملي الاحصائي. حيث توصل إلى ثلاثة أبعاد للشخصية هي:

(E) الانبساط الإنطواء.
(N) العصابية اللاعصابية.
(P) الذهانية اللاذهانية.

وتتكون صورة إستبيان ايزنك (الجديد) ١٩٧٥م من ٩٠ بنداً كالآتي:

٢٥ بندا لقياس الذهانية.
٢١ بندا لقياس الانبساط.
٢٣ بندا لقياس العصابية.
٢١ بندا لقياس الكذب.

هذا إلى جانب المقياس (C) لقياس النزعة الإجرامية وهو عبارة عن ٣٤ بندا منتقاة من ضمن الأربعة مقاييس الاخرى.

وصف الأبعاد التي يقيسها الاستبيان:

(E) الانبساط ← الإنطواء:

الشخص المنبسط هو شخص إجتماعي يحب الحفلات وله أصدقاء كثيرين وهو يحب الناس ويأتنس بهم ولا يميل كثيراً إلى الدراسة

(1) Eysenck, H. J & Eysenck, &. Manual of the personality inventory, London, Hordder & stoughton, 1976.

والقراءة على انفراد، وهو يحب الإثارة وانتهاز الفرص واقعي يحب الاستمتاع بوقته ويميل كثيرا إلى المرح كما أنه سريع الرد إذا ما ووجه بسؤال ما، يميل كثيراً إلى التغيير والحركة والنشاط. وهو يأخذ الأمور ببساطة ومع هذا فهو قد يغضب وينفعل بسرعة. وعلى هذا فهو شخص لا يتميز بالضبط الكامل لأعصابه دائما وبالاتزان الكامل.

أما الشخص الذي يمثل نموذجا للإنطواء يتصف بالهدوء، مغرم بالكتب أكثر من ميله للناس فهو يتجنب عادة الاختلاط باستثناء قلة من الأصدقاء الحميمين له، ويميل دائما إلى وزن الأمور وتقدير خطواته قبل أن يقدم على عمل ما، وهو لا يحب الإثارة ويواجه مواقف الحياة بشيء من الجدية كما يميل إلى النظام ويسيطر جيدا على مشاعره إذ قلما يتصرف بعدوانية أو يفقد صوابه، وهو يتصف بالتشاؤم ويهتم إهتماما بالغا بالمعايير الخلقية.

(N) العصابية ← اللاعصابية:

الأشخاص الذين يحصلون على درجات عالية على مقياس العصابية. يتميزون بالقلق والعبوس والاكتئاب. وهم قد يعانون من اضطرابات في النوم وكذا بعض الأمراض العضوية التي لها أساس نفسي(سيكسوماتية)، كما أنهم شديدو الانفعال يردون بعنف على معظم أنواع المثيرات التي يمكن أن تسبب لهم الضيق، وهم لا يعودون إلى حالاتهم الطبيعية بعد مرورهم بمثل هذه الانفعالات إلا بصعوبة.

وعموما، يمكن وصف الشخص الذي يحصل على درجات عالية على مقياس العصابية بأنه شخص «قلق» إذ أن الخاصية الرئيسية التي يمكن أن تميزه هو انشغاله الأكثر من اللازم بتلك الأمور التي يمكن أن تسبب له ضرراً ما أو أذى.

أما الشخص الذي يتصف بالاتزان فهو على العكس من ذلك إذ

عادة ما تكون ردوده الانفعالية قليلة نسبياً كما أنها ضعيفة بوجه عام ويمكنه العودة إلى حالته الطبيعية الهادئة بسرعة إذا ما تعرض للانفعال كما أنه يتميز بالهدوء والثبات وعدم القلق.

(P) الذهانية ← اللاذهانية:

يمكن تلخيص ما تعنيه الدرجة العالية على هذا المقياس في الآتي:

(١) شخص يميل إلى الانفراد ولا يهتم بالناس متعب دائما يصعب التفاهم معه.

(٢) القسوة ومعاداة الآخرين حتى اطفاله أو أقرب الناس إليه.

(٣) غريب في تصرفاته ولا يعبأ بالأخطار ويميل إلى السخرية من الناس.

(٤) وكل هذه الصفات يقصد بها الأشخاص الذين يحصلون فقط على درجات عالية جداً (التطرف على هذا المقياس)، أما الذين يحصلون على درجات عالية نسبيا ولكنها تقترب من مدى متوسط الدرجات فهم قد لا يظهرون مثل هذه الأعراض السابقة، كما أنه مع هذه الطبيعة المرضية للعوامل الذهانية كما يستخدمه إيزنك في هذا المقياس، فإنه يرى أنه يختلف عن مقياس مينسوتا متعدد الأوجه أو غيره من المقاييس التي تقيس إعراضا مرضية نفسيه بالفعل، فهو يتعامل (مقياس ايزنك) مع السلوك الطبيعي وليس مع أعراض مرضية، تماما كما هو الحال في مقياسه عن العصابية. فهو يهتم بتغيرات الشخصية التي قد تصبح مرضية في الحالات المتطرفة فقط. ولذا فهو يحاول استبدال مفهوم «عصابية» بكلمة «انفعالية» ومفهوم «ذهانية» بمفهوم آخر هو «تصلب الرأي أو جموده».

وقد أمكن تكوين المقاييس C, P, E, N خلال سلسلة من الدراسات التجريبية والعاملية.

حيث استخدم في الدراسات التجريبية جماعات معيارية من الذهانيين والمجرمين وكانت درجاتهم عالية على هذه المقاييس بالمقارنة بالأشخاص العاديين.

كما وجد في مقياس الذهانية أن الذكور والإناث الذهانيين يحصلون على درجات أعلى على مقياس P عن العصابيين.

كما وجدت معاملات ارتباط دالة بين هذا المقياس ايضا « سالبة » ومقاييس القدرات العقلية لدى مجموعة من الأشخاص الذهانيين المقيمين بالمصحات العقلية.

مقياس C

يقيس النزعة الإجرامية وهو عبارة عن ٣٤ بنداً منتقاة من ضمن الأربعة مقاييس الأخرى (كما هو موضح في مفتاح التصحيح).

مقياس الكذب (L)

يتضمن ٢١ بندا لقياس الكذب وبنوده مقتبسة من مقياس « ل » في إستبيان منسوتا متعدد الأوجه للشخصية، وهو يقيس ميل المفحوص للتزييف نحو الأحسن في استجابته،وعادة ما يوصي باستبعاد الإجابات التي يحصل افرادها على ٥ درجات على هذا المقياس.

ثبات الإستبيان:

اجرى ثباته عن طريق إعادة التطبيق بعد فترة شهر من التطبيق الأول على عينات من الراشدين بلغت ٢٥٧ من الجنسين من فئات مختلفة من الأشخاص.

وقد كانت كالآتي:

(١) (P) الذهانية من ٥١ و إلى ٨٣.

(٢) (E) الانبساط من ٨٧ و إلى ٩٢.

(٣) (N) العصابية من ٧٤ و إلى ٩٢.
(٤) (L) الكذب من ٦١ و إلى ٩٠.

إختبارات «سترونج وكودر»

ومن أكثر اختبارات الميول شيوعا، إختبار سترونج المعروف باسم صحيفة الميل المهني وإختبار كودر المعروف باسم سجل التفضيل الشخصي ويتبع كل من الاختبارين في البداية منهما مختلفا في إعداده، إلا أن كلا منهما تطور بعد ذلك بحيث ضاقت الشقة بينهما بعض الشيء.

وقد اقتبس الدكتور عطية محمود هنا إختبار سترونج للرجال تحت عنوان اختبار الميول المهنية للرجال(*). وتتكون الصورة العربية من ثمانية أقسام هي:

١ - تفضيل المهمة، ٢ - تفضيل المواد الدراسية، ٣ - أنواع التسلية المختلفة، ٤ - أنواع النشاط، ٥ - صفات الأفراد المختلفين ٦ - المفاضلة بين أوجه النشاط على أساس صفات أسلوب النشاط، ٧ - المفاضلة بين عملين محددين، ٨ - حكم الفرد على نفسه وتقديرها في بعض النواحي.

وفي الأقسام الخمسة الأولى من الاختبار، يجيب المفحوص على كل سؤال في إحدى فئات ثلاث تعبر عن الميل أو عدم الميل لموضوع السؤال، أو أن الأمر لديه سيان. وفي الأقسام الثلاثة الأخيرة، يطلب من المفحوص ترتيب المناشط المعينة حسب تفضيله لها، أو يطلب منه أن يقارن بين ميوله في أزواج من الفقرات، أو يقدر قدراته الحالية وخصائصه الأخرى. ويستخدم في الصورة الأمريكية للاختبار حوالي الخمسين.

(*) الناشر: دار النهضة العربية، شارع ثروت. القاهرة.

أما إختبار كودر، فقد اقتبسه إلى العربية الدكتور أحمد زكي صالح تحت إسم إختبار الميول المهنية[1]. وقد طبق الإختبار في البيئة المحلية على مجموعات مختلفة من طلاب وطالبات المدارس الثانوية في السن من ١٥ الى ١٩ سنة، واستخرجت المعايير الخاصة بكل مجموعة على حدة، كما أعدت كراسة الأسئلة وورقة الإجابة ومفاتيح التصحيح والتعليمات ومبيان المعايير. ويقيس الإختبار عشرة ميول رئيسية هي:

١ - الميل للعمل في الخلاء: ويمثل الأفراد الذين يميلون إلى العمل خارج المباني أو المكاتب.

٢ - الميل للعمل الميكانيكي: المهندس الميكانيكي والصناعي.

٣ - الميل للعمل الحسابي: المحاسب والصراف وأعمال مسك الدفاتر وحفظ السجلات.

٤ - الميل للعمل العلمي: الطبيب والمهندس الكيميائي والصيدلي والطيار والأعمال الالكترونية.

٥ - الميل للعمل الذي يحتاج الى متابعة وإقناع: الأعمال الادارية.

٦ - الميل للعمل الفني: أعمال التصوير والفن والنحت والهندسة المعمارية.

٧ - الميل للعمل الأدبي: المؤرخ ومحرر الصحف والناقد الأدبي والأعمال التي تتصل بالدعاية.

٨ - الميل الموسيقي: الميل لسماع الموسيقى أو القراءة عنها أو عزفها.

---

(١) الناشر: مكتبة النهضة المصرية، ٩ شارع عدلي - القاهرة.

٩ - الميل للخدمة الاجتماعية: الأطباء والممرضات والأخصائي الاجتماعي.

١٠ - الميل للعمل الكتابي أو الاداري: أعمال السكرتارية والأرشيف والأعمال الاحصائية.

ويطلب من المفحوص أن يضع علامة أمام العبارة التي تعبر عن النشاط المفضل لديه أكثر من غيره، وعلامة أمام النشاط الأقل تفضيلا من ثلاثة أنشطة في كل سؤال.

ويلاحظ أن إختبار كودر يختلف عن إختبار سترونج في أنه يهدف الى الكشف عن الميل في عدد محدود من الميادين العريضة، وليس من مهنة معينة كما هو الحال في سترونج، وقد اختيرت الفقرات على أساس صدق المضمون متبوعا بتحليل الفقرات بقصد تصنيفها الى مجموعات يتسم كل منها بالاتساق الداخلي وارتباط ضعيف بالمجموعات الأخرى. ويشتمل دليل الاختبار في صورته الأمريكية على عدد يتزايد تدريجيا من «البروفيلات» التي يسفر عنها البحث الامبيريقي.

وقد تطور الاختبار في صورته الحديثة «المهنية» إلى إختبار مبني بالطريقة التي بنى بها إختبار سترونج، أي على أساس إعداد مفاتيح للمهن المعينة بالاضافة الى إعداد مقياس للتحقق يسهم في الكشف عن أخطاء الفهم أو عدم التعاون من جانب المفحوص أو أخطاء التصحيح.

وأعد كودر أيضا مقياسا ثالثا هو «سجل التفضيل - شخصي». يعطي درجة تحقق، وخمس درجات: إجتماعي «تفضيل التواجد في جماعات» عملي «تفضيل المواقف المألوفة والمستقرة»، نظري تفضيل التعامل بالأفكار. مسالم «تفضيل تجنب الصراع»، مسيطر «تفضيل إدارة الأفراد».

وأخيرا تجدر الاشارة الى مقياس الميول المهنية واللامهنية الذي أعده الدكتور عبد السلام عبد الغفار وهو يعطي درجتين الأولى عن ميول الفرد المهنية والثانية عن ميوله اللامهنية وذلك لدى طلاب المدارس الثانوية والجامعات. ويتكون المقياس من ١٦٥ عبارة تقيس أحد عشر ميلا هي: الميل للفنون، الميل للغات، الميل للعلوم، الميل للعمل الميكانيكي، الميل للعمل التجاري، الميل للرياضة، الميل للعمل في الخلاء، الميل الإقناعي والاشرافي، الميل للخدمات الاجتماعية، الميل للعمل الحسابي والميل للعمل الكتابي. ويمكن أن يطبق المقياس بصورة فردية أو جماعية. وقد بنيت المعايير المئينية على أساس تطبيق المقياس على عينات من الطلبة والطالبات.

الإختبارات الاسقاطية

بالرغم من تعدد أنواع الاختبارات الإسقاطية إلا أنها تتفق فيما بينها في عدة خصائص منها:

(١) غموض المثير: أي يكون المثير غير محدد البنية بحيث يؤدي بالمفحوص الى إصدار عدد كبير من الإستجابات وبحيث لا يستطيع الوقوف على كيفية تفسير إستجاباته تفسيراً نفسيا.

(٢) قلة التعليمات: لا يقدم للمفحوص عادة تعليمات كثيرة لأن كثرة التعليمات قد تعيق إنطلاق المفحوص في الخيال أثناء الإستجابة لمثيرات الاختبار.

(٣) التناول الشامل للشخصية: تتميز الاختبارات الاسقاطية بتناولها الشامل للشخصية لا لبعض السمات أو الخصائص.

تستند الخصائص السابقة الى أنه من المتوقع أن يستخدم المفحوص مثيرات الإختبار كشاشة عرض سينمائي يسقط عليها ما في لا شعوره

ويعكس عليها - لا اراديا ما تتميز به عمليات العقلية وحاجاته النفسية وصراعاته الداخلية من خصائص.

وتستند الاختبارات الاسقاطية عموما الى نظرية التحليل النفسي، وإلى أن اللاشعور وما به من صراعات بين الرغبات المكبوتة وما به من غرائز هو المصدر الذي يستخدمه المفحوص في إسقاطاته تلك الإسقاطات التي تظهر في إستجاباته لمثيرات الاختبارات الغامضة غير محددة.

نماذج من الإختبارات الإسقاطية.

١) الرورشاخ:

وضعه عالم النفس هيرمان رورشاخ ١٩٤٢. يتكون الاختبار من عشرة بطاقات عليها بقع حبر مختلفة الأشكال، منها بطاقات لونها رمادي وأسمر وبطاقات أخرى بها لون أحمر.

توصل رورشاخ الى البطاقات العشر المكونة للإختبار بناء على تقديمه للعديد من البطاقات الى المرضى النفسيين ودراسته للقيمة التمييزية لكل بطاقة أي دراسته لقدرة البطاقة على التمييز بين أعراض الاضطراب النفسي لدى المرضى النفسيين(١).

تقدم البطاقات للمفحوص وفقا لترتيب معين وتسجل إجابات وملاحظات الفاحص عليه. وبعد أن ينتهي عرض البطاقات العشر على المفحوص يعاود الفاحص عرضها مستفسراً عن أماكن الاستجابة وعما إذا كانت الاستجابة للون والظل والحركة.

يعقب التطبيق قيام الفاحص بتصحيح الإستجابات وفقا لأسس معينة منها:

---

(١) صفوت فرج: القياس النفسي. القاهرة: دار الفكر العربي، ١٩٨٠م.

- هل كانت الاستجابة للمجال أو للصورة ككل أو لجزء فيه؟
- ما هي المحددات التي جعلت المفحوص يرى شيئا معينا في البطاقة؟
- ما هو الشكل الذي قدمه المفحوص كتفسير للبطاقة؟
- هل أدرك المفحوص الحركة في الشكل أم أدركه على أنه ثابت؟
- هل كانت الاستجابة للون واضحة أم لا؟
- هل إستجابة المفحوص شائعة بين الناس أم غير شائعة أي أصلية

أما عن ثبات الاختبار فقد تم بطرق متعددة وتبين أن معامل ثباته عال. وكذلك ثبات المصححين فلقد بلغ ٩٠٪ تقريبا.

وبالنسبة للصدق فلقد حسبت درجة الاتفاق بين تقارير الرورشاخ وتقارير اكلينيكية قبل وبعد العلاج وكانت درجة الاتفاق عالية.

٢) إختبار تفهم الموضوع: T.A.T

وضع هذا الإختبار هنري موراي وهيئة العيادة النفسية لجامعة هارفارد. وعدل الإختبار وأعده للتطبيق في البلاد العربية دكتور محمد عثمان نجاتي ونقيب أنور حمدي.

وإختبار تفهم الموضوع وسيلة توضح للسيكولوجي بعض الحوافز المسيطرة والإنفعالات والعواطف والعقد وصراعات الشخصية. ومن المميزات القيمة للإختبار كشفة للميول اللاشعورية المكبوتة وإختبار تفهم الموضوع مفيد في أية دراسة شاملة عن الشخصية. وفي تفسير الاضطرابات السلوكية والأمراض النفسية الجسمية والأمراض العصابية والذهانية.

وقد إتضح أن البيانات الناتجة عن تطبيق إختبار تفهم الموضوع والرورشاخ متكاملة ولذلك فإن لاعطاء هذين الاختبارين معا قيمة

كبيرة. وتتكون مادة الاختبار من ٣٠ صورة مطبوعة على بطاقات من ورق مقوي أبيض وبطاقة بيضاء ناصعة (دون رسم) تشتمل كل واحدة على منظر به شخص أو أشخاص، بعض الصور خاص بالذكور فوق سن ١٤ سنة وبعضها خاص بالذكور دون ١٤ سنة وهناك لوحات خاصة بالاناث فوق ١٤ سنة وبعضها خاص بالاناث دون ١٤ سنة.

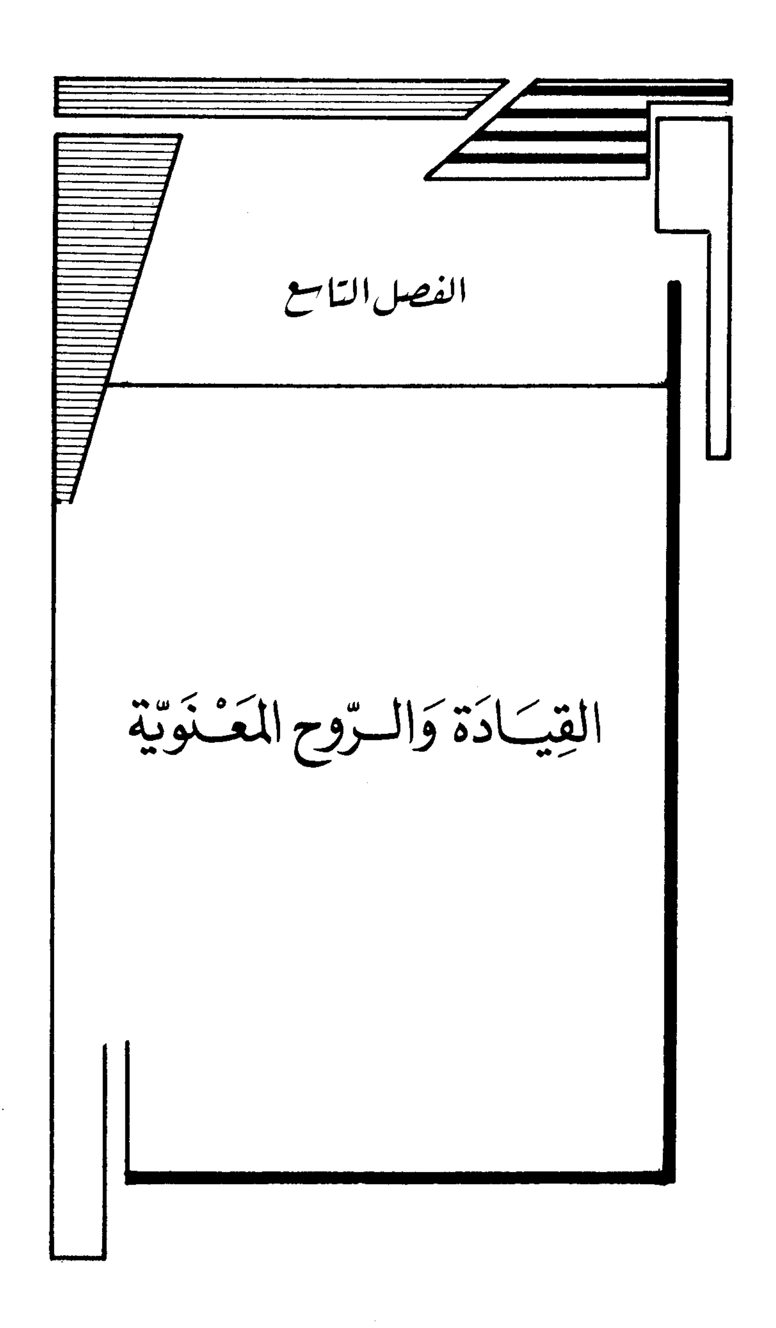
تقدم البطاقات للمفحوص وفق ترتيب معين وتعقبها البطاقة البيضاء ويقوم الفاحص بتسجيل إستجابات المفحوص ولو أن بعض الباحثين يفضل أن يكتب المفحوص استجاباته (أو القصة التي يكتبها عن كل بطاقة) بنفسه. وفي حالة البطاقة البيضاء يطلب من المفحوص أن يتخيل صورة ما عليها وأن يروي قصة عنها.

تُحلل إستجابات المفحوص أو قصصه بناء على عدة أسس منها.

- ما هو البطل في القصة؟
- ما هي دوافعه ومشاعره؟
- ما هي القوى البيئية المؤثرة في البطل؟
- ما الموضوع الذي يعكس التفاعل بين البيئة والبطل؟

أمكن حساب ثبات هذا الإختبار بإعادة التطبيق بفاصل شهرين فبلغ ٨و ووصل إلى ٦و عندما زادت الفترة إلى ستة شهور. اما ثبات المصححين فلقد بلغ ٠,٩٦.

أما عن صدق الإختبار فلقد ثبتت قدرته على التشخيص الفارقي إذ كشف عن فروق في الاستجابات بين فئات مرضية مختلفة.



الفصل التاسع

القِيَادَة وَالـرّوح المعْنَويّة



الفصل التاسع

القِيَادَة وَالرّوح المَعْنَوِيّة

أولا: القيادة:

يشكل الأفراد الذين يعملون في مهنة قائد في أي جيش من جيوش العالم نسبة كبيرة من تعداده وإن اختلفت رتبهم أو مسئولياتهم. لأن الأفراد المسئولون عن السيطرة على مرؤوسين وتوجيههم والتأثير فيهم وفي النحو الذي يسلكون عليه ليسوا فقط هم قادة الوحدات من حجم كتيبة فأكبر منها، بل إن الوحدة الصغرى - كجماعة المشاة أو طاقم المدفع أو الدبابة أو أحد الجماعات الصغيرة التي تعمل على ظهر السفن الحربية - يقودها فرد برتبة صغيرة. وهناك كذلك لكل طائرة حربية فرد قائد لها هو المسئول عن قيادة أفراد طاقمها.

وإلى جانب هذا تتضح أهمية دراسة خصائص هذه المهنة لما لها من إتصال وثيق بالمحافظة على أرواح الجنود وأمن الوطن، ولقد كانت مهمة إختيار قادة الجيوش موضع إهتمام كبير من الدول العظمى التي خاضت غمار الحرب العالمية الثانية، ولم تكن المشكلة الأساسية التي واجهت الحلفاء قبيل المعارك الرئيسية التي انتصروا فيها هي مجرد تحقيق تفوق في العتاد أو الأعداد عن الخصم وإنما كانت تحقيق التفوق في نوعية

القيادة الميدانية أيضا، بعد أن ظهرت فروق واضحة بين كفاءات القادة كانت مسئولة عن كوارث وأزمات عصيبة ألمت بجيوشهم في مختلف الجبهات.

ولعل أوضح مثال لهذا تلك التغيرات المتتالية التي أجرتها بريطانيا لقادتها الذين تولوا قيادة قواتها في شمال إفريقيا في محاولات لصد هجمات المحور ومواجهة الفيلق الأفريقي الذي يقوده روميل. حيث تولى قيادة هذه القوات عدد لا بأس به من القادة مثل ويفل، ريتشي، أوكناور، كننجهام، أوكنلك قبل أن تسند قيادتها الى القائد البريطاني المعروف مونتجومري[١].

وقد يتبادر الى ذهن البعض أن مهمة القائد العسكري تنحصر في مجرد وضع الخطط التكتيكية أو اقرارها لهزيمة العدو وإصدار الأوامر الخاصة بهذا الى مرؤوسيه. وبالرغم من أهمية هذا الواجب إلا أن القائد مسئول عن مئات الأعمال الأخرى نوجز مجال بعض منها على سبيل المثال:

(١) تنظيم العلاقات الاجتماعية بين الأفراد داخل وحدته. مثل حسم المشكلات الشخصية بين مرؤوسيه وبخاصة تلك الناتجة من العمل.

(٢) التدريب.

(٣) ما يتصل بتوزيع الأعمال والمهام على مرؤوسيه تبعا لإمكانياتهم وقدراتهم وتحديد أساليب التعامل بينهم وإختصاص كل منهم.

---

(1) Montgomery of Alamein K.G. The memories of Yield – Marshal the Viscount Collins London 1958.

(٤) المحافظة على معدات وحدته وأسلحتها وذخائرها من الأعطال والتلف والفقد وغالبا ما تكون أثمانها باهظة ومن الصعب الحصول عليها أو تعويضها.

(٥) إعاشة مرؤوسيه ويتضمن هذا ما يتعلق بالاعمال الادارية الخاصة بهم من طعام وملبس وأماكن راحة وخدمة طبية.

(٦) إعداد وحدته للحرب.

وكل من هذه المهام له متطلبات أخرى فرعية ويتطلب من القائد جهداً ليس بالهين. ففيما يتعلق بالعلاقات بين الأفراد نجده يتعامل مع نوعيات متعددة من الناس تختلف إستعدادتهم وطبائعهم وأساليبهم في التكيف السيكولوجي وأهدافهم ورتبهم العسكرية ووظائفهم، ومن الطبيعي أن تنشأ مشكلات عند تنسيق الأعمال بين هؤلاء الأشخاص وبخاصة عندما ينال منهم الإعياء والاجهاد البدني والنفسي وقت الشدائد. وإذا لم يكن القائد يتمتع بقوة التوجيه والسيطرة على مرؤوسيه، وما لم يكن قد عود جنوده ومرؤوسيه طاعة أوامره واحترامها، ربما فلت زمام الأمور من يديه وقت المعركة، لأن عدم الحسم الفوري للمشكلات التي قد تنشأ بين الأفراد قد يؤثر على الانضباط العسكري والروح المعنوية لدى الأفراد وبالتالي على آداء مهام الوحدة. وهذا الحسم الفوري للمشكلات يتطلب مستوى عالٍ من الذكاء ودراية بأصول الأعمال وطبائع الأشخاص ونفسياتهم الى جانب الثبات الانفعالي والشجاعة وغير ذلك من أمور يجب أن يتصف بها القائد.

وكذلك فيما يتعلق بمهمة التدريب، إذ يتطلب الأمر جهدا لا بأس به من القائد، فعليه أن ينمي علومه العسكرية أولا بأول، ووسيلته الى هذا مداومة الاطلاع والبحث المستمر في العلم العسكري وفن الحرب والتاريخ العسكري مع التركيز على التدريبات العملية له، والالمام بتدريب

كل تخصص يدخل في نطاق وحدته. فضلا عن البحث دون هوادة عن مختلف التطورات والابتكارات التي يتوالى دخولها على صنعة الحرب حاليا وفي المستقبل، ثم تأتي بعد هذا مسئولياته حيال إعداد وتنفيذ مناهج تدريب أفراد وحدته.

وهكذا الحال فيما يتعلق بواجبات القائد الأخرى، وكلها أعباء تتطلب نوعا معينا من الشخصيات، وتكفي مجرد النظرة الى حجم التشكيلات العسكرية لادراك ما تتطلبه عملية السيطرة عليها من إدارة عليا تفوق عملية إدارة المؤسسات المدنية الماثلة في الحجم بل تزيد عليها من ناحية قسوة الظروف التي تعمل فيها الى جانب أهمية النتائج المترتبة عن أعمالها وخطورتها، زد على ذلك أن تكلفة تعبئة وتجهيز هذه التشكيلات للعمل لا يقارن بمثيلاتها في الحجم من تلك المؤسسات المدنية، إذ أن فارق الثمن وحده في المعدات والتجهيزات يجعل مثل هذه المقارنات غير ذات موضوع. وإذا ما أضفنا إليها سرعة الأعطال والتلفيات وإنعدام الصلاحية نتيجة تقادم الزمن على السلاح أو بسبب خسائر الحرب، لاتضحت بعض جوانب إختلاف كبيرة بين تكلفة التشكيل العسكري والمؤسسة المدنية التي تماثله في الحجم.

١ - تعريف القيادة:

يمكن تعريف القيادة على أنها:

أ - الجهد أو العمل للتأثير في الناس وجعلهم يتعاونون لتحقيق هدف يرغبون كلهم في تحقيقه ويجدونه صالحا لهم جميعا وهي تربطهم معاً في مجموعة واحدة متعاونة.

ب - والقيادة الناجحة لا تقوم على السيطرة وممارسة السلطة فقط بل أيضا على الإقتناع والثقة والتعاون وعلى مدى ما يقدمه القائد للجماعة من مساعدة للوصول الى هدفها، فالقائد العسكري الناجح هو

الذي يعمل على أن يبذل جنوده أقصى جهودهم وقدراتهم. بينما القائد غير الناجح قد يعرقل إنجاز الجنود.

٢ - كيف يكون الناس قادة:

أ - هناك ثلاث سبل ليصل شخص ما إلى مركز القيادة.

(١) هناك الأشخاص الذين وصلوا إلى القيادة عن طريق صفات الزعامة والقيادة الطبيعية الموجودة فيهم كما أن الظروف تكون مهيأة بحيث يستطيعون أن يدفعوا بأنفسهم إلى أعلى وسط المجموعات التي يكونون من أفرادها. والأمثلة على هذا النوع من القيادة كثيرة مثل جلالة المغفور له الملك عبد العزيز.

(٢) وهناك الأشخاص الذين أختيروا لمناصب القيادة على أساس خواص معينة تتوافر لديهم تساعدهم على هذا الإختيار مثل رؤساء الجمهوريات أو رؤساء المجالس في المؤسسات المختلفة أو غير ذلك.

وعادة ما يكون القائد الذي يشق طريقة الى أعلى ويفرض قيادته على الجماعة متميزاً في الأغلب بشخصية قوية جذابة وحيوية دافعة كما أنه يتمتع بإصرار وعزيمة في تحقيق أهداف معينة يراها مهمة له وللجماعة التي يقودها. والقادة من هذا النوع هم الذين يظن أنهم وُلدوا ليكونوا قادة، والفرد من هؤلاء يتولى القيادة في ساعة حرجة في حياة الجماعة فهو لا يستطيع أن يكون بمنأى عن الحوادث الخارجة عن نطاق كيانه الشخصي.

والنمط الثاني وهو إختيار القائد من الجماعة يتم على أساس إقتناعها بصلاحية قيادته وتحقيق أهدافها. ويحدث هذا في الانتخابات السياسية وفي بعض المؤسسات التجارية والمهنية وغيرها.

(٣) والطريقة الثالثة التي يصل بوساطتها الأفراد للقيادة هي طريقة

التعيين من خارج بواسطة سلطة أعلى لها وحدها حق تعيين وإختيار القادة وهذا يتم في الجيش وفي المؤسسات الحكومية وكذلك في كثير من المؤسسات التجارية.

وفي هذا النوع من القيادة يستخدم القائد نفوذه من السلطة المفوضة إليه من أعلى وتكون العلاقة بين القائد والمقود أكثر رسمية وتنظيماً وتكون هناك في الغالب أنظمة تحدد علاقة القائد بتابعيه ويكون ولاء المقودين للقائد مستمد من الأنظمة أكثر مما هو مستمد من الإرتباط الشخصي بالقائد.

ولا يعتمد القائد على السلطة المخولة له في النظام العسكري وإصدار الأوامر فقط، وإنما يذهب إلى أبعد من ذلك لتحقيق النظام. إذ يذهب إلى الحصول على الإحترام والثقة والإخلاص من جانب من هم تحت قيادته. وبذلك يتمكن من الحصول على أداء أفضل بكثير من الذي يحصل عليه في حالة تطبيق السلطة المخولة له فقط.

٣ - أنواع القيادة:

كيف يمكن للقائد أن يدفع مرؤوسيه الى الإنجاز وتسيير دفة العمل؟ فالسلوك - كما يرى علماء النفس - لا بد وأن يكون وراءه دافع وهناك وجهتا نظر في هذا الصدد:

أ - يرى مكجريجور أن مستوى طموح الانسان منخفض، وأنه لا يرغب في العمل ويميل إلى تجنب المسئولية، وأن الدوافع الإقتصادية هي التي تحركه، وأنه في صراع دائم مع الآخرين. ولهذا فعلى القائد أن يستثير دوافع تابعيه وأن ينظم العمل وأن يضبط ويسيطر ويجبر على أداء الأعمال[١].

(١) صلاح مخيمر، عبده ميخائيل رزق، علم النفس الاجتماعي. القاهرة: الانجلو ١٩٦٠ م.

وهناك من يستخدم العقاب أو التهديد كباعث للمرؤوسين على الأداء المطلوب وهناك من القادة من يلجأ إلى إستغلال دافع الإنسان نحو التقدير والاستحسان الإجتماعي وكذا الانتماء وهي طاقات لا بأس بها لتحريك الأفراد نحو العمل فبالكلمات الطيبة وإشعار المرؤوسين بقيمتهم وأهميتهم وأهمية الأعمال المكلفين بأدائها للوحدة أو التشكيل الأكبر أو الأمة يمكن إثارة حماس معظمهم إلى بذل الجهد في العمل، ويستخدم بعض القادة أيضا أساليب المكافآت المادية والمعنوية الى جانب إذكاء روح التنافس بين الأفراد أو الوحدات الصغرى عند آداء بعض الأعمال مثل إجراء بيانات عملية لعمليات حربية بالوحدات الفرعية كل على حدة، أو صيانة المعدات، أو الرماية ثم يقدر مستوى كل من هذه الوحدات ويكرم الفائزون أمام الجميع ويحاسب المقصرون.

ويمكن الجمع بين أكثر من وسيلة لإثارة الدوافع وإستغلالها بإعتبارها طاقات محركة للسلوك لا غنى عنها، والإقتصار على مجرد توقيع العقوبات على المقصرين والإسراف فيها هو أسلوب ينم عن وجهة نظر محدودة لسيكولوجية الأفراد، كما أنه يُولد نوعا من الكراهية من المرؤوسين للقادة قد لا تظهر إلا أثناء الضغوط النفسية في المعركة أو خلال المراحل الحرجة للمهام الشاقة.

ب - يرى ماسلو أن حاجات الإنسان تأخذ شكلا هرميا قاعدته دوافعه الأساسية وقمته تحقيقه لذاته فإذا ما أشبعت دوافع القاعدة كان هذا دافعا للفرد لاستخدام ما لديه من إمكانات لتحمل المسئولية اللازمة لتحقيق ذاته.

وترى هذه النظرية أن الانسان يستمتع بعمله كاستمتاعه بالراحة واللعب لذا فإنه يوجه ذاته ويضبطها لكي يحقق أهدافه. ولهذا فإن على القائد أن يضع التحديات أمام تابعية لكي يستخدموا طاقاتهم

وإمكاناتهم، وأنه لا حاجة به لإستثارة دوافعهم لأنهم مدفوعون للعمل بذواتهم وذلك تحقيقا لذواتهم. ومن الأمثلة المبسطة لهذه التحديات ما يضعه القادة من نظم أو أوامر تتطلب الإلتزام بإيجاز بعض أعمال أو إتقان تدريبات معينة كشروط للترقي أو تولي مناصب مميزة أو التمتع بأي إمتيازات أخرى صغيرة كانت أم كبيرة.

ومن التجارب الشهيرة التي تبين تأثير القائد على سلوك التابعين وعلى التفاعل الإجتماعي بين الأفراد تجربة «ليبيت» و«ليفين» و«هوايت». في هذه التجربة تعرضت ثلاث مجموعات من المراهقين لأجواء اجتماعية توصف بالديمقراطية والاستبدادية واللامبالاة (أو الفوضية). وبملاحظة التفاعل الإجتماعي الدائر داخل الجماعات تبين أن[1]:

أ - كان جو اللامبالاة مصحوبا بنقص وسوء في الانتاج، وتميز هذا الجو باللعب أكثر من العمل، كما عبر الأولاد عن رغبتهم في الجو الديمقراطي.

ب - أصالة الإنتاج كانت أعلى في ظل الجو الديمقراطي، كما كان الدافع للعمل قويا حتى مع غياب القائد، وكان إحساس الجماعة بالمسئولية المشتركة عاليا. هذا وقد تكونت جماعات فرعية بصورة تلقائية لأداء بعض الأعمال التي تخدم الغرض النهائي كما غلبت روح الصداقة وتقدير جهود الآخرين والمشاركة الجماعية.

جـ - زادت مشاعر العداوة، والعدوانية وعدم الرضا، والرغبة في الاعتماد على الآخرين، ونقص الإحساس بالذاتية والفردية والأنانية في

(1) Doby, J. Introduction To Social Psychology. New York: Appleton Century Crofts 1966.

ظل الجو الاستبدادي. وعندما تغير الجو من إستبدادي الى ديمقراطي ظهرت على الأفراد معالم التنفيس عن التوترات التي أوجدتها الدكتاتورية، هذا وقد عبر الأفراد عن تفضيلهم للجو الديمقراطي.

توضح هذه التجربة كيف يشكل نمط القيادة الإجتماعي على نحو يؤثر في الانتاج والعلاقات بين الأفراد، وقدرة الفرد على مواجهة التوترات والاحباطات، وعلى مفهوم الفرد عن ذاته.

ويمكننا تقسيم أنواع القيادة على أساس عاملين رئيسيين: أهداف الجماعة وطريقة التأثير فيها.

أ - حسب أهداف الجماعة.

يعتمد هذا التقسيم على طبيعة النواحي الوظيفية التي تشغل أفراد الجماعة ونشاطهم الفكري أو العملي أو التنفيذي أو الفني أو الاداري وغير ذلك كما يلي[1].

(١) قيادة علمية وتكون في جماعة تضم أفراداً في أحد التخصصات العلمية لنمو البحوث وحفظ الحقوق. ويتم ذلك عادة في التخصصات العليا في التدريس والطب والمحاماة والهندسة وما إليها.

(٢) قيادة إدارية كما في الجماعات التنفيذية في المدارس والجامعات والمكاتب الرسمية والمؤسسات والمصارف وأمثالها.

(٣) قيادة إنتاجية تكون في جماعات العمال ونقابات المهن المختلفة.

(٤) قيادة مالية: في جماعات التجار من معاملات البيع والشراء والإقراض والمساهمات والشركات.

---

(١) عبد الحميد محمد الهاشمي: المرشد في علم النفس الاجتماعي. جدة: دار الشروق، ١٩٨٤م.

(٥) قيادات رياضية وفنية وما إليها وتمثل القيادة في كل نوع من ذلك مركز الإمتياز الشخصي في موضوع الجماعة الذي يشترك فيه جميع أفرادها.

(٦) قيادة عسكرية: وهي تتم في مختلف مراتب القيادات في الجيش إلا أنها قد تتضمن أيضا هذه الأنواع الخمسة السابقة فهناك قيادات علمية عسكرية حيث يعهد الى ضباط معينين رئاسة لجان بحوث علمية عسكرية، وقيادات إدارية تتمثل في مديري الإدارات الإدارية بالجيش أو بوحداته.

كما أن لقادة الوحدات أيضا مهام إدارية فهم مسئولون عادة عن الأعمال الادارية لوحداتهم، وقيادات إنتاجية تتمثل في ورش ومصانع الجيش وهناك أيضا ضباط مسؤولون عن الأنشطة الرياضية وبعض الأنشطة الأخرى بالجيش، وتختلف كذلك القيادات العسكرية بإختلاف مهامها ونوع وحجم الوحدات كما ذكرنا.

ب - حسب طريقة التأثير:

كل من هذه القيادات السابقة يمكن أن تنقسم حسب أسلوبها ذاته الى:

(١) قيادة شورية إقناعية تظهر في حياة أفراد جماعتها بالصفات التالية:

(أ) شعور كل فرد في الجماعة بأهميته الخاصة ومساهمته الايجابية ومشاركته الفعالة في حياة الجماعة وتحقيق أهدافها بكل راحة وسعادة.

(ب) توزيع وظائف الحياة النفسية للجماعة على أكبر عدد من أفرادها حسب ما لديه من قدرات ومواهب. فكل فرد له مركزه ودوره ومسئوليته.

(جـ) يشجع القائد كل فرد على إبداء رأيه، ولا يقصد بالديمقراطية الفوضى والتنكر للنظام لأن النظام هو ركن أساسي يعتمد عليه الجيش في علاقات الأفراد بعضهم ببعض وبالقائد وعلى هذا تختلف القيادة العسكرية عن سائر القيادات الأخرى التي عرضناها في هذا الصدد. إذ تناقش نقاط القوة والضعف في الحلول الممكنة لموضوعات المناقشة. ثم يخرج القائد في النهاية بقرار بعد استعراض وجهات النظر المختلفة يعتبر ملزما للجميع.

(د) تتطلب هذه القيادة مهارة معينة من القائد العسكري. فما لم تتم بدقة وحزم ويتسم صاحبها بقوة شخصيته فقد تفهم على أنها عجز من جانب القائد.

(هـ) تشجيع التواصل الفكري والإجتماعي بين أفراد الجماعة وإزالة كل ما قد يقع بين الأفراد من خلافات - وإيجاد مناسبات التلاقي والتواصل الممكنة. وعلى القائد أيضا أن ينمي في مرؤوسيه عادة إحترامه بأن يكون قدوة حسنة لهم في قوة الإرادة والشجاعة وبذل الجهد والإلمام الجيد بأعماله.

(و) تنمية قدرات ومواهب الأفراد كل في مجال عمله إذ أن قوة الجماعة بقوة أفرادها. وقوة القيادة بقوة الأفراد أساسا.

وهكذا نجد أن إتخاذ القرارات يمكن أن يتم باسلوب تشاوري إقناعي في القيادة العسكرية وهو ما قد يتلاءم مع طبيعة معركة الأسلحة المشتركة الحديثة، يعرض كل مرؤوس مثلا قدرات وإمكانيات الوحدة الصغرى التي يقودها ودورها في المعركة. وهي وحدات تختلف في تسليحها عن غيرها الا أنها تكمل بعضها ثم تناقش المهام بطريقة ناقدة لتحقق الهدف الرئيسي المشترك في النهاية.

(٢) قيادة تسلطية إستبدادية وهي عموما نقيض الصفات السابقة ومن مظاهرها ما يلي:

(أ) تكون دوافع وحاجات نفسية بدائية طفولية بين الاتباع مثل حب الاتكال والاعتماد على قائد يفعل كل شيء، وتُركز على إفهام الأفراد بأنهم لا زالوا غير قادرين على حسن التصرف في أمور الجماعة.

(ب) تجميع كل الاهتمام والعمل والإنتباه في شخصية القائد أو الرئيس وحده دون غيره من أفراد الجماعة فمهما عملوا أو ساهموا فهو كل الجماعة.

(جـ) تعمل على إيجاد التباعد والتنافر بين أفراد الجماعة وقد تجعل من بعضهم عدوا لبعض. وتُستنفذ طاقات المرؤوسين في مجالات ليست في صالح أهداف الجماعة.

(د) تعمل على إضعاف الروح الجماعية بين الأفراد. وهذا ما يجعل الجماعة ضعيفة التماسك بحيث تنهار إذا غاب القائد فجأة عن مسرح القيادة أو الرياسة. كما أن الجماعة ذاتها لا تستطيع مواجهة الأزمات نتيجة لضعف روحها المعنوية.

(٣) قيادة فوضوية: وتظهر في القائد الذي يترك المسئولية كاملة لتابعيه وهو لا يسهم معهم في المسئولية واتخاذ القرارات، ولا يتدخل أو يوجه أو يرشد وغالبا ما يصل الى مركز القيادة بالأقدمية وليس بالكفاءة.

وهناك من القادة العسكريين من لا تمكنهم قدراتهم الشخصية والعملية من التطبيق الأمثل لأسلوب القيادة الديمقراطية عندما تلوح بوادر تفوق العدو أو يتفشى الارتباك في وحداتهم أثناء المعركة. فيلجأون الى الأسلوب التسلطي أحيانا والفوضوي أحيانا أخرى ويفقدون زمام الموقف.

(٤) نظريات القيادة

نعرض في هذا الجزء لبعض النظريات التي حاولت تفسير القيادة لكي يزداد وضـوح دور القائد في التفاعل الإجتماعي، وكيف يمكن أن يؤدي التفاعل الاجتماعي الى ظهور القادة أنفسهم.

أ - نظرية السمات:

ترى هذه النظرية أن القائد يتميز عادة بسمات خاصة ترتفع درجتها لديه عنها عند تابعيه، إذ يتميز بإرتفاع الذكاء والطول والقدرة على التوافق السليم وغير ذلك.

ب - نظرية المركز الوظيفي:

تعرف القيادة بناء على هذه النظرية بأنها التأثير الذي يحدثه من يشغل منصبا معينا من خلال ذلك المنصب أو الموقع الوظيفي. فالناظر هو القائد في المدرسة، والطبيب هو القائد في العيادة والمدرس هو القائد في الفصل.

جـ - نظرية القيادة الموقفية:

ترى هذه النظرية أن القائد يظهر في موقف معين لأنه يكون أصلح الأفراد الموجودين للتعامل مع هذا الموقف ولقيادة الجماعة خلاله. فقائد الطائرة لا يصبح قائدا للجماعة إذا هبطت الطائرة في غابات لا يعرفها إذ قد لا يصلح إلا لقيادة الطائرة فقط.

د - النظرية الوظيفية:

تركز هذه النظرية إهتمامها على إكتشاف الوظائف الهامة التي تساعد الجماعة على تحقيق أهدافها في ظل ظروف مختلفة وكيف يسهم أفراد تلك الجماعة في تحقيق هذه الأهداف وبالتالي فإن أي فرد يمكن أن يصبح

قائداً في الجماعة بمقدار إسهامه في تحقيق أهدافها. ويمكن تلخيص هذه الوظائف في:

(١) مجموعة الوظائف المرتبطة باختيار الهدف وتحديد الطرق اللازمة لتحقيقه ثم العمل من أجل تحقيق ذلك الهدف. من هذه الوظائف تركيز إنتباه الجماعة على الأهداف ووضع خطة العمل، وتقييم العمل، وتلخيص مناقشات الجماعة.

(٢) مجموعة الوظائف المرتبطة بالجو الانفعالي داخل الجماعة وبالمحافظة على تماسك الجماعة ووحدتها، مثل تشجيع الأفراد، مساندة بعض الآراء، الإسهام في الإقلال من التوترات داخل الجماعة.

(٣) الأدوار الفردية أي ما يقوم به الفرد من أنشطة داخل الجماعة بهدف إشباع حاجته وتحقيق أهدافه الفردية التي قد لا تتناسب مع أهداف الجماعة مثل العدواني الذي يهاجم آراء الآخرين أو المسيطر الذي يميل الى إحتكار المناقشة[١].

٥ - الصفات الضرورية للقائد:

أ - هناك صفات يمكن إعتبارها الصفات المثالية للقائد على أنه ليس من الضروري أن تظهر كل هذه الصفات في كل موقف قيادة وتقضي الحاجة بتوافرها بقدر متساو في كل موقف وهذه الصفات هي:

(١) الإيمان.

(٢) الطاقة البدنية والعصبية.

(٣) الحماسة والشغف بالعمل.

(٤) البت في الأمور.

---

(١) حسين عبد العزيز الدريني: المدخل الى علم النفس. القاهرة: دار الفكر العربي، ١٩٨٣ م.

(٥) المهارة الفنية.
(٦) الذكاء.
(٧) المهارة في التعليم.

إن أهم الصفات الضرورية للقائد هو الإيمان والاعتقاد بالقيم والمثل الدينية والأخلاقية التي تمده بالطاقة وتحدد له الهدف والأغراض التي يعيش من أجلها وأن أكثر القادة الذين إنتخبهم التاريخ كانوا يمتازون بالاعتقاد العميق بهدف معين ومحدد يعيشون من أجله، فمثلا لقد خلق الإيمان عمر ابن الخطاب رجلا من أعظم رجالات الحكمة والإدارة، وكان موضع احترام وحب من العرب ومع هذا كان زاهدا في الدنيا. كذلك الأمر مع خالد بن الوليد الذي كان لا يعدو مجرد فتى من فتيان قبيلة قريش حوله الإيمان إلى قائد من أعظم قادة التاريخ. إن الإيمان أمر حتمي لنجاح القائد. فالقائد الذي يدخل معركة حربية دون الاقتناع والإيمان المطلق بعدالة الأهداف التي يحارب من أجلها فإن فرصته في النصر تكون قليلة مهما كان لديه من المعدات أو الرجال.

وقد أثبتت التجارب النفسية الحديثة أن الإيمان والمعتقدات الدينية تعمل على توجيه السلوك. وتمده بالطاقة الحيوية. كما تعين الفرد على مواجهة الضغوط النفسية دون اللجؤ إلى أساليب توافق غير سوية. بالإضافة إلى الطاقة الروحية التي يجب أن تتوفر لدى القائد، فإنه ايضاً يجب أن تتوفر له الطاقة البدنية والعصبية، فقد أثبتت أكثر الدراسات الحديثة أن من أحد أسرار نجاح القائد هو امتلاكه لحصيلة غير عادية من الطاقة البدنية والعصبية ذلك أن عمل القائد يتطلب مجهودا جسميا وذهنيا أكثر من المقودين. ولذا فإنه يجب أن تتوافر لديه قوة دافعة وحيوية في الجسم والعقل.

إن وجود الإيمان والطاقة الحسية والعصبية يترتب عليه حماس

وشغف بالعمل وهذا يمثل الميزة الثالثة للقائد. فالقائد الجيد يجب أن يكون ذا حمية مولع بالعمل والغيرة عليه وبهذا يصبح قدوة لمرؤوسيه مما يدفعهم إلى مثل ذلك الحماس في آداء الواجب. والصفة الرابعة التي يجب أن تتوفر للقائد الجيد هي القدرة على البت في الأمور بعد أن يكون قد وصل إلى الحل الذي يعتقد أنه الحل الأفضل. فإذا واجه القائد مشكلة فعلية تحديد طبيعة المشكلة ثم تجميع الحقائق والمعلومات المستطاعة عن المشكلة وكلما كانت هذه الحقائق كثيرة إزداد احتمال الوصول إلى حل سليم. ثم تكون الخطوة الثالثة بفحص الحقائق وتصنيفها والمقارنة بينها وتأتي الخطوة الرابعة في صياغة حل تجريبي أو فرض صالح للإختبار يبدو كحل للمشكلة بناء على ما أمكن جمعه من معلومات ثم تأتي الخطوة الأخيرة باتخاذ القرار النهائي لحل المشكلة وهذه الطرق في اتخاذ القرارات تسمى بالطريقة الاستدلالية أو الاستقرائية. ويتم بواسطتها اتخاذ القرار كنتيجة حاسمة منظمة للمشكلة فتحديدها ثم تجميع المعلومات والحقائق ثم اتخاذ قرار مبدئي وتجريبه ثم إتخاذ القرار النهائي.

وهذا ولا شك أفضل من القرارات العشوائية التي تتخذ جزافا دون تدبر. على أنه طالما توافرت المعلومات والدلائل الممكنة فإن القائد يجب أن يتخد القرار البات وأن يقتنع به وأن تكون لديه الشجاعة والمقدرة للدفاع عنه حتى وإن كانت به جوانب خطأ ليست بالخطيرة. فعليه أن يؤمن مقدما أنه لايمكن أن يكون على صواب طوال الوقت، والرجل الذي لا يعمل شيئاً هو الرجل الذي لا يخطىء كما أنه القائد الجيد يقف دائماً بشجاعة مستعداً لتحمل النتائج التي ترتبت على قراراته دون أن يحاول التملص من التبعية أو إلقاء اللوم على الآخرين. بجانب كل ذلك فإن القائد يجب أن تتوافر له معرفة ومهارة فنية بطبيعة عمله

ودراية بالتكنولوجيا والعمليات التي بواسطتها يمكن إدراك الأغراض وتحقيقها.

ويمكن حصر بعض القدرات اللازمة للقائد الكفء في الآتي:

- القدرة على إدارة المناقشات الجماعية.
- الحكمة في إصدار الأوامر واتخاذ القرارات.
- المهارة في معاملة الناس.

أ - القدرة على إدارة المناقشات الجماعية:

وتتضمن هذه القدرة بعض العناصر مثل:

١ - عرض الموضوع للمناقشة بحيث يبدو أنه مشكلة جديرة بالحل وليس نقداً موجهاً إلى الجماعة أو إلى عضو منها. فحسن عرض الموضوع يتوقف عليه رد فعل الجماعة من حيث مدى الاقتناع به والتحمس له.

(٢) تقديم الحقائق النظرية والخبرة اللازمة أو عدة حلول لاختيار حل منها. والمفروض أن تكون لدى القائد معلومات أكثر مما لدى أعضاء جماعته.

(٣) تشجيع أعضاء الجماعة على الاشتراك في المناقشة، والتفاعل يخفف من وطأة التوتر والعدوان المكظوم.

(٤) حماية الأقلية ورد المتطرفين إلى جادة الاعتدال - والنظر إلى من يرفضون التعاون الإيجابي مع الجماعة بأنهم معزولون - وإشعارهم بأن المناقشة في حاجة إلى آرائهم.

(٥) اشعار أعضاء الجماعة أنهم مسئولون عن حل المشكلة والحيلولة دون تهربهم من حمل المسئولية بالنزوع إلى الاختلاف في الرأي.

(٦) الحيلولة دون الاستطراد والخروج عن الهدف الأصلي للمناقشة.

(٧) القائد القدير يحسن صياغة الأسئلة التي تثير التفكير وهو أيضاً يستطيع أن يعبر عن مشاعر الجماعة بصورة أوضح وأدق وأعمق منهم.

ب - الحكمة في إصدار الأوامر والقرارات.

(١) التريث في اتخاذ القرارات التي لا تحتاج إلى سرعة. ولا يعني ذلك التردد، بل جمع المزيد من المعلومات.

(٢) الموازنة بين مزايا القرار وعيوبه.

(٣) عدم التأثر بحالاته المزاجية العابرة عند اتخاذه القرار.

(٤) أن يترجم القرار إلى أفعال مع متابعة التنفيذ.

(٥) عدم الإسراف في إصدار القرارات.

ويجب أن يكون القرار واضحا ومفهوما وقابلا للتنفيذ مع قلة التفاصيل.

(٦) الحرص على ألا تتعارض أوامره مع أخرى سبق له أن أصدرها. وهناك طرق متعددة لكي تكون الأوامر فعالة ونافذة.

(١) وضوح الأوامر: في الغالب تكون الأوامر في شكل كلمات مكتوبة أو شفهية ولذا يجب أن تختار الكلمات بعناية ويجب التأكد من أن تكون مفهومة غير غامضة أو مبهمة.

(٢) يجب أن تكون الأوامر صريحة وقاطعة بحيث يعرف الفرد المقود الحد الفاصل بين الطاعة واتباع التعليمات وبين حرية التصرف والابتكار.

(٣) استخدام الصوت المؤثر الجيد في إصدار الأوامر ولطريقة إصدار الأوامر والنداءات الصوتية المصاحبة لها أهمية كبيرة في تأثير الأوامر على الفرد المقود، فيجب أن يكون الصوت واضحا ومسموعا

صلبا خاليا من الانفعال أو الحماس كما يجب أن يتلاءم مع طبيعة الموقف.

(٤) انتقاء الألفاظ السليمة في الأوامر واستخدام الكلمات اللائقة.

(٥) عدم إصدار أوامر كثيرة في وقت واحد. فإن هذا قد يسبب الارتباك والحيرة. فإذا كانت هناك أوامر متعددة في فترة زمنية قصيرة ومحددة فيجب أن ترتب ترتيبا زمنيا ويترك بينها فاصل في الوقت ليتم تنفيذها أولا بأول حسب الأهمية ووفق جدول أعمال.

(٦) محاولة التقليل من الأوامر السلبية. فقد دلت الأبحاث الحديثة في علم النفس أن الإنسان أكثر تقبلا للأوامر الإيجابية من الأوامر السلبية، وعندما تكون الأوامر الإيجابية واضحة ومحددة فإنه قد تقل الحاجة إلى الأوامر السلبية.

(٧) عدم صدور أوامر متناقضة ومتعارضة في وقت واحد. فإن ذلك قد يؤدي إلى فقدان الثقة في القيادة والتراخي في تنفيذها.

جـ - المهارة في معاملة الناس:

تحتاج المهارة في معاملة الناس إلى قدر كاف من الذكاء الإجتماعي والاتزان الانفعالي وضبط النفس فضلا عن القدرات الآتية.

(١) المشاركة الوجدانية:

إذ يضع القائد نفسه مكان من هم تحت قيادته ليتسنى له أن يرى الأمور من وجهات نظرهم وأن ينفذ إلى مشاعرهم وحاجاتهم.

(٢) الحساسية للمشاعر:

يتم الاتصال بين الناس عن طريق اللغة والحركات والإيماءات ونبرات الصوت وتعبيرات الوجه.

ولكي يفهم القائد جماعته على الوجه الصحيح يجب أن يكون لديه

الإحساس بمشاعرهم. فقد يكون رفض الجماعة لأمر سببه الخوف منه. فإذا طلب القائد منهم تقديم الدليل على الرفض زادهم خوفا. ولكنه إذا أحس بمشاعرهم أتاح لهم الفرصة للتعبير عنها فتخف حدتها ويستطيع عندئذ تعريفهم بالحقيقة. والإحساس بمشاعر الغيرة قدرة يمكن تنميتها بالتدريب.

(٣) السماح بحرية التعبير:

يسمح القائد لمن تحت قيادته بالتعبير عن مشاعرهم ووجهات نظرهم، دون أن يُصرِح بموافقته أو رفضه حتى لو ظهرت العدوانية في تعبيرهم دون أن يعني ذلك التساهل وعدم الاكتراث.

(٤) التعنيف والتوبيخ:

عندما يقع خطأ أو تقصيراً من شخص ما يحتاج إلى توبيخ أو تأنيب فإن ذلك يجب أن يتم على أساس موضوعي بعيدا عن العاطفة الشخصية ويجب على القائد قبل إجراء التوبيخ دراسة كل العوامل والملابسات التي أدت إلى العمل الخاطىء. إن من واجب القائد أن يعمل على معرفة الحقائق كاملة قبل أن يقوم بالتوبيخ وفرض العقوبة. ومن المهم أن تكون التعليمات والمحظورات والجزاءات محددة ومقننة ومعروفة لدى كل أفراد الجماعة ما أمكن. كذلك فإن تطبيق الجزاء يجب أن يتم بعدالة. دون تمييز أو محاباة. ومن الطبيعي أن يكون للقائد ميل كبير لبعض الأفراد دون الآخرين ولكن القائد الجيد يجب أن يحتفظ بنوع من التوازن العاطفي تجاه كل أفراد المجموعة التابعين له. ويحسن إجراء التعنيف أو التوبيخ في مقابلة خاصة إذ أن عملية التوبيخ عملية تعليمية الهدف منها جعل المخطىء يُدرك خطأه وأسبابه حتى يمكن تفاديه مستقبلا ولذا فإنه يجب إحترام دوافعه وشعوره وأن يتم ذلك في مقابلة خاصة حتى لا يكون موضوعا لتشفي الآخرين.

(٥) استخدام المديح كوسيلة للتعلم والانجاز:

إذ أن نتائج أكثر الدراسات الحديثة في علم النفس تفيد بأن الناس يقومون بآداء أفضل وتزداد قدرتهم على الإنتاج والعمل عندما يُمتدحون على فترات زمنية للأعمال التي قاموا بها كما أن الفرد المقود في الغالب يُتوق إلى مدح وتقدير القائد لأن ذلك يؤكد له أنه يتمشى مع أهداف الجماعة وذلك يخلق لديه دوافع أقوى للعمل والإنجاز.

وعلى عكس التوبيخ فإن المديح يحسن أن يتم للفرد علانية وأن يجري في ظروف ومناسبات يمكن معها أن تعرف الجماعة بتقدير من يستحق التقدير.

(٦) صفات أخرى للقائد القدير:

فيما يلي صفات أخرى للقائد القدير:

(أ) القدرة على توقع المشكلات قبل وقوعها حتى لا تفاجئه وهو غير مستعد لها.

(ب) التأكد من أن الجميع يتبعونه وأنهم يعملون معه لا من أجله.

(جـ) أن يكون سلوكه ودوداً طبيعيا مع من تحت قيادته دون أن يرفع الكلفة بينه وبينهم. وأن يسمح لهم بتحديد موعد لمقابلة أي منهم لسبب له ما يبرره. والجندي الذي يشعر أن من حقه مقابلة قائده يقل عنده الإسراف في مكالمته.

(د) القائد القدير هو الذي يستطيع أن يخفي قلقه وخوفه من نتائج أي ظرف طارىء أو قرار اتخذه أو موقف غير متوقع حتى لا يسيء أفراد الجماعة تفسير هذا القلق.

---

(1) Super, D. The psychology of careers New York: Harper & Brothers, 1957.

كل هذه الصفات السابقة تجعله قدوة حسنة لمرؤوسيه وتجعله موضع تقدير وثقة عندهم

٦ - إختيار القادة وتدريبهم:

إن اختيار القادة لا يقل في أهميته بأي حال عن اختيار الجنود والمهنيين وسائقي السيارات. ومما لا شك فيه أن عمليات اختيار القادة تختلف باختلاف حجم ونوع الوحدات التي يتعين عليه قيادتها. فقيادة سرية المشاة أو المدرعة أو ما يعادلها يتطلب قدرا معينا من المعلومات العسكرية لا يبلغ حد المعلومات التي يجب أن يلم بها الضابط الذي يتولى قيادة فرقة أو فيلق. وعلى أي حال فالقائد الكفؤ يجب أن يتوافر فيه خصائص وسمات مميزة تراعي عند اختياره، وكلما إزداد حجم الوحدة تتزايد أعباء القائد ومسئولياته وتزداد بالتالي أهمية التدقيق في الاختيار.

ومما لا شك فيه أن ظروف المعركة الحديثة للأسلحة المشتركة باتت شديدة الإختلاف عن معارك الحرب العالمية الأولى، وأن معركة الغد بقدر ما سوف تكون صراعا بين الإرادات والعضلات فسوف تكون أيضاً تطاحنا بين العقول والأذهان وتناطحا بين الثقافات والمهارات، وأن النجاح سوف يعتمد بالدرجة الأولى على نوعية القيادة التي تدير العمليات الحربية فهي المتغير الأكثر تأثيراً على دينامية الحرب ونتيجتها. فالقائد مسئول عن كل شيء في وحدته أو تشكيله الذي يقوده ابتداء من استقبال الجنود الجدد في وحدته وحتى انتهاء المعركة.

أ - إختيار القادة:

تقوم الطرق التقليدية في إختيار القادة على أساس منهج السمات، ويتم ذلك في الغالب عن طريق تقدير المرشحين على عدد من السمات التي يظن أنها تميز القادة من غيرهم، ويقوم هذا التقدير إما قضاة يكونون غالبا

من الرؤساء في المؤسسة، ويبنون تقـــديرهم عـــلى أساس معرفتهم بالمرشحين، أو قد يتم الإختيار عن طريق تطبيق إختبارات أو إجراء مقابلات مع المرشحين لتقدير هذه السمات أو لقياسها. فمثلاً، كان يختار المرشحون لمراكز الضباط في الجيش البريطاني بواسطة مجلس من الضباط العظام[1]. وقد ذكر فرنون وباري أن إختيارهم كان يتم بطريقة تحديد السمات العامة للقائد، أي عن طريق تقدير المرشحين على عدد من السمات التي يظن أنها تميز القادة عن غيرهم، وعن طريق إجراء مقابلات شخصية مع المرشحين لتقدير هذه السمات وقياسها. وجد الباحث أن ٣٢٪ من ٤٩١ ضابطاً تم إختيارهم بهذه الطريقة هم الذين ثبت بعد فترة أنهم في مستوى فوق المتوسط، ٤١٪ في مستوى متوسط، ٣٧٪ دون المتوسط، ويقرر فرثون أنه إذا استخدمت المقابلة فقط في الاختيار كان معامل صدقها منخفضا. ويتضح من ذلك أن هذه الطرق التقليدية لاختيار القادة بعيدة إلى حد كبير عن الكمال، ويوصي بأن تسهم الاختبارات النفسية مثل إختبارات الذكاء، واختبارات الشخصية، واختبارات التوافق النفسي وغير ذلك من مقاييس من زيادة صدق الاختيار. وبالطبع لنا أن نتوقع أن اختباراً معينا يكون أصدق في الاختيار من الاختبارات الأخرى لغرض معين أو في موقف معين.

وأما على صدق المقابلة كوسيلة من وسائل الاختيار، فإن هذا يتوقف على مهارة القائم بالمقابلة، وهي مهارة يمكن أن تزداد بالتدريب، كما يتوقف هذا الصدق على طبيعة السمة المقدرة، والفرص المتاحة لملاحظة المرشح. ولذلك، فإنه يصعب التنبؤ بصدق المقابلة، كما أن ثباتها يكون منخفضاً، إلا أنه يمكن أن يزداد هذا الثبات عن طريق تكرار

---

(1) Cooper, J.B & G Taugh, J.L: Leadership, Integrating principles of social Psychology. New York. & Schenhnan 1963.

المقابلة، والخلاصة، انه لا يجب أن نبالغ في قيمة المقابلة، كما أنه من الخطأ إفتراض عدم جدواها كلية.

كذلك يلجأ البعض إلى طريقة الاختبارات الموقفية. لدراسة القيادة واختيار القادة. وفي هذه الطريقة يوضع عدد من الأفراد في موقف يقومون فيه بسلوك اجتماعي مثل مناقشة موضوع أو حل مشكلة... الخ، ولا يكون من بينهم من أعطي أي مسئولية وبعد ذلك يلاحظ أي الأفراد أكثر مبادأة وأنشط وأكثر تأثيرا في سلوك الآخرين، وهذا هو القائد. وقد وجد أن هذه الطريقة أفضل من مجرد اللجوء إلى الاختبارات الشخصية وتقدير السمات كوسيلة لاختيار القادة. وقد سبق أن لاحظنا أن القيادة تختلف من موقف إلى موقف ومن جماعة إلى جماعة. فقد تنتقل القيادة من فرد إلى آخر عندما يتغير الموقف. فمثلا قائد المناقشة قد يترك المجال لغيره لقيادة تنفيذ الخطة التي تمخضت عنها المناقشة.

وقد قام الجيش الأمريكي أثناء الحرب العالمية الثانية باستخدام طرق إختيار القادة لمهام حربية مثل أعمال المخابرات وغيرها على أساس تحليل التفاعل والاختبارات الموقفية، أي على أساس من ملاحظة السلوك في نماذج مصغرة من المواقف العملية التي يختار لها القادة. وقد اشتمل الجزء الرئيسي من عملية الاختيار على برنامج استغرق ثلاثة أيام متتالية من الملاحظة والاختبار، عاش فيها المرشحون معاً في جماعات صغيرة تحت ملاحظة دقيقة مستمرة من رجال مكتب الخدمات الاستراتيجية بالجيش الأمريكي. وقد شمل البرنامج بعض إختبارات الاستعدادات الخاصة، واختبارات اسقاطية، ومقابلات شخصية، وملاحظات عامة في ظروف عادية. وقد صمم لهذا الغرض عدد كبير من

---

(1) Bonner, Group dynamics. New York: the Ronald: Press 1959.

الاختبارات الموقفية، كما اقتبس غيرها مما سبق استخدامه في الجيش البريطاني والألماني.

ومن الأساليب التي يتمثل فيها تعريف القائد على أساس الدور الوظيفي ذلك الأسلوب المعروف «بالأسلوب الجماعي غير القيادي» لاختيار خصائص مثل التعاون، والعمل الجماعي، والابتكار، والمباداة، والنزعة التلقائية لتولي مهام القيادة. وقد إبتكر هذا الأسلوب ريفرت حوالي عام ١٩٢٥م، وقد استخدمه طبقا لتقرير انسباشر الأسطول الألماني خلال الحرب العالمية الثانية. ويقوم هذا الأسلوب على وضع المرشحين في موقف غير محدد البناء (أي دون تحديد لعلاقات القيادة والتبعية) مثل مناقشة موضوع معين ينتهي بتوصيات، أو نقل قوات ومهمات عبر نهر بأقصى سرعة وأمن ممكنين، الخ.. وتلاحظ أفعال الأفراد في قيامهم بالأدوار، وفي بناء الجماعة، وذلك بقصد تقدير النزعات القيادية بين الأعضاء عن طريق مشاركتهم في المناقشة الحرة. ويبدو من بعض البحوث أن لهذا الأسلوب بعض الصدق في تقدير الإمكانيات القيادية لدى الأفراد.

وقد كانت الخصائص القيادية الموقفية تختبر أحياناً عن طريق «مواقف قيادية معينة»، فيعين فرد لقيادة جماعة صغيرة أثناء عبورها طريقا ملغماً، أو يطلب من الفرد القيام بدور معين، يختار خصيصا للكشف عن مواطن الضعف التي كشفت عنها الإختبارات السابقة، وهو نوع معين من تمثيل الأدوار.

وقد استخدمت هذه الطرق الحديثة في إختيار المديرين في القطاعين المدني والصناعي[1]، إلا أنه من الصعوبات التي تعترض

(1) Ansbacher H.L: The History of the Leaders Group. Discussion Technique. Psychological Bullettin, 1951.

استخدام هذه الطرق، أن الأفراد يسلكون سلوكا مختلفا في الجماعات المختلفة. ويمكن التغلب على هذه الصعوبة عن طريق ملاحظة الأفراد في جماعتين مختلفتين أو أكثر، أو عن طريق إستخدام جماعة مقننة، لا تتغير بتغير الفرد موضع الإختيار.

وفيما يتعلق بصدق هذه الاختبارات، فقد استخدمت عدة محكات عملية، مثل متابعة من ثم إختيارهم في عملهم. ولكن كانت معاملات الصدق منخفضة إذتراوحت ما بين ٠,٠٨ إلى ٠,٥٣ وتعزو أناستازي انخفاض مثل هذه المعاملات جزئياً (وهي الخاصة بصدق المحك إلى عدم ثبات التقدير على المحكات. إذ يتوقف مدى الصدق على الإرتفاع بمستوى الثبات وعلى مقدار تمثيل الاختبار لمواقف واقعية من العمل الذي يتم الإختيار له.

والخلاصة، أن هذه الاختبارات الموقفية تمثل ولا شك، تقدما مرضيا في أساليب إختيار القادة، ويلاحظ أن هذه الأساليب الحديثة تجمع بينها عوامل مشتركة هي: التحليل الموقفي، وحرية الفرد في التعبير عن استجابته المألوفة لمطالب الموقف، والاهتمام بالتمثيل الكلي لجانب التفاعل في الموقف الجماعي، واستخدامه في التنبؤ عن النجاح في ميدان معين.

ب - آثار طرق إختيار القادة على سلوك الجماعة:

أجريت دراسات عن بعض هذه الطرق وهي:

(١) اختيار الجماعة للقائد بالانتخاب « قائد منتخب ».

(٢) إختيار القائد حسب القدرة على القيام بعمل محدد في الجماعة « قائد مختار ».

(٣) تعيين القائد « قائد معين ».

(٤) لا يوجد قائد في الجماعة « بدون قائد ».

وطلباً من كل جماعة تحت كل طريقة القيام بعمل معين، وحسب الزمن الذي استغرقه الآداء وعدد المحاولات المستغرقة. ففيما يتعلق بالزمن أو وقت الاداء كان أقصر آداء تحت نظام «القائد المختار» يليه نظام «القائد المنتخب». يليه نظام «بدون قائد»، ثم نظام «القائد المعين».

وفيما يتعلق بعدد المحاولات المستغرقة كان أحسن أداء تحت نظام «القائد المختار»، يليه نظام «القائد المنتخب»، يليه نظام «القائد المعين» ثم نظام «بدون قائد». وهكذا خلص الباحثان إلى أن نظام اختيار القائد يؤثر على أداء الجماعة. ومن أهم ما يلاحظ أن الجماعة «بدون قائد» تفوق في الأداء الجماعات ذات «القائد المعين». وعلى العموم، فإن الجماعات ذات القائد من حيث أدائها والزمن الذي تستغرقه أفضل من الجماعة بدون قائد بشرط أن يكون هذا القائد مختاراً، أي أن طريقة اختيار القائد لها أثر هام في أداء الجماعة.

ومن هذا نستخلص أيضاً أن الاتباع يتقبلون قائدهم إذا إختاروه أو إذا أثبت هو في سلوكه أنه جدير بالقيادة، خاصة وأنه لم يكن يعلم أن حسن أدائه يلاحظه أعضاء الجماعة لكي يختاروه للقيادة. أي أن حسن أدائه كان تلقائيا حيث لم يكن يتنافس من أجل القيادة.

جـ - أهداف برامج التدريب على القيادة:

لكل فرع أو وظيفة قيادة بالجيش أهداف خاصة بها قد تختلف عن الأخرى. وهذا ما يجب أن ينعكس على أسلوب الاعداد القيادي للأفراد المرشحين لها. بيد أن هناك أهدافا عامة كبرى لبرامج الاعداد القيادي أهمها ما يلي: -

(١) مستوى عال من المعلومات العسكرية المتطورة النظرية والعملية وفهم عملي واضح لحدود المسؤولية القيادية ووظائفها وتبعاتها.

(ويدخل في هذا معلومات كثيرة ومتعددة مثل خصائص وإمكانيات الوحدات الفرعية الاصغر التي تدخل في نطاق مسؤولياته، أساليب قتال العدو وتكتيكاته وأنواع أسلحته، هذا إلى جانب المرونة الإيجابية في تنويع أساليبه الفكرية لفنون القتال بما يحقق الملاءمة مع المواقف المتغيرة).

(٢) إدراك جلي لمحيط القيادة وبيئتها الإنسانية، ووعي تطبيقي بنفسيات وطبائع الأفراد وكيف يعمل مخلصا ليشيع العدل بينهم ويشبع الحاجات الهامة لهم[١] كي يحقق التوافق النفسي لدى مرؤوسيه وحتى يشعر كل منهم أنه مسؤول عن نجاح الوحدة وبقائها وبالسعادة لإنتمائه إليها.

(٣) سرعة ودقة التعامل مع المواقف الطارئة وحسن توقع للمشكلات القادمة وتلافي أسباب الفشل ويقتضي هذا الإهتمام ما أمكن بالتدريب العملي والواقعي وتنويع مواقف هذا التدريب.

(٤) نمو عامل النقد الذاتي لدى القيادة لتعمل على إصلاح ما بدر منها. لأن كثيراً ما يقع بعض القادة في الخطأ المرة تلو الأخرى نتيجة لتصلب فكرهم وإصرارهم على أسلوب معين بذاته مما يجعلهم محط نقد وسخرية مرؤوسيهم والقائد الذكي هو الذي يحاسب نفسه وينتفع من أخطائه. وينطبق هذا على مجال معاملته للمرؤسين ونشاطه الإداري وكذا مجال الدروس المستفادة من كل تدريب عملي أو معركة حربية.

وإذا نظرنا إلى القيادة كسمة من سمات الشخصية فإن معظم سمات الشخصية تكتسب، وإذا نظرنا إليها كدور إجتماعي فإنه يتحدد في

---

(١) وهي الحاجات الفطرية والمكتسبة وإشباعها يتطلب منه مهارة وجهدا اداريا وفنياً في معاملة مرؤسيه وسنناقش هذا في الجزء الخاص بالروح المعنوية.

إطار معايير إجتماعية مكتسبة أيضاً. وهذا يجعلنا نرى بطلان القول القديم «أن القادة يولدون ولا يصنعون». إن النظرة الحديثة إلى القيادة هي أنه يمكن تعلمها وتعليمها وأن «القائد يصنع أكثر مما يولد» ومن ثم يجب الاهتمام بتدريب القادة الجدد.

د - طرق التدريب على القيادة:

(١) الملاحظة والخبرة الشخصية العارضة:

تعلم معظم من يشتغلون مراكز القيادة اليوم معظم ما تعلموه عن القيادة من ملاحظة قادتهم، ومن خبراتهم الشخصية في الجماعات. ومما لا شك فيه أن التعلم بالملاحظة والعلم كان وسوف يظل دائما الطريقة الأولى في تدريب القادة. إلا أن لها مزالقها. فقد يتعلم الفرد عادات سيئة أكثر مما يتعلم عادات طيبة، وذلك إذا كان القائد الذي يلاحظه ويتدرب عنه نموذجاً سيئاً. كما أن القائد في تعلمه عن طريق المحاولة والخطأ، قد يسيء تفسير خبراته هو، ويتعلم الأمر الخطأ منها، إلا أن الخطر الأكبر يكمن في أن هذا النوع من التدريب سوف يعطينا قادة تعلموا المهارات والمعلومات اللازمة لأعمال معينة، وربما بعض الحيل والوسائل، دون أن يكتسبوا الفهم والتبصر بالسلوك الجماعي الذي ينطبق على كل الجماعات، في كل المواقف، ودون أن يكتسبوا المهارة والرغبة في إنماء إمكانيات القيادة عند الآخرين. وهي أبعاد جديدة هامة تفرضها علينا الاتجاهات الحديثة في نظريات القيادة.

(٢) الطرق الشكلية لنقل المعلومات وتعليم المهارات:

وتتمثل هذه الطرق في المحاضرات والمناقشات، ودراسة الحالات، والتدريب العملي على القيادة مثل التدريب على إدارة مناقشات معينة أو رئاسة لجان معينة، أو إدارة عمليات معينة، وذلك لإكتساب المتعلم المهارات اللازمة لأعمال معينة.

وتنطبق الاعتراضات التي وجهت إلى طريقة الملاحظة والخبرة العارضة على هذه الطرق الشكلية أيضاً. ذلك أن هذه الطرق تركز جُل إهتامها على وظيفتين من وظائف التدريب وهما: نقل المعلومات، واكتساب المهارات وقد تكون هاتان الوظيفتان كافيتين في بعض الحالات، ولكن يغلب أن يتطلب الأمر، وخاصة في مجال التدريب على العلاقات الإنسانية، الاهتام بوظيفتين أخريين هما:

(٣) تغيير الاتجاهات عن طريق اكتساب المتعلم خبرة مباشرة منظمة مقصودة، وتبصيره بنتائج الطرق القيادية المختلفة حتى يجد دافعا لتغيير إجراءاته إلى ما هو أحسن.

(٤) تكوين الفرص المناسبة للتغيير عن طريق التشجيع المستمر على تجريب الطرق القيادية ،الحسنة بصورة يمكن معها تطبيق المعرفة والمهارة واستغلال الدافع إلى العمل.

فكل تدريب مثمر على القيادة يقتضي تعاون المرشحين على تغيير اتجاهاتهم نحو غيرهم وكذلك نحو أنفسهم. وكثير من الناس لا يشعرون باتجاهاتهم النفسية الحقيقية نحو الغير مما يؤثر في سلوكهم نحوهم على غير إرادة منهم[١].

ومن المحقق أن السبب في الكثير من الخسارة ونقص الكفاءة في تدريب القادة يرجع إلى العجز عن التمييز بين هذه الأساليب الرئيسية الأربع وبخاصة أننا أكثر تقدما اليوم فيما نعرف عن الطريقتين الأولى والثانية أكثر مما نعرف الطريقتين الثالثة والرابعة[٢].

---

(1) Doly, J. Introdutcion to Social Psychology. New York Appleton Century Crofts 1966.

(٢) المرجع السابق.

ومن الميسور تغيير الاتجاه سطحيا، إلا أن نوع التغيير الضروري في تدريب القادة على العلاقات الإنسانية المناسبة يتناول غالبا الأفكار الأساسية للمتعلم، وقيمه، واقتراضاته عن الآخرين، وعلاقاته معهم. ويتطلب ذلك إعادة بناء الشخصية، وهو ليس باليسير. ذلك أن هذه الأفكار، والقيم، والافتراضات، تتصل بأساس الشخصية وبنيانها، والشخص عندما يواجه تحدياً أو تهديداً كما قد يحدث أثناء التدريب يلجأ شعوريا أو لا شعورياً إلى مختلف الطرق لوقاية نفسه، والابقاء على حالته الحاضرة. ولذلك فإنه يجب أن نتوقع مقاومة لعملية التدريب، إلا إذا كان التغيير المقصود سطحياً أو غير هام.

والواقع أن مشكلة تيسير الدراسة «الموضوعية» للعلاقات الإنسانية أمر يتسم بالصعوبة بالنسبة إلى معظم الناس.

(٥) طريقة التنشئة القيادية خطوة خطوة:

وذلك حين يختار القادة الحاليون نفراً من المساعدين والوكلاء ممن يتفرسون فيهم الاستعداد والمواهب وحسن التكيف والتقبل وبذلك يصبح المساعد أو الوكيل أو غير ذلك من «الألقاب» في عمل تدريبي شبه يومي في وظائف القيادة وواجباتها - ويكون القائد الفعلي بمثابة المعلم اليقظ الذي يشاور المتدرب ليعرف طريقة تفكيره في مواجهة المشكلات وطريقته في اتخاذ القرارات. ومقدرته في توجيه أفراد جماعته بأسلوب حي عملي وحيث أن الفرد المتدرب لا يزال في مرحلة التنشئة والاعداد لذا فإن القائد الفعلي يقوم بالتوجيه والتعليم حاملا اعباء المسؤولية كاملة عن نفسه وعن المتدرب ايضاً.

وقد تطول هذه الفترة بحيث يترقى المتدرب على القيادة فيبدأ من أدنى مستويات المسؤولية الرئاسية ليرتقي خطوة خطوة ولكن بفواصل زمنية قصيرة ليصل إلى ما هو مقرر له من صعيد خاص في مستويات

القيادة الرئاسية ويعتبر تدرج الضابط في قيادة الوحدات الأصغر فالأكبر نوعا من هذا التدريب وهو عادة ما يجد توجيها وتدريبا من رؤسائه خلال هذا التدرج.

ثانيا: الروح المعنوية

تعتمد نتائج الحرب كظاهرة اجتماعية على عدد كبير من العوامل المتعددة المتشابكة، ومن هذه العوامل نوع المعدات والعتاد والإمداد ووفرتهم وظروف المعركة الخاصة بكلا الجانبين المتحاربين وطبيعة الأرض والقيادة والتدريب ومن هذه العوامل أيضاً العنصر البشري وما يتصف من مجموعة خصائص شخصية كالشجاعة والإيمان والإصرار على القتال. والاختبار النهائي للجندي في المعركة ليس فقط في إتقانه للتدريب على الأسلحة والمواضيع العسكرية الأخرى فقط، بل هو صموده على أرض المعركة وعدم تحطمه على صخرة المحن والشدائد.

وتشير خبرات الحروب أن التفوق النوعي للقوات المقاتلة على أرض المعركة يعتمد بالدرجة الأولى على مستوى معنويات الأفراد وإصرارهم على القتال. وليست معدات القتال من أسلحة ودبابات وطائرات سوى مجرد آلات تؤدي وظيفتها ولا يمكن الإفادة منها واستغلالها إلا عن طريق الطاقة البشرية التي تديرها وتحافظ عليها.

ويضرب الدكتور صلاح مخيمر مثالا لهذه الحالة بالإيطاليين في الحرب العالمية الثانية[1].

«كلنا يذكر ما كان عليه الجيش الإيطالي في الحرب الأخيرة من قوة المعدات ووفرة المهات، بل وما كان عليه الجنود من مستوى رفيع من

(١) صلاح مخيمر، عبدة ميخائيل رزق: علم النفس الاجتماعي: القاهرة: الانجلو، ١٩٦٠م.

التدريب ولكن كان أحفاد الرومان أميل ما يكونون عن القتال، فكانوا يتلمسون الفرص وأوهى الأسباب للإلقاء بالسلاح والتسليم. فلم يكن الإيطاليين مقتنعين بالحرب في أعماقهم، ولم يكونوا بالتالي ليحفلوا بالهزيمة أو النصر بقدر ما كانوا يحرصون على الإلقاء بالسلاح إبقاءً على حياتهم. ولعل الكثير منا لا يجهل أن معسكرات الأسرى منهم لم تكن تحتاج إلى حراسة. بل إن الجندي الواحد كان يضطلع بحراسة الآلاف منهم: ولو لم تكن القوانين تقتضي هذه الحراسة لكان من الممكن تركهم وشأنهم دون أن يخشى لهم بأس».

وعلى العكس من ذلك يشهد التاريخ بدور الروح المعنوية في كسب المعارك الحربية. فقد كان العرب أقل عدداً وعدة من الرومان والفرس ومع ذلك احرزوا الانتصارات التاريخية الخالدة كذلك الرسول عليه السلام حقق النصر على الكفار الذين كانوا يزيدون عن جيش المسلمين عدداً وعدة. وفي الحرب العالمية الثانية أيضاً كان الجندي الألماني يحارب وهو كله إيمان وثقة وإرادة وتصميم. ويُعرف عن نابليون أنه كان يهتم بمعنويات جيشه أكثر من الاهتمام بالمعدات الآلية. ونستطيع أن نتساءل أيها أكثر أهمية المدفع الأصم أم الضمير الذي يمسك بهذا المدفع ويحدد اتجاهه؟.

تعريف الروح المعنوية:

قد يمر فرد أو جماعة أو أمة بمواقف عصبية في حياة كل منهم وتتمثل تلك المواقف العصبية بأزمات فردية. أو هزائم عسكرية أو فتن داخلية إجتماعية ولكن هذه الهزائم والهجات والأزمات. رغم ما فيها من خسائر وآلام، فإننا نجد أفرادا كما نجد أمة قد اجتازتها بسلام، بينما نجد أفراداً آخرين أو جماعات كانت تلك المواقف العصبية كافية للقضاء عليها. فلماذا كان ذلك؟

إن أحد تلك الأسباب هو ما نسميه في دراستنا لعلم النفس الاجتماعي بالروح المعنوية.

فالروح المعنوية عامل نفسي يقود الأفراد، فرادى أو مجتمعين إلى النجاح أو الفشل في أي موقف من المواقف الرئيسية التي تحتاج إلى جرأة وثبات وتضحية في الوقت الذي تكون فيه بقية عوامل النجاح من خبرة وتنظيم متساوية.

وكان من المألوف أن تعرف الروح المعنوية بأنها «روح الفريق»، ويشير هذا المفهوم إلى معان مثل الشعور بالإنتماء إلى الجماعة أو مشاعر التوحد الجماعي، وهذا الشعور شرط ضروري للمشاركة في الجماعة ولتماسكها. لأنه بدون هذا الشعور يكون كل فرد متحفظاً في سلوكه ومن ثم يصعب أن يشعر بجاذبية نحو الآخرين. فإذا ما تخلى الأفراد عن تحفظهم أمكن لهم أن يدركوا أنفسهم في علاقة مع الآخرين، وهذا هو بداية التوحد مع الجماعة. وكل ما يعنيه ذلك هو أن «روح الفريق» سبب ونتيجة لبناء قائم منذ البداية مهما كان هذا البناء غامضا. ويُعرف «بونر» الروح المعنوية بأنها تقبل كل عضو للآخر وهي تتميز بالتجاذب بين أعضاء الجماعة. وتقوم الروح المعنوية بدور العامل الوسيط والمدعم لروح الفريق. والروح المعنوية عامل هام في إستمرار الجماعة وصيانتها في وجه الصعوبات وقوى التفكك، كما أنها تسهم في تحقيق التنظيم الداخلي للجماعة وتأكيد وحدة السلوك.

ومن الخصائص الهامة في الروح المعنوية جانبها الشخصي. أي إستغراق الذات في قيم الجماعة وفي مناشطها إستغراقاً يحول هذه القيم وهذه المناشط الجماعية إلى قيم ومناشط شخصية عميقة. فالناس يحاربون في سبيل جماعتهم ويشعرون بالولاء الشديد لبلدهم لا نتيجة لضغوط اجتماعية فقط ولكن بسبب إهتمامهم بوصفهم أشخاصاً، بشيء يقدسونه

ويحبونه. فأي نقد أو هجوم على أي منهم يستثير فيهم استجابة شخصية وجماعية. وتؤكد هذه الحقيقة مرة أخرى صدق القول بأن الفرد والجماعة لا يمكن فصل أحدهما عن الآخر في مجال العلاقات الإجتماعية.

ويظهر أن كل تعريف مما تقدم يؤكد جانباً واحدا من جوانب الحياة النفسية في الجانب الإدراكي أولا ثم في الجانب الانفعالي العاطفي ثانيا، ثم في الجانب السلوكي ثالثا.

ولعل التعريف الشامل للروح المعنوية بأنها «الشعور الذاتي لكل فرد من أفراد الجماعة بأهمية العمل لمواجهة التحدي مع التصميم على تحقيق أهداف الفرد والجماعة والصبر على مواجهة آثار الهزائم والعمل المتعاون المخلص في سبيل الأمة، وسمو العقيدة واستمرار التاريخ المجيد والحفاظ عليه». وهناك من علماء النفس الاجتماعيين من يستخدم مفهوم «التماسك» في تحديد مفهوم «الروح المعنوية» التي تقتضي التواصل والمشاركة والشعور بالمحبة المتبادلة بين أعضاء الجماعة. فالروح المعنوية مفهوم نفسي اجتماعي يتصف به الفرد أو الجماعة بلا إشارة إلى حالتها النفسية من ضبط النفس والثقة بها وتنظيم العمل في مواقف الحياة الطارئة.

العوامل المؤثرة على الروح المعنوية لدى أفراد الجيش:

أ - قوة الإيمان والعقيدة:

تعتبر ركنا أساسيا قويا في صمود الأفراد وإستبسالهم في القتال، ومن المفيد أن نوضح أن الإسلام باعتباره دينا سماويا خالدا لا يعتمد على الصراع والقتال الدموي أساسا لانتظام حياة البشر وتعايشهم كما يزعم البعض. بل إنه يدعو الناس جميعا في كل زمان ومكان إلى السلم والتعايش في تعاون ووئام. قال تعالى: ﴿يا أيها الناس أدخلوا في السلم كافة ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مُبين﴾. وكان

الرسول ﷺ ينهي صحابته عن تمني لقاء العدو بقوله «يا أيها الناس: لا تتمنوا لقاء العدو واسألوا الله العافية، فإذا لقيتموهم فاصبروا واعلموا أن الجنة تحت ظلال السيوف».

فالأصل في الإسلام إذن هو أن تنتظم حياة البشر في سلم ودعة ووئام حتى تتحقق خلافة الإنسان في الأرض بإقامة دين الله وتنظيم الحياة على هديه. فإذا ما عبثت يد التدمير بهذا السلم وأفسدت استقرار الحياة، أذن للمسلم بقتال المفسدين لإعادة الأمور إلى نصابها. إذ ليس هناك من سبيل لمواجهة الشر والفساد في الأرض بغير الحق سوى أن يُدفع بالقوة والسيف. وقتال هذا هدفه لا بد وان ينصر الحق في النهاية وهذا ما قرره القرآن الكريم في قوله تعالى: ﴿الذين آمنوا يقاتلون في سبيل الله، والذين كفروا يقاتلون في سبيل الطاغوت فقاتلوا أولياء الشيطان إن كيد الشيطان كان ضعيفاً﴾.

ويساعد الإيمان بالله الإنسان على تحمل الشدائد والضغوط النفسية. ويعتبر هذا التحمل بدوره من علامات الصحة النفسية السوية والتي من أبرز مظاهرها القدرة على مواجهة الضغوط والأزمات مع الإحساس الإيجابي بالسعادة والكفاية. والخلق القويم هو أيضاً من مظاهر الإيمان بالله. ويحاول كثيرٌ من علماء النفس اليوم دراسة العلاقة بين نمو الخلق عند الفرد وصحته النفسية. وتقوم الأخلاق على مُجاهدة النفس والصبر على المكاره. وتمثل أخلاق الأنانية وحرص المرء على مصلحته دون مراعاة لمصلحة الجماعة التي يعايشها أدنى مراحل النمو الخلقي عند بعض علماء النفس مثل «بياجيه» و «كولبيرج» و «رست» وغيرهم - وكذلك مظهر من مظاهر اضطرابات الشخصية أو ضرب من اللاسواء في رأي ما سلو وهؤلاء أيضاً إذا ما لازمت الكبار[1]. ولقد تميز

(١) يرى هؤلاء العلماء أن هذه الاخلاق تميز الاطفال حتى سن ٨ سنوات ثم يقل أثرها تدريجيا مع نموه المعرفي وعندما يدرك أن للآخرين دوافع وحاجات مثله تتطلب الإشباع.

المسلمون الأوائل بالغيرية والإيثار وضحوا بأنفسهم في سبيل نشر الدين الإسلامي، وصبروا وتحملوا الأذى والمشاق بفضل إيمانهم واستطاعوا التغلب على كثير من القوى المعادية في الفتوحات الإسلامية العظيمة.

ب - إشباع الحاجات:

عندما يواجه الانسان - لظروف ما - نقصا في غذائه أو ملبسه أو الماء أو لا يجد المسكن المناسب فإنه يثور ويسخط. لأن هذه الأشياء - كما يؤكد علماء النفس - ضرورية للكائن الحي لاشباع حاجاته البيولوجية أو الأساسية. وعدم إشباع هذه الحاجات يترتب عنه الاحباط، والذي من أهم ردوده الفعلية العدوان أو الميل له. ويظهر هذا العدوان بصور وأساليب مختلفة. ويمكن أن يصبح ذلك العدوان هائما مطلقا - كما يرى «جازانيجا» و«سيرز» وأعوانه وغيرهم ممن بحثوا في العدوانية - حيث يتعلق بأي موضوعات أخرى خارجية خلاف مصدر الاحباط الأصلي والذي لم يستطع الشخص أن يوجه عدوانه نحوه.

وقد ذكرنا في فصل التوافق النفسي أن الانسان يسعى دوماً لاشباع حاجاته البيولوجية والاجتماعية. وإن هذا الإشباع إذا ما تم بصورة سَوية ساعد المرء على الشعور بالسعادة والكفاية وإمكانية مواجهة الأزمات والضغوط النفسية العادية، ويعد هذا من أبرز مظاهر الصحة النفسية للجندي ودليل على ارتفاع روحه المعنوية.

وتزداد أهمية إشباع الدوافع البيولوجية بصورة واضحة مع ازدياد المشاق التي يواجهها الأفراد. الذين يعملون في الجيش. إذ عادة ما تكون المهام التي تكلف بها الوحدات العسكرية في مناطق نائية وأراضي وعرة، يواجهون فيها مشاق الحرب مما يُزيد من الضغوط النفسية التي يتعرضون لها. وكثيرا ما يلاحظ انخفاض الروح المعنوية لدى الأفراد

إذا لم يحصلوا على الغذاء والماء والملابس وسائر الحاجات الضرورية لهم. ويحدث هذا نتيجة لإنخفاض مستوى الخدمات الادارية التي تقدم لأفراد الجيش والذي قد يكون بسبب إهمال المشرفين على هذه الخدمات أو تعرض القوات العسكرية المحاربة للحصار أو قطع خطوط إمداداتها بفعل العدو.

وفي مثل هذه الاحوال السابقة قد لا تجد عبارات الحماس - والتي تحث الجنود على الاستبسال في المعركة - أذنا صاغية من بعض الأفراد وبخاصة أولئك الذين يعوزهم الإيمان.

واشباع الدوافع الاجتماعية له أيضا أهمية في رفع معنويات الافراد.

وهذا الاشباع يتوقف بدرجة كبيرة على القادة مهما اختلف حجم الوحدات المسئولين عنها لان إشباع هذه الدوافع يتم من خلال الجماعة (مجموعة الافراد)، وكلما ساد الوئام والعدلُ داخلها ساد الجو الملائم لاشباع الحاجات الاجتماعية.

ومن هذه الدوافع الانتماء والتجمع والتقبل الاجتماعي[١]. ويقصد بالانتماء شعور الفرد أنه مرغوب فيه من قبل الجماعة ويعني التجمع ميل الانسان الى العيش في الجماعة اما التقبل الاجتماعي فهو ضروري كي ترتفع الروح المعنوية داخل الجماعة، ويقصد به أن يشعر الافراد بدرجة كبيرة من الاندماج فيها وأن الجماعة لا غنى لها عن كل منهم. إذ غالبا ما يشعر الأفراد بالاضطراب العميق عندما يكونون منبوذين من قبل أفراد مجتمعهم ومعزولين إجتماعيا. ويؤيد هذه الفكرة الدراسات التي أجراها بعض الباحثين على أفراد مجندين يقومون بآداء أعمال غير حربية في بعض المناطق النائية من العالم. واستمرت هذه الأعمال عاما

---

(١) انظر الفصل الثاني.

كاملا. وقد وجد هؤلاء الباحثون أنه عندما يكون الأفراد مثيرين للازعاج فإن الجماعة تتجاهلهم تماما. وأنهم عندما ينعزلون نتيجة لهذا التجاهل لا يستطيعون النوم ويميلون الى الاكتئاب ويهملون صحتهم وأعمالهم الروتينية اليومية. وبمجرد قبول الجماعة للفرد مرة ثانية تختلف الأعراض المرتبطة بالاكتئاب الشديد[١].

ويضيف بعض علماء النفس العواطف كالخوف والغضب والحب والقيم والميول ايضا إلى قوائم دوافع السلوك[٢]. وهناك أنواع متعددة من القيم والميول عند الانسان مثل القيم الدينية والخلقية وحب الوطن والميول الرياضية والعلمية وغير ذلك.

ومن الدوافع الاجتماعية ما يثير دوافع أخرى، فرغبة الانسان في الحصول على التقدير والمكانة الاجتماعية أو في الأمن والطمأنينة تدفعه أحياناً الى التنافس ومحاولة التفوق على الغير والسيطرة عليهم، كما أن السلوك الكامن وراء دافع الانجاز قد يحقق الاشباع لدوافع أخرى إجتماعية أو بيولوجية. فتفوق وحدة القائد في التدريب أو العمليات الحربية قد يحقق له استحسانا إجتماعيا وتقديرا بين زملائه ورؤسائه، وربما يشبع أيضاً ميولا عدوانية تجاه عدو مغتصب، وتحقيق قيم دينية أيضا تتمثل في تحرير أرض محتلة.

---

(1) Rohrer, J.H. Interpersonal Relations in Isolated small Groups. In. B.E. Jlaherty (Ed.) Psychophysiological Aspects of space flight. New York Colombia University Press, 1961.

(٢) عبد السلام عبد الغفار: مقدمة في الصحة النفسية. القاهرة: دار النهضة العربية، ١٩٧٧، (ص ٧٥، ٧٦).

وهكذا نجد أن كل سلوك نشط تسببه في الأغلب دوافع نشطة. والدوافع توجد بشدة واحدة عند جميع الأفراد بل تختلف باختلاف العوامل البيئية والحضارية التي نشأوا فيها وباختلاف الظروف التي يمرون بها. ومن أمثلة الدوافع التي يمكن تنميتها في الجنود:

(١) الحاجة للمغامرة وكسب خبرات جديدة: يسعى الفرد على مدى الحياة الى كسب خبرات جديدة، وفي سبيل ذلك يقدم على أنواع شتى من المخاطرة والمغامرة البدنية والذهنية والإجتماعية، ونحن لا نستطيع أن نُتقن مهارة ما أو نكتسب خبرة جديدة دون أن نقبل في سبيل ذلك على نوع من المخاطرة أو المحاولة والخطأ. ولولا الاقدام والتجربة لما أُتيح لنا الوصول الى مستويات أعلى من المهارة والمعرفة. وقد حرص البريطانيون في الحرب العالمية الثانية وكذلك الفيتناميون فيما بعد على دفع دوريات تعمل على مسافات بعيدة داخل مناطق أعدائهم للإغارة مما ساعد على تنمية الخبرة وروح المغامرة لجنودهم[١].

(٢) يمكن تدعيم الدافع الى الانجاز عند الفرد بتدريبه على آداء أعماله، وإثارة التنافس بين الجنود باستخدام الحوافز الى جانب التشجيع المستمر من القادة، وهذا التشجيع يحفز الفرد الى إتقان الآداء كوسيلة للمحافظة على تقدير الذات، وما يتبعه من رضائه عن نفسه الى جانب أن هذا الجهد في الآداء يجنبه التعرض للنقد.

(٣) من وسائل اثارة دافع التقبل الاجتماعي إشعار الفرد بأهميته، وأهمية العمل على راحته النفسية وهو ما يظهر فيما يبذله القائد أو المشرفون على الأعمال الادارية من جهد لتوفير الخدمات اللازمة له

---

(١) تميل بعض الجيوش الى أن يشترك في هذه الدوريات بالتناوب معظم أفراد وحدات المشاة.

وبخاصة ما يتعلق بإشباع الحاجات الأساسية والعلاج الطبي. ومن المستصوب كذلك أن ينادى الجندي باسمه كلما ساعدت الظروف على ذلك. هذا الى جانب وسائل التقدير الأخرى مثل الترقية والمكافأة وغير ذلك من إمتيازات لمن يستحقها.

(٤) الدافع الى تحمل المسئولية تجاه الآخرين: يرى بعض علماء النفس أن الحياة الاجتماعية تتضمن أخذاً وعطاءً، ويقصد بهذا إدراك الفرد ما له من حقوق وما عليه من واجبات. ومن أبرز الشواهد على هذا أن الجماعات الناجحة هي تلك التي يضطلع فيها كل عضو بمهمة واضحة ومحددة من المهام المخصصة في الجماعة، كأن يسهم في نشاط لجنة المسابقات أو إعداد الحفلات أو في ترتيب المحاضرات أو إستقبال الأعضاء الجدد. فهذه المسئولية من قبل الجماعة تزيد من إحساس الفرد بالانتماء اليها، كما يزيد من إحساسه بقيمته وأهميته للجماعة. أما الجماعات التي تنحصر المسئولية فيها بين نفر قليل دون سائر الأعضاء فإنها سرعان ما يصيبها الانحلال والتفكك لأنها لا تتجاوب مع الحاجة النفسية لأفرادها أي إلى الاحساس بالمسئولية والرغبة في خدمة الآخرين.

والطفل السعيد هو الذي يتاح له منذ الصغر أن يسهم في شئون البيت، وفي المسئوليات الأسرية بحسب ما تسمح به سنه حيث يزيد هذا من إحساسه بالانتماء إلى أسرته والولاء لها ويجعله أقدر في شبابه على مواجهة الخطر. كما لوحظ في الدراسات التي أجريت على أفراد الجيش في عدد من الدول أن الروح المعنوية ترتفع بين الجنود الذين تميزت طفولتهم بإشباع حاجتهم الى المسئولية[1]. كذلك إتضح من نتائج تجارب

---

(1) Hilgard, E; Atkinson, R. Introduction to Psychology. New York: Hantcount Brace, 1975.

عديدة أن كثيراً من الأحداث المنحرفين والمرضى النفسيين قد انصلح شأنهم واستوت نظرتهم الى الحياة والى انفسهم عندما عهد اليهم بالقيام بأعمال تتسم بالمسئولية نحو الآخرين وخدمة الناس. لذا فمن الأفضل كذلك الا يترك أفراداً بالوحدة دون إسناد بعض المسئوليات إليهم (خشية الاخلال بها) بحجة أنهم لا يصلحون لها أو أنهم لا يوثق فيهم لأنهم يعانون من مشكلات سلوكية. إذ أن عدم إعطائهم مسئوليات ربما يزيد من تفاقم حالاتهم ثم ينقلبوا وبالا على وحداتهم.

ومن طبيعة عمل الجيش تزايد عدد المهام التي يمكن أن يشعر فيها أفراده - حتى أقل الرتب فيه وهم الجنود - بالمسئولية. ومن هذه المهام أعمال المراقبة والاعمال الادارية والحراسة والدوريات . كما إزداد وعي الجندي بأهمية المسئولية المكلف بها، إزداد شعوره بقيمته وبالانتماء. ويمكن تنمية هذا الدافع أيضا حتى في الانشطة الترويحية في أوقات فراغ الجنود حيث يساهم كل فرد في الوحدة في إعداد الحفلات والمسابقات وما تتضمنانه من برامج مختلفة.

جـ - القيادة:

يشير التاريخ العسكري الى أن الدول تحرص على قادتها المنتصرين حرصها على أمنها وأسباب هيبتها، كما تحاول أن تستغلهم وقت تعرضها للمحن العسكرية أفضل إستغلال.

وتختلف مستويات القادة من حيث حجم الوحدات المسئولين عن قيادتها باختلاف رتبهم العسكرية. ويلاحظ بوجه عام أن للقيادة مسئوليات كثيرة في الوحدات العسكرية، ومن هذه المسئوليات الأعباء الادارية والتي تتمثل في وصول الطعام إلى الجنود وبخاصة أثناء القتال وكذا إيواء وملبس وراحة الأفراد وانتظام الخدمات البريدية لهم[١]

(١) يلاحظ أن لكل مستوى قيادي بعضا من المسئولية حيال هذه الأعمال وغيرها.



شكل رقم (٢٣)
نموذج للقيادة غير الثابتة

وغير ذلك من أمور تتعلق بإشباع الحاجات الأساسية للجنود. وهذا الاشباع له أهمية بارزة كما أسلفنا في رفع الروح المعنوية لهم. ومن مسئوليات القائد أيضا إتاحة شتى الوان الانشطة الترويحية، وهي انشطة تستوعب كثيراً من طاقات الجندي وهواياته وتثير فيه إهتمامات وحاجات جديدة.

والقائد هو رمز السلطة التي تدفع بالجنود الى القتال، ولكي يكسب ثقة جنوده عليه أن يكون على مستوى عال من الكفاءة العسكرية الى جانب أن يؤدي واجبه الانساني من حيث العناية بالجنود والسهر على راحتهم. والضابط الذي ينسى أنه بحكم منصبه مثل أعلى لجنوده في الخلق العسكري وتحمل جهد التدريب ومشاق القتال لا يصبح فقط معرضاً لسخريتهم بل انه باهتزازه واضطرابه وبخاصة أثناء القتال قد يثير فيهم روح اليأس والارتباك. كما ان وجود القائد المحنك الشجاع الثابت في انفعالاته يشيع في افراده جو من الثقة والطمأنينة أثناء القتال ويساعد على ابعاد الخوف عنهم.

والقائد الحاذق لا يترك مناسبة تمر دون الاختلاط بجنوده والتنافس معهم في أحوالهم وشكاواهم. وهو لا يكل عن عقد المؤتمرات مع ضباطه والاجتماع مع جنوده يفهمهم فيها سياسته في القيادة والأسباب التي تدعوه الى إتخاذ بعض القرارات التي قد تبدو غريبة على الأذهان. وفي حالة القتال يفهمهم حقيقة الأوضاع المحيطة بهم ويفند لهم الاشاعات التي تصل إليهم. وقد يضطر إلى مصارحتهم ببعض الحقائق المؤلمة عندما يجد ذلك أهون شأنا من تركهم للإشاعات التي قد تسبب عصيانا أو تمرداً وربما إنهياراً في كيان الوحدة كلها. وإذا كان كثير من الأمور ينبغي إخفاؤه عن الجنود لسريته فليس من بأس أن يفهم الجنود ذلك على أن يعرفوا حكمة السرية ومغزاها. مع الأخذ بالاعتبار أن الافراط في السرية بدون داع معقول يثير التوجس والخوف. والقائد الحاذق أيضا لا ينزعج كثيراً إذا رأى بوادر الروح المعنوية المنخفضة تسري بين قواته. فإن مثل هذه الروح المنخفضة تعكس بلا شك مشاعر الجنود ومخاوفهم وما ينتشر بينهم من إشاعات ومعتقدات باطلة. الأمر الذي يبرز حقيقة المشاكل القائمة وطبيعتها. ودراسة هذه المشاكل تؤدي إلى العثور على مؤشرات تشير الى نقط الضعف في التشكيل العسكري وعلى منافذ

للعلاج والإرتفاع بمستوى الروح المعنوية من جديد. فالجنود على أي حال كائنات إنسانية لها شخصياتها ودوافعها وإتجاهاتها وينبغي لأي قائد يقود جماعة إنسانية أن يكون على شيء من البصيرة بنفوس من يعملون تحت إمرته وعلى شيء من الخبرة بالتعامل الانساني السليم معهم إن أراد أن ينجح في مهمته من حيث توجيه الجماعة التي يقودها نحو أهداف يحققونها وهم متحمسون لقيامهم بهذا التحقيق هذا الى جانب تحقيقه للعدل والمساواة وبعده عن التحيز أو الكراهية لأي من مرؤسيه.

وجاء في دراسة اجراها علماء النفس في الجيش الأمريكي وظهرت نتائجها بعد إستفتاء آلاف من الجنود أن القائد الناجح في نظرهم هو الذي يجمع بين الكفاءة العسكرية ومجموعة من الصفات الشخصية التي تجعله مقربا من جنوده. كمقدرته على فهمهم وتبين مشاكلهم والصعاب التي يواجهونها. واتجاهه الى ممارسة القيادة لا لمجرد الرئاسة أو السيطرة أو الإصرار على فاصل الرتبة بل لهدف التوجيه والاصلاح والرعاية.

وجاء في مقال نشر في مجلة المشاة الأمريكية أن الضابط الناجح هو الذي يضع نفسه بالقرب من جنوده ما أمكن دون أن يضر ذلك برتبته أو يضعف من سلطته[١].

د - اللياقة البدنية:

يرى كثير من علماء النفس والطب النفسي وجود علاقة وثيقة بين جسم الانسان وحالته النفسية، وهم يؤيدون هذا الرأي بالكثير من الملاحظات العلمية ولعل أبرز ما يلفت النظر في ميدان العلاقة بين الجسم والعقل ما نجده بين النمو الجسمي والنمو العقلي من موازاة حيث

---

(1) Boring E. Psychology For The Armed Services Washington, The Infantry Journal ,1945.

يسير كلاهما جنبا إلى جنب مع الآخر إبتداء من الوليد إلى الراشد. فالطفل الصغير قدراته الجسمية محدودة وكذلك العقلية، أما الراشد الذي وصل الى مرحلة النضج الجسمي، عادة ما تكتمل أيضا قدراته العقلية، كما أن كثيراً ما يكون ضعاف العقول أقل من زملائهم المتفوقين من حيث الصحة الجسمية والقوة العضلية، كما تؤثر الأمراض الجسمية المختلفة على حالات الانسان المزاجية والانفعالية وبالعكس كثيراً ما يصاب الانسان بأمراض جسمية لها أساس نفسي. فقد ثبت ان حالات الاكتئاب النفسي يصحبها نقص خاص في بعض الهرمونات العصبية في بعض مراكز الدماغ وإضطراب في معادن الجسم كما يلاحظ في كثير من الظواهر النفسية والعمليات العقلية. مثل عمليات الإحساس والإدراك الحسي والانفعالات والتفكير - تعاونا وثيقا بين الجسم والعقل كي تتم هذه العمليات، وإن كل أعضاء الجسم تعمل في تناسق لإعطاء الدماغ حقه من الغذاء والراحة.

وتتوقف الروح المعنوية للجندي ودرجة حماسه للمعركة على مدى تمتعه بالصحة الجسمية واللياقة البدنية العامة. كما تساعد التدريبات البدنية على إزدياد شهية الفرد للطعام وحيويته وتجديد نشاطه وزيادة قوته، ويحرص القادة في الجيوش المتقدمة على التدريبات البدنية لجنودهم والتي لا تبلغ حد الإنهاك وذلك في فترات الإنتظار التي تسبق المعركة بغرض رفع مستوى لياقتهم البدنية ورفع معنوياتهم وإزالة القلق والتوتر في نفوسهم.

ويراعى في نفس الوقت تجنب الإجهاد العنيف والأعمال الشاقة قدر الإمكان قبيل المعركة. حيث يعمل التعب على التأثير في الروح القتالية وقد أشار إليه الأطباء العسكريون فوصفوه بأنه مرض جديد في الجيوش لما له من نتائج سيئة وبخاصة على الطيارين. إن أعراض التعب

العقلي سواء في الجو أو الأرض هو ضعف الرغبة في أداء العمل، ونقص الحماس وثقل الجفون والأطراف.

ويجب إعطاء الجنود الراحة الكافية عند إصابتهم بالتعب، وأن يطلب من الجندي أن يأخذ قسطا وافراً من النوم متى سنحت ظروف العمل بذلك وإلا انخفض مستوى الآداء المطلوب منه أثناء الظروف الحرجة.

كما لا يجب إهمال الناحية الغذائية والفيتامينات وخاصة فيتامين ب الذي يعرف باسم «فيتامين المعنويات» والذي يوجد في اللحوم الحمراء بصفة خاصة، فنقص هذا الفيتامين يؤدي الى ضعف الجنود وتفشي القلق بينهم.

وكما يؤثر المرض الجسمي على حالة الجندي فإن المرض العقلي يؤدي الى نفس الأعراض إن لم تكن أسوأ. علاوة على أن الجندي ينقص في الوزن ويتعرض للتعب السريع ويصاب بالقلق إذا ما تعرض لهذا المرض.

هـ - التدريب:

يساعد التدريب بأشكاله وصوره المختلفة على رفع الروح المعنوية لدى الأفراد من جوانب متعددة. فهو يكسبهم الثقة في السلاح وفي أدائهم عموما أثناء المعركة ويمكنهم من المهارات اللازمة للقتال، وكلما كان التدريب واقعيا كلما تعود الجنود على مشاق الحرب ونمت فيهم الروح القتالية. فالانسان كثيراً ما يخشى التعامل مع الأشياء التي يجهلها. ويمكننا أن نلحظ هذا في أي شخص عند بداية تعلمه قيادة السيارة، إذ تضطرب حركاته ويتصبب عرقه وقد يعتريه الخوف، وكلما تمرس في القيادة كلما أصبحت شيئا مألوفا محببا إلى نفسه.

ويحفل التاريخ العسكري بالأمثلة عن المعارك التي كان يلقي فيها

الجنود غير المدربين فيها باسلحتهم ويفرون من المعركة بينما يظل يقاوم ذووالتدريب الجيد أعدائهم حتى النهاية. وقد تطورت العلوم والفنون العسكرية تطوراً بالغاً منذ ظهور التطبيقات العملية لفكرة معركة الأسلحة المشتركة الحديثة منذ الحرب العالمية الثانية. وأصبح التدريب الذي يقوم على أحدث النظريات ضرورة لازمة لكل فرد يعمل في الوحدات البرية أو الجوية أو البحرية وسواء كانت هذه الوحدات إدارية أو فنية أو مقاتلة حتى يحقق الجيش إستغلالا لكل أسلحته وتعاوناً كاملا بينها. وعندما تعمل الأسلحة المختلفة كفريق واحد وباداء جيد ترتفع الروح المعنوية لدى الأفراد اثناء المعركة. فالأفراد الذين يعملون على الدبابات مثلا يزداد حماسهم للقتال إذا ما وجدوا أن المدفعية تؤازرهم بكفاءة. والمهندسون يساعدونهم في فتح الثغرات في حقول الغام العدو والطيران يعاونهم في إصطياد مدرعات العدو وتحطيم مواقعه أو يصد عنهم طيران العدو.

وإلى جانب التدريب على المهارات الحربية يجب أن يكون هناك تلقينا معنويا بأهمية بذل الجهد لدحر العدو والدفاع عن الوطن، فالجندي لا يستطيع هزيمة عدو ما لم يكن مليئا بالكراهية له[1].

ويجب الا يُهمل تدريب الأفراد على الأساليب التي يتبعها العدو في قتاله وأنواع اسلحته وقدراتها. لأن الإلمام بمثل هذه المعلومات يساعد الأفراد على أن بالغوا المواقف القتالية بسرعة ويزيل عنهم أسباب الخوف.

---

(1) Boring, E.Psychology For The Armed Services, Washington, The Infantray Journal 1945.

و - المفاجأة:

يحاول القادة أن يحققوا مبدأ أساسيا للحرب هو مفاجأة الخصم واللجوء في هذا الى طرق شتى للخداع بغرض اضعاف روحه المعنوية وإشاعة الارتباك والذعر في صفوفه. ويتوقف أحداث المفاجأة على عوامل منها إستخدام اسلحة وأساليب تكتيكية جديدة في الحرب. وربما ساعد هذا على التسليم دون مقاومة وفقدان الرغبة في الاستمرار في القتال.

والتاريخ العسكري غني بالأمثلة التي تشير الى تأثر الروح المعنوية تأثراً بالغاً نتيجة لعامل المفاجأة. فقد كان الفرنسيون يعتزون كثيراً بخط ماجينو الدفاعي ويعتبرونه معجزة عسكرية. ثم فوجئوا بالتكتيك الالماني الجديد الذي يقوم على الحرب الصاعقة بكتل ضخمة من المدرعات، بعد إرسال مفارز إستطلاع لمعرفة نقاط الضعف لدى الجبهة المعادية، ثم الهجوم بشكل صاعق وكثيف لفتح ثغرة في الجهاز الدفاعي، وإنشاء جسر تتوالى عليه القوات. ولما تمكن الالمان من إختراق الخط الفرنسي إنهارت الروح المعنوية لدى القوات الفرنسية المحاربة بل في الأمة الفرنسية كلها وبدأ التفكير في التسليم.

وقد ظهر أيضاً تأثير المفاجأة على الروح المعنوية واضحاً جليا في إستخدام قوات الأقتحام الرأسي أو جنود الجو في الحرب العالمية الثانية. إذ عادة ما تكون الروح المعنوية للوحدات المهاجمة أفضل من الوحدات المدافعة. لأن إسقاط أفراد المظلات من الجو هو عمل غير متوقع وإجراء مباغت للمدافعين. وحتى إسقاط المظليين بعيدين نسبيا

---

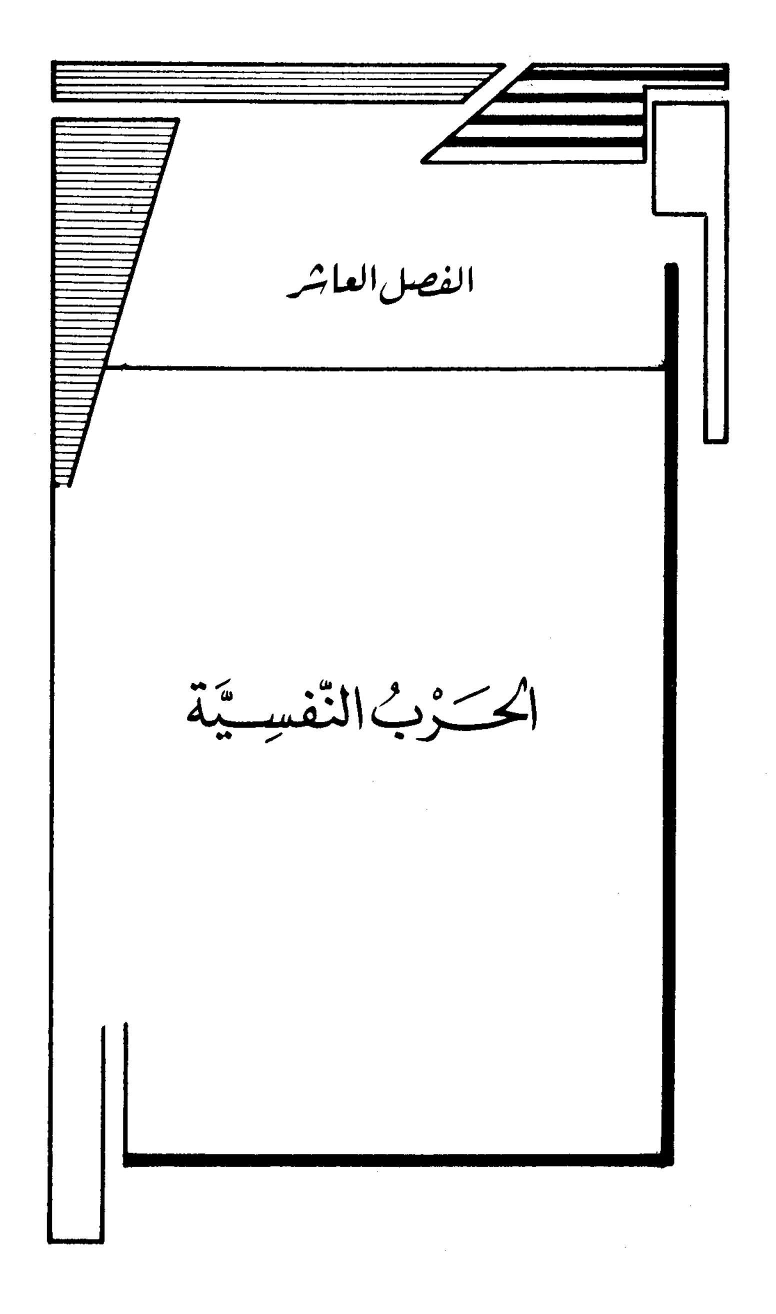
(١) عبد المحسن كامل مرتجي، خيري بنونة: العمليات الحاسمة في تاريخ جنود الجو، الاسكندرية: المكتب المصري الحديث للطباعة والنشر، ١٩٧٠ (ص ٨٥).

عن أهدافهم ثم ظهورهم بعد سير إقتراب بسيط نحو هذه الاهداف يسبب إرباكا وازعاجا للقوات المعادية.

وقد يتبين هذا في غزو القوات الأمريكية والبريطانية لجزيرة صقلية، حيث كان المدافعون يهرعون بالمئات للتسليم لجماعات صغيرة من المظليين نتيجة للأثر المعنوي السيء لدى المدافعين والذي سببه ظهور الأفراد المهاجمين أمامهم فجأة بعد إسقاطهم جواً، وقد تكررت هذه المواقف المعنوية في عمليات مثل عبور نهر الراين مع القوات الالمانية وإحتلال جزيرة كوريجيدور في جنوب شرق آسيا مع القوات اليابانية.

و - الانضباط العسكري:

إن تعلم النظام وإطاعة الأوامر من أهم مقومات الروح المعنوية العالية، فهو يمكن الأفراد من مقاومة الضغوط التي يواجهونها في المعركة بإرادة صلبة، بينما قد يؤدي التسيب الى وقوع الارتباك والفوضى وكوارث تسبب إنهيار الروح المعنوية. وتنمي عادات الانضباط العسكري تدريجيا وباستمرار وفي مختلف ظروف الخدمة العسكرية وتساعد القيادة المرنة الحكيمة على غرسها في الأفراد.



الفصل العاشر

الحَرْبُ النّفسِيّة

الفصل العاشر

الحَرْبُ النّفسِيّة

١ - تعريف الحرب النفسية:

تعرف الحرب النفسية بأنها استخدام مخطط من جانب دولة أو مجموعة من الدول للدعاية وغيرها من الإجراءات الإعلامية الموجهة إلى جماعات عدائية أو محايدة أو صديقة للتأثير على آرائها وعواطفها ومواقفها وسلوكها بطريقة تعين على تحقيق سياسة وأهداف الدولة أو الدول المستخدمة.

٢ - الإسلام والحرب النفسية:

يحفل سجل فتوحات صدر الإسلام بالعديد من الممارسات الميدانية للحرب النفسية وخاصة أثناء نشر دعوة التوحيد، وإعداد القوة التي ترهب الأعداء. يقول الله تعالى: ﴿وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة ومن رباط الخيل ترهبون به عدوّ الله وعدوكم وآخرين من دونهم لا تعلمونهم الله يعلمهم﴾ وقال الرسول ﷺ: «**نُصرت بالرعب مسيرة شهر**» وذلك يفهم منه أن القصد هو إرهاب الأعداء وإخافتهم من عاقبة التعدّي على بلاد الأمة. وكان الرسول عليه الصلاة والسلام إذا أراد غزوة ورّى بغيرها تضليلا للعدو. وقد روى جابر: أن النبي ﷺ قال: «**الحرب**

خدعة». ويجوز في الحرب الخداع والكذب والإرهاب للأعداء لتضليلهم ما دام ذلك لم يشتمل على نقض عهد أو إخلال أمان[1].

وفي الخداع أن يخادع القائد الأعداء بأن يوهمهم بأن عدد جنوده كثرة كاثرة وأن عتاده قوة لا تقهر.

يفهم مما تقدم أن إظهار القوة للأعداء وإخافتهم وإيقاع الرهبة والرعب في قلوبهم يحقق النصر عليهم ويؤدي إلى تحقيق أهداف الرسالة الاسلامية أكثر من أية وسيلة أخرى من وسائل مواجهة الأعداء، إذ ينشأ لدى العدو إتجاه نفسي يسيطر على أفراده فيجعلهم يمتنعون عن إستخدام قوتهم أو عن العدوان.

وتستمد القوة الاسلامية قدرتها على إيقاع الرهبة في قلوب العدو من القوة الشاملة والطاقة الهجومية وسرعة الحركة والمفاجأة والتأهّب الدائم. لقد كان يكفي أن يصل إلى سمع الأعداء نبأ إقتراب خالد بن الوليد على رأس جيش المسلمين في معركة اليرموك ليملأ صدورهم بالخوف ويصيبهم بالهلع فتتزعزع ثقتهم بأنفسهم وبقيادتهم. ومن أقواله: «هلموا فإن هؤلاء تهيأوا وهذا يوم له ما بعده، إن رددناهم اليوم الى خندقهم لم نزل نردّهم»[2].

وفي الحروب المعاصرة: تحولت الحرب النفسية من وسيلة عرضية إلى أداة عسكرية رئيسية وقيل: إن الحرب النفسية كانت السلاح الذي كسب الحرب أثناء الحربين العالميتين الأولى والثانية بسبب إستخدام الذعر الكامل والانهيار العصبي وحرب الإعلام.

---

(١) محمد جمال الدين محفوظ: النظرية الاسلامية في الحرب النفسية، القاهرة، دار الاعتصام، مطبعة دار العلوم ١٩٧٩م.

(٢) عبد الرحمن بن سبيت: الحرب النفسية بين النظرية والممارسة، مجلة كلية الملك خالد العسكرية، العدد الثاني عشر، الرياضة، ١٤٠٦هـ.

وقد نوّه القادة والزعماء كذلك بأهمية الحرب النفسية وأثرها في إدارة الصراع ومن نتائجه، فمن ذلك قول القائد الألماني روميل: «إن القائد الناجح هو الذي يسيطر على عقول أعدائه قبل أبدانهم».

وبالرغم من إنتهاء الحرب العالمية الثانية فلا زالت الحرب النفسية مستمرة ممثلة في الحرب الباردة ، وهي حرب أفكار وعقائد يحاول فيها كل من المعسكرين الشرقي والغربي استمالة أكبر عدد من الدول الى جانبه، ملوحا بالقوة تارة وبميله الى السلام والتعاون من أجل دفع الظلم تارة أخرى.

ومعنى ذلك أن الحرب النفسية ليست قاصرة على وقت الحرب أو الطوارىء ،ولكنها سلاح يستخدم في الحرب والسلم معاً. وتحدد البحرية الأمريكية هدفها من الحرب النفسية بالقول بأن الهدف الأساسي من الحرب النفسية هو فرض إرادتنا على العدو بهدف التحكم في أعماله بإستخدام طرق غير عسكرية وغير إقتصادية.

والحرب النفسية جزء أساسي من الحرب الشاملة، ولذلك فهي تشن قبل الحرب وفي أثنائها وفي أعقابها. وهي لا تخضع لرقابة القانون ولا للتقاليد الحربية، بل إنها عملية مستمرة، وهي وسيلة بعيدة المدى وليس من الضروري أن يظهر تأثيرها مباشرة مثل المعارك الحربية، بل إن نتائجها قد لا تظهر إلا بعد شهور أو سنوات من تنفيذها، أما عن الآثار التي تترتب عليها فإنها ولا شك آثار بعيدة الغور وإن كان من الصعب تقدير أثرها تقديراً كميا.

وفي الحرب النفسية يحاول العدو الاختفاء وراء الدين والصحافة أو الاذاعة أو الأحداث أو الأصدقاء أو الفكاهات، وما إلى ذلك. ومعنى ذلك أن الحرب النفسية ليست مباشرة وليست وجها لوجه.

ويرجع تاريخ الحرب النفسية إلى أقدم العصور وذلك منذ عرف

قادة المعارك أهمية الروح المعنوية وإضعافها وخلق صورة معينة من صور الارتباك التي تخلق عدم الثقة بالنفس والايمان مقدما بالهزيمة.

ويقول المخطط العسكري الصيني «صن تزو» أول من كتب عن الحرب النفسية - قبل الميلاد -: «أن أعظم درجات المهارة هي تحطيم مقاومة العدو دون قتال.»[1].

والواقع أن إصطلاح الحرب النفسية يطلق على نوع معين من الحرب كنوع متميز منها، كالحرب الاقتصادية أو الحرب الدبلوماسية أو الحرب الكيميائية بينما تطلق كلمة الحرب فقط على عملية تشابك القوات المسلحة بالأسلحة المختلفة. ويمكن القول بأن كل حرب مهما كان نوعها هي حرب نفسية لأن الهدف من الحرب هو هزيمة الخصم وهنا نتساءل ما هي الهزيمة؟...

فالهزيمة حالة نفسية مداها الإقتناع بعدم جدوى المقاومة أي الاستسلام، والتوقف عن الحرب. والشخص المقاتل إنما يقاتل لتحقيق هدف هو مقتنع بشرعيته، ومقتنع بإمكان تحقيقه فإذا فقد المقاتل هذا الإيمان أو هذا الاقتناع فقد المحرك أي الدافع الذي يدفعه نحو الحركة والكفاح، والحرب كأي سلوك آخر لا بد له من الدافع فإذا انعدم الدافع توقف الفرد عن الحرب أو انعدمت قدرته على الاستمرار في المقاومة. والحرب وسيلة من وسائل إقناع الخصم بالهزيمة فإذا اقتنع بالهزيمة وبعدم جدوى المقاومة تحقق الهدف من الحرب. وإذا أمكن اقناع الخصم بالهزيمة بوسيلة غير الحرب المسلحة لم يعد هناك داع لها. ويمكن أن يضرب لذلك مثال باللص الذي يهاجم فريسته أو ضحيته محاولا إقناعها بالهزيمة وبضرورة الاستسلام وبعدم جدوى المقاومة. وقد يستخدم لتحقيق هذه الحالة

---

(١) لويس كامل مليكة، سيكولوجية الجماعات والقيادة، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ١٩٦٣.

النفسية وسائل متعددة، فقد يرتدي قناعاً أسود ويشهر في وجهك خنجراً لامعا أو يصوب إلى صدرك مسدساً، وقد يباغتك ويفاجئك بسرعة بحيث يشل حركتك وتفكيرك فلا تستطيع حراكاً، ولا تفكر في المقاومة، فتفعل ما يأمرك به. وقد يصرخ في وجهك مهددا ومنددا. وليست هذه إلا وسائل القصد منها إشعار الخصم بالهزيمة. أما إذا فشلت وسائل التهديد هذه فإن اللص يستطيع أن يستخدم أسلوبا آخر لإرغامك لقبول الهزيمة والاستسلام فيهددك بضرر ما أو بإذاعة أسرارك أو يختطف وثيقة من الوثائق الهامة لديك، أو يختطف أبنا من أبنائك وعلى ذلك يرغمك على قبول الاستسلام. ويعني ذلك أن اللص لكي ينجح في قضاء مهمته معك لا بد أن يدرس شخصيتك، وظروفك وأن يتعرف على مواطن القوة والضعف في شخصيتك.

وبالمثل فإن العدو في الحرب يسعى الى تحقيق هذا الهدف مستخدما وسائلا شتى منها الدبلوماسية والدهاء والعبقرية في الدعاية والإعلام الى جانب قواته الجوية والبرية والبحرية، وكذلك مخترعاته وإكتشافاته العلمية والتكنولوجية، بل إنه يستخدم أيضا إمكانياته الإقتصادية. وفوق ذلك يستخدم مكروباته وجراثيمه. والقصد من كل هذه الوسائل هدف واحد هو إقناع الخصم بالهزيمة.

والحرب النفسية أكثر خطورة من الحرب العسكرية لأنها تستخدم وسائل متعددة، إذ توجه تأثيرها على أعصاب الناس ومعنوياتهم ووجدانهم، وفوق ذلك كله فإنها تكون في الغالب مقنعة بحيث لا يتنبه الناس إلى أهدافها، ومن ثم لا يحطاطون لها. فانت تدرك خطر القنابل والمدافع وتحمي نفسك منها. ولكن الحرب النفسية تتسلل الى نفسك دون أن تدري. كذلك فإن جبهتها أكثر شمولا وإتساعاً من الحرب العسكرية لأنها تهاجم المدنيين والعسكريين على حد سواء. كذلك هي أكثر دواماً لأنها تستخدم في أوقات السلم والحرب معا، بل أنها تصوب هجماتها خارج

الدولة الخصم نفسها حين توجه ذلك نحو الرأي العام العالمي.

إن الحرب المحدودة في عالم اليوم لم تحقق أهدافها السياسية وقد فشلت أساليب القتال في فرض الاتجاهات السياسية للدول الكبرى في العالم. لذلك فقد أصبحت الحرب أولا وأخيراً هي حرب نفسية تتعلق بالجانب المعنوي أي أن الوصول للهدف يتحقق بخلق موقف معين يؤدي إستغلاله إلى تفتيت معنويات الخصم بشكل يجبره على قبول الشروط المفروضة عليه.

٣ - مجالات الحرب النفسية وأهدافها:

أ - يمكن أن توجه الحرب النفسية على المستوى العالمي أو الدولي مثل إقناع الرأي العام أو تضليله وعزل العدو عن أصدقائه وجلب التأييد والمساعدة العسكرية والاقتصادية والفنية من جانب الأصدقاء.

ب - على المستوى القومي أو العربي، وذلك لشغل العرب في معارك جانبية، وخلق الأزمات والصراعات الداخلية وبإستغلال هذه الأحداث وتصعيدها، ومحاولة الدس وإستخدام أبواق الدعاية في إشعال لهيبها، وكذلك استهداف النيل من الوحدة العربية والتشكيك في نوايا العرب، وفي إخلاصهم وفي التزاماتهم إزاء القضية العربية المصيرية، ومن ذلك إثارة روح الشك والريبة في نوايا العرب إزاء بعضهم البعض. كذلك إشاعة خرافة التفوق الحضاري الإسرائيلي فهم يزعمون أنهم أرباب الحضارة الأوروبية الراقية ولا يمكن لهذه الحضارة أن تهزم على يد حضارة شرقية، ولكن يشير الواقع التاريخي إلى أن العرب هم أرباب حضارة عالمية عظيمة وهم أساتذة الحضارة الغربية نفسها. والادلة على إمكان إندحار الحضارة الغربية أمام إرادة التصميم واضحة وصارخة، حيث لقي التقدم الأمريكي انهزاما أمام إرادة التصميم الفيتنامي.

جـ - إشاعة الفرقة والانقسام بين صفوف الأمة، ونقصد هنا

بالفرقة بوجه عام، أي التفرقة بين الشعب وحكومته، وبين الامة وحلفائها، وبين القادة والجنود، وبين الأغلبية من السكان والأقليات، والتفرقة بين الأحزاب والطوائف وأرباب الشيع والمذاهب المختلفة، والتفرقة بين الجيش وبين المدنيين، وبين النساء والرجال، وبين الكبار والصغار وبين الأجيال المختلفة. وتؤدي هذه التفرقة إلى تمزيق الجهة الداخلية وإستنفاد الطاقات في الخصومات والصراعات الداخلية.

د - إضعاف إيمان الشعب بعقيدته وأفكاره ومبادئه القومية والوطنية، وإثارة الشك في نفسه وفي شرعية قضيته، وزعزعة الشعور بالثقة بالنفس وزعزعة الأمل في النصر، وعلى ذلك فإنه يتخاذل ويُسهل إقناعه بالهزيمة.

هـ - محاولة كسب جميع العناصر المعزولة في المجتمع لصالح الدولة المعادية حيث تشجع المعارضة والتمرد والتخريب في داخل البلاد.

٤ - أساليب الحرب النفسية:

تستخدم الحرب النفسية أربعة أساليب رئيسية هي:

أ - الدعاية.

ب - الإشاعات.

جـ - إفتعال الأزمات والمؤامرات.

د - إثارة الرعب والفوضى.

أ - الدعاية

تقوم الدعاية على إستخدام وسائل الإعلام الحديثة من نشر وترويج للأفكار والمعتقدات والأخبار التي تود نشرها وترويجها بغرض التأثير في نفسية الأفراد وخلق إتجاهات معينة لديهم. والدعاية كاحد أساليب الحرب النفسية تأخذ اشكالا متنوعة طبقا للأهداف وطبقا لنوع الأفراد

والجماعات الموجهة إليهم. ويمكننا أن نميز بين ثلاثة أنواع من الدعاية:

(١) الدعاية الاستراتيجية وتتميز ببعد أهدافها فهي لا تستهدف أغراضاً قريبة مباشرة ومتصلة إتصالا مباشراً بالمعركة وإنما ترمي الى أهداف بعيدة المدى تمهد لتحقيقها شيئا فشيئاً، مثال ذلك أغراض اسرائيل في التوسع والاستيلاء على مناطق كبيرة من أجزاء الوطن العربي إذ تعزز إسرائيل هذه النوايا بدعاية إستراتيجية منظمة ومستمرة.

(٢) الدعاية التكتيكية وهي الدعاية التي تستهدف العدو في المعركة فهي تستخدم كسلاح من ضمن أسلحة القتال. ومن الوسائل التي تستخدم في الدعاية التكتيكية: مكبرات الصوت وإلقاء المنشورات التي تهدف إلى نشر أخبار رئيسية عن جيش العدو ومعداته ووحداته كذلك إذاعة الأغاني والموسيقى العاطفية بقصد إثارة حنين جنود العدو إلى وطنهم، وقد إستخدمت هذه الوسيلة في موقعه ديان بيان فو المشهورة في حرب الهند الصينية ضد فرنسا إذ وجهت إذاعة خاصة باللغة العربية من قبل الفيتناميين للجنود الجزائريين مما أدى الى تمردهم على الجيش الفرنسي ومكن النصر للفيتناميين ونيل الاستقلال.

(٣) الدعاية التعزيزية: وهي الدعاية التي تأتي بعد الحرب ونهاية المعركة لمحاولة التأثير على المغلوبين وإقناعهم بأن الهزيمة نهائية لا مفر منها وأن المقاومة لا تجدي وأن مصلحتهم تقتضي التعاون مع سلطة الاحتلال لتحقيق التعمير والرخاء لهم. والدعاية كأهم سلاح في الحرب النفسية تتخذ أشكالا مختلفة وتتنوع طبقا لمقتضيات المواقف العسكرية والسياسية ،فهي قد تهاجم وقد تدافع وقد تنسحب من جهة لتشن هجومها في جهة أخرى، وهي بهذا كله تتسم بما تتسم به المعارك الحربية من مرونة وتكتيك. فهي قد تتجه إلى الجبهة الداخلية من أجل توحيدها وتقوية روحها المعنوية وتثبيت عقيدتها الوطنية وهي قد تتجه إلى العدو

من أجل إضعاف معنوياته وتفريق أفراده ليسهل التغلب عليهم وتحقيق النصر.

وسواء كانت الدعاية هجومية على العدو أو دفاعية موجهة للجبهة الداخلية فإنها تستهدف الاقتناع بالنصر وإقناع العدو بهزيمته. وتشكيكه بمبادئه ومعتقداته الوطنية والروحية وبذر بذور الشك في نفوس أفراده في شرعية قضيتهم والايمان بها، ومن ناحية أخرى فإن الدعاية يجب أن تعمل على نقيض ذلك بالنسبة لجبهتها وان تحميها من كل ما يهدد ثقتها بذاتها. وتستهدف الدعاية في المقام الأول بث الفرقة وعدم الوئام بين صفوف العدو ووحداته المقاتلة، فهي تسعى للتفريق بين العدو وحلفائه وبين الحكومة والشعب وبين القادة والجنود وبين الطوائف والأحزاب المختلفة وبين الأقلية والأغلبية وتقصد من وراء ذلك كله تفتيت الوحدة وتفريق الصفوف ليسهل لها النصر. وبقدر ما تستهدف الدعاية الى تحقيق هذه الأغراض للعدو بقدر ما تسعى إلى تجنبها من جهتها حيث تعمل على نقيض ذلك وتستخدم كل الوسائل على حمايتها من التصدع والخلاف. ومهما يكن من أمر الدعاية في كل صورها وأنواعها فهي تسعى في النهاية إلى تغيير الاتجاه والسلوك في جماعة من الجماعات تغييراً يُحقق الكسب لها والهزيمة للعدو. ويعتمد تأثير الدعاية على ثلاثة عوامل رئيسية:

(أ) محتويات الدعاية والطرق التي تتبع في تأديتها.

(ب) طبيعة التكوين الخاص بالأفراد والجماعات الموجهة لهم الدعاية.

(جـ) طبيعة الظروف والملابسات المحيطة.

ب - الاشاعة

تعرف الإشاعة بأنها عبارة نوعية (أو موضوعية) مقدمة للتصديق تتناقل من شخص لآخر عادة بالكلمة المنطوقة وذلك دون أن تكون

هناك معايير أكيدة للصدق.

فالإشاعة إذ تعتمد على المبالغة في أخبار معينة والترويج لها ونشرها على نطاق واسع أو خلق أخبار لا أساس لها من الصحة كل ذلك بهدف التأثير على الرأي العام تحقيقا لأهداف سياسية أو إقتصادية أو عسكرية. ولذلك فإن الاشاعة قد لا تكون كلية معتمدة على الخيال، فقد تعتمد على جزء من الحقيقة من أجل إمكانية تصديقها وتقبلها من قبل الناس. وأداة النقل عادة هي الكلمة المنطوقة التي يتناقلها فرد عن آخر بطريق الرواية وقد تظهر الإشاعة أحيانا في الصحف والمجلات أو تجد طريقها إلى موجات الاذاعة والتليفزيون.

(١) إستخدام الاشاعة في الحرب النفسية:

تروج الإشاعات وتنتشر في وقت الأزمات الاجتماعية والوطنية ولذلك فإن زمن الحرب هو أنسب وقت لتلك الإشاعات ونشرها حيث يكون الأفراد في حالة إستعداد نفسي لتصديق كثير من الأخبار والأقاويل التي يسمعونها نظراً لحالة التوتر النفسي الذي يعيشونه. ولذلك فإن كثيراً من الدول أدركت ذلك وأخذت تستخدم الإشاعات كأحد وسائل الحرب النفسية المهمة.

وإستخدام الاشاعات في الحروب قديم قدم الحرب ذاتها إلا أن الوسائل التكنولوجية الحديثة زادت من فاعليتها وقدرتها في التأثير على الرأي العام وبلبلة الأفكار[١]. وتنتشر الإشاعات عندما تكون الأخبار قليلة وغير متوفرة وعندما يكون أيضا للأخبار أهمية في حياة الأفراد أو عندما تكون الأخبار غامضة وغير واضحة. وعندما يفقد الناس ثقتهم في مصدر الأخبار الرئيسية، فعند ذلك يجدون في الإشاعات

---

(١) مختار التهامي: الرأي العام والحرب النفسية. القاهرة: دار المعارف ١٩٨٢.

مصدراً لإرضاء فضولهم وتطلعاتهم. وعندما يكون هناك عوذ في الأخبار تنتشر الاشاعة.

ويعلل عدم إنتشار كثير من الاشاعات في بريطانيا خلال الحرب العالمية الثانية عندما هاجمت قوات الالمان الجوية لندن إلى إقتناع الشعب بأن الحكومة كانت تنشر أخباراً كاملة ودقيقة عن الدمار وإلى إقتناعه بأنه يعلم أسوأ ما في الأمر. وعندما يثق الناس بأنهم يعلمون أسوأ ما في الأمر فليس من المحتمل أن يعمدوا إلى الزيادة من قتامة الصورة بابتداع أقوال وتعليلات جديدة كي يفسروا لأنفسهم مشاعر قلقهم وخوفهم[1]. على أنه أحياناً تنتشر الإشاعات حتى مع وفرة الأخبار فلقد كانت الإشاعات قليلة حول خسارة الأمريكيين في بيرل هاربر حتى نشرت الصحف بلاغا رسميا من الحكومة عن الكارثة. كما أنه كانت هناك إشاعات قليلة عن موت هتلر إلى أن نشرت الصحف في صيف عام ١٩٤٤ م محاولة إغتياله فانتشرت الكثير من الإشاعات حول مصيره والتي لا يزال يتداولها الناس حتى الوقت الحاضر.

والاشاعات التي تستخدم في الحرب على نوعين إشاعات الخوف وإشاعات الرغبة. وإشاعات الخوف بما تنطوي عليه من إنذار بالخطر تهدف الى الكف من ثقة الشخص بالنهاية المظفرة لمجهوداته الحربية، فهي إذا كانت تولد قلقا لا لزوم له كانت احيانا تؤدي إلى نظرة إنهزامية. وإشاعات الرغبة من ناحية أخرى تحتوي على تفاؤل ساذج. إذ تؤدي إلى القناعة والرضى عن الحال والخنوع وقبول أي حل ممكن.

ومهما تكن من أهمية إشاعات الخوف والاشاعات الراغبة. من حيث ما يترتب عليها من أثار في المعنوية القومية فإنها ضئيلة الشأن بالقياس

---

(١) عبد الرحمن عيسوي: إتجاهات جديدة في علم النفس الحديث الاسكندرية: دار الفكر الجامعي، ١٩٧١ م.

الى النتائج المترتبة على إشاعات الحرب وهي أوسع الفئات إنتشاراً. وهي الأقاصيص المعبرة عن الكراهية والحقد. وترجع أهمية إستعمال الاشاعات في الحرب وخطورتها في أن مستقبلي الإشاعات ومروجيها في كثير من الأحيان ليسوا أعداء وإنما هم مواطنون عاديون استخفت الشائعة بعقولهم فانجذبوا إليها لدرجة أنهم يصبحون أدوات ترديد ونشر لهذه الشائعات دون أن يدركوا أنهم فريسة لاشد أنواع الحروب خسة ونذالة. ففي حرب الإشاعات لا يظهر العدو الحقيقي بصورة سافرة ولا يكشف عن بغيته من إطلاق الاشاعات ولهذا يقع المواطنون الأبرياء فريسة سهلة وسائغة في أيدي العدو.

وتنجح حرب الإشاعات وتحقق الأهداف التي يرمي إليها مطلقوا الشائعات إذا إختفت القوى الضابطة في المجتمع وإنعدمت إلى الدرجة التي تحول فيها الشائعات الجماهيرية إلى أذان صاغية بدون وعي...

ويلاحظ أن البيئة الإجتماعية التي تمتاز بالغموض والشك والتردد وعدم اليقين والتفكك الإجتماعي تنتشر فيها الشائعات السلبية. ولذلك فإن الإشاعة التي تعمل على إشباع حاجات الناس أو التي ترضي حاجاتهم النفسية والمادية تكون أكثر قبولا وإنتشاراً. ومن الحاجات النفسية الشائعة إحترام الذات وتأكيد الذات والقبول الإجتماعي، والحاجة الى الانتماء لجماعة والحاجة الى التقدير الإجتماعي. ومن الوسائل الناجحة في إشاعة تكرار سماع الإشاعة من مصادر مختلفة.

بمعنى أن سماع الفرد للإشاعة من أكثر من مصدر يجعله عرضة لتصديقها أكثر من الإشاعة التي يسمعها من مصدر واحد. كذلك من النتائج الهامة لهذه الدراسة أن تصديق الإشاعة يعتمد على نوع اتجاه الفرد إزاء موضوع الاشاعة. فالاشخاص الذين كانوا يعارضون نظام صرف التموين بالبطاقات كانوا أكثر تصديقا للإشاعات التي تدور حول

فساد هذا النظام. كذلك يتوقف قبول الإشاعة على مدى حاجات الفرد، فالفرد الذي يشعر بحاجته الى البنزين فإنه يصدق الاشاعات من تخزينه واحتكاره.

ولقد وجد البورت Allport ١٩٥١ م أن الأشخاص الذين كانوا يقرأون تفاصيل عن الإشاعات في أعمدة الصحف المخصصة لذلك كانوا أقل تصديقا للإشاعات، بمعنى أن القراءة عن طبيعة الإشاعات ومحاولة تحليل وقائعها ومحتوياتها للتحري عن صدقها يحصن الفرد ضدها ويكون عنده نوعا من المناعة ضد التأثر بها. كما توصل البورت أيضاً إلى وجود تأثير للإسقاط على تصديق الإشاعات. والمعروف أن الإسقاط عملية عقلية دفاعية يقصد بها أن الفرد يسقط أو يفرغ ما به من عيوب ومواطن ضعف على الناس والأشياء. ولا يعترف بها لنفسه. وتبعا للفرض القائل بأن الإسقاط يؤثر على تصديق الإشاعة فإن الشخص الميال إلى الغش يميل إلى الاعتقاد بأن الغش ظاهرة عامة أي أن جميع الناس غشاشون. ومن ثم فإنه يصدق الشائعات التي تذاع عن الغش والاختلاس والتزوير وهكذا[1].

(٢) أمثلة للشائعات:

إنتشرت في الحرب العالمية الأولى الشائعات والقصص التي تقول أن الألمان يقطعون أيدي الأطفال، وأنهم يغلون جثث الموتى ويصنعون منها الصابون وأنهم يصلبون أسرى الحرب، وأنهم يستخدمون رؤوس القسس كمدقات في نواقيس الكنائس. وفي الجانب الألماني كانت تنتشر شائعات تقول إن الحلفاء يستخدمون الغوريلات والناس المتوحشين من أفريقا

---

(1) Allport, G.W: Attitudes.In The History Of Social Psychology. (1954) In: N. Warren & M. Jahoda (Eds): Attitudes: Selected Readings,Middlesex Penguin Books, 1976.

وآسيا في حرب الناس المتحضرين، وأنهم يستخدمون رصاص دمدم وأنهم يعتقلون المدنيين الأبرياء.

وأنهم يشوهون ويبترون أطراف المدنيين، وأن وحدات جيوش الحلفاء تتصف بالوحشية والشراسة وبالفظاظة وعدم النظام.

ومن الصعب معرفة الأصل الذي نشأت منه كل إشاعة من هذه الشائعات فبعضها قد نشأ في قصة من القصص أو في مقالة من المقالات وبعضها يستند إلى حادثة واقعية، وبعضها من نسج خيال الناس، وكلها طرأ عليها كثير من التغير والتحوير بينما هي تتناقل من فرد إلى آخر. وعلى كل لم يصدق كل الناس هذه الشائعات إلا إذا أيدتها جهات رسمية.

وهنا نتساءل عن السبب الذي يجعل الناس تصدق هذه الشائعات في زمن الحرب.

(أ) إن هذه القصص تعتبر إسقاطاً لبعض دوافعنا السادية (السادية نزعة نفسية نحو إستدرار اللذة من إيقاع الاذى بالغير).

(ب) إن الانسان المتحضر نشأ على الإعتقاد بأن كثيراً من الأعمال المتعلقة بالحرب والحرب ذاتها يعتبر إثماً أو جرماً أو شراً، وعلى ذلك فإن قصص الإثم والعدوان تبرر الأعمال الشريرة التي علينا أن نقوم بها.

(جـ) إن العقل الإنساني من طبيعته عندما يشعر بوجود نقص أو فجوات فيما يوجد به من معرفة وأفكار فإنه يلجأ لملىء هذه الفجوات. ويقوم العقل بهذه الوظيفة في أوقات السلم والحرب. ويميل العقل إلى ملء هذه الفجوات تبعاً للظروف التي يمر بها الفرد والتي يتأثر بها. فإذا كانت فكرتك عن شخص أنه سيء الخلق فإن الشائعات التي تقبلها عنه تكون أيضا سيئة. (فكرة ملء الفجوات أو الثغرات هذه موجودة أيضا في الإدراك الحسي وفي التعلم وتعرف باسم قانون الإغلاق).

(د) ومن المعروف أن الحرب ذاتها سلوك إنتكاصى أي عودة إلى نوع من السلوك البدائي غير المتحضر، وعلى ذلك فإن الخيالات والخرافات البدائية تنتشر، وكذلك تثار في الحرب نزعات عدوانية قوية، ومن الغريب أن نزعات العدوان هذه تكون أشد قوة عند المدنيين منها عند العسكريين، والسبب في ذلك أن العسكريين لديهم الفرصة لتصريف طاقاتهم وإنفعالاتهم ومشاعرهم، أما المدنيون فهم بعيدون عن ساحة القتال وعن العدو. فالشعور السادي يكون أشد قوة عند المدنيين منه عند العسكريين.

ولقد كانت توجه هذه الإشاعات نحو شعوب دول الحلفاء والأصدقاء وكانت بعيدة عن الراديو واعتمدت على طرق أخرى أكثر بدائية مثل الصحافة والخطابة وقليل من الأفلام، والكتيبات والمنشورات والاعلانات الكبيرة التي تعلق على الحوائط والجدران.

ولكن كان هناك مشكلة تدور حول تحديد المادة التي يمكن توجيهها لألمانيا وغيرها من الدول المعادية. وكانت وحدات الجيش توجه بعض الاشاعات لجنود العدو على الخطوط الأمامية، ولكن لم تبدأ حركات توجيه الاشاعات الى المدنيين الألمان إلا عام ١٩١٨ عندما أنشئت دار «كرو» لهذا الغرض.

ويقال إن الإشاعة الإنجليزية نجحت في جر الولايات المتحدة الأمريكية إلى الحرب العالمية الأولى الى جانبها. وكانت هذه الاشاعة هي التي جمعت شمل الشعب حول حكومته. ولكن هناك حقيقة هامة يجب الإعتراف بها، مهما قيل من فاعلية أساليب الدعاية التي إستخدمها الحلفاء، فإن أعمال المانيا وسلوكها نفسها أعمالا سيئة بالفعل، هذه الأعمال جعلت الناس ينظرون إلى الحقائق أو الخيال على أنها أمور سيئة ما دامتا ترتبطان بالمانيا. ومن أمثلة هذه الأعمال غزو بلجيكا

رغم حيادها، وإغراق السفن المدنية، واستخدام الغازات السامة، واستخدام الغواصات بدون قيود وأعمال التخريب الأخرى، هذه الأعمال ألهبت الشعور القومي في أمريكا. كذلك فإن عدم إهتمام الألمان بردود الفعل السيكولوجية لأعمالهم عند الأعداء وعند الدول المحايدة سبب إضرار فادحة لوجهة النظر الألمانية. وحتى الألمان أنفسهم إعترفوا بهذا وإعتبروه من الأساليب الرئيسية التي أدت الى هزيمتهم لدرجة أنهم اتخذوا الشعب نفسه كبشا للفداء فزعموا أن الهزيمة لم تلحق القوات المحاربة وإنما لحقت بالشعب الذي يقف وراء جبهة القتال، وذلك بسبب تسمم آرائه وأفكاره بالدعاية الانجليزية، وإن كان هذا غير صحيح من الناحية التاريخية الواقعية، لأن الروح المعنوية كانت قبل إنتهاء الحرب أعلى عند المدنيين منها على جبهة القتال. فالشعب كان يقع تحت تأثير الدعاية الألمانية في الداخل وكان التفاؤل يسود بين أفراده وإن كان هذا التفاؤل لا يبرره الواقع الفعلي.

(٣) طرق مواجهة الشائعات والدفاع ضدها:

(أ) يمكن التصدي للإشاعة عن طريق تكذيبها، أي عن طريق إعلان تكذيبها، ولكن بالرغم من أن طريقة التكذيب هي أكثر الطرق شيوعاً إلا أنها ليست الطريقة المثلى، وذلك لأن تكذيبها يتضمن الإعلان عنها، فالإعلان عن تكذيب الشائعة هو في حد ذاته تكرار لها. كذلك هناك أناس يصدقون الإشاعة ولا يصدقون تكذيبها.

(ب) يمكن أن يقوم بتكذيب الإشاعة شخصية كبيرة لها مكانتها الاجتماعية أو السياسية أو العسكرية وحينئذ يميل الناس الى تصديقه أكثر من وسائل الاعلام العادية.

(جـ) ينبغي ألا تواجه الشائعات بإصدار بيانات أو تصريحات تستند الى وقائع غير سليمة أو معلومات غير دقيقة لمجرد المواجهة العاجلة للشائعات

لأن العلاج الموقت الذي يؤدي إليه هذا سلاحا ذو حدين. إذ أن مجرد عدم تحقيق الوعود أو التصريحات التي إستخدمت كأداة لاطفاء الشائعة يصبح في ذات الوقت دليلا على صدق ما تتضمنه الشائعات ويشير هذا أيضا الى عدم مقدرة الأجهزة التي ترد عليها في معالجة الموقف.

(د) طريقة عيادة الاشاعات: ولقد ظلت هذه الوسيلة مستخدمة لمدة سنتين في الحرب العالمية الثانية ثم توقفت لأن الحلفاء بدلوا هزائمهم بالانتصارات الحربية، ولذلك إختفت الشائعات السوداء من تلقاء نفسها. ومؤداها أنه كان يخصص عمود في صحيفة يومية لتحليل الاشاعات تحليلا سيكولوجيا ومنطقيا وتفنيدها بطريقة علمية. الى جانب اللجوء الى بعض الحيل مثل توضيح جوانب الصحة في الشائعة والتقليل والخداع في الجوانب الأخرى حتى لا تجد تربة صالحة للنمو. ويتضح التحليل المنطقي للاشاعات من المثال التالي «أن ٥٠٠ فتاة من فتيات الأسطول الامريكي في أفريقا قد فصلن من الخدمة بسبب الحمل» .

أما تحليلها منطقيا فقد أبرز بعض الحُجج، منها أن عدد جميع الفتيات كلهن في الأسطول في أفريقيا لا يصل الى ٥٠٠ فتاة. إن مروج هذه الإشاعة يعاني من الكبت والحرمان، ولذلك لجأ إلى الاسقاط أي إسقاط رغباته المكبوتة على الناس. وعلى كل حال كانت عيادة الاشاعات تسير على أساس مبادىء منها: عدم تكرار الاشاعة، وعدم إستخدام نفس الألفاظ التي إستخدمت فيها، وعدم إستخدام العبارات الغامضة أو الجامدة التي تتخذ شكل شعارات أو نداءات[١].

---

(١) عبد الرحمن عيسوي: إتجاهات جديدة في علم النفس الحديث. الاسكندرية دار الفكر الجامعي، ١٩٧١ م.

إذا كانت الشائعة قد تناولت أقلية من أقليات المجتمع فلا ينبغي الاشارة الى هذه الجماعة بالذات ولكن ينبغي الإشارة إلى إظهار الحالة النفسية لمروجي الاشاعة أنفسهم وعدم إستخدام الراديو قدر المستطاع في تفنيد الشائعات لأن المعتاد أن الناس ما أن يستمعوا إلى الاشاعة حتى يديرون مفتاح الراديو دون الاهتمام بسماع التكذيب أو التفنيد.

يجب أن نتساءل عن سبب تصديق الإشاعات والأكاذيب بسهولة الواقع أن ذلك قد يرجع إلى أننا قد تربينا ونشأنا وتعودنا على الحصول على معظم معلوماتنا من الأباء والأمهات والمعلمين والمعلمات والأصدقاء والمعارف، وليس عن طريق التجربة الشخصية المباشرة، فنحن قد تعودنا على أخذ معظم معلوماتنا عن طريق الرواية عن الغير فنحن لا نضع كل ما نسمعه موضع الشك ولا نخضعه للفحص والبحث والتمحيص، ولا نسعى إلى التحقيق العلمي من كل ما نسمعه وما نصدقه. وفي الغالب نحن لا نستطيع لأول وهلة أن نعرف طبيعة الشخص الذي يقوم بعمل الدعاية أو بنشر الاشاعة، لأنه يندس فينا ويظهر كواحد منا.

وعلى أخصائيو الدعاية التوعية المستمرة للأفراد بالعمليات النفسية التي تكمن وراء إنتشار الشائعات. ويجب أن نلاحظ في النهاية أنه ليس من الضروري أن تنجح جميع حملات الدعاية مهما أنفق عليها من مال وجهد. وأن أسلوب الدعاية الناجح هو الذي يقوم على أسس مدروسة ويستهدف إشباع حاجات الجماعةوبخاصة الحاجات المكبوتة.

جـ - إفتعال الأزمات وحبك المؤامرات.

عبارة عن إستغلال حادث أو حوادث معينة قد تكون بسيطة ولكن يتم إستغلالها بنجاح من أجل خلق أزمة تؤثر في نفسية العدو وتستفيد منها الدولة المستخدمة لهذا الأسلوب. مثال ذلك إفتعال إسرائيل لأزمة

الحدود مع سوريا ونشاط الفدائيين كمبرر لشن الحرب في عام ١٩٦٧ م كذلك ما حدث في ١٩٦٠ م حين فشل مؤتمر القمة الذي كان مقررا في باريس بين روسيا وأمريكا إذ أرسلت أمريكا قبل موعد عقد المؤتمر بأيام طائرة تجسس فوق أرض الإتحاد السوفيتي مما أدى إلى انسحاب رئيس وزراء الاتحاد السوفيتي من المؤتمر حين رفضت الولايات المتحدة الاعتذار.

د - إثارة الرعب والفوضى:

وهذه وسيلة مهمة تستخدم بواسطة إستغلال عاطفة الخوف لإرهاب الشعوب وإخضاعها من خلال إستخدام الوسائل المختلفة لخلق حالة من الذعر والفوضى يسهل على طريقها السيطرة والتغلب عليها. وقد أثر عن هتلر قوله «إن عملية استعداد المدفعية وهجوم المشاة في حرب الخنادق سوف تضطلع بها الدعاية في المستقبل بأن تحطم نفسية العدو قبل أن تبدأ الجيوش بالتحرك. إن اسلحتنا هي إضطراب الذهن وتناقض المشاعر والحيرة التردد والرعب الذي ندخله في قلوب الأعداء فعندما يتخاذلون في الداخل ويقفون على حافة الثورة وتهددهم الفوضى الإجتماعية عندها تحين الساعة لنفتك بهم بضربة واحدة[1]».

ولقد كان من أبرز الصعوبات التي واجهها القائد مونتجومري عندما تولى قيادة الجيش الثامن البريطاني أن يزيل الرعب الذي كان يسيطر على قلوب المقاتلين في هذا الجيش عندما كانت تلوح لهم بادرة اقترابهم من أحد الوحدات الألمانية والتي كانت تقاتل ذلك الوقت مع الوحدات الايطالية جنبا إلى جنب. وقد بذل ذلك القائد جهوداً جبارة لاقناع

---

(1) Juller, J. «the decisive battles of the, Western World and their enfluence upon history». Eyre. L pt.London, 1958.

رجاله، أن روميل ما هو إلا قائد عادي لا يتميز عن سائر البشر بمواهب خارقة غير طبيعية.

وكانت قد سرت في صفوف الجيش الثامن البريطاني الذي كان يحارب في شمال إفريقيا إشاعات عديدة عن القائد الألماني رومل وعن مقدرته الخارقة في القيادة والقيام بالمبادأة والالتفاف وذلك عقب إنتصاراته العديدة التي أحرزها عقب توليه قيادة الفيلق الأفريقي الألماني. ولقد كان فعلا من القادة المعدودين القادرين على المبادأة بصورة متطرفة تبلغ حد المغامرة وقد بدأ نشاطه في شمال افريقيا بأن فاجأ طلائع القوات البريطانية عند العجيلة وأنزل، بها خسائر فادحة ثم اندفعت الفصائل الألمانية من راكبي الموتوسيكلات والسيارات المدرعة إلى قلب المواقع البريطانية فأثارت فيها الارتباك و الفوضى.

ومنذ ذلك الحين انتشرت الاشاعات المتطيرة بين الجنود الانجليز وكلها تتناول قيادة رومل وتواجده دائما في خط النار الأول وتضخمت هذه الاشاعات إلى حد نسج الأساطير عن شخصية القائد الألماني ومقدرته الفذة. ولم يجد القائد البريطاني مونتجمري لدى توليه قيادة الجيش الثامن مفراً من إصدار النشرات العديدة للجنود تفند هذه الإشاعات وتبث بينهم روح الطمأنينة والنصر، ولم تؤد هذه النشرات مفعولها إلا بعد أن بدأ مونتجمري يحرز إنتصاراته المعروفة على القوات الألمانية(١).

وقد نال الألمان أيضا شهرة واسعة بتطبيقهم لنظريات حرب الصاعقة والتي تقضي باستخدام تشكيلات يغلب عليها القوات المدرعة تؤيدها قوات جوية نشطة وتحاول النفاذ خلف خطوط الأعداء بسرعة والى أقصى

---

(١) المرجع السابق.

حدود ممكنة، وربما تتجنب في إختراقها هذا كثيراً من مراكز المقاومة والتحصينات ومرابض المدفعية، وسالكه أسهل الطرق التي تؤدي إلى ظهر العدو، وهي عمليات تتم بعد إعداد جيد وتخطيط محكم بغرض إحداث إختلال في توازن دفاعات العدو وتحطيم معنويات أفراده.

وقد ابتكروا كذلك. جهازاً تحمله قاذفات القنابل المنقضة ويحدث صوتا مفزعاً للغاية أثناء الانقضاض الأمر الذي يهيء عنصر المفاجأة والإفزاع. كما تفنن اليابانيون في إفزاع الجنود الأمريكيين، فمن إصدار أصوات غريبة إلى إحداث تحركات مريبة إلى القيام بهجوم عنيف يعقبه هدوء شامل ثم الهجوم مرة ثانية. ويقاوم التأثير السيء لمثل هذه العوامل المفاجئة قيام الأسلحة المعاونة كالطيران والمدفعية المضادة للطائرات بواجبها وإطمئنان الجنود إلى ذلك.

ومن أشد العوامل إثارة للخوف إنتظار هجوم العدو وتخمين نوعه والجهة التي سيأتي منها. فحينئذ يكون المنطق النفسي للجنود هو: «وقوع البلاء خير من إنتظاره». وحينئذ يسود الشك والقلق نفوسهم وتكثر التخيلات والتخمينات وتجد الإشاعات لنفسها مرتعا خصباً بينهم. وكثيراً ما يدفع القلق المستبد بالجنود إلى الهجوم المتعجل ليتخلصوا من الإنتظار المخيف، وقد خسر الأمريكيون كثيراً من الجنود بهذه الطريقة أثناء قتال الغابات مع اليابانيين في الشرق الأقصى. فقد كانوا يندفعون في التقدم فيقعون في الكمائن وحدث نفس الأمر في شمال أفريقيا إذ دفعت العجلة ببعض القوات الامريكية الحديثة العهد بالخدمة الى التقدم دون إنتظار لما يقوم به المهندسون عادة في كل تقدم من إستكشاف للطريق بغية إستخراج الألغام. وكانت النتيجة أن انفجرت الألغام في هذه القوات وأودت بحياة كثير من أفرادها[١].

---

(١) المرجع السابق.

٥ - بعض العمليات العقلية التي تسهم في الحرب النفسية:

أ - الإيحاء:

يعتبر الايحاء في علم النفس من الموضوعات الهامة التي يعتمد عليها علاج كثير من الحالات المرضية. ويقصد بالايحاء غرس أفكار في عقلية الفرد، ويحدث هذا الغرس أحسن ما يحدث تحت تأثير التنويم المغناطيسي حيث لا تجد الفكرة الجديدة معارضة أو إنتقاداً من الأفكار الأخرى القديمة. وهناك بعض الآراء التي تعتبر الايحاء عبارة عن نداء للذات المكبوتة أو الذات اللاشعورية.

ويرى «فرويد» أن جذور الايحاء ترجع إلى الأصول الغريزية للعقل والميول العاطفية. ويقصد بذلك الغرائز الجنسية والعدوانية في الانسان.

أما نظرية مكدوجل في الايحاء فتؤكد أنه من ملاحظة سلوك الحيوانات التي تمتلك غريزة القطيع أو حب التجمع فإننا نجد علاقات سيطرة وخضوع. فنحن نجد أن بعض أفراد القطيع تخضع بهدوء لسيطرة الغير ولقيادته ولرغبات توكيد الذات لدى الغير. وهذا الخضوع لا يتضمن بالضرورة الشعور بالخوف، ولكنه دون شك غريزي، ويؤدي إلى وجود الانسجام بين أفراد القطيع. وفي المجتمع الإنساني أيضاً مكدوجل أن غريزة الخضوع قوية في الإنسان وأن التقدم اللغوى يجعل التأثير على الإنسان ممكنا عن طريق اللغة، ويحدث هذا التأثير عن طريق الايحاء سواء كان أثناء النوم أو اليقظة. وعلى ذلك فلولا طبيعة الانسان الاجتماعية، ولولا غريزة الخضوع ما أمكن التأثير عليه عن طريق الايحاء الذي يمارسه صاحب الشخصية القوية والذي يحقق طاعة جسمية وعقلية دون شعور بالخوف لدى شخص آخر.

ويعرف مكدوجل الايحاء في موضع آخر بالقول بأنه عبارة عن غرس

قضية ما بحيث يقبلها الفرد قبولا عقائديا دون وجود سند منطقي لمثل هذا الايمان.

ومن العوامل التي تساعد على الايحاء أن يمتلك الشخص الذي يمارسه قوة أو سلطاناً إجتماعيا أو أن يتمتع بمكانة إجتماعية وسلطة وأن يكون محل إحترام الآخرين وتقديرهم وإعجابهم. ولا يختلف في هذا الايحاء سواء يمارس على الفرد أو على الجماعة أو على جمهرة من الناس.

وهناك نوع آخر من الايحاء هو «الايحاء الذاتي» مؤداه أن الفرد هو الذي يوحي الى نفسه ببعض الافكار أو الآراء. بل إن هناك من يرى أن الايحاء بجميع أنواعه يعتبر ذاتي اذا لولاه لما قبل الفرد أي فكرة ما [١].

ويظهر أثر الايحاء في قابلية الفرد لتصديق ما يسمع من آراء وأفكار ويميل الفرد إلى سرعة التصديق إذا كانت المعلومات التي يسمعها تشبع ميوله الشخصية، وترضي نفسه أو إذا كانت جذابة ومشوقة، وكأن بها شيء من المبالغة والتهويل أو الاستثارة والتضخيم، والتصديق يفضله الانسان عن موقف الشك والتردد، لأن التصديق يساعد على التخفيف من حدة التوتر، ويؤدي إلى الاستقرار الذهني وإلى إصدار الأحكام ومن ثم الإنطلاق في السلوك. وتعتمد أساليب الدعاية والحرب النفسية والاقناع السياسي على ميل الأفراد للتصديق، ويظهر الميل للتصديق بصورة قوية عندما يكون الفرد مُندمجا في وسط جماعة من الأفراد حيث لا توجد فرصة للنقد أو التمحيص، كما يظهر بصورة واضحة في المواقف التي يكون فيها الفرد في حالة إنفعال قوي.

---

(١) حامد زهران: التوجيه والإرشاد النفسي. القاهرة: عالم الكتب ١٩٧٧م.

وكذلك يظهر أثر الايحاء في المشاركة الوجدانية ومن معانيها أنها حالة يشارك الفرد فيها غيره مشاعرهم وعواطفهم وإنفعالاتهم، فانت عندما تشهد مباراة كرة القدم وتكون متحمساً لأحد الفريقين، فقد تنسى نفسك وتندمج مع الموقف بحيث تقوم بنفس الحركات التي يقوم بها اللاعب، وبذلك تختلط شخصيتك بشخصيته وتنسى ذاتك وإستقلالها. ومن معانيها أيضا التعاطف الاجتماعي ويعني أن نشارك الآخرين في عواطفهم أي في أحزانهم أو أفراحهم، في ألمهم أو لذتهم، ولكننا ندرك أننا نشاطرهم عواطفهم، ومعنى ذلك أن حالة المشاركة الوجدانية عبارة عن إدراك ومعرفة ولكنها ليست إختلاط أو امتزاج بالغير، فنحن نبقى منفصلين ذاتيا عن الغير.

وتظهر المشاركة الوجدانية أكثر ما تظهر في المواقف التي سبق لنا أن خبرناها بأنفسنا، فنحن نعطيها معنى ودلالة نتيجة للتجربة الشخصية. كذلك يؤثر الايحاء في إتجاه الفرد نحو التقليد والمحاكاة ويختلف التقليد عن مجرد الأفعال المنعكسة التلقائية التي نقوم بها دون وعي أو قصد كما هو الحال في حالة التعاطف الوجداني وتكرار حركات لاعب الكرة فالتقليد يعد أسلوبا إيجابيا. ولا يوجد تقليد آلي إلا في حالة الشخصيات الضعيفة ولدى ضعاف العقول، أو عندما يكون الفرد تحت تأثير شخصية قوية، ويظهر الميل للمحاكاة لدى الطفل، ولكنه لا يقلد كل ما يراه من سلوك وإنما يقلد فقط السلوك الذي يلائم أهواءه وميوله والذي يجذب إنتباهه أو ما يراه هاما وقويا أو نافعا له.

والايحاء يؤثر أيضا حتى على الإدراك الحسي للفرد، ومن التجارب التي أجريت في هذا الصدد تجربة مؤداها أن أحضر أحد الاساتذة زجاجة مغلقة وأخبر طلابه بأن بها عطراً قوياً، وأن على من يبدأ في شم هذه الرائحة أن يرفع إصبعه، وبعد برهة رفع كثير من الطلبة أصابعهم

بينما كانت الزجاجة في الواقع خالية تماماً من العطر.

ب - الميكانيزمات العقلية:

وهذه الميكانيزمات يستخدمها الأفراد بغرض إحداث توافق بينهم وبين بيئاتهم الاجتماعية وذلك عند وجود عوائق تحول دون اشباع حاجاتهم ودوافعهم. ومن هذه الميكانيزمات الاسقاط. وهو عملية دفاعية يلجأ فيها الفرد إلى إسقاط مشاعره وإنفعالاته على غيره من الناس، فالشخص يرى في غيره العيوب التي تعافها نفسه وذلك لتخفيف حدة التوتر النفسي الذي يحدث إذا ما أدركها في نفسه، أي ابعاد الصفة غير المرغوب فيها عن نفسه ولا يعترف بوجودها فيه بل يراها في غيره من الناس. وأحيانا يكون الاسقاط لتحقيق رغبة كامنة في الفرد ولتبرير الإقدام على شيء غير مقبول لدى النفس أيضا. ونحن نرى في المجالات الدولية أنه عندما تتصارع دولتان فكل منها تعمل على إسقاط مشاعرها العدوانية دائما على الأخرى ويتبادلان الاتهامات عن فظائع وانتهاكات تتنافى مع الإنسانية. ومن هذه الحيل أيضا التبرير وهو- كما أسلفنا- نوع من العمليات العقلية الدفاعية. حيث يخترع الانسان أسبابا منطقية وجيهة لكي تحل محل الأسباب الحقيقية، فهو عملية تبرير لسلوك الانسان الذي يسبب شعوراً بالقلق، وينال من فكرة الفرد عن نفسه أو إحترامه لذاته.

فقد يلجأ الفرد إليه عندما تنم الدوافع الحقيقية لسلوكه عن أنانية أو تتنافى مع الخلق القويم أو تكون غير مقبولة إجتماعيا، وذلك بغرض حماية نفسه من الاعتراف بأن مثل هذه الدوافع غير المقبولة هي المحرك الحقيقي لتصرفه في محاولة لجعله مقبولا في نظره ونظر غيره من الناس. ويمكننا الاستدلال أيضا على هذه الحيلة العقلية في المعاملات بين الدول بغرض إخفاء الدوافع التي قد لا يقبلها المجتمع الدولي.

وعلى هذا تحرص عادة الدول المعتدية على إبداء تبريرات تبدو معقولة أمام هذا المجتمع بل وأمام جنودها المحاربين وكذا شعب وجنود الدولة المعتدى عليها. فعندما قصفت إسرائيل في عام ١٩٧١ مدرسة بحر البقر ومصانع أبو زعبل بمصر - وهي مناطق تكتظ بالأطفال والسكان المدنيين - أعلنت أن هذه الأماكن تعسكر فيها وحدات حربية مصرية. هذا بقصد نفي أي جرائم وإنتهاكات تلتصق بها من جراء هذه الأعمال والتي كان الهدف منها إرهاب السكان المدنيين.

ونحن إذا رجعنا الى تاريخ الحملات العسكرية لوجدنا أن قادتها يحاولون دائماً إعطاء تبريرات معقولة لتصرفاتهم مهما كانت دناءة أغراض هذه الحملات. فعندما غزا الفرنسيون مصر أعلن نابليون بونابرت أنه يريد تخليصها من حكم المماليك، كما حاول قبل هذا أيضا الصليبيون إيجاد تبريرات تثير النخوة والحماس في رجالهم للإستيلاء على بيت المقدس.

جـ - الاعزاءات السببية Causal Attributions

(١) مفهوم الإعزاء:

كان الاعتقاد سائداً بأن دراسة السلوك الصريح فقط هي التي تمكن من الكشف عن كيف يمكن للكائن الحي من أن يكيف نفسه تبعا لظروف البيئة، ولكن أدت هذه النظرة الى التغاضي عن الدلالة الوظيفية للعمليات المعرفية والخبرة الفينومولوجية، مما أدى إلى تخلفها بعض الشيء عما أحرزته السلوكية من تقدم، ولكن تشير التطورات الأخيرة في علم النفس ومنها نظريات الإعزاء إلى أن المذهب الوظيفي المعرفي هو مجال يتمتع بخصوبة وافرة. ويبحث أصحاب نظريات الإعزاء - كما سيتضح من هذا الجزء - في كيفية إدراك الناس لمعنى تصرفات الآخرين وإرجاعه إلى أسباب أو عوامل معينة. ويؤدي تحديد

مسئولية الحدث إلى خطوة أخرى هي توجيه السلوك المترتب عن ذلك التحديد.
وقد ظهر في الآونة الأخيرة اهتماماً متزايداً بالدراسات الإعزائية، ولم يعد يقتصر ميدان المفاهيم الإعزائية على علم النفس الاجتماعي وإنما تغلغل الى مجال تقييم الخلق والانجاز والشخصية والسلوك الانساني بصفة عامة[1]. وذلك على يد كثير من علماء النفس الأمريكيين والالمان وذلك منذ نشر هيدر Heider ١٩٥٨م كتابا عن سيكولوجية التفاعل بين الناس.

ويقول شافر Shaver ١٩٧٥م[2] في إيضاح معنى الإعزاء أن الناس لا يكتفون بمجرد الملاحظة العابرة لسلوك الآخرين. ولكنهم يحاولون دائما فهمه فقد تظهر تساؤلات في ذهن الشخص العادي عن أسباب تصرف بعض الناس على نحو معين كيف يمكن له التعرف على رغبة الآخرين ومخاوفهم وما يحتمل أن يجول في أنفسهم، ومتى يكون رأيه عنهم صحيحاً أو خاطئا. وتحاول نظريات الإعزاء الإجابة على مثل هذه التساؤلات وبتفهم السلوك وتفسيره وتقرير معناه يكون الناس حكما عنه ويتيح لهم ذلك إمكانية التنبؤ بما يمكن أن يقدم عليه الفاعل - وهو الشخص الذي صدر عنه السلوك - من تصرف في المستقبل. فما تبحثه نظريات الإعزاء ليس هو طبيعة الفعل في حد ذاته وإنما تبحث في النظرة الذاتية الى ما وراء الفعل وكيف يقيم وما هو مصدره. فإذا ما امتدح شخص ما آخر أو جامله، سرعان ما تظهر تساؤلات عن سبب ذلك التصرف، أهو نتيجة اعجاب بالفعل؟ أم انه يتملقه لأنه يريد منه

---

(1) Heck hausen. weiner. The emergence of cognitive psychology of motivation «Newhorizons in psychology», New York, P.C. Dodwell, 1980, p150.

(2) Shaver K.G., «An Introduction To Attribution Processes». Massachusetts. Winthrop Publishers. 1975.

شيئا. وإذا إتهم شخصا ما في جريمة معينة، تظهر تساؤلات عن مدى مسئوليته أهو مسئول مسئولية تامة؟ أم أن هناك ظروف صاحبت وقوع الجريمة تقلل من مدى مسئوليته مثل إرتكابه لها دفاعا عن حياته. والتاجر الذي يتحدث بحماس عن سلعة معينة أهو يعتقد فيما يقول؟ أم أنه يروج لبضاعته؟.

وليس الإعزاء قاصر على محاولة إدراك الأشخاص لتصرفات الآخرين وتفهم معناها وإنما يتسع مجاله أيضا ليتضمن تفهم الدول لمعنى تصرفات الدول الأخرى. وتوجد أمثلة متعددة من معاملات الدول مع بعضها البعض ما يوضح أهمية الإعزاءات التي يكونها الناس عن النوايا والدوافع التي تكمن وراء الحدث أو الفعل سواء في مجال الحرب الباردة أو الحقيقية. ولعل في أزمة الصواريخ الكوبية عام ١٩٦٢م خير مثال على ذلك. فقد أكد رئيس الولايات المتحدة في ذلك الوقت - في حديث تلفزيوني وجهه لأمته - الشائعات التي أفادت بأن الاتحاد السوفيتي بدأ يقيم قواعد مجهزة لصواريخ متوسطة المدى في مواقع محصنة في كوبا. وكان الاتحاد السوفيتي قد اكد مرارا وخلال الأسابيع التي تلت إذاعة هذا الخبر، ان هذه الصواريخ قد أعدت لأغراض دفاعية محضة وبناء على طلب من الحكومة التي تولت السلطة حديثا في هذه الفترة وهي حكومة الرئيس فيدل كاسترو. وبالرغم من ذلك، كان الرأي السائد آنذاك أن هذه الصواريخ التي يُمكنها مداها من أن تصل إلى معظم أجزاء شمال وجنوب القارة الأمريكية - إنما تمثل خطراً نووياً يواجه الولايات المتحدة لأسباب عدة: فقد كان معظم الأمريكيين في ذلك الوقت يعتقدون أن بلادهم هي دولة محبة للسلام وتتمسك دائما بما تمليه عليها مبادىء الاخلاق. إلا أن قليلا من التفسير للقصد الذي يكمن وراء عملية إحضار الصواريخ الى كوبا، أدى إلى أن الإدعاء السوفيتي - الذي يشير بأن إقامة هذه الصواريخ كان لأغراض دفاعية

فقط - لم يجد قبولا لدى الرأي العام الأمريكي - وهناك دلائل عدة مكنت من الاستدلال على هذا القصد، منها اشتداد الحرب الباردة بين الدولتين في ذلك الوقت، والإمتداد أو الزحف الشيوعي المستمر على بلدان آسيا وأوربا. وسحق القوات السوفيتية للثورة المجرية منذ سنوات قلائل مضت على هذه الواقعة. هذه الدلائل وأمثالها مكنت من إدراك أن وجود هـذه الصواريـخ يشكـل تهـديـداً مبـاشراً لأمن الولايـات المتحدة. وبالنظر إلى ذلك المثال بلغة الإعزاء فإن الحدث أو الفعل Action وهو إقامة قواعد للصواريخ، يمكن إعزاؤه الى نية مبيتة تدعمها ميول واستعدادات Underlying Dispositions تتمثل في أعمال عسكرية ضد الولايات المتحدة[1]. وعلى ذلك فهذا الحدث ليس نموذجا مستقلا من السلوك لا يتضمن عواقب في المستقبل، وإنما هو إظهار لاستعداد ثابت أو ميل من المحتمل أن يثير في المستقبل أعمالا أخرى تهدد أمن الولايات المتحدة. من هذا المثال يتضح أن الناس قلما يدركون الأمور إدراكاً سلبيا وانما هم ينشطون في العادة تلقائيا في البحث عن الانتظام والترتيب للعوامل المسببة للسلوك أو التي هيأت لوقوع الفعل أو الحدث. وسواء كان السلوك موضع الاهتمام يخص أمة من الأمم أو جماعة من الناس أو فردا واحدا، وسواء كانت نتائجه تعود بالنفع أو بالضرر فهو يتعرض دائماً للتفسير طالما كان يهم الملاحظ له. وتختلف الناس في إعزاءاتهم لعوامل متعددة منها إختلاف مدى إستغراقهم في الحدث وإختلاف أهميته لهم. فالناس قد تختلف في أحكامهم حيال تصرف واحد معين وفي درجة تقييمهم للقصد منه.

---

(١) المرجع السابق.

ففي المثال السابق عبرت الدول الصديقة للولايات المتحدة عن سخطها حيال ذلك الحدث بينما أعربت الدول الصديقة للاتحاد السوفيتي عن دهشتها لتلك الضجة التي كان لا مبرر لها والتي أثيرت حول موضوع الصواريخ، وكانت الدول الحليفة للولايات المتحدة التي تقع في مدى هذه الصواريخ أكثر سخطاً من تلك التي تقع خارج مداها.

وهناك مثال آخر أقل تطرفا من السابق عن إعزاء التفاعل بين الأفراد، وفيه أيضا تتضح بعض المحاولات التي تبذل من جانب الشخص الملاحظ للحدث لتفسيره. ويتلخص هذا المثال لقاضٍ عسكري أثناء أدائه لعمله في محاكمته لجندي متهم في جريمة اعتداء وإصابة عامل مقصف. وقد اتضح من أقوال الشهود أن المتهم كان في مشادة كلامية مع المجني عليه وهو يعمل في بوفيه أو مقصف الوحدة لاختلافهما على ثمن سلعة معينة، ثم لجأ الأخير أثناءها إلى عدة وسائل كي يجعل المتهم يخرج من داخل المقصف وقد أجمع كل من شهود الدفاع والادعاء على أن المتهم رفض الخروج من المقصف ثم اشتبك الإثنان فجأه في عراك. ولكن كان هناك شيء من عدم الاتفاق عن مدى الإثارة التي أدت بالمتهم إلى تصرفه، كذلك لم يستطع أحد من شهود الحادث أن يتذكر بدقة أيها بدأ بالاعتداء على الآخر. وأنه بالرغم من الجلسات المطولة في استجواب الشهود، لم تتمكن المحكمة من التوصل إلى إجابات لمثل هذه التساؤلات[١].

وبلغه الاعزاء، على القاضي أن يقوم بعملية اعزاء عن سبب الواقعة فهو إما أن يعزي أسباب الحدث إلى استعداد شخصي عند

---

(1) Shaver, K.G. «An Introduction to Attribution Processes». Massachusetts. Wintorop-Publishers 1975.

الفاعل Personal Disposition أي المتهم (أنه عدواني بطبعه)، وإما أن يعزيه إلى عامل بيئي هيأ لوقوع الحدث Environmental Disposition ويقصد أي عامل آخر ليس في طبع الشخص الفاعل نفسه مثل الظروف الخارجية التي أحاطت بالفعل - ومن الطبيعي في مثل هذه الأحوال أن مصير المتهم يعتمد على نوع الاعزاء الذي يتم التوصل إليه، فإما أن تعزى إصابة المجني عليه إلى عدوانية الفاعل، وإما أن تعزى إلى عوامل بيئية مثل اضطرار المتهم إلى الدفاع عن نفسه، باعتبار أن عامل المقصف هو الذي بدأ بالاعتداء على المتهم في محاولة للاضرار به. والأمر يخضع للتقييم الذاتي. فربما يتأثر قرار القاضي تبعاً لمظهر الشخص الفاعل. فقد يختلف الإعزاء إذا ما كان الفاعل شابا تبدو على ملامحه القوة البدنية ومن بيئة دنيا عنه إذا ما كان المتهم يبدو ضعيف البنية ومن بيئة (محافظة كما يبدو من فحص ملفات خدمة المتهم). حيث أكدت بعض الدراسات ومنها دراسة لاندي وارنسون Landy & Arenson ١٩٦٩م أنه حتى في المواقف التي تتطلب الموضوعية في تقييم العلاقات بين الناس فإن الملاحظين يميلون إلى أن يتأثروا باتجاهاتهم وقيمهم في إصدار قرارتهم.

(٢) هدف الإعزاء:

إذا ما أعزي نجاح شخص ما في عمل ذا صعوبة معينة إلى قدرة هذا الشخص لكان احتمال توقع نجاحه في المستقبل في عمل مشابه من حيث الصعوبة، أكثر مما لو أعزى نجاحه إلى الحظ. والقدرة هي عنصر يعد ثابتا نسبيا بينما يتميز الحظ بأنه عنصر غير ثابت. وإذا كان الهدف الأول من الاعزاء هو زيادة قدرة الملاحظين على تفهم عالمهم الإجتماعي فإن الهدف الثاني هو زيادة قدرتهم على التنبؤ بما قد يقدم عليه الفاعل في المستقبل أو أي شخص ما آخر يكون طرفاً في الموقف. فلن يتمكن

الملاحظ من توقع تكرار وقوع الحدث أو ردود فعل له في المستقبل في المثالين السابقين عن أزمة الصواريخ وقضية الجندي المتهم في إصابة شخص آخر، إذا كان قد حدث بمحض الصدفة أو كسلوك معتاد. فإذا ما كان الاتحاد السوفيتي قد أرسل الصواريخ إلى ألبانيا - وهي دولة غير مجاورة للولايات المتحدة - وليس إلى كوبا، لاستدل الامريكيون على أن ذلك الحدث هو مجرد عمل تدريبي عادي، وإذا ما اضطر المتهم في المثال الثاني إلى الاصطدام بالمجني عليه وهو مندفع بقوة لسبب ما قضاءً دون قصد مما أدى إلى إصابته لاعتبر القاضي أن الأمر مجرد قضاءً وقدراً.

فإعزاء الحدث إلى استعدادات شخصية عند الفاعل يتضمن إمكانية أحداث في المستقبل قد تكون مشابهة له أو مترتبة عنه وذلك وفق نوع نية الفاعل حتى وإن تغيرت الظروف. فإذا كانت نية الاتحاد السوفيتي عدوانية مثلا فيمكن توقع أعمال أخرى مشابهة لموضوع الصواريخ في المستقبل تفصح عن هذه النية العدوانية.

والشخص الذي يلاحظ حدثا يحاول التعرف على أسبابه وأن يرجع هذه الأسباب إلى عوامل بيئية أو شخصية. وهذه العوامل عادة ما تكون غير متضمنة في الحدث، فالملاحظ له لا يراها مباشرة ضمن عناصر الحدث وإنما يستدل على وجودها.

وتتفاوت المواقف أو الأحداث في مدى سهولتها أو تعقيدها، فقد تكون متناهية في السهولة بحيث يمكن إعزاء أسبابها في الحال ودون جهد يذكر كالإشارات الضوئية المتبادلة بين قائدي السيارات، وقد تكون بالغة التعقيد، كأحداث بعض القضايا، وبغض النظر عن درجة البساطة أو التعقيد للموقف الذي يتطلب الاعزاء، فإن الشخص الملاحظ له قد يواجه بقدر كبير من المعلومات المتشابكة، ولكن هناك

حدوداً لكمية المعلومات التي يمكن أن يحيط بها العقل البشري.

وعن طريق بعض الحيل والأساليب المتنوعة مثل اختيار توجيه الانتباه وتصنيف المثيرات، يبسط الملاحظون من عالمهم وسرعان ما تنتظم المثيرات إلى أجزاء متناسقة ذات معنى. ففي المثال المعطى عن أزمة الصواريخ مثلا كان لا يهم المواطن الأمريكي العادي عما إذا كانت هذه الصواريخ قد نقلت إلى كوبا بواسطة سفن صيد أو سفن شحن، أو خلال أيام الأسبوع العادية أو في أيام عطلات نهاية الأسبوع أو أثناء الليالي القمرية أو المظلمة. ولكن كان كل ما يهم في الأمر ببساطة هي أنها وجدت هناك، وأن وجودها هذا يمثل إمكانية القيام بعمل عدائي في المستقبل. فعملية الإعزاء التي يجريها الملاحظ عن العوامل والظروف التي هيأت لوقوع الحدث ربما تؤدي إلى إهمال بعض المعلومات (التي قد تكون هامة وبالتالي قد يكون الإعزاء غير دقيق) والاهتمام بالبعض الآخر الذي قد يبدو هاما للملاحظ.

(٣) مراحل الإعزاء:

هناك نوعان من العوامل يمكنها أن تتسبب في وقوع حدث ما- عادة ما يأخذها الشخص الملاحظ في اعتباره عند محاولته إدراك معناه - هي عوامل شخصية وأخرى بيئية. وتنقسم العوامل الشخصية إلى عناصر فرعية أخرى منها القدرة والمحاولة والقصد والجهد، أما العوامل البيئية فيقصد بها العوامل الأخرى التي ليس الفاعل مصدرها مثل مدى صعوبة العمل والحظ وأية ظروف أخرى أحاطت بالفعل، شخصية (ناتجة عن أشخاص آخرين خلاف الفاعل) كانت أو غير شخصية. وتتفق نظريات الإعزاء، وهي لهيدر Heider ١٩٥٨م وجونز ودافيز Jones & Davis ١٩٦٥م وكيلي Kelly ١٩٦٧م ووينر Weiner ١٩٧٠ - من حيث المبدأ على وجود مثل هذه العناصر. إلا أنها

تختلف فيما بينها في الأهمية النسبية لكل منها ودورة في عملية الإعزاء. وتتطلب كل نظريات الإعزاء أن يعي الملاحظ أن حدثا ما قد وقع ولكن توجد اختلافات بين هذه النظريات في كمية المعلومات التي يجب أن تتاح للشخص الملاحظ للحدث، فالملاحظ للحدث يمكنه أن يتوصل إلى إعزاءاته - في رأي هيدر ووينر - على أساس التحليل الذي يبدو منطقيا في رأيه للموقف كما هو «As It Is Given» ويكفيه قليلا من المعلومات. بينما يتطلب الأمر عند جونز ودافيز وكذا كيلي معلومات كافية.

يقترح شافر ١٩٧٥م أن[1] الإعزاء يتم على مراحل ثلاث هي: ملاحظة الحدث بطريقة مباشرة أو غير مباشرة. ثم حكم الملاحظ عليه بكونه ناتج عن قصد أو غير قصد، ويستدل في المرحلة الأخيرة على نوع القصد إذا كان الحدث مقصوداً. ويمكن التعرف أيضا في هذه المرحلة على الخصائص الشخصية التي شكلت القصد من التصرف. ويُقصد بها الخصال التي نصف بها الآخرين بناء على تصرفاتهم خلال تعاملنا معهم في الحياة اليومية العادية فهناك مثلا تصرف يدل على نبل صاحبه أو شجاعته، وآخر يشير إلى الانانية وحب الذات، وثالث مبعثه حسن النية والتسامح، ورابع يشير إلى الميول العدوانية وهكذا. وقد ينتهي الإعزاء عند المرحلة الثانية أي عند تقرير وجود القصد أو عدم وجوده. كما أن إعزاء القصد إلى عوامل بيئية قد ينهي بالفعل سلسلة الاستدلال عند معظم الناس أما إعزاؤه إلى عوامل شخصية فقد يتطلب

---

(١) يرى «هيدر» أنه بالرغم من أن مثيرات البيئة الاجتماعية تبدو أكثر تعقيداً من مثيرات البيئة الطبيعية، إلا أن الشخص العادي يمكنه إدراك قدر كبير من المعلومات التي تتضمنها بيئته الاجتماعية بسهولة وفي الحال لأنه يدرك الأشخاص كمصدر لسلوكهم أو كنوايا As Intentions.

من الملاحظ شيئا من الجهد لمعرفة نوعها. فإذا ما توصل الملاحظ في إعزاءاته إلى أن - الفاعل قد تصرف عامداً بكامل إرادته دون إجبار من أحد، فقد يستثير ذلك اهتماماً عنده ببحث الخصال التي يمكن أن يتصف بها لترشده عن أسباب تصرفه.

وتتوقف كيفية استخدام الملاحظ لهذه المراحل على عدة عوامل منها خصائص نموه المعرفي. فالمراهق قد يبحث في مواقف معينة عن كل الأسباب الممكنة والايضاحات الشاملة، بينما يكتفي الطفل بمجرد الوصف فقط أو يقنع بالتفسيرات الجزئية للأحداث.

وتعتمد الطريقة المباشرة في ملاحظة الحدث على رؤية الملاحظ له أثناء وقوعه. أما الطريقة غير المباشرة فتتم عن طريق سماع وقائعه من الآخرين أو قراءتها. وقد لا يقتصر دور الملاحظ للحدث على مجرد تلقي كل المعلومات التي يمكن أن يحصل عليها من الموقف دون تمييز، وإنما يحاول من جانبه تكوين انطباع عنه يتفق مع حاجاته الشخصية، ويتسق مع الفئات الاجتماعية التي يحتفظ بها في ذهنه.

والشخص في ملاحظته لحدث ما قد يدركه بطريقة تختلف عن إدراك غيره له. إذ قد يركز على جوانب معينة تثير انتباهه (وقد لا تعني غيره من الناس) وإذا أخذنا في الاعتبار دور العوامل الذاتية في عملية الإدراك الحسي للمثيرات الطبيعية، فإنه يمكن تصور مدى تأثير هذه العوامل على بعض مراحل الإعزاء للمواقف الاجتماعية.

ب - تحيز الإعزاء:

يقترح شافر ١٩٧٥ م أن الملاحظ في مواجهته للموقف الإدراكي قد لا يمكنه من استيعاب كافة المعلومات المتضمنة فيه. وعلى هذا يلجأ الى بعض «الميكانيزمات الإدراكية» مثل انتقاء مثيرات معينة في الموقف تبدو متسقة مع غيرها وذات معنى بالنسبة له بحيث يستطيع فهمها.

وتظهر مثل هذه العملية الانتقائية عند محاولة تقرير ما حدث في واقعة معينة[1]. حيث يتضح الاختلاف و التناقض في شهادة شهود عيان للحادث. وذلك بالرغم من الجهود التي قد يبذلها القضاة أو المحققون في محاولات متكررة للحصول على أكبر قدر من الدقة عما حدث من وصف الشهود. والتي يطلب فيها منهم مجرد الوصف فقط وليس التفسير أو التقييم. فمع أن مرحلة الوصف تعد أولية فقط في عملية الإعزاء، فإن كثيرا ما يظهر اختلاف بين أقوال الملاحظين حول حقيقة الواقعة.

ويقترح هيدر ١٩٥٨م أن اختلاف «الاساليب الإدراكية عند الأشخاص يؤدي إلى اختلاف ما يستخلصونه من المواقف التي يواجهونها بسبب اختلاف طرق إدراكهم للمثيرات الاجتماعية. فهناك السطحيون المتسرعون في نظرتهم إلى الأمور. وهناك من يتوخون الدقة في تفحص المواقف جيدا وهناك المتشائمون والمتفائلون وهكذا. وهو يرى أنه حتى في المواقف التي تتطلب الموضوعية في تقييم العلاقات بين الناس يميل الملاحظون للتأثر باتجاهاتهم وقيمهم. وهو يُرجع أسباب هذا الاختلاف بين الأشخاص في إعزاءاتهم عن الموقف الواحد إلى بعض عوامل مثل إختلاف مدى إستغراقهم فيه ودرجة أهميته لهم وتباين ثقافاتهم.

(٤) نظريات الإعزاء:

(أ) نظرية كيلي **Kelley** ١٩٧١م.

تعتبر هذه النظرية نموذجا للنظريات التي تفسر عمليات الإعزاء السببي بين الأشخاص. وقد وجه كيلي اهتمامه في نظريته نحو حرص الملاحظ على مدى تأكده من صحة استنتاجاته ودقتها عن أسباب تصرف الفاعل على نحو ما في موقف معين[1].

---

(1) Kelley H. H. The Process Of Causal Attribution.» American Psychologist 1973, 28, 107 - 128.

فقد سبق أن اقترح هيدر ١٩٥٨ م - عندما كان يناقش الطريقة التي يمكن أن يفسر بها الملاحظ حدثاً ما ويعزيه لأسباب معينة - إنه يستخدم أسلوبا إدراكيا مشابها لأسلوب «مل في التمييز» فمن الطبيعي أن تكون أسباب الحدث متضمنة في الشروط التي تختلف باختلاف وقوعه أكثر من إحتمال وجودها في تلك التي كانت موجودة قبل حدوثه وتظل أيضا كما هي بعد حدوثه - فإذا كان شخص ما يشاهد برنامجاً تليفزيونياً وأظلمت شاشة العرض فجأة، ثم غير الشخص قناة الاستقبال - نتيجة لذلك - فوجد الجهاز يعمل بكفاءة، لاستدل من هذا على أنه ليس هناك عطب فيه، وإنما الخطأ راجع إلى الارسال التليفزيوني.

إن ما توصل إليه الشخص من استنتاج يرجع إلى ما أحدثه من تباين في الشروط المصاحبة للموقف. ويشكل مبدأ «التباين التلازمي» هذا - بين الاسباب الممكنة والآثار الناجمة عنها - جوهر نظرية كيلي الإعزائية.

وتستخدم النظرية نموذجا إعزائيا ذا أبعاد ثلاثة يفترض كيلي وجودها في أية عملية إعزاء، وهي ذات الأبعاد التي يستخدمها الملاحظ لمعرفة أسباب تصرف الفاعل ثم التأكد من هذه الأسباب ويمكن تفصيل هذه الأبعاد على النحو التالي:

- «الوجود» الخاص بالأشخاص أو الأشياء التي يدركها الملاحظ كمثيرات متضمنة في الموقف والتي من المحتمل أن تكون مسببة لوقوع الفعل من قبل الفاعل (صفته مثيرا أصليا): إن وجود هذه المثيرات يحفز الملاحظ إلى التساؤل عما إذا كان وجود أو غياب أحدهما هو الذي أدى بالفاعل إلى التصرف على هذا النحو أو ذاك (وقد يعتبر الملاحظ نفسه أحد هذه المثيرات إذا ما كان طرفا في الموقف). ويُعد هذا أول

بعد يضعه الملاحظ في اعتباره عندما يريد الاستدلال على نية الفاعل من جراء تصرفه. وبه يصبح الموقف أكثر وضوحا عن ذي قبل سواء توصل منه الملاحظ عن فهم نوايا الفاعل أو لم يتوصل.

- المحتوى الذي حدث فيه التصرف: ويتضمن هذا البعد عملية تأمل عنصري «الوقت/ الظروف Time Modality» فالملاحظ يسأل نفسه أيضا - وفقا لمبدأ التغير التلازمي - عما إذا كان هذا التصرف يحدث بتغير الوقت والظروف التي صاحبت حدوثه أو أحاطت به لعله يستدل من كيفية تفاعلها مع بعضها البعض أو مع الفاعل عن سبب وقوعه. فقد يحاول مثلا مقارنة الظروف التي أحاطت بالفعل بتلك التي صاحبت وقوع سلوك مشابه صدر عنه في الماضي. أو الاستدلال على ظروف واجهها الفاعل - حاضرة أو سابقة - دفعت به إلى ما أقدم عليه من تصرف أو التكهن بما تنطوي عليه نتيجة التصرف من نفع قد يعود على الفاعل في المستقبل.

وهكذا يصبح إعزاء الملاحظ أكثر اتساقاً عما كان عليه في المرحلة السابقة.

- «الأشخاص» وهو البعد الثالث: ويحاول الملاحظ عن طريق هذا البعد التأكد من استدلالاته عن الحدث. ويتضح ذلك عند محاولة تعرفه على مدى «اتفاق» رأيه مع الآخرين عن أسباب تصرف الفاعل. فربما يدرك من معرفة آرائهم أنه ينفرد برأيه عن تفسير التصرف الذي صدر من الفاعل. وفي هذه الحالة قد لا يقتنع بمستوى الدقة الذي توصل إليه في إعزاءاته ويبدو مبدأ التغيير التلازمي في هذا البعد في مدى اتفاقه أو اختلافه مع الآخرين حول انطباعه عن الأسباب الشخصية للحدث. وهي الخصائص التي يرى أن الفاعل يتصف بها والتي تبين له من البعد السابق ثباتها فيه مع تغيير الوقت/الظروف.

يعطي شافر مثالا يوضح به هذه الأبعاد يتضمن أن معلما أثناء إلقائه لمحاضرة عن موضوع جديد وجه إليه أحد الطلبة « الفاعل » سؤالا ولكنه طلب منه إرجاءه لحين انتهاء المحاضرة. ولما سنحت الفرصة وطرح عليه الطالب سؤاله مرة أخرى أجابه. ولكنه أظهر عدم اقتناعه بإجابة المعلم ثم طالت بينهما المناقشة دون مبرر. ففيما يتعلق بالبعد الأول قد يكون المعلم (الملاحظ) إعزاءً مؤداه أن سبب الحدث (إنتهاء المناقشة دون اقتناع الطالب برأي المعلم) ربما يرجع إلى حداثة الموضوع أو انه لم يوفق في عرضه. ولكن الطلبة الآخرون « بوجودهم » قد بدا عليهم تفهما للموضوع بدليل أنه لم يتقدم أحد منهم بسؤال... اما عن البعد الثاني فقد يحاول التوصل إلى إجابة على تساؤلات مثل: ماذا يرمي إليه الطالب مستقبلا من إظهار عدم اقتناعه، وهل سبق أن تصرف على هذا النحو؟ وإذا كان قد سبق له ذلك فما هي الظروف التي ساعدت على أن يبدر منه هذا التصرف وقت المحاضرة؟ وقد يتضح للمعلم من هذا البعد أن الطالب « محب للنقاش » وربما يؤيده في هذا زميل له أو اكثر عن اتصاف الطالب بهذه السمة (البعد الثالث).

إن العمليات السابقة لا تعدو عن كونها مجرد تصور لخطوات يرى كيلي أن الملاحظ يأخذها في اعتباره عند محاولته معرفة الأسباب الشخصية للحدث أو الخصائص التي يمكن أن يتصف بها الفاعل والتي تكمن وراء القصد إذا ما كان التصرف مقصوداً.

(ب) نظرية هيدر **Heider** ١٩٥٨م:

يقترح هيدر وجود نوعين من العوامل يساعدان على تكوين الحدث وعادة ما يأخذهما الشخص الملاحظ له في إعتباره عند محاولته إدراك معناه. هما مجموعة عوامل شخصية وأخرى بيئية وهو يشير إلى أن إعزاء الحدث إلى العوامل الشخصية بتباين مع تباين إعزائه إلى

العوامل البيئية. فكلما إزدادت أهمية العوامل الشخصية في نظر الملاحظ كمسبب للحدث قلت أهمية العوامل البيئية وبالعكس.

ويرى هيدر أن العوامل الشخصية تتكون من عناصر مثل قدرة الفاعل وجهده وقصده ومحاولاته وحالته المزاجية أما العوامل البيئية فتتلخص في مدى ما يلقاه الفاعل من مقاومة وصعوبة العمل والحظ وما يقترحه عليه الآخرون في إنجازه لعمله ويركز هيدر في تحليله للحدث على رأي الملاحظ عن قصد الفاعل، فإذا ترائى للملاحظ أن نتائج الحدث غير مقصودة فهو لن يتابع إعزاءاته عنه ولن يكترث به، أما إذا إعتبره مقصوداً فسيواصل سلسلة إستدلاله حتى يعرف نوع القصد إذ أن هذا سوف يمكنه - أي الملاحظ - من إمكانية توقع الأحداث في بيئته. فإذا كانت نية الفاعل تنطوي على العدوان فسوف يتوقع منه تصرفات عدوانية مستقبلا. وإذا كان يهدف الخير فيمكن أن نتوقع منه المساعدة وهكذا.

وقد إقترح هيدر خمسة مستويات للقصد تتباين في نتائجها من حيث النوع والشدة[١] وهي تمثل مراحل متعاقبة للنمو في الأحكام الخلقية، على المواقف الاجتماعية[٢] لتحديد مسئولية الفاعل عن نتائج هذه

(١) يقصد بهذا التباين أن نتائج المواقف الإجتماعية التي تترتب عن الفاعل أو تصرفاته إما أن تكون سارة - أي تنم عن فائدة أو نفع أو مكسب للآخرين - إما أن تنطوي على ضرر أو خسارة تلحق بهم وهذا هو تباين نوعية نتائج المواقف الإجتماعية عند هيدر. أما تباين شدة النتائج فيعني به هيدر حجم النفع أو الضرر في نتائج المواقف الإجتماعية. فقد ينطوي موقف ما على أضرار بسيطة يسببها الفاعل (عن قصد أو عن غير قصد وفق مستويات القصد الخمسة) أو اضرار جسيمة تلحق بالآخرين. فبعض الناس مثلا يعتبرون الفاعل مسئولا عن النتائج إذا ما كانت جسيمة بالرغم من أنه لا يقصدها كحوادث القتل الخطأ، والبعض الآخر ربما يتغاضى عن النتائج البسيطة وإن كانت تنم عن نوايا شريرة.

(2) Heider J «The Psychology Of Interpersonal Relations». New York: Wiley, 1958.

المواقف، ويأخذ الشخص في تصوره لهذه الأحكام عدداً متزايداً من المتغيرات كلما تقدم في هذه الأحكام. وهذه المستويات الخمس هي:

مستوى الإقتران العام: Global Association

وفيه يرى الملاحظ أن الفاعل مسئول عن أية نتيجة ما لمجرد وجود عملية إقتران في ذهنه تربط الفاعل بالنتيجة بأي شكل من الأشكال. مثل حكم الملاحظ على الفاعل بأنه شرير لمجرد وجود صلة قرابة تربطه بشخص أو أكثر من الأشرار. أو وجود تشابه في ذهن الملاحظ لشخصية الفاعل ونوع الحدث وهو قانون التشابه. فالفاعل في هذه الحالات يعتبر في نظر الملاحظ مسئولا عن نتائج معينة دون وجود أسباب منطقية ظاهرة أو مستترة تربطه بها. ويرى شاو وسولزر أن هذا النوع من الأحكام يتميز بالبدائية. فالمسئولية فيه تتحدد على أساس أسلوب الإستدلال بطريق التفكير التوفيقي Syncretistic Thought وهو أيضا يشكل أحد حالات الربط العارض لبياجيه ١٩٥٥التي تميز تفكير طفل مرحلة ما قبل المفاهيم. ومن مظاهره رؤية أوجه شبه بين الأشياء أو الكلمات التي لا يرتبط بعضها بالبعض الآخر. كما أن هذا الربط العارض يوجد أحياناً لدى الراشدين في بعض إعزاءاتهم. وهناك العديد من الأمثلة على هذا الإقتران في الإعزاءات العادية اليومية، وكذا في بعض الأساليب الفكرية في كثير من المجتمعات فعادة الأخذ بالثأر الموجود بين بعض المجتمعات ومنها الوجه القبلي بمصر توضح هذا، ومن هذا الإقتران الفكري أيضا لوم الأبناء عن أخطاء إرتكبها الآباء. أو إختلاف نظرة الناس إلى أفراد القوات المسلحة في حالة النصر أو الهزيمة، حيث يعتبر كل أفرادها مسئولين عن نتائج الحرب.

ومن أمثلة هذا الإعزاء في مجال الحرب النفسية نجد، فيما أقدمت عليه حكومة الولايات المتحدة مباشرة عقب ضرب ميناء بيرل هاربر في

الحرب العالمية الثانية وتدمير معظم قطع الأسطول الأمريكي. إذ قامت بإعتقال كل السكان ذوي الجنسية اليابانية المقيمين على طول الساحل الغربي لأمريكا[1].

ويتضح مثل هذا النوع من الإعزاءات في مجال السياسة والحرب النفسية. وذلك عندما ينسب أفراد الشعب ما يشعرون به من رخاء أو عناء إلى كل أعضاء الوزارة دون استثناء أو إستغلال وتضخيم الضائقة الإقتصادية التي تُعزى إلى الحرب، حيث قد يروج العدو أنها هي المسئولة عن كل أنواع المعاناة وأنه كلما تأخر الاستسلام أو الخضوع لإرادته كلما إزداد الفقر.

- إمتداد مسئولية الفعل:

وفيه يظهر الشخص أن مسئول عن أية نتيجة ما سببتها تصرفاته بالرغم من أنه لم يتمكن في حقيقة الأمر من التنبؤ بها، فهي غير متوقعة، وهو لا يقصد أحداثها وقد لا يدركها أحيانا ويعطي شاووسولزر مثالا عن هذا المستوى لإعزاء المسئولية هو عندما يتفق طالب ما مع صديق له للحضور للاستذكار بالمنزل ثم يصاب الصديق أثناء توجهه إلى المنزل في حادث[2].

- إتيان الفعل بلا اكتراث بالنتيجة:

وفيه يرى الملاحظ الفاعل أنه مسئول عن أية نتيجة تسبب فيها بالرغم من عدم وجود قصد لديه - أي الفاعل - لإحداث هذه

---

(1) Shaver & K. G., «An Introduction To Attribution Processes». Massachusetts. Winthrop Publishers, 1975.

(2) Shaw, M. E., & Sulzer jl «An emperical test of Heider's levels in the attribution of responsibility». Journal of Abnormal Psychology and social Psychology 1964, 69, 39, 46.

النتيجة. فهي لم تكن تشكل جزءاً من أهدافه أو نواياه، ولكن يبدو من طبيعة التصرف إمكانية وقوع مثل هذه النتيجة، فهذا المستوى يتميز عن المستوى السابق بوجود عنصر «إمكانية التوقع». وتظهر الأمثلة الدالة على هذا النوع من مستوى الإعزاء في الأحداث الناتجة عن الإهمال. وهذا هو المستوى الثالث لإعزاء المسئولية.

- **القيام بالفعل عن عمد:**

وفيه يُعتقد أن الشخص مسئول عن أية نتيجة سببتها تصرفاته. فهو السبب الرئيسي لوقوعها وهو يدرك جيدا عواقب تصرفاته، ويقصد بالفعل إحداث النتيجة والتوصل إليها. ويمكن أن تتحدد المسئولية عند ذلك المستوى بعدة أساليب إعزائية مثل التحليل العادي من الملاحظ للحدث، وإعتقاده بأن قدرة الفاعل تمكنه من القيام بالفعل وأنه يحاول التوصل إلى النتائج المرجوة من تصرفه، فهي تمثل شيئا يرغبه وغير ذلك من إستدلالات عن الموقف يقوم بها الملاحظ له.

- **تبرير الفعل وإستصوابه:**

وهو المستوى الخاص والأخير لإعزاء المسئولية. وفيه يُعتقد أن الشخص مسئول بنوع ما عن أية نتيجة تسبب فيها. ولكن مع ملاحظة أن تصرفه الذي أدى إلى هذه النتجية قد تم تحت ضغط أو تهديد خارجيان يجبران معظم الأشخاص على القيام بنفس التصرف إذا ما تواجدوا في ظروف تشابه ظروف الفاعل.

ويتضمن كل مستوى من هذه المستويات السابقة أربعة نتائج تتباين من حيث النوع والشدة كالآتي:

(أ) نتيجة إيجابية عالية الشدة ويقصد بها أنها ذات نفع كبير للآخرين.

(ب) نتيجة سلبية عالية الشدة وهي التي تنطوي على خسارة جسيمة لهم.

(جـ) نتيجة إيجابية منخفضة الشدة وهي التي يترتب عنها خيرا بسيطا للآخرين.

(د) نتيجة سلبية منخفضة الشدة ويقصد بها أنها تتضمن ضرراً طفيفاً يلحق بهم.

والشخص الذي يأخذ في إعتباره كل هذه المتغيرات السابقة يعزي أكبر قدر من المسئولية عندما تحدث النتيجة عن قصد ولكنه سوف يقلل من المسئولية في المستوى الخامس أي عندما تكون هناك ظروفاً خارجية تجبر الشخص على التصرف[1].

(جـ) نظرية جونز ودافيز Jones &Davis ١٩٦٥م.

بين هذان الباحثان أن الملاحظ لا يمكنه في أحوال كثيرة أن يشاهد الموقف أو التصرف بنفسه، إلا أنه عادة ما يحاول أن يتفهم مسبباته والظروف التي هيأت لحدوثه. ففي حالات كثيرة يكون المعالجون النفسيون والقضاة إعزاءات هامة تفسر بعض أنواع التفاعل الاجتماعي بين الأشخاص دون رؤيتهم لسلوكهم بطريقة مباشرة. وقد قام هذان الباحثان بتحليل العلاقة بين الآثار المترتبة عن الحدث، والاستعدادات والظروف المسببة له والتي يمكن الكشف عنها من هذه الآثار، وبيان مدى التطابق بينهما.

وتتلخص نظريتهما عن الإستدلال التطابقي Correspondent Inference في أن إدراك الحدث وفهمه يتم بعملية مقارنة يجريها الملاحظ

(1) Heider F «The Psychology of Interpersonal Relations». New York Wiley, 1958.

له بين التصرف الواقع والتصرفات الأخرى التي يعتقد أنها كانت ممكنة الحدوث. وهي تتضمن تساؤلا من الملاحظ عن أسباب إختيار الفاعل للتصرف الذي تم في الموقف. وتستخدم عملية المقارنة بغرض تقدير الآثار غير المشتركة Non Common Effects وهي آثار للتصرف المتخذ لا تظهر مع التصرفات الأخرى التي كانت ممكنة. وتكون هذه الآثار غير المشتركة جوهر عملية إعزاء عن الاستعدادات الشخصية المسببة لوقوع الحدث.

فالملاحظ إذا عليه أن يفكر في الاختيارات التي كانت متيسرة أمام الفاعل مستفيداً بخبراته الشخصية وتصرفات الفاعل الماضية ومتخيلا نفسه في مكان الفاعل وفي ظروف مماثلة لظروفه . وكل تصرف يمكن أن يقدم الفاعل عليه له آثار تعود عليه بالنفع أو بالضرر. وهناك تصرفات لها آثار قليلة الأهمية وأخرى بالغة الأهمية. وإذا كانت الآثار التي يمكن أن تترتب عن الموقف الذي سلكه الفاعل مشتركة مع تلك الآثار التي يمكن أن تتسبب عنها التصرفات الأخرى، فإن الملاحظ لم يتوصل بعد إلى إعزاءاته عن العوامل الشخصية المسببة لوقوع الحدث.

ويمكن ايضاح مثل هذا النوع من التفكير الإعزائي عندما نريد تقويم حدث عسكري طارىءهو سماع نبأ قيام إسرائيل بقصف معظم مطارات دولة أخرى مجاورة لها.إذ يحاول الملاحظ التعرف على النية التي تكمن وراء هذا الفعل. هل هو مجرد التدمير والانتقام أو الهجوم البري واسع النطاق.

لو كان القصد مجرد التدمير فهناك إختيارات أخرى تمثل أهدافاً حيوية كان يمكن ضربها بسهولة بدلا من المطارات مثل المصانع أو أي منشآت عسكرية أخرى. فالمطارات عادة ما تكون أكثر المناطق حماية وقد تكلف الطيران الإسرائيلي خسائر اثناء الهجوم عليها. ومن التاريخ

السابق لإسرائيل يتضح أنها لا تجازف بطائراتها في هذا العمل دون أن تجني من ورائه كسبا كثيراً. ويمكن أن يتمثل هذا الكسب في شل النشاط الجوي - ولو على الأقل فترة من الزمن - تمهيدا للقيام بهجوم بري واسع النطاق مع معاودة ضرب المطارات. وان تصرفاتها السابقة تؤكد هذا التفسير كما حدث في عام ١٩٦٧م في عدوانها على مصر.

ويلاحظ في هذا الحدث ان آثاره لا تعد مشتركة مع أثار الافعال العدوانية الأخرى التي كان يمكن أن تقدم عليها إسرائيل، وهي ضرب أهداف أخرى غير المطارات مثل القوات البرية أو البحرية، لأن هذه التصرفات الأخرى لا تعجز جيش الدولة المعتدى عليها نهائيا، فلم يسبق أن أنهار جيش ما لمجرد تعرضه لبضع غارات جوية قليلة، أما ضرب المطارات ومعاودة ضربها فربما يترتب عنه بقاء جيش الدولة المعتدي عليها دون غطاء جوي مما يسهل عملية الهجوم المنتظر.

وهكذا ربما يعتقد ملاحظ ما من تحليل هذا الحدث أن النية مبيتة نحو هجوم واسع النطاق ضد الدولة المعتدى عليها. وربما يتوصل آخر إلى نتائج أخرى لهذا الموقف تبعا للمعلومات المتيسرة لديه عندما يناقش الإختيارات التي كانت أمام العدو ويقارنها بأعماله السابقة والاثار المترتبة عنها.

د - بعض العمليات المعرفية المستخدمة في تناقل المعلومات:

(١) التسوية Leveling :

حين تنتقل وقائع ما أو إشاعة من فرد إلى فرد تميل إلى أن تصبح أقصر وأشد كثافة وأسهل فهما وإخباراً، وكلما زاد ترددادها قل عدد الكلمات المستعملة فيها وقلت تفاصيلها وهذه العملية هي التي تسمى بالتسوية.

إن عدد التفاصيل المحتفظ بها يتناقص بسرعة في البداية ثم يتباطأ فيما بعد بحيث أن نسبة التفاصيل المحتفظ بها تكون في الرواية الثانية أو الثالثة قرابة ٧٠٪ من الأصل ثم تهبط إلى ٣٠٪ في الرواية الخامسة ولو لم يمر زمن طويل على إنتشار الإشاعة.

وهنا نلاحظ أن التسوية لا تصل حد التغيير المطلق بل يبقى منها قرابة ٣٠٪ وهذا يعني:

(أ) إن الإشاعة القصيرة المكثفة أبقي.

(ب) حينما تصبح الإشاعة قصيرة وكثيفة يصعب تغييرها بعد ذلك.

(جـ) الإشاعة القصيرة والكثيفة سهلة الحفظ سريعة الانتشار. وعلى كل فالأمر لا يحدث بشكل عفوي بل إن الأمور التي تهم الناس بشكل خاص أو توائم ما يتوقعونه وتساعدهم على بناء القصة التي يريدونها قلما تنسى بل تبقى دائرة في الإشاعة.

(٢) الشحذ Sharpenning:

يمكننا تعريف الشحذ بأنه إدراك وحفظ ونقل إختياري لعدد محدود من التفاصيل تختار من نص أوسع. إنه عكس التسوية ولكن لا التسوية ولا الشحذ يمكن أن يوجد واحد منهما بدون الآخر، بل إن العمليتين تسيران جنباً إلى جنب، وما يبقى من الإشاعة بعد التسوية يشحذ أي يصبح حاداً.

هذا وبالرغم من حدوث عملية الشحذ في كل راوية فإن ما يشحذ في رواية ليس من الضروري أن يشحذ في سواها[1].

---

(١) فاخر عاقل: أصول علم النفس وتطبيقاته، بيروت: دار العلم للملايين ١٩٧٥.

إن إحدى طرق الشحذ الإحتفاظ ببعض الكلمات الغريبة أو التي تسترعي الانتباه. تلك الكلمات التي ما تكاد تظهر في الرواية الأولى حتى تسترعي إنتباه كل سامع من سامعي الإشاعة وتنتقل من فرد إلى آخر مفضلة على غيرها من التفاصيل التي قد تكون أكثر أهمية.

وقد يتخذ الشحذ شكلا رقميا أي عدديا فيزداد عدد الأفراد الذين لهم صفة خاصة مثلا (المصابين أو الطغاة مثلا).

وهناك شحذ زمني فيميل الرواة إلى جعل الحادث واقعا في الزمان والمكان الحاضرين بدلا من زمن ماض أو مكان آخر. إن الناس أكثر إهتماما بالحاضر منهم بالماضي ولذلك فهم ميالون إلى نقل الإشاعة من الماضي إلى الحاضر.

وثمة إتجاه لإضافة الحركة إلى الإشاعة وهكذا فطيران الطائرات وانفجار القنابل وسواها أمور تبرز وتشتد في أهميتها.

والحجم النسبي مدعاة للانتباه. فالأكبر والأبرز والأهم يحتفظ به وقد يُبالغ في أهميته.

وإذا أعطيت الإشاعة عنوانا أو شعاراً فإن العنوان أو الشعار يبقى وذلك كأن نقول هذه قصة تظهر التعصب العنصري.

وقد يضاف إلى الإشاعة تفسير وحيئنذ فإن هذا التفسير يشحذ، وهذا يحدث حينما تكون الإشاعة قد حرفت بشكل باتت معه غير معقولة وتحتاج إلى تفسير. وهكذا ففي الإشاعات اليومية يحدث الشحذ عن طريق إدخال تفاسير مقبولة.

وحادثتا التسوية والشحذ تظهران خطأ الذين يشبهون الاشاعة بكتلة الثلج التي تتضخم كلما تدحرجت فالعكس هو الصحيح أي أن الإشاعة تختصر وتشحذ كلما إنتشرت.

(٣) التمثل **Assimilation**:

واضح أن عمليتي التسوية والشحذ عمليتان انتقائيتان، ولكن ما الذي يقود إلى التغاضي عن بعض التفاصيل وإبراز بعضها الآخر؟ ومن المسؤول عن التغيرات والتبدلات والتحويرات التي تطرأ على مجرى الإشاعة؟.

والجواب موجود في عملية التمثل ذات الصلة الوثيقة بالقوة الجاذبة التي تؤثر في الاشاعة عن طريق العادات والاهتمامات والعواطف الموجودة في نفس السامع. هذا ويتم التمثل بأشكال مختلفة، منها:

(أ) التمثل بحسب الفكرة الرئيسية: إن ما يحدث بصورة عامة هو أن التفاصيل تسوى أو تشحذ لتناسب الحافز الرئيسي في القصة، ولذلك فهي مناسبة لهذا الحافز بحيث تصبح القصة الناتجة أكثر تناسقاً وقبولا وحبكا. وهكذا فقد تكون الفكرة الرئيسية هي الحرب أو حدوث حادث أو غير ذلك وحينئذ تنسق كل التفاصيل بحيث تكون شكلاً أنسب كما تستبعد التفاصيل غير المناسبة. ونحن لا نكتفي بإضافة بعض التفاصيل بل نعمد إلى تغيير التفاصيل الموجودة أو معانيها لتناسق مع الشكل المطلوب.

(ب) وثمة تغيير آخر في هذه الحالات ألا وهو اكمال الصور الناقصة وسد الثغرات، للحصول على كل متناسق وذي معنى.

(جـ) التمثل بالتكثيف: إن الذاكرة تميل إلى التخفيف عن ذاتها فبدلا من أن تعدد أنواع الفواكه التي تراها تقول: كل أنواع الفواكهة.

(د) التمثل بالتوقع: إن العديد من التفاصيل تتخذ الشكل المتوقع منها بدلا من شكلها الحقيقي وهكذا فعربة الإسعاف تحمل مريضا ولو كانت في الواقع تحمل متفجرات.

(هـ) التمثل بحسب العادات اللغوية: هناك أوصاف لغوية يوصف بها بعض الناس فإذا ما وصفنا هؤلاء الناس وصفناهم بها ولو كانت لا تنطبق عليهم كقولنا عجوز (كرارة) أو (علاكة).

(و) التمثل بالاهتمام والمصلحة: حين يكون الرواة نساء فقد يعلقن أهمية على الملابس ويبالغن في وصفها الأمر الذي لا يحدث بالنسبة للرجال أما إذا قدمنا صورة لرجال الشرطة وكان فيها أشخاصا منهم جندي شرطة فإن إهتمامهم يركز حول جندي الشرطة.

(ز) التمثل بالتعصب: في تجربة فيها رجل أبيض يحمل موسىً ويناقش رجلا أسود قال المجرب عليهم من البيض أن الموسى كانت في يد الاسود وأنه كان يهدد بها الرجل الأبيض والتعصب قد يكون طبقيا أو عرقياً أو إقليميا أو فرديا الخ.

ويلاحظ أن عمليات التسوية والشحذ والتمثل ليست آليات مستقل بعضها عن بعض، بل هي تعمل متكاملة متضامنة وتعكس عملية شخصية تعطي الإشاعة صورتها النهائية. ولو حاولنا تلخيص ما يجري بكلمات محدودة لقلنا:

حين يكون حقل مستثير ذا أهمية بالنسبة للفرد، ولكنه في نفس الوقت غير واضح، أو قابل للتفسير بأشكال مختلفة تبدأ حينئذ عملية بناء شخصية. وبالرغم من أن العملية معقدة فيها تسوية وشحذ وتمثل فإن طبيعتها الأساسية يمكن أن توصف بأنها جهد لتخفيف المثير إلى بناء بسيط وذي معنى له دلالة تكيفية بالنسبة للفرد فيما يخص إهتماماته وخبرته.

وتبدأ العملية في اللحظة التي يدرك فيها الوضع الغامض، ولكن الآثار تكون أعظم ما تكون إذا تدخلت الذاكرة، وكلما كان الوقت الذي يمر بعد إدراك المثير أطول يكون التغير ذو الوجوه الثلاثة أعظم.

وكذلك فإنه كلما ازداد عدد الأشخاص الذين يتناقلون الاشاعة كلما أصبح التغيير أعظم ويستمر ذلك إلى أن تصل الاشاعة إلى قدر من الإختصار يمكن معه إعادتها من الذاكرة.

طرق التصدي للحرب النفسية:

تدعيم الايمان الحق، فالحرب النفسية لا تؤثر في المؤمن الحق، لأن العقيدة الراسخة المؤسسة على الإيمان الذي لا يتزعزع هي الركيزة العظمى لتحصين المجاهد ضد الحرب النفسية، فالمؤمن إيمانا كاملا لا يخاف التهديد والوعيد ولا يرهب،وليس جبانا رعديداً كأولئك الذين يقول الله فيه. ﴿فإذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون إليك تدور أعينهم كالذي يغشى عليه من الموت﴾.

حارب الاسلام عوامل الضعف والهوان ونزعات الخوف وعدم الايمان، وغرس في نفوس المسلمين خُلق الشجاعة والتضحية والشهامة والاستهانة بزخارف الدنيا في سبيل نُصرة الحق ومحبة الله ورسوله، قال سبحانه وتعالى: ﴿قل إن كان آباؤكم وأبناؤكم وإخوانكم وأزواجكم وعشيرتكم وأموال اقترفتموها وتجارة تخشون كسادها ومساكن ترضونها أحب إليكم من الله ورسوله وجهاد في سبيله فتربصوا حتى يأتي الله بأمره، والله لا يهدي القوم الفاسقين﴾.

ويتفق علماء النفس وخبراء الحرب النفسية على أن الحرب النفسية «تؤثر بفعالية أكثر في الجنود الخالين من الايمان الحق ومن العقائد الثابتة وذوي الوعي السياسي الضيق وغير المثقفين» - وفي التاريخ الإسلامي أمثلة كثيرة على قوة العقيدة في مواجهة الحرب النفسية للعدو، منها أن قائد الروم في معركة اليرموك التي بعث إلى خالد بن الوليد ورد خالد له برسالة تنطوي على التخويف والضغط النفسي وعلى أساليب التخذيل والدعوة إلى الإستسلام.

والحرب النفسية كما أوضحنا تستهدف النيل من نفوس ومعنويات الجنود والمقاتلين في ميدان القتال كما تستهدف أبناء الشعب بمختلف فئاته من عمال وفلاحين ومثقفين وهي بذلك أكثر إتساعا وشمولا من ساحة القتال لذلك فإن تأثيرها أكثر خطورة وأشد ضرراً كما أنها لا تعتمد على المواجهة الصريحة كما يحدث في المعارك العسكرية ولكنها تلجأ إلى أساليب خفية وملتوية ومقنعة غير معروفة بالنسبة لغالبية الشعب. وقد تؤدي حملات الحرب النفسية إلى بلبلة أفكار أفراد الشعب أو إلى شعورهم بالخوف والقلق والرهبة، كما تؤدي إلى فقدان شعورهم بالثقة بالنفس وإلى ضعف الروح المعنوية وإنخفاضها والشعور باليأس وعدم إحراز الانتصار وإلى إنتشار نزعات إستسلامية وتيارات إنهزامية. وفي كثير من الأحيان ما تؤدي الحرب النفسية إلى إنعدام ثقة الشعب في الهيئة الحاكمة وعدم الثقة في قدرة القيادة السياسية والعسكرية وإلى عدم التفاف الشعب حول قادته، ولذلك كثيراً ما كانت تلجأ أساليب الحرب النفسية في الحرب العالمية الثانية إلى قول الحلفاء مثلا انهم لا يعادون الشعب الألماني وإنما يعادون هتلر وحده وليس ذلك إلا وسيلة من وسائل تصديع قوة الشعب الألماني في ذلك الوقت وإثارته نحو الإنفضاض من حول قائده هتلر.

هذه أمثلة لأهداف الحرب النفسية أما وسائلها فمتباينة ولكي نتمكن من مقاومتها ودرء خطرها فلا بد من دراسة هذه الوسائل والأساليب التي يلجأ إليها العدو في حملات الحرب النفسية التي يشنها.

وتعتمد الحرب النفسية في المحل الأول على معرفة طبائع الشعب الذي ستوجه إليه حملاتها ولذلك تسعى إلى دراسة عقائد وميول واتجاهات وأساليب تفكير هذا الشعب وذلك حتى يتسنى لها التأثير فيه والضرب على مواطن الضعف عنده، كما تلجأ أساليب الحرب النفسية إلى جمع

المعلومات والأخبار التي تحدث فعلا ثم تستغلها أو تغيرها كلية ثم تنشرها وتؤولها تأويلاً مغرضا يخدم أغراضها. كأن تثير الشعور بالهزيمة في نفوس الشعب أو تخفض من معنوياته أو تثبط من همته أو تجعله يتكالب ويتهافت على جميع المؤن والمواد الغذائية وتخزينها وذلك نتيجة لما تفشيه من أقوال عن إحتمال حدوث مجاعات أو نضوب موارد الغذاء.

وليس من الضروري أن يكون للحربِ النفسية أي سند من الحقيقة فقد تختلق أبواق العدو القصص والأساطير وتعمل على إذاعتها بين صفوف الشعب معتمدة في ذلك على عدم تحصين عقول أفراده ضدها فقد يذيع العدو عن نفسه أن له قوة لا تقهر أو أن لديه اسلحة فتاكة سرية. كما يعمل إلى إذاعة بيانات عسكرية عن وقوع معارك وإحرازه إنتصارات باهرة فيها ومن ذلك أيضا ما كان يعمد إليه العدو الإسرائيلي دائما من التبسيط من وطأة الخسائر المادية والبشرية التي تلحق به وإصراره على التقليل من شأن الهجمات الفدائية الجريئة.

وفي كل ذلك تعتمد الحرب النفسية على الايحاء وإقناع الناس بما تذيعه من إشاعات تحاول أن تقنع الناس بصحتها وأن تؤثر في نفوسهم وأن توجه تفكيرهم ولذلك ينبغي أن تقابل هذه الإشاعات بمزيد من الحيطة والحذر لأنها في الأغلب لا تكون بصورة مباشرة بل تكون دائما في صورة خفية مستترة.

وتقع مسئولية مقاومة الحرب النفسية على كل فرد من أفراد المجتمع ولكن للشباب دور طليعي في مواجهتها لأن الشباب هو دعامة المجتمع وعدته وهو صاحب المصلحة الحقيقية في حاضر المجتمع ومستقبله ويمكن تلخيص أساليب مقاومة الحرب النفسية فيما يلي:

١ - عدم إذاعة الأخبار والمعلومات عن الظروف العسكرية والإقتصادية والإجتماعية للوطن وذلك لأن العدو يحاول جمعها

والاستفادة منها كما يجب الإحتفاظ بوجه خاص باسرار الوطن حتى لا يلتقطها الأعداء.

٢ - القيام بعمل إيجابي فعال في ميدان التوعية القومية وتفنيد الاشاعات المسمومة بالإستناد إلى الحجج والبراهين المنطقية والحقائق الملموسة الواقعية التي تحصن الشعب ضد سموم الاشاعات المغرضة التي يروجها الأعداء وذلك بعقد الندوات وإلقاء المحاضرات في التوعية والإرشاد القومي.

٣ - العمل على تنمية الشعور بالثقة بالنفس وكذلك الايمان بالله وبالوطن فإن الثقة بالنفس أساس كل نجاح كما أنها الدعامة القوية التي يقوم عليها صمود الشعب وإستمرار نضاله وغرس القيم الدينية والخلقية حتى لا تدع الفرصة لتسرب المبادىء الانهزامية. ويمكن سرد قصص الأبطال والامجاد والانتصارات العربية الخالدة (مثلما حدث في موقعة عين جالوت وموقعة حطين) وكذلك الانتصارات الاسلامية التي حققها الاسلام في فجر تاريخه وإنتصارات الرسول عليه الصلاة والسلام وأصحابه وتلك التي أحرزوها بفضل الايمان بالله والايمان بالدعوة والثبات على المبدأ.

٥ - الدعوة لمواصلة الكفاح والصمود وعدم اليأس وحث الناس على المساهمة الإيجابية في المعركة كل في موقعه، فالعامل والموظف والفلاح كل يستطيع أن يضرب بمعوله في الانتاج الذي يرتد أثره ولا شك على الجندي الرابض على خط النار، فإن الجهاد في الانتاج لا يقل أهمية ولا شرفا عن الجهاد في ساحة القتال.

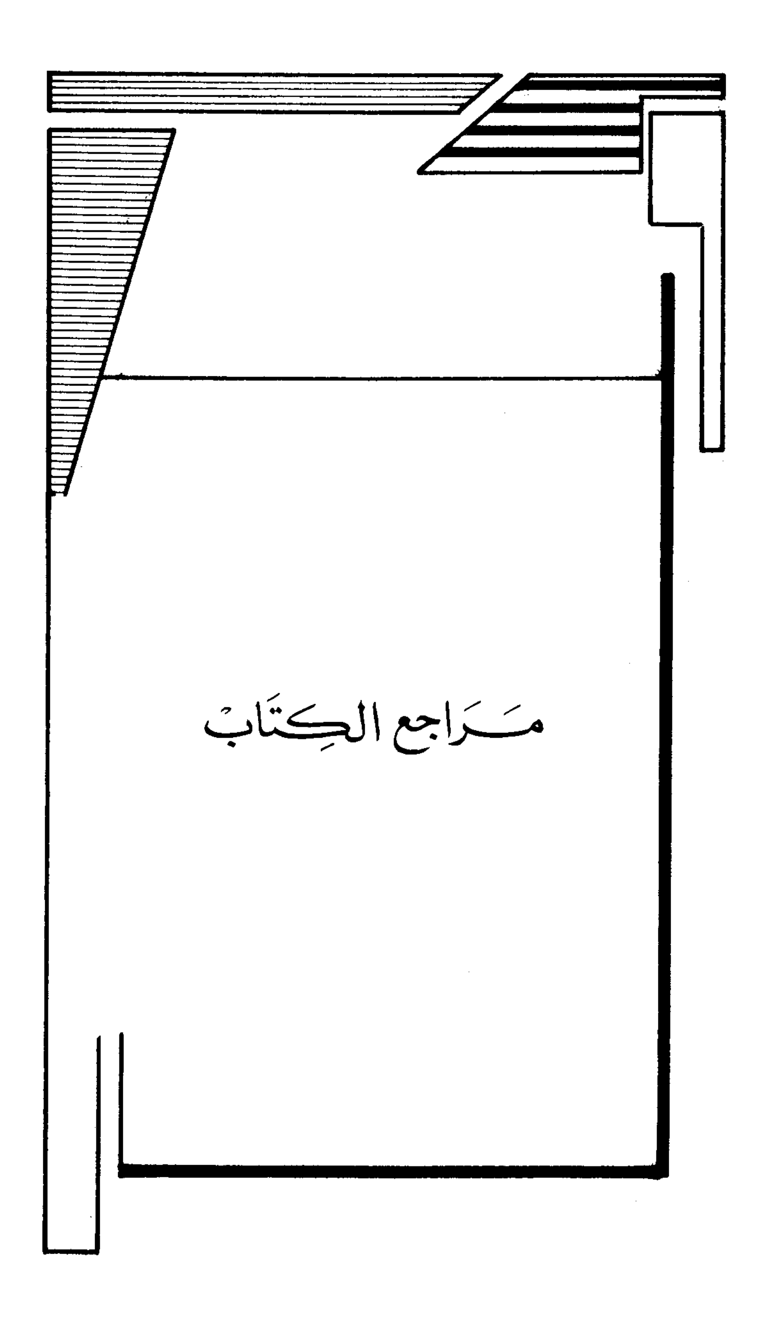
٦ - الاهتمام بالتدريب العسكري وكذا على أساليب الدفاع المدني، لأن التدريب من شأنه أن يبعث على الثقة بالنفس والاعتزاز بها كما يقوي الاحساس بالقدرة على مواجهة الخطر وعلى تزكية روح المبادأة في

مهاجمة العدو والحاق الهزيمة به.

٧ - التوعية المستمرة لأفراد الجيش بنوايا العدو وأهمية الدفاع عن الوطن ويلاحظ أن أي نقص في الاعلام لجنودنا ما هو إلا مدخل للدعاية التخريبية للعدو.

٨ - تنمية العلاقات الودية والصريحة بين القادة والمقاتلين حتى تسهل مكافحة الدعاية التخريبية للعدو، واستغلال جماعات الاعلام في الوحدات لمعاونة القائد في تنفيذ مهام توعية الأفراد. وهم أفراد منتقين من بين المقاتلين على درجة عالية من الكفاءة والذكاء والشجاعة ويحظون بإعجاب زملائهم.

٩ - بث الروح الهجومية لدى المقاتلين أثناء التدريب وكذا الانضباط العسكري وروح الفريق وهي عوامل فعالة لمكافحة الدعاية التخريبية للعدو.



مَـرَاجع الكِتَابْ

المراجع العربية

١) إبراهيم وجيه: التعلم. القاهرة: عالم الكتب، ١٩٧١م (ص ١١).

٢) أحمد فائق، محمود عبد القادر: مدخل علم النفس العام. القاهرة: الانجلو، ١٩٧٢م.

٣) أحمد عكاشة: علم النفس الفسيولوجي. القاهرة: دار المعارف، ١٩٨٢م.

٤) جابر عبد الحميد: سيكولوجية التعلم ونظريات التعليم. القاهرة: دار النهضة العربية، ١٩٧٨م.

٥) جابر عبد الحميد: علم النفس التربوي. القاهرة: النهضة العربية، ١٩٨١م.

٦) جمال الدين محفوظ: التربية العسكرية في الاسلام مقالة في صحيفة التربية. العدد الثالث.

٧) حامد زهران: التوجيه والإرشاد النفسي. القاهرة: عالم الكتب ١٩٧٧م.

٨) حامد الزهران: الصحة النفسية والعلاج النفسي. القاهرة: عالم الكتب ١٩٧٨م (ص٤٤٦-٤٤٩)، (ص١٤٦-١٤٩)، (ص ١٤٩-١٥٣).

٩) حامد زهران: علم النفس الإجتماعي (الطبعة الرابعة): عالم الكتب، ١٩٧٧م.

١٠) حلمي المليجي: القياس السيكولوجي في الصناعة: القاهرة: دار المعارف، ١٩٦٩م.

١١) حسين عبد العزيز الدريني: المدخل إلى علم النفس. القاهرة: دار الفكر العربي، ١٩٨٣م (ص ٢٣٩ - ٢٤١)، (ص ٢٤٠ - ٢٤١)

١٢) دافيد روف (ترجمة سيد الطواب وآخرون): مدخل علم النفس. القاهرة: دار ماكجروهيل للنشر، ١٩٨٠م.

١٣) رمزية الغريب: التعلم. دراسة نفسية تفسيرية توجيهية. القاهرة: الانجلو، ١٩٧٧م (ص ١٣٥).

١٤) زكي نجيب محمود: المنطق الوضعي. الجزء الثاني: في فلسفة العلوم، القاهرة: الانجلو، ١٩٦١م.

١٥) س. هاتاواي، ج ماكنلي: (ترجمة لويس كامل مليكة وآخرون) إختبار الشخصية متعدد الاوجه. القاهرة: مكتبة النهضة العربية، ١٩٧٨م.

١٦) سوين ريتشارد (ترجمة أحمد عبد العزيز سلامة: علم الأمراض النفسية والعقلية. القاهرة: دار النهضة العربية، ١٩٧٩م.

١٧) صفوت فرج: القياس النفسي. القاهرة: دار الفكر العربي، ١٩٨٠م (ص ٢٠٨ - ٢١١).

١٨) صلاح مخيمر، عبده ميخائيل رزق: علم النفس الإجتماعي، القاهرة: الانجلو ١٩٦٠م.

١٩) عبد الحميد محمد الهاشمي: المرشد في علم النفس الإجتماعي، جدة: دار الشروق، ١٩٨٤م.

٢٠) عبد الرحمن عيسوي: إتجاهات جديدة في علم النفس الحديث. الاسكندرية: دار الفكر الجامعي ١٩٧١م.

٢١) عبد الرحمن بن سبيت: الحرب النفسية بين النظرية والممارسة، مجلة كلية الملك خالد العسكرية العدد الثاني عشر، الرياض ١٤٠٦هـ.

٢٢) عبد العزيز القوصي: أسس صحة نفسية. القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ١٩٦٢م.

٢٣) عبد السلام عبد الغفار: مقدمة في الصحة النفسية. القاهرة: دار النهضة العربية، ١٩٧٧م.

٢٤) عبد المحسن كامل مرتجى، محمود خيري بنونة: العمليات الحاسمة في تاريخ جنود الجو. الاسكندرية: المكتب المصري الحديث للطباعة والنشر، ١٩٧٠م.

٢٥) عزيز فريد: الأمراض النفسية العصابية. علميا، عمليا، تشخيصاً، علاجيا. القاهرة. الشركة العربية للطباعة والنشر، ١٩٦٤م.

٢٦) عمر محمد جبرين: علم النفس الفسيولوجي. دراسة في الأسس العضوية والعصبية للسلوك. عمان: جامعة الأردن (كلية التربية)، ١٩٧٥م (ص ٨٢ - ٨٩)، (ص ١٠٩ - ١١٣).

٢٧) فاخر عاقل: أصول علم النفس وتطبيقاته، بيروت دار العلم للملايين، ١٩٧٥م (ص ١٥٥).

٢٨) قانون الأحكام العسكرية: القاهرة، مكتبة الانجلو المصرية ١٩٦٥م.

٢٩) لويس كامل ملكيه: سيكولوجية الجماعات والقيادة، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ١٩٦٣م.

٣٠) ليدل هارت: نظرة جديدة الى الحرب، ترجمة أكرم ديري القاهرة: الدار القومية للطباعة والنشر ١٩٦٥م.

٣١) محمد الزيادي وآخرون: علم النفس التجريبي. الرياض: عمادة ستون المكتبات ١٤٠٢ هـ.

٣٢) محمد سامي هنا: تفكير المرضى النفسيين. القاهرة: دار النهضة العربية، ١٩٧١ م.

٣٣) محمد سامي هنا: علم النفس الاكلينيكي. القاهرة: دار النهضة العربية، ١٩٦٨ م.

٣٤) محمد عثمان نجاتي: علم النفس الصناعي. القاهرة: مكتبة النهضة المصرية ١٩٦٠ م.

٣٥) محمد عثمان نجاتي: علم النفس في حياتنا اليومية. القاهرة: النهضة المصرية، ١٩٥٧ م.

٣٦) محمد فرغلي فراج: مدخل الى علم النفس. القاهرة: دار الثقافة للنشر والتوزيع، ١٩٨٤ م (ص ٣١، ٣٣)، (ص ٨٠ - ٨٤).

٣٧) محمد جمال الدين محفوظ: النظرية الاسلامية في الحرب النفسية، القاهرة: دار الاعتصام، مطبعة دار العلوم، ١٩٧٩ م.

٣٨) محمد جمال الدين محفوظ: تربية المراهق في المدرسة الاسلامية. القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٦٤ م.

٣٩) مختار التهامي: الرأي العام والحرب النفسية. القاهرة: دار المعارف ١٩٨٢ م.

٤٠) مصطفى العوجي: دروس في العلم الجنائي. الجريمة والمجرم (الجزء الأول). بيروت: مؤسسة نوفل، ١٩٨٠ م (ص ٢٦٨-٢٦٩).

٤١) وكسلر. د (إقتباس وإعداد لويس مليكة ومحمد عماد الدين إسماعيل): مقيـــاس وكسلر - بلفيو لـــذكـــاء الراشدين. القاهرة: النهضة المصرية، ١٩٨٣م.

المراجع الأجنبية

Allport, G.W: Attitudes in the history of social Psychology, Penguin books, 1976.

Ansbacher H.L: The history of the leaders group discussion technique, Psychological Bulletin, 1951.

Arieti, S.(ed): American hand book of Psychiatry, 2nd ed, Basic Books, NewYork, 1974.

Barlett, J.G. Psychology and the soldier, Cambridge Univ. Press, 1927.

Bray. C.W.: Psychology and military proficiency, New Jersy: 1948.

Boehm, L. The development of conscience: A comparison of American children of different mental and socioeconomic levels «Child Development», 1955,33.

Bonner, H: Group dynamics, NewYork: The Ronald Press, 1959.

Cattell. R.B &
Stice, J.Y. Hand book for the sixteen person— ality factor questionnaire.

Crowcraft, A. The psychotic: Understanding madness. Harmonds worth: Penguin, 1967.

Chapman, L.J., &
Chapman, J.P. Disorded Thought in Shizophrenia, New York: Appelton, Century Crofts, 1973.

Champaign, ILL.: Institute for personality and ability testing, 1962.

Dollard et al. Irustration and aggression. New York: Holt, Rienhart and Winston, 1962.

Doby, J. Introduction to social psychology. New York: Appleton Century Crofts, 1966.

Field Marshal: Montgomery of Alamein. London: Hutchinson & Co, 1950.

Iuller, J. «The decisive battles of the Western world and their enfluence upon history». London: Eyre & Spt, 1958.

Ginzberg, E. Toward a theory of occupa- tional choice». New York: McGraw Hill, 1967.

Eysenck, H.J.&
Eysenck, S. Manual of the personality inventory, London: Hodder & Stoughton, 1976.

Heckhausen & Weiner: «The emergence of a cognitive psychology of motivation».

Heider, I. «The Psychology of interpersonal relations New York: Wiley. 1958.

Jasper, K.: General Psychopathology. Manchester University Press, 1962.

Katz, D. The world of colour. London, Kegan, 1935.

Kelly. H.H. «The process of causal attribution». American Psychologist, 1973, 28,107-128.

Klein, D.N., Activity, with drawal in the differential of gnosis of Schizophrenia and mania. Journal of Abnormal Psychology, 1982.

Lawson, R. Irustration: The development of a scientific concept, New York: The Macmillan Co., 1965.

Lewis, D.C.& Engle, B,I. Wartime Psychiatry, New York, Qxford University Press, 1954.

Lion, J.R. Personality disorders diagnosis and management.

Mayer, K.E. The psychology of hostility. Chicago: Markham, 1971.

Mc Clilland. D. Atkinson, J.W., Clark, R.A.& Lowell, E.I. The achievement motive NewYork: Appleton-Century. Groffs, 1953.

Megargee, E.L.& Hokanson, J.E The dynamics of aggression. NewYork: Harper &Row, 1970.

Montogomery of Alamein, K.G. The memories of Field-Marshal the viscaunt». London Collins, 1958.

Shaver, K.G., «An introduction to attribution processes». Massachusetts. Winthrop Publishers, 1975.

Shaw, M.E., Sulzer, J.L. «An emperical test of Heider's levels in the attribution of responsibility». Journal of Abnormal Psychology and Social Psychology, 1964, 69, 39-46.

Super, D. The Psychology of Careers NewYork. Haper & Brothers, 1957.

Vernon, P&Parry,J. Personnel selection in the British forces, London: University of London Press 1949.

Weiner, B.&Kukla,A. «An attributional analysis of a chievement motivation». Journal of personality and facial psychology 1970,15, 1-8.

المحتويات

الموضوع	الصفحة



للنشر والتوزيع والطباعة

الادارة - كيلو ثلاثة - طريق مكة - هاتف ٦٨٧٣٠٠٧٧

ص.ب. ٤١٤٦ جدة - الرمز البريدي ٢١٤٩١

برقيا - مشكاتنا - تلكس SHORCO, SJ ٦٠١٢٠٩

المكتبة - شارع البغدادية- هاتف ٦٤٤٣٥١٨ - ٦٤٢٦٦١٠

المكتبة - كيلو ثلاثة - طريق مكة - هاتف ٦٨٧٢٨٠٠

